أربيل

مدينة الأدب و العلم و الحضارة

د. عثمان أمين صالح



دار ئاراس للطباعة والنشر



السلسلة الثقافية

العنوان: دار ئاراس للطباعة والنشر - شارع گولان - اربيل- كُردستان العراق



مدينة الأدب والعلم والحضارة

د. عثمان أمين صالح

اسم الكتاب: أربيل - مدينة الأدب والعلم والحضارة
تأليف: د. عثمان أمين صالح
من منشورات ئاراس رقم: ٨٩٢
تنقيح: أوميد البناء
الإخراج الفني: آراس أكرم
الغلاف: مريم متقيان
الطبعة الأولى ٢٠٠٩
رقم الإيداع في المديرية العامة للمكتبات العامة في إقليم كردستان: ٢٠٠٩/٧٦٩

الفهرست

المدخل

أصبحت أربيل من المدن المزدهرة في حقبة حكم الأمير مظفرالدين كوكبري في حياتها السياسية والثقافية والاجتماعية والحضارية، وكانت قلعتها الأثرية حصينة، ومنارة المظفريّة وجامعتها مركزاً مهماً للعلم والأدب . إن أدب أية أمة يتصل بحياتها السياسية والاجتماعية والفكرية، وهذا الأدب هو صدى لهذه الجوانب، فلاعجب إذا وجدنا أصداء هذه الثقافة الأصيلة عند الكُرد الذين عبّروا عنها باللغة العربية التي كانت لغة العلم والثقافة والحضارة، فضلاً عن اللغة الكردية التي كانت متداولة أيضاً في أوساط المجتمع الأربيلي القديم.

فالأمة الكردية أمة أصيلة في مجال مساهماتها لبناء الحضارة الإنسانية، وقد أضاف أدباء وعلماء أربيل إشراقات فكرية الى الحضارة الاسلامية ولاسيما في عصر مظفرالدّين الذي وفّر الأمن والإستقرار لأبناء إمارته فأدّى إلى تنشيط حركة أدبية، وبنى فيها صرحاً شامخاً من ألوان المعرفة والأداب، وقد أصبحت لأربيل صلات ثقافية مع بلدان العالم المختلفة، وفي الوقت نفسه كانت مأوى للأدباء والعلماء الذين كانوا يزورونها لأجل إكتساب العلوم والأخذ من شيوخها وعلمائها وأدبائها، أو لغرض نشر علومهم وكتبهم، وقد شاد هذا الامير في ربوع المدينة حضارة ورقياً، وتعد حقبة حكمه مرحلة مهمة في تاريخ أربيل عطاءً وإنتاجاً، وعصره مشرق في حياة الاربيليين منذ تعلمهم اللغة العربية وأدابها والتي كانت لغة العصر ولغة المثقفين والمتنورين من أبناء أربيل إلى جانب اللغة الكردية التي كانت اللغة الأم، فنحن الآن في القرن الواحد والعشرين مشدودون بحبال متينة بهذا التراث الحضاري، حيث إنه النبع الأصيل، فالاطلاع على هذا التراث ودراسته مهم جداً، لأنه يزيح الستار عن خفايا هذه الحقبة من حياة الأربيليين ودولتهم التي كانت تسمى (إمارة) في حينه، ولهذا التراث أثار خطيرة في حياتنا الفكرية والإجتماعية المعاصرة، ويمكن أن تنهض مدينة أربيل على أنقاضه من جديد، وقد بدت بوادرها واضحة للعيان في أيامنا.

وإسهاماً في الكشف عن هذا التراث في هذه الحقبة الزاهية من تاريخ أربيل أقدمنا على تأليف هذا الكتاب الذي يتضمن الفصل الأول منه حركة الشعر وموضوعاته في اربيل المقتبس من رسالتي للماجستير التي عنوانها (الشعر العربي في أربيل) وفيه تناولنا البيئة الثقافية العامة في أربيل، وسلّطنا الضوء على شخصية مظفرالدين أمير أربيل وكشفنا عن شخصيات أدبية جديدة في دوحة الادب العربي من الكرد الذين رفدوا الشعر العربي بمجموعة من الدواوين الثمينة، ورفعنا الضيم عن شعراء أربيل المغمورين الذين لم يأخذوا حقوقهم من

الدراسة والاهتمام.

وجاء الفصل الثاني للحديث عن ثلاثة ادباء أربيليين لهم دواوين محققة في رسائل جامعية، وكان عطاؤهم الأدبي غزيراً، وهذا الفصل ترجمة لسيرة حياتهم بصورة موجزة.

وتطرق الفصل الثالث الى النشاط الثقافي السرياني في أربيل وضواحيها ولا سيما في عينكاوه من خلال بحث علمي عن شاعرين من شعراء السريان، اللذين ساهما في رفد الحركة الحضارية في أربيل بنتاج وفير في ميدان الادب والشعر باللغة السريانية، وقد كان لشعراء السريان دور مهم بسبب الجو الآمن والحرية المطلقة للتعبيرعن المشاعر والافكار، وكان لنصارى أربيل نشاط ثقافي وديني بارز، وهذا دليل على أنّ الكرد شعب أصيل محب للحرية والفكر الخلّاق، يتحلى بالتسامح الديني، ولا يتعصب على الأخرين.

ونظراً لتعدد موضوعات الشعر فقد عالج الفصل الرابع موضوعات الشعر الاجتماعي، الذي يكشف عن عدد من المسائل الاجتماعية التي طرأت على المجتمع الأربيلي، فالشعر في أربيل لم يكن متصلاً بالأمراء والسلاطين فحسب، بل اتصل بصميم حياة الأفراد والجماعة، فالشاعر الأربيلّي احتلّ مكانة متميزة في توضيح ظواهر إجتماعية فيها قبل ثمانية قرون خلت، وقد وجدنا أن لكل شاعر نصيباً معيناً في الاصلاح الاجتماعي، وتشخيص العيوب والسلبيات في المجتمع.

ولكون الشعراء قد وقفوا مواقف متباينة من مدينتهم، لذا جاء الفصل الخامس لبيان هذه المواقف، فمنهم من تغنّى بجمال أربيل وبهائها، ومنهم من مدحها بروائع الشعر، ومنهم من هجاها بأقذع الالفاظ لأسباب إجتماعية أو النزعة الشعوبية أو الصراع الاقليمي أو التعصب الشخصي، ومع ذلك ظلّت أربيل مدينة شامخة الى يومنا هذا.

وفي الفصل السادس تمّت دراسة الصورة الشعرية عند الشعراء فبحثنا عن منابع الصورة وخصائصها وأنماطها، وقد تبيَّن أن منابع الصورة في شعر الاربيليين ترجع الى جذور الثقافة العربية القديمة من دينية وتراثية، فضلاً عن الاقليمية والمحلية. وكلنا أمل بأننا قد كشفنا عن التراث الأدبي العريق المكتوب باللغة العربية لشعراء كرد، وقد أثبت هؤلاء الشعراء ان العقل الكردي ساهم في النهضة الحضارية القديمة، وقد كتبوا الروائع الفريدة بغير اللغة الأم، وقد سجل التأريخ هذه المساهمة، وهذا الذي بين أيدي القراء لهو الشاهد على ذلك، ولايزال الى يومنا هذا يساهم العقل الكردي في البناء الفكري والحضاري باللغتين العربية والكردية ولغات أخرى.

ومن الله التوفيق

المؤلف – ٢٠٠٩

الفصل الأول

المقدمة

الحمد لله الرب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فأن الأدب يعد مرآة لواقع الأمة الثقافي والعلمي والاجتماعي والسياسي، وهو-بلا ريب - عامل من عوامل رقيها وازدهارها، وعنصر لايستهان به من عناصر تقدمها الأنساني والحضاري، وسجل يخلد تأريخها الذي يحكي للأجيال مآثر الأجداد، ويتجسد فيه الوجه الناصع لها فيما انتجه أبناؤها من منظوم الكلام وفشوره، وما أودعوه فيهما من خلق في مضمار الوجدان والفكر.

يحاول هذا البحث تسليط الضوء على النتاج الشعري العربي في أربل ويقلب بعضا من صفحات تأريخها الأدبي في الحقبة المحصورة بين سنتي (٥٢٦هـ و ٦٣٠هـ)، ويكشف عن جانب مشرق من جوانب الحياة الأدبية فيها.

وتجدر الأشارة إلى ان ثمة دراسات وكتبا عرضت لتأريخ أربل في احوالها السياسية والفكرية والاجتماعية لتلك الحقبة منها: "أربيل في أداورها التأريخية" للسيد زبير بلال أسماعيل، و "أربيل في العهد الاتابكي "للدكتور محسن محمد حسين، و "تراث أربيل التأريخي" للسيد هادي رشيد الجاوشلي؛ و "الحياة العلمية في أربل" للسيد اوميد أبراهيم.

وقد تبين لي بعد أستقصاء ومتابعة إن هذه الدراسات، بأستثناء دراسة الدكتور ناظم رشيد شيخو الموسومة "الشعر في أربل في ظل الأسرة البكتكينية"، المنشورة في المجلة آداب الرافدين، لم تعن بدراسة الشعر في أمارة أربل، كما عنى به هذا البحث، سابرا أغواره، واقفا عند دقائقه وتفاصيله، ومن هنا تأتي جدة البحث وأهميه.

وقد نحا البحث منحى الخريدة للعماد الأصفهاني الذي مفاده أن العراقي هو كل من ولد في العراق، وإن تركه بعد ذلك، وتوفي في بلاد أخرى، وهذا ما أجريته على شعراء أربل، وأدخلت فيه أيضاً شعر من وفد إليها وأقام بها.

اما المصادر التي أنتقيت منها النصوص الشعرية، فقد كانت من أهمها: دواوين الشعراء الكبار الذين برزوا في هذه الحقبة، وهم حسام الدين الحاجري، ومجد الدين النشابي، وأبن الظهير الأربلي، وكتب عديدة من أبرزها: "وفيات الأعيان" لابن خلكان، و "قلائد الجمان" لابن الشعار، و "تأريخ أربل" لابن المستوفي، وغيرها.

أما الدراسات الحديثة التي أفدت منها سواء من حيث المنهج أو التبويب، فقد كانت دراسة الدكتور مزهر السوداني "الشعر العراقي في القرن السادس الهجري" و "الشعر العربي في العراق وبلاد العجم" للدكتو علي الجواد الطاهر، و "الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد" للدكتور عبدالكريم عبود وغيرها، فضلا عن الدراسات الحديثة التي تناولت الحياة الأدبية في العصر الأيوبي لاسيما دراسة الدكتور عمر موسى باشا "أدب الدول المتتابعة"، و كذلك "الأدب في العصر الأيوبي" للدكتور محمد زغلول سلام، و "دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين " للدكتور محمد كامل حسين وغيرها.

وبما إن البحث مسيرة شاقة وصبر و أناة، فلابد لمن يركب هذا المركب أن يلقي صعوبات، ويواجه مشاكلات، على نحو من الانحاء، وقد تمثل جانب منها في هذا الكم الهائل من الشعراء المقلين والوافدين على أربل الذين تعسر الاحاطة بهم، ودراسة أشعارهم، ومتابعة أخبارهم، فضلا عن رداءة بعض أوراق مخطوطة قلائد الجمان التي تعد مصدراً رئيسا من مصادر شعر الاربيلين.

واقتضت طبيعة البحث الربط بين المنهج التأريخي والمنهج الفني والافادة منها، ويتضح ذلك جليا في تقسيم البحث الي تمهيد وفصلين.

فالتمهيد الذي هو دراسة تأريخية للحقبة المحددة للبحث أشتمل على أربعة مباحث، عرضت فيها للأحداث والظروف السياسية والاجتماعية والثقافية والأدبية التي كانت سائدة يومذاك.

أماالفصل ألاول فقد خصصته لدراسة أشهر الأغراض الشعرية التي نظم فيها الشعراء منها: الغزل والمديح والهجاء والوصف ...الخ.

وحين تناولت شعر الغزل، وجدته على ثلاثة أضرب، أحدها الغزل العفيف، والثاني الغزل المادي، والثالث بالمذكر، وبينت سمة الشعر الغزلي من حيث الشكل والمضمون واشرت الى الغزل المغنّى ودرست الآراء المتباينة حول ظاهرة الغزل بالمذكر وعوامل شيوعها.

وفي شعر المديح وقفت عند أشهر شعراء أربل، وأشرت الى ألاتجاه العالم لكل منهم، وذكرت أبرز سماته الفنية، وأهم عيوبه.

وعندما درست الهجاء نظرت الى فئة المهجوين، وأساليب الشعراء في هجائهم، وأهم أتجاهاته، ووقفت على دور الشاعر الاربلي في هذا الفن ناقدا سياسياً وأجتماعياً، ومحاولة بعضهم الجمع بين الهجاء وأغراض أخرى.

وفي الوصف أشرت الى أهم جوانبه، ووقفت على وصف الطبيعة ووصف المعالم

الحضارية، وبث الروح في الأشياء الجامدة.

أما في الخمريات فقد عنيت ببحث عوامل قلتها، والدور التقليد والأبدا ع فيها.

وفي دراسة شعر التصوف والزهد نوهت بعوامل رواجه، وأبرز سماته، ودعوة الشعراء الى التزهد والتحلي بالحكمة في الحياة.

وحين درست شعر الرثاء-وهو فن قصر فيه الشعراء - تناولت أهم ضروبه، ووضحت بعض سماته.

أما شعر الشكوى فقد وقفت على ندرته، وذكرت أبرز ألوانه.

وفي حديثي عن شعر الأخوانيات، أشرت الى أسباب كثرته وأهم ضروبه، وختمته بالكلام على الألغاز والأحاجي، وعرضت لأسباب أنتشارها.

وختمت الفصل بدراسة موضوعات أخرى منها الحنين والشوق، والفخر والحماسة، والصيد والطرد.

أما الفصل الثاني والأخيرة فقد حوى الدراسة الفنية للقصائد الشعرية ودراسة عن الفنون الشعرية المستحدثة كالموشح والدوبيت والمواليا.

وأخيراً فهذا البحث ثمرة جهود متواصلة، يرجو الباحث من ورائه الأسهام في تقديم خدمة علمية لمدينته أربل، وليدلي بدلوه في بعث تراثها الأدبي الثر، والتنبويه بأدبائها الأفذاذ الذين يستأهلون أن توظف الطاقات لكشف ماخلفوا لنا من تراث أدبي، وأنا راج أن يكون هذا البحث قد أستوفى الموضوع، ومنحه حقه من العناية، فأن كان الأمر كذلك فهو ما كنت أصبو إليه، وإلاّفحسبي أجتهاد المجتهد، وبالله التوفيق.

وأخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

البيئة العامة:

من المعلوم إن دراسة الأدب بعيدة عن الحياة المحيطة به تعد دراسة غير ناضجة لاتعبر عن أحداثها، لأن الأدب صورة تتجسد فيها مظاهر البيئة المختلفة، ولتحقيق هذا الغاية فأن دراسة الأدب وعلى وجه التحديد دراسة الشعر تتطلب الأحاطة بمظاهر الحياة المتعددة في أمارة أربل، ولمّا كان لكثير من هذه المظاهر جذور في القدم، فأن العودة إلي المصادر القديمة تعد من ضرورات البحث العلمي الجاد، وقد تمسكنا بهذا المنهج في دراساتنا لهذا الفصل، فأنصبّ جلّ أهتمامنا في كتابات المؤرخين الذين عايشوا أحداث تلك الحقبة وكانوا من المسهمين في توطيد بنيان الحالة الثقافية والأجتماعية فيها. وفي كلّ الأحوال فأن الدولة العباسية قد ضعفت في هذه الحقبة، وأنسلخت منها أراض قامت عليها دول لها كيانها، وأشتهرت مدن أحتضن بلاط بعض ملوكها العلماء والأدباء والشعراء على نحو لم يشهده بلاط الخليفة، وأُلّفت كتب ضخمة في أكناف أولئك الملوك الذين كان لهم دور عظيم في دفع مسيرة الثقافة العربية والأسلامية الى آفاق جديدة من الرقي والتقدم، وأحدى هذه المدن هي "أربل" ألتي كانت قلعة حصينة وقفت بوجه الغزاة المغول وغيرهم، ويعود الفضل في هذا ألازدهار إلي أسرة بكتكين ألتي حكمت أربل من سنة ٥٢٦هـ إلى سنة ٦٣٠هـ.

الحياة السياسية:

تجلّت أهمية إربل حين أصبحت مقر الآلهة "عشتار"، فكانت أربل هي "أربائيلو" نفسها أو "أربيلو" الواردة في النقوش البابلية والآشورية المكتوبة بالخط المسماري، وتعني مدينة "الألهات الأربعة، وقد ذكرتها النقوش الفارسية "أربيرا"(١).

وقد سميت "هولير، هه ولير" ويذكر أنها مشتقة من"أربائيلو" بعد أن مّرت بالمراحل الآتية "أربائيلو، أربيلا، أرويل، هورويل، هولير"(٢). لقد فاقت "أربيلو" مدينة دلفي "دلفي" اليونانية المقدسة(٣)، وظلّ أسمها محفوظاً على مرّ العصور، وثبتت طوال أكثر من ثلاثة آلاف سنة، ومما ساعد على بروز أسم أربل هو وقوع المعركة الحاسخه بين الأسكندرالكبير ودارا ملك الفرس عام (٣٣١ق . م) بالقرب منها، والتي عرفت ب "معركة كوكمبلا"(٤).

اما في التاريخ الأسلامي فنجد أسمها يتردد في أواخر القرن الثالث للهجرة، وأخذت أربل

تبرز وتتجلى أهميتها حين غدت مركزاً للأمارة ألمهذبانية الكردية التي استمر حكمها الى ما بعد سنة (٥٢٠هـ)[٥].

وثمة إختلاف[٦]، حول سنة فتح هذه المدينة من قبل عمادالدين زنكي، فقد ذهب أحد المؤرخين المعاصرين الى إنه فتحها قبل سنة (٥٣١هـ)، إذ اقطعها بدوره الى الأمير زين الدين علي كجك سنة (٥٢٦هـ)[٧]، والجديد بالذكر أن رسالتنا هذه تتناول شعراء المدة الواقعة بين (٥٢٦هـ) وسنة (٦٣٠هـ) وهي زمن زوال هذه الامارة.

برزت أربل مدينة مهمة كونها في المنطقة الواقعة بين الزاب الكبير والزاب الصغير، ويقوم أقليمها على هضبة خصبة شبه مستوية، في حين تقوم المدينة على تل مرتفع واسع[٨]. أما سكانها فأغلبهم من الكرد، وقد ظهر فيهم رجال عظام وفي مقدمتهم البطل صلاح الدين الأيوبي، وقد شكلّ مظفر الدين جيشه من هؤلاء الكرد في قتاله مع الصليبين[٩].

وأضحت أربل ذات شأن كبير بعد أن غادر الأمير زين الدين علي كجك الموصل الى مركز أمارته في أربل حيث أدركته المنية سنة ٥٦٣هـ، ودفن فيها[١٠].

يروى عنه إنه لما مدحه الشاعر حبص بيص[١١]، قال للحاضرين: "أنا لا أعرف ما يقول، ولكني أعلم إنه يريد شيئاً، فأمر له بخمسمائة دينار وفرس وخلعة وثياب مجموع ذلك الف دينار"[١٢].

ورث ألامارة أبنه مظفر الدين كوكبري[١٣] وعمره أربع عشرة سنة، وبعد بضعة أعوام حدث خلاف بين المجاهد الدين قايماز الزيني[١٤] خادم أبيه ومظفرالدين كوكبري، فأقصاه عن الأمارة وكتب محضرا بأنه لايصلح للملك، وولّي أخاه الأصغر زين الدين يوسف مكانه[١٥].

أستنجد صلاح الدين بملوك المسلمين على حرب الأفرنج سنة (٥٨٦هـ) فكان زين الدين يوسف أول القادمين لنجدته، وأنزله صلاح الدين في خيمته، وشاء القدر أن يصاب بمرض أدى الى وفاته[١٦]، فأنعم صلاح الدين على مظفرالدين باربل وأعمالها، وأصدر منشوراً بذلك[١٧].

شدّ الأمير الجديد مظفرالدين رحاله الي أربل، وإستقبله الناس متوسمين فيه الخير، وقد تحققت ظنونهم إذ كان رجلا جديرا بحكم أربل، وكان مظفرالدين حاكماً نبيلاً، قال: "لما أخذت أربل آليت على نفسي أن أقسم مغلها ثلاثة أقسام: قسم أنفقه في أبواب البرّ، وقسم للجند وما يخصنّي، وقسم أدّخره لعدوّيقصدني"[١٨].

وتفيد الأخبار الناقلة لمجريات الأحداث أنه صدق في قوله، إذ غدت أربل في عهده منيعة وزاهية، وذا ع صيتها في الشرق والغرب[١٩].

وتروى المصادر أنه كان فارساً شجاعاً قد أكتسب خبرة واسعة في محاربة الأفرنج، ولوكان الخليفة الناصرلدين اللّه أستمع اليه لما أجتاحت جيوش التتر فيما بعد العراق(٢٠)، وكان مخلصاً في عمله، وقد قضى نحبه في يوم الأربعاء الثاني عشر من رمضان سنة ٦٣٠ للهجرة.

ويظهر إن الأمارة في عهد مظفرالدين كانت تتوافر فيها الخطط والدواوين التي تتطلبها دولة مستقلة(٢١)، وكانت هذه الخطط والوظائف أمثلة لما كان عليه تنظيم الدولة في عهد كوكبري الذي أمسك بزمام الحكم في الأمارة، بحيث لم تستطع الخلافة من أخضاعها فضلا عن الدولة الأتابكية في الموصل والدولة الأيوبية ألّلتين لم تتمكنا من التسلط عليها بل كانت كلّ واحدة منها تخطب ودّها وترغب في أن تميل إليها لتعديل الكفّة(٢٢).

لقد حوّل مظفر الدين كوكبري مدينة أربل الي مدينة عامرة زاخرة بالعمران، والزراعة، والتجارة، حتى نالت أعجاب كُل من رآها في هذه الحقبة(٢٣) وعقب وفاة أميرة أربل مظفرالدين، أستولت عليها عساكر الخليفة المستنصر باللّه ثم أجتاحها التتر، وعملوا على تخريبها وقتل أكثر أهلها(٢٤)، وبذلك أنطوت تلك الصفحة المشرقة من حياة هذه الأمارة الوديعة(٢٥).

الحياة الأجتماعية:

قال ياقوت الحموي: "أربل قلعة حصينة، ومدينة كبيرة في فضاء من الأرض واسع بسيط"، وأضاف "وفي ربض هذه القلعة في عصرنا هذا مدينة كبيرة، عريضة طويلة، قام بعماراتها وبناء سورها وعمارة أسواقها وقيساراتها الأميز مظفرالدين كوكبري"(٢٦).

والحديث عن الحياة الأجتماعية في تلك المدة يسوقنا الى الكلام عن فضائل هذا الأمير ومناقبه فقد كانت حياة الناس ترفل بالسعادة والطمأنينة والأمان في عهده، وقد أشتهر بكونه عادلا، منصفا وذا عناية شعبه، وأستفاد مجتمعه من عدالته، ويعود السبب في ذلك الى أنه خصص وأردات الدولة وماله الخاص لخدمة رعيته(٢٧).

وقيل عنه أنه "كان له في فعل الخيرات غرائب لم يسمع أن أحد فعل في ذلك مافعله، ولم يكن في الدنيا شيء أحَب اليه من الصدقة"(٢٨)، وقيل أيضاً إنه كان "كثير الصدقات، غزير البّر والصلات"(٢٩)، كما ذكرانه "كان مفضلا على الفقراء كثير الصدقات على الغرباء"(٣٠).

وأكثر من ذلك أنه "كان له كّل يوم قناالطير مقنطرة من الخبز يفرّقها على المحاويج في عدّة مواضع من البلد، يجتمع في كل موضع خلق كثير، يفرّق عليهم في أول النهار"(٣١).

ومن اللافت للنظر أن أعمال البرّ عند هذا الأمير يعسر عدّها وأحصاؤها(٣٢)، ويفرد محمد

كرد علي لمظفرالدين مكانة بارزة بين حكام المسلمين إذ قال عنه: "إن مظفرالدين كوكبري صاحب أربل كان من أولئك المحسنين من ملوك المسلمين وأهل الخير، وأنه تفنن في أعمال البرّ والأحسان، وأقام من المصانع مايشبه من أكثر وجوهه مصانع الغربيين اليوم"(٣٣).

وتفيد الأخباران مظفرالدين أقام مؤسسات صحية وأجتماعية ذات أهمية بعيدة المدى، فبنى أربعة خانقاهات(٣٤) في أربل لتضم العميان والمرضى والزمنى وخصص لهم ما يحتاجونه من طعام وملابس وعلاج ومبالغ وافية للصرف عليها(٣٥) كما أنشأدورا للأيتام واللقطاء والأرامل(٣٦) ودارا للضيافة لأستقبال الفقهاء ورجال الحديث والتجار وغيرهم(٣٧) وأنشأ مؤسسات أخرى منها المارستان "البيمارستان"(٣٨) أو المستشفى، وكان يضم صيدليات تسمى " شراب خانة"(٣٩).

وقد أشاد أحد الدارسين المعاصرين بفضائله التي شبهها بصنيع بعض بناة الدول من المصلحين الذين عرفوا بقيامهم بأعمال جليلة في مجال تقديم الخدمات الأجتماعية والصحية وغيرها(٤٠).

ويلاحظ أن مظفرالدين قد تأثر بأسلوب صلاح الدين في أدارة حكم البلاد، ومما لاشك فيه أن حياة الدولة الأيوبية كانت حياة صرامة وجدّ، إذ شغلت هذه الدولة بدرء خطر الأفرنج ومع ذلك كانت هناك مناسبات يفرغ فيها الخاصة والعامة لألوان من الأبتهاج والسرور، إذ تقام الزينات وتعقد الأحتفالات(٤١).

ونحسب أن مظفرالدين كان يستغل المناسبات الدينية للبرّ بشعبه، كماكان يتخذها وسيلة لترفيهه، من ذلك أحتفاله الرائع بالمولد النبوي الشريف.

ويعد وقت أحتفاله بهذه المناسبة من أعظم مواسم مدينة أربل(٤٢)، تنفق فيه الأموال الطائلة حتى تصل الى كلّ يد، ويذكر في هذا المجال أن مظفرالدين أنفرد بشيء لم يسبق اليه أحد من الملوك الحاضرين والخلفاء المتقدمين، وأختص دونهم بأقامة الأحتفالات تيمنا وتبركا بولادة الرسول-صلى اللّه عليه وسلم-(٤٣) ويشير أبن خلكان الى أن قوافل المحتفلين من الوافدين كانت تصل الى أربل مع بداية الأحتفال وعلى أختلاف طباقتهم إذ كان بينهم الفقهاء، والمحدثون، والأدباء، والشعراء، والقرّاء، والمنشدون(٤٤).

ونحن نرى من جانبنا أن وصف أبن خلكان هذا الأحتفال لايحتاج الى تعليق عليه(٤٥) والذي بعد أنتهائه يشرع أهل أربل في العودة الى حياتهم الطبيعية، ويتهيأ الضيوف للعودة الى بلدانهم، وكان مظفرالدين يشملهم ببرّه فكان يدفع لكّل منهم نفقات عودة تيسيرا له(٤٦) وقد أصبح هذا الأحتفال فيما بعد عادة وتقليدا في الممالك الأسلامية كافة(٤٧).

وقد ألفّ أحد الوافدين للمشاركة بذكرى مولد الرسول-صلى اللّه عليه وسلم-وهو الحافظ

أبو الخطاب عمر بن على المشهور بأبن دحية الأندلسي البلنسي (ت ٦٢٣هـ)[٤٨] كتابا نفيسا يتناول سيرة النبي ومآثره سماه "كتاب التنوير في مولد السراج المنير" الذي ختمةهبقصيدة طويلة مطلعها: (من مجزؤ الرجز).

لولا الوشـــاةُ وَهُـم

أعد وَنا مـاوَهِمـوا

أجازه عليه مظفرالدين بألف دينار[٤٩]

ويبدو أن مظفرالدين لم يأل جهدا في أسعاد شعبه، وقد حكم أمارته حكما نزيها، ومنع الأمور المحرمة في الأسلام من أن تقترف في بلاده بحيث "لايمكِّن أحدا أن يدخل بلده خمرا ولايشرب الخمر ويزدرى شاربه"[٥٠].

وقد عمد عدد من المؤرخين الى توجيه بعض الأنتقادات الى مظفرالدين، فقد أشاد ياقوت الحموى بأعماله وشهامته ثم قال: "أنه كثير الظلم عسوف بالرعاية"[٥١] ويشاركه في هذا الرأى أبن واصل[٥٢] وأبو الفداء[٥٣] وإبن الوردي[٥٤] ويرى أحد الدارسين المعاصرين إن مصادر أموال بعض رجاله جاء بعد إن رأى أنهم أستغلوا مناصبهم وجمعوا عن طريقها أموالهم أو تسلموا الرشوة من المواطنين[٥٥]، وأستشهد لتأيد قوله بأبيات من الشعر على لسان النشابي الذى تولّى كتابة الأنشاء في ديوان صاحب أربل:[٥٦] (من الخفيف)

قَدْ قَسَمنا الديوانَ خَمْسَةَ أقسا

مٍ عليــــهـــا لكُلِّ قـــولٍ دليلُ

ربُّ حقٍّ فـــلا يُطاعُ ومنســـو

بٍ الى الظُّلْم قـولهُ مـقــبــولُ

ثُمَّ شـخصُ كأنه الحَرفُ في النَّـ

وِ فَــلا فــاعِلُ ولا مــفــعــولُ

ومـــصـــرّ على التَّـحَـيُّق والظُلْ

م بعـيـدُ عن الصّـواب جـهـولُ

وأخـــو حــاجــةٍ يمشي أحــوا

لاً لديه أنْ جـــأه البـــدطيلُ

أتُراهـم لم يَعــملوا أنَّ كـــلاً

منهم عن فِــعـــالِه مـــســؤولُ

ويبــدو لنا أن هناك عـوامل أخـرى وراء مـا يسـمى بظلمـه لبـعض رعـيتـه، وهو إيمانه بالعدالةالأجتماعية ومحاولة تطبيقها على مجتمع أربل من جانب وزهده في الحياة وحاجته الدائمة للأموال من أجل تسخيرها في أبواب البرّ من جانب آخر.

ولكي تكتمل الصورة في دراسة هذا الجانب من حياة الأمارة، نجد من الظروري التحدث عن النشاط التجاري الذى بلغ مستوى عليا، أقتضى معه أنشاء قيسارية في أربل(٥٧)، وكانت تصحب الأحتفال بالمولد النبوي الشريف أقامة سوق تجارية مهمة(٥٨)، وتشير المصادر الى أن الحركة التجارية أزدهرت بسبب تعاظم شأن هذه ألامارة، وأستقرار وضعها السياسي، بحيث أصبحت أربيل تتاجر مع البلاد البعيدة، ودخلت إليها بضائع الترف، وتضيف تلك المصادر أن والد الشاعر الأربلي موفق الدين البحراني الأربلي، تردد بين أربل والبحرين متأجرا باللآلىء، وكان يقيم في البحرين مدة(٥٩).

ويذكر أيضاً أن التاجر المدعوا أمين الدين تردد بين أربل والديار المصرية وبلاد العجم وأنتهي الى خوارزهم وهذا-بلاشك-دليل أتساع نطاق تجارة أربل مع الخارج، وقد أشار ياقوت حموي الى أن قوافل التجارية كانت تبدأ بالترحل من أربل وتتجه نحو أزربايجان، وكان التجار أصحاب هذه القوافل ينزلون في مدينة "تل هفتون"(٦٠) الجبلية التابعة لامارة أربل لينالوا قسطا من الراحة ثم يستأنفون رحلتهم، ويظهر أن "تل هفتون نفسها كانت مدينة تجارية عامرة"(٦١).

وكذلك استأثرت الزراعة بأهتمام (الأربليين)، وأن من أهم المحاصيل (الزراعية) بالأضافة الى الحبوب كان محصول القطن الذى أثنى عليه الجغرافي حمد الله المستوفي(٦٢).

وعلى الرغم من أفتقار المنطقة الى البساتين، إلاّ إنها كانت ومازالت غنية بالفواكه التي تجلب من المناطق الجبلية المجاورة منها قرية شقلاباذ "شقلاوة"(٦٣).

كذلك فقد عني الأربليون بالصناعة، وقد تحدث ياقوت الحموي عن ألنصافي التي تنسب الى بلدة حزّة(٦٤)، وهي عبارة عن ثياب قطنية تصنع من القطن المنتج محليا.

ومن المرجح أن يكون التقدم العمراني الذي شهدته الأمارة قد دفعها الى أنتاج مواد البناء كالطابوق والجص، ويدل على هذا مواد مئذنتها(٦٥). التى ماتزال شاخصة الى يومنا هذا.

الحياة الثقافية:

تميّز القرنان السادس والسابع الهجريان ببروز عدد من المدن التى كان لها دور كبير في تقدم مسيرة الثقافة العربية الى أمام، وأحدي هذه المدن هي "أربل"(٦٦).

وقد أزدهرت أربل ويعود الفضل فيه الى الأسرة البكتكينية بل الى كبير هذه الأسرة

مظفرالدين كوكبري الذي أوصلها الى قمة المجد، وولّد صلات علمية بينها وبين الأقطار العربيه والأسلامية فارتفعت منزلتها(٦٧)، وأنتجعها الكثيرون من كّل حدب وصوب، ولكثرة من دخلها من الوافدين ألف شرف الدين بن أبي الفتح أحمد المشهور بأبن المستوفي آخر وزراء أربل كتابا كبيراً بأربعة مجلدات سمّاه "نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل"(٦٨).

ومن الظواهر البارزة أن العلماء والفقهاء والمحدثين كانوا يحظون برعاية أمير أربل الذي كان يرعاهم ولا يخيب آمالهم، وإنه دفع لأبي الخطاب أبن الدحية البلنسي ألف الدينار نظير قيامة بتأليف كتاب له(٦٩).

وقد أجتازت أربل في عهد مظفرالدين شاؤا كبيرا في الميدان الثقافي بحيث يعده أحد الدارسين المعاصرين من أبرز الولاة القائمين على بناء المدارس، وإنه عرف بكونه راعيا عظيماً لها(٧٠).

وعلى الرغم من الحروب المستمرة في تلك الحقبة، فقد شهدت الحياة العلمية نشاطاً بارزاً، وأغلب الظن أن هذا النشاط العلمي كان نتيجة لهذه الحروب، وما أدت اليه من إتصال بين الشرق والغرب(٧١)، فضلا عن عاملي الأمن والأستقرار اللذين شهدتهما أمارة أربل.

ومن الحقائق العامة أن كثرة العمران وأستقرار الناس ورفاهيتهم تؤدي-غالباً-الى توجههم نحو العلم والمعرفة، وقد عدّ العلم والتعليم من الجملة الصنائع المتصلة بأستقرار الناس وأكمال العمران ثم يأتي الأنصراف الى العلوم والصنائع تأتي جودة الصنائع على مقدار عمران البلد(٧٢).

وهكذا عرفت أربل بجذب العلماء وأستقطاب الأدباء حيث أغدق عليهم صاحبها الأموال والصلات والهدايا، وأنا طبهم الوظائف الهامة، وجعلهم موضع ثقته وإستشارته(٧٣)، وكان يستمع الى العلوم الأسلامية من فقة وتفسير وحديث، وأستمر في مواصلة تحصيله العلمي "وكان يميل الى علم التأريخ وعلى خاطره منه شيء يذاكر به"(٧٤).

ويلاحظ أن مظفرالدين كان يحضر المجالس العلمية التى كانت تعقد في مسجد القلعة، والمسجد الذى شيّدْ بجوار مدرسته في ربض أربل أو دار الحديث وكان رجال دولته يعقدون مثل هذه المجالس ويحتفون في ندواتهم بالوافدين من العلماء والأدباء(٧٥)، ولم ويقتصر التدريس في المسجد على العلوم الدينية بل أمتد الى علوم مختلفة كالشعر، والنحو، والأدب، والفلك، والحساب، وأحياناً كان يدرس فيها الطب(٧٦).

ويعد عام ٤٥٦للهجرة بداية عهد جديد في أنشاء المدارس، ففي هذا العام أفتتحت أول مدرسة في بغداد من مجموعة المدارس المنظمة التي أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك

وعرفت بأسم "المدارس النظامية"، واستمر أنشاء المدارس وأقتفى أثره الملوك والأمراء الذين أقاموا إمارات بعد الحكم السلجوقي ومنهم أمير أربل(٧٧).

ومن المرجح إن لأول مدرسة ظهرت في أربل هي "المدرسة العقيلية" نسبة الى الفقية أبي العباس الخضر بن الفضيل (ت٥٦٧هـ) وهو أول من درّس فيها(٧٨)، ثم أنشأ نائب مؤسس الأمارة مدرسة القلعة سنة ٥٣٣ للهجرة، وقد تخرج فيها عدد من العلماء منهم أبو عمرو ضياءالدين الهذباني (ت٦٠٥هـ) صاحب كتاب "الأستقصاء لمذاهب الفقهاء"(٧٩)، وأقام النائب الثاني لمؤسس الأمارة مجاهدالدين قايماز "مدرسة المجاهدية" وقد درّس فيها الفقية عمر بن أبراهيم بن خلكان (ت٦٠٩هـ)(٨٠)، والشاعر أبن الظهير الأربيلي (ت٦٧٧هـ)(٨١).

ولم يلبث مظفرالدين أن بني أكبر مدرسة وهي "المدرسة المظفرية " التي ما تزال منارتها باقية الى يومنا، وكان يشرف عليها بنفسه، ويبيت فيها أحياناً في الأحتفالات الدينية، وقد ولد المؤرخ أبن خلكان في هذه المدرسة سنة ٦٠٨ للهجرة، والتي نالت شهرة فاقت بها مدارس أربل كلها، نظرا لمنزلة شيوخها العلمية وأهتمام مظفرالدين بها(٨٢).

ومن علماء هذه المدرسة محمد أبن خلكان (ت٦١٠هـ) وهو والد مؤرخ أبن خلكان(٨٣)، وأبو الفضل أحمد أبن موسى بن منعة (ت٦٢٢هـ)(٨٤)، وفضلا عن هذا فقد أقام مظفرالدين "دار الحديث المظفرية"(٨٥)، وبفضل هذه المؤسسات العلمية الرصينة وصلت أربل الى قمة الأزدهار العلمي والأدبي.

ومما يلفت النظر أن بلدة مثل أربل، حوت أربع مدارس كبيرة في هذه الحقبة، ولا يستغرب أن يتخرج منها عدد من الأفاضل في علوم الكثيرة(٨٦).

وقد كان للحركة العلمية والأدبية الواسعة، وأحتضانها للعلماء والأدباء وأكرامها أثر كبير في أقبال أبناء أربل على الدرس والتحصيل، فلم يمض وقت طويل حتى ظهر فيهم رجال عظام وصلوا الى مراتب عليا، أسهموا مع أخوانهم في البلدان الأسلامية الأخرى في أغناء المكتبة العربية بنتاج فكري عظيم تناول جوانب شتى من المعرفة الأنسانية(٨٧).

ولعل من أبرز هؤلاء شمس الدين أحمد بن محمد بن أبراهيم بن خلكان (ت٦٨١هـ) صاحب كتاب "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، ولد بأربل ودرس فيها، ويفصح كتابه عن ميل شديد الى الشعر وأيام الناس، ويزاحم لديه الحقيقة التاريخية، ويغلبه حبه للشعر أحياناً(٨٨)، ونظم كثيراً من الأشعار أوردناها في أثناء هذه الرسالة، ومدحه الشعراء لما تحلى به من الخصال الكريمة(٨٩).

ويجدر بنا أن نذكر من الشخصيات العلمية المشهورة أبي البركات المبارك المنعوت بشرف الدين أبن المستوفي الأربلي (ت٦٣٧هـ) الذي ولد في القلعة ودرس في مدارسها، وحصل على

ثقافة غزيرة ألاَ إنه نال شهرته بوصفه مؤرخ أربل، وكتابه يعد أحد مصادر كتاب قلائد الجمان لأبن الشعار الموصلي وكتاب وفيات الأعيان لأبن خلكان[٩٠]، وقد صنّف أبن المستوفي في مجال الأدب كتاب "النظام في شعر المتنبي وأبي تمام" وكتبا أخرى[٩١]. فضلا عن أن له ديوان الشعر[٩٢].

وقد أقترنت هذه الحركة العلمية بظهور اسر علمية اسهمت في هذه النهضة الثقافية، ومنها أسرة أبن منعه التى ذا ع صيتها في أنحاء العالم الأسلامي كلّه[٩٣]، ومن أوائل من أشتهر منهم رضي الدين يونس بن محمد بن منعة (ت٦٥٧هـ)، وأبو الفتح كمال الدين موسى بن يونس بن منعة (ت٦٣٩هـ) الذى حظي بشهرة واسعة بعيداً عن أربل، وكان علّامة زمانه، ويقال أنه كان يتقن أربعة وعشرين علما وفنا[٩٤].

ولعل أبا الفضل بن كمال الدين موسى بن منعة (ت٦٢٢هـ) من أشهر أبناء أسرة بن منعة[٩٥]، وكان أماماً كبيراً وله شرح على كتاب "التنبيه في الفروع الشافية" للشيخ أبن علي الشيرازي (ت٤٧٦هـ)، وأختصر كتاب "أحياء علوم الدين" للأمام أبي حامد الغزالي[٩٦].

تلك هي أهم الأسره العلمية الأربيلية، ونرى من المفيد الحديث عن عدد من الشخصيات العلمية البارزة منهم أبو العباس بن نصر العقيلي الذي وُلد بأربل سنة ٤٧٨ للهجرة، وله تصانيف عديدة في التفسير والفقه وغيرها[٩٧].

ويعد أبو العباس أحمد بن عثمان الزرزاري (ت٥٩١هـ) من رجال الحديث وقد جاب المدن الأسلامية أيام درسته[٩٨]، ومن رجاله أبو الفضل الياس بن جامع الأربلي (ت٦٠١هـ)[٩٩]، الذي صنّف في التأريخ أيضاً وكان ينضام الشعر، قال في أحد قصاده الغزلية[١٠٠]: (من الطويل).

ومُستعذبِ التعذيبِ جَوْراً بِصَدِّهَ

أمـا لَكَ في شَـرْعِ المَحبَّـة زاجِـرُ

هنيـئـاً لكَ القلبُ الذّي وقـفـتـه

على ذِكْـرِ أيامي وأنتَ مـسـافـرُ

وفي المجال الفقه والنحو نذكر أبا

سعيد محمد بن علي الجاواني الأربلي (ت٦١٥ه) الذي له مؤلفات عديدة[١٠١]، وكان ينظم الشعر، ومن شعره[١٠٢]: (من الوافر)

دَعاني مِنْ مَلامِكُما دَعاني

فَداعي الحُبِّ للْبَلْوى دَعاني

أجـابَ لَه الفُـؤادُ ونـومُ عـيني
وسـارا في الرِّفـاقِ وَوَدَّعـاني

وهذا غيض من فيض رجالات الحركة العلمية، إذ ليس بوسعنا ذكر علماء أربل في هذه الرسالة المختصة بالشعر، ونظن أن دراسة علماء أربل تحتاج الى أكثر من الرسالة.وعندما ندرس الحياة الثقافية في إربل نقف بأستغراب أمام هذا الحشد الجم من الوافدين على أربل، وأغلب الظن أن الحركة العلمية في أربل كانت مضاهية للحركة العلمية في بغداد أو تفوقها، الأمر الذى شجّع الكثرين من العلماء والأدباء على الورود الى أربل والمكوث فيها المدة طويلة أو أستيطانها مدى الحياة.

ومما لايخفي أن التحوط بهؤلأ الوافدين من العلماء والشعراء وغيرهم، تتطلب دراسات متعددة، وهذا مانتركة لغيرنا، ولكن ألأشارة الى عدد منهم تعد من ضرورات أستكمال هذه الرسالة.

وفي مقدمة من وفد الى أربل من الأندلس أبو الخطاب عمر المعروف بأبن دحية، وزارها من الأندلس أيضاً الشاعر يحيى بن سليمان بن شاؤول من طليطلة.(١٠٣).

وقد أوفد أربل من مصر أبو القاسم فلك الدين بن على العصري(١٠٤)، والشاعر أبو الفتح نصرالله الكناني (ت٦١٧هـ) وأقام بها الى أن توفي فيها، وقدم اليها من واسط الشاعر أبو المظفر المعروف بأبن السنينيرة (ت٦٢٢هـ)(١٠٥)، وكان من أعيان عصره، إذا جلس للتدريس حضره كلّ من له عناية بالأدب(١٠٦)، وأستوطن أربل أبو البشائر أسحاق (ت٦١٦هـ) قاضي مدينة خلاط، وكان عالما أصوليا وواعظاً وشاعرا(١٠٧)، وزارها أيضاً المؤرخ المعروف بسبط بن الجوزي صاحب كتاب "مرآة الزمان" (ت٦٥٤هـ)(١٠٨)، وذكر في كتابه أنه بقي فيها مدة، ونزلها أيضاً أبو الثناء محمود المعروف ب" أبن الأرملة" (ت٦٠٦هـ) وأستقر فيها، وتصدر الجامع يعلم الناس القرآن وكان شاعرا(١٠٩).

ومن الجدير بالذكر أن هناك أدباء معروفين زاروا أربل ومكثوا فيها مدة غير قصيرة منهم الشاعر أبو البركات كمال الدين المبارك بن أبي بكر من حمدان المعروف بأبن الشعار الموصلي (ت٦٥٤هـ) صاحب كتاب "قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان"(١١٠)، وتوجه الى منزل الوزير أبن المستوفي، وزارها الأديب ضياءالدين أبن الأثير أخو صاحب كتاب "الكامل في التأريخ"(١١١)، وقدم له مظفرالدين هدايا منها طير البازي الذي جعله أبن الأثير موضوع رسالة شكر بليغة بعثها الى أمير إربل(١١٢).

وقدم أربل أيضاً الشيخ صاعد البغدادي (ت٦٢٥هـ) وقرر عدم مغادرتها وتوفي بها ودفن في داره(١١٣)، وكذلك وردها الشيخ أبوبكر، المعروف بأبن النقطة (ت٦٢٩هـ)(١١٤)، وأبو

عبداللّة البرزالي (ت٦٣٩هـ)[١١٥]، وأبو حفصة المعروف بأبن طبرزد (ت٦٠٧هـ)[١١٦]، وأبو حفص مجدالدين بن مهران العراقي الضرير (ت٦١٣هـ)[١١٧]، وأبو نزار الملقب ب"ملك النحاة" (ت٥٦٨هـ)[١١٨]، وأبو الحسن فخرالدين بن عبدللّه التركي البغدادي (ت٦٢٢هـ)[١١٩].

وخلاصة القول إن آربل أستقبلت الكثيرين، وإستضافتهم في منازل كريمة، وكان شرف سبق الأمر بذلك لمظفرالدين كوكبري ورجال دولته الكرماء، وخير شاهد على ذلك كتاب "تأريخ آربل"، إذ أورد مؤلفه في الجزء الذي وصل الينا تراجم(٣٣٧) ثلاثمائة وسبعة وثلاثين عالما وأديبا وفقهيا ومحدثا. ولو وصلت الينا الأجزاء الثلاثة الأخرى المفقودة لكان العدد-في تقديرنا-أربعة أضعاف المذكورين في هذا الجزء المطبوع، ولعل في ذكر هؤلاء كفاية في الاستدلال للنشاط العظيم والحركة المستمرة في حقول المعارف المختلفة آنذاك.

الحياة الأدبية:

لم يكمن لأربل نشاط بارز في ميدان الأدب قبل تسنّم الأسرة البكتكينية لدفة الحكم فيها، ولم يظهر أدباء كبار يشار اليهم في ساحة العطاء الفكري بأستثناء عدد من الشعراء في عهد الهذبانيين الأكراد الذين حكموا أربل قبل هذه الأسرة[١٢٠] ولعلنا لانجانب الحقيقة إذا قلنا إن النشاط الأدبي أيام آل بكتكين بدا غزيرا ومبدعا، وبسببه نالت أمارة أربل مكانة متميزة بين البلدان الأسلامية إذ أنجبت نوابغ كبارا في حقول المعرفة جميعها.

فقد أولت هذه الأسرة العلوم والأدب رعاية الخاصة، وسعت الى نشرها بين أبناء الأمارة بالوسائل بين كلها، والظاهر أن العلم قد فلض وتسرب الى القرى الصغيرة والكبيرة، وأغلب الضان أن هذه الأسرة أتجهت أتجاها دينيا في نشر الثقافة والعلوم، وما أهتمامها باللغة العربية لغة القرآن الكريم إلاّ ترجمة فعلية لهذا الأتجاه، فصار أربل محط أنظار ومرمي أبصار الأدباء في العالم الأسلامي قاطبة.

وإذا إتقنا الى الشعراء نجد أنهم كانوا طرفا كبيرا في مسيرة الحركة الفكرية وقد وصل الينا نتاج غزير من الشعر في دواوين محققة في هذا العهد كديوان حسام الدين الحاجري(ت٦٣٢هـ)، ومجد الدين النشابي(ت٥٦٦هـ) وأبن الظهير الأربلي(ت٦٧٧هـ)، فضلا عن النصوص الشعرية الكثيرة التى أوردتها الكتب، ومن حوافز هذه الوفرة في ألنتاج الشعري-حسب أعتقدنا-هوايواء المسؤلين للشعراء والأنفاق عليهم، وتداول الشعر بين أفراد الخاصة. واستساغتهم أياه،وميل العامة اليه.

ويلحظ إن الشعراء أدركوا فضل مظفرالدين وفعاله النبيلة التى شملت القاصي والداني ووقفوا على أعماله الجليلة فعكسوا في قصائدهم تلك الرعاية الكريمة نحو قول أبي

المكارم بن عابد الكرماني(ت٦١٦هـ)[١٢١] في قصيدة طويلة[١٢٢]: (من الكامل)

باب المليكِ مظفَّـرِ الدينِ الذي
سَـبَقَ الملوكَ بِجـودِهِ الهطالِ
المحْسن المِطعام والمقدام مَنْ
أضحى بِسُؤْدَدِهِ عَديمَ مِثالِ
يَجتازُ شأوَ المَكرُماتِ ووصَفْهُ
قـد فـات كلَّ مُـجـوِّدٍ قَـوّالِ

وعَده عبدالحميد بن مرّى المقدسي (ت ٦٠٢هـ)[١٢٣] من أكرم الناس وأنبلهم لا يباريه أحدهم في العزة والكرامة، بقوله[١٢٤]: (من البسيط)

وأنتَ أكرم مَنْ طافَ الوفودُ بهِ
وَمَنْ الى شَرَفِ العلياءِ منسوبُ
ومَنْ له شَـرَفُ مـامِثلهُ شـرَفُ
على قلوبِ عبـادِ اللّهِ مَكتـوبُ

وقد أتاه هذا الثناء والتعظيم من أناس وفدوا على أربل فكيف الذين عاشوا في كنفه.

وقد عرف عنه أنه أكثر ملوك زمانه جودا على صغر مملكته، وتحولت أربل في عهده الى مركز ثقافي وأدبي مهم قصدها طلبة العلم من الشرق والغرب[١٢٥].

وعلى هذا المنول فقد تحولت بيوت الأمراء والأدباء الى منتديات أدبية يحتفون فيها بالوافدين اليهم من الشعراء والأدباء وطلاب العلم، يتناظرون الشعر والحوار الأدبي ويتقارضونه.

ويجدر بنا إن نشير الى عدد من هذه المناضارات الأدبية إذ يروى أن الشاعر النشابي قد أهدى الى الوزير أبن المستوفي في بعض الليالي طبقا فيه تفاح مخضب وسفرجل على يد غلام جميل الصورة، فوصل اليه وعنده جماعه فيهم الشاعر حسام الدين الحاجري، فنظم كل واحد من الحاضرين في ذلك شعرا فأنشد الحاجري[١٢٦]: (من البسيط)

أهدى لنا المجـدُ تفـاحـا وأحـمـر
مِنْ خَـدٍّ مَنْ حَـمَلَ التـفـاحَ مسـترقُ
وللسَـفَـرْجلِ مِنْ أعـلاهُ رائحـة
أضحت فيها لمهديها به عَبَقُ

فَصرتُ أعجبُ مِن حالين كيفَ حوى

وَصْفَ الغـلامِ ووصْفَ السَّيـدَ الَّطبَقُ

وقد أشار أبن الشعار الى أحد هذه الحوارات الشعرية وهو ما ضمّنه النشابي أبياتاً منه الى الأمير أحمد بن قرطايا الأربلي(١٢٧)، فأجابه الأمير على الوزن والقافية بقوله(١٢٨): (من الطويل)

أبا المَجْدِ شَوقي جاوَزَ الحدَّ وَصْفُهُ

اليكَ فَــهَلْ يومُ اللقــاءِ قــريبُ

يَقــرُّ لعــيني أنْ أراكَ وَشــملنُا

جَـمـيعُ وليـلاتُ مَـضـينا تَؤوبُ

فمَنْ لي بلُقيـا أسـعَد لاعَـدْمتـُهُ

وَيَدعـو وداري حَـبـيبـه فـيـجـيبُ

وليس عـجـيـبـا طُولُ نَأْيٍ وَفُـرْقَـةٍ

وَلكنَّ صَـبْـري قَـدْ نَأيتُ عـجـيبُ

وما دمنا بصدد الحديث عن الأدب وميدانه الخصب نرى من المناسب هنا الأشارة الى المجالس الأدبية في الأمارة، وفي مقدمتها مجلس الوزير أبن المستوفي الذي كان ملتقى الصفوة من الأدباء والعلماء الأربليين منهم الوافدين حيث سماع الشعر وقرضه(١٢٩).

وتكاد تكون المجالس الأدبية من أبرز عوامل الأزدهار الأدبي، وقد كان لمظفرالدين ولع كبير بمجالسة العلماء والأدباء(١٣٠)، سواء بحضوره الندوات الأدبية التى كانت تعقد في دور الأدباء وكبار رجال الدولة ممن يتذوقون الأدب مثل دار أبن المستوفي الوزير (ت٦٣٧ه)، أو حضور المجالس الدينية، والأستماع الى العلوم الأسلامية، ويلاحظ إن هذه الندوات كانت تقام في مسجد القلعة والمسجد الذى شّيده بجوار مدرسته(١٣١).

ومن الملاحظ أيضاً إن هذه المجالس الأدبية لم تكن تعقد دائماً في مواقع ثابتة، ويقول بعض الدارسين المعاصرين بهذا الصدد: "لم تكن هذه الأندية تجتمع في أماكن معينة أو منازل معروفة وإنما كانت تجتمع حيث يتاح لها الأجتماع"(١٣٢).

وهكذا ظهر أدباء بارزون في هذه الحقبة، فضلا عن هؤلاء المشتغلين في هذه المجالات الثقافية الأخرى الذين أسهموا في النشاط الثقافي بنظم الشعر وتناوله وتذوقه.

ومن الأمور التى تلفت الأنتباه أنه كان للأزدهار الذي عَم جميع مناحي الحياة في أمارة

أربل أثر في النصارى الأربليين القاطنين في المناطق الجبلية والسهلية الذين عاشوا مع أبناء بلدتهم المسلمين جنبا الى جنب، فظهرت عندهم حركة علمية وأدبية، وبرز بينهم شعراء وأدباء[١٣٣].

ويبدو أن الشاعر جيورجيس وردا الأربلي قد تقدم عليهم ببراعته، وذكائه، وأمتلاكه لديوان شعر ضخم متنوع الموضوعات وقد وصف في بعضها حصار أربل وجنود المغول، كما عرف عنه شغفه الشديد بالسيدة العذراء[١٣٤]، وأتسم ديوانه بكونه طافحه برباعيات في مديح العذراء و الثناء عليها حتى لُقِّب بجدارة بشاعر العذراء، وأمتاز شعره بالعذوبة والسهولة والحلاوة والجزالة[١٣٥]، ومن شعره في مريم العذراء[١٣٦]:

أعظمُ من الملائكة السماء

خلقها كسماء جديدة

وفوق طغمات الرؤساء

نقية قدسية ودودة

هكذا أرادت السماء

زيَّنها بالفضائل المورِدة

إن تكون ملكة البهاء

لتكن لأبنه والدة

الأغراض الشعرية

من البديهي أن الموضوعات الشعرية التقليدية، شغلت حيزا واسعاً في طيات الدواوين، وهي تمثل المادة الأساسية لدراسة الشعر، ومعرفة أتجاهاته.

وفي دراستنا للشعراء في أربل أنصب أهتمامنا في شعر المشهورين من أصحاب الدواوين، لأنهم يمثلون-بلا شك-حياة الشعر في الأمارة، فظلا عن الشعراء الأخرين الذين مازال شعرهم- على الأرجح-غير مجموع ومحقق، وقد بذلنا جهداً في لَمِّ شتاته.

ومن أجل أن تكون الدراسة شاملة، سعينا الى الأستشهاد بأكبر عدد ممكن من الأبيات الشعرية المتوافرة في المصادر المطبوعة والمخطوطة، وخصصنا لكل شاعر أربلي منزلة معينة في هذا الفصل. وتحدثنا عن تباين المستوى الفني للشعراء من حيث الأتجاه العام، فوجدنا أن الأتجاه العام في شعر النشابي هو المدح، ولقينا عند الحاجري الغزل، وتميز أبن الظهير بالوصف الدقيق، في حين أتسم الأتجاه العام في شعر أبن خلكان في الغزل بالمذكر، وهلّم جرّا.

وقد واجتهنا صعوبة الأطلاع على الأتجاه العام للاخرين، لأن أشعارهم مازالت مبعثرة في مقطوعات أو أجزاء من قصائد في كتب الأدب وتأريخة.

وأشتمل هذا الفصل على دراسة تحليلية لمختلف الموضوعات الشعرية مع الأشارة الى بعض الخصائص الفنية من حيث الشكل والمضمون، ومردّ ذلك الى سببين:

الأول صعوبة الفصل التام بين دراسة الموضوعات والدراسة الفنية، لأنهما مرتبطان بوشائج متينة، يؤدي الفصل بينهما الى تفريع الموضوع الواحد الى عدة موضوعات متفرقة تقلل القيمة الفنية له، والآخر-وإن لم يكن مقصودا-تخفيف العبء عن الفصل الثاني الذى أُعَد لدراسة الخصائص الفنية.

وآثرنا في هذا الفصل أن جعل الغزل بألوانه العفيف والمادي والغزل بالمذكر في المقدمة، بسبب شيوع هذا الضرب من الشعر في الأمارة على لسان الشعراء والأدباء والعلماء والسياسة، ثم ربتنا الموضوعات الأخرى حسب كميتها وكثرتها.

ووجدنا من المناسب أدراج فن الأحاجي والألغاز ضمن موضوع الأخوانيات، لكونه أقربَ الى المراسلات الشعرية، وبذلك أختلفنا-بعض الشيء- مع عدد من الدارسين الذين جعلوه فنا مستقلا بذاته(١٣٧).

وقد جاءت تراجم الشعراء موجزة في الهوامش فكلما ذكرنا أسم أحدهم في المتن ذكرنا معه مصدرين قديمين لترجمته بأستثناء عدد من الشعراء المغمورين الذين أنفرد كلّ من مؤلف كتابَي قلائد الجمان وتأريخ أربل بالترجمة لهم.

الغزل:

وهو من أقدم الفنون الشعرية وأكثرها شيوعا لأتصاله الوثيق بالطبيعة الأنسانية[١٣٨]، قال أبن رشيق القيرواني: "النسيب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد، وأما الغزل فهم ألف النساء..."[١٣٩].

ويعد الغزل من الموضوعات الثابتة في الشعر العربي، ويحكمه أتجاهان، الأول: هو الحب العذرى العفيف الذى يتحول في قلب صاحبه الى ما يشبه جذوة من النار، والثاني: يتمثل في تلك الموجة من الغزل المادي التى أتسع مداها من العصر العباسي الأول[١٤٠]، غير أن هناك من لم يكترث بها على نحو ما هو معروف عند أبي تمام، والبحتري، وأبن الرومي، ثم المتنبي الذى أتخذ من البدويات موضوعا لغزله[١٤١]، وتبعه الشريف الرضي في حجازياته، وأخرون[١٤٢]. وفي أربل أفرد الشعراء للغزل القصائد والمقطوعات، معظمها تصف الملامح الخارجية للمرأة، مثل الأعين النجلاء التى هي كالسهام[١٤٣]، والقوام الذى يثني كغصن ألبان[١٤٤]، والخدود التى حمرتها من دماء العشاق، والفم الذى رضابه كالخمر[١٤٥].

ونعتقد إن نتاجات معظم الشعراء لاتخلوا من الغزل ولكن مع تباين في توجهاتهم، فقد جاء أكثر غزل النشابي في مقدمات قصائده المدحيه، لذا كان غزله تقليديا من النمط الذى درج على تناوله شعراء المديح في قصائدهم.

أما الحاجري فقد أودع معظم غزله في قصائد ومقطوعات مستقلة أو ضمن خمرياته، وقد سماه بعض الباحثين "نجديات الحاجري" بسبب ولعه الشديد بذكر الديار الحجازية[١٤٦]، وغزل أبن الظهير يختلط بشعره الخمري، أما الآخرون فقد جاء أكثر غزلهم قي مقطوعات مستقلة.

وتتفاوت المقدمات الغزلية من حيث عدد أبياتها من شاعر الى أخر فقد بلغ أطول مقدمة غزلية للنشابي تسعة وعشرين بيتاً في قصيدة مدحية مطلعها[١٤٧]: (من مجزوء الرجز)

ياذا الجَـمـالِ النَّضِـرِ
قَـدْ حـارَ فـيكَ مَنْظَري
مــــــا أنتَ إلاّ مَلَكُ
مُـجَّـسـدُ في بَشَـرِ

وأقصر مقدمة له في الغرض نفسه لم تتجاوز ثلاثة أبيات[١٤٨].

وقد تصل المقدمات الغزلية لأبن الظهير الى ستة عشر بيتاً، نختار من بعض أمثلة ذلك هذين البيتين[١٤٩]: (من الخفيف)

لَوْوجَدنا الى اللِّقاءِ سَبيلاً
لشَفَيْنا بالقُرْبِ منكُمْ غَليلاً
وَسَعينا على الرؤوسَ سِراعاً
ورأيناهُ في هواكُمْ قليــــلاً

وللحاجر مقدمة غزلية تتعدى ثلاثة وثلاثين بيتاً، ضمن قصيدة تتألف من ثلاثة وأربعين بيتاً، مطلعها[١٥٠]: (من الكامل)

ما لِلدُّموع تَسيلُ سَيْلَ الوادي
حداً بِركبِ العامِرِّيةِ حادِي
نَعَمٍ آستقَلُّوا ظاعنِينَ وخلَّفُوا
ناراً لَها في القلبِ قَدْحُ زِنادِ

ويبدومما سبق أن الشعراء قد أطالوا في مقدماتهم بالأعادة والتكرار وجمع الصور المختلفة، ولم يبق للغرض الأصلي الاّ أبيات معدودة، ونحسب إن تطويل المقدمة الغزلية، الاّ وسيلة مصطنعة لاطالة القصيدة، وقد يعزا ذلك-أحياناً-الى طاقة الشاعر الكبيرة على النظم وثقافته، لاسيما أمتلاكه لناصية اللغة، أذ بدونها لايستطيع إن يأتي بكل هذه المفردات التي يقيم بها شعره.

وأذا أمعنا النظر في مقدمات الشعراء الآخرين، نجد إنها لاتتجاوز أبياتاً قليلة-في أكثر الأحيان-ومن هؤلاء محمد بن مكارم بن أبي العلاء[١٥١] وأبو ربيع الأربلي[١٥٢] فالشاعر ذو القابلية المحدودة في النظم يختصر مقدمته ويسرع الى غرضه الرئيس قبل أن يدركه الأعياء، كما فعل شيطان الشام[١٥٣] في مقدمته[١٥٤] (من الكامل)

قَسَماً بِوردِ الوَجنتينِ يَصُونُهُ
آسُ العِذارِ ونَرْجِسُ الأجفانِ
وَبِسَلْسَلٍ ما بَيْنَ سِمْطَيْ لُؤْلُوٍ
حَفَّتْ بِهِ مِنْ جَوهرٍ شَفَتانِ

فليس بعيدا أن يكون الشاعر المجيد في الغزل أراد أبراز براعته الأدبية، والآخر أختصر

مقدمته لعدم تمكنه في هذا الفن.

ولابد من الأشارة الى جودة بعض المقدمات الغزلية، إذ نرى أن أجمل مقدمة غزلية في شعر الأمارة هو للحاجري وقد سبق ذكرها، وتأتي مقدمات أبن الظهير في المرتبة الثانية.

ومن المقدمات الغزلية الجيدة لشعراء أربل-حسب ظننا- مقدمة أبي الفضل الحيزاني[١٥٥]: (من الطويل)

فـؤادٌ الى وَصْلِ الحِسانِ طَروبُ
وقلبٌ لريبِ الحـادثاتِ كَـئـيبُ
وعارِضُ دَمْعٍ لَمْ يَزَلْ فَيْضُ مائِهِ
دَفوقاً على أرْضِ الخُدودِ سَكوبَ

ولأبن خلكان مقدمة غزلية لطيفة، وهي قوله[١٥٦]: (من الطويل)

هَوى بَيْنَ أحناءِ الضُلوعِ مُخامِرُ
وَفَرْطُ غَرامٍ أَخْتَرَتْهُ السَّرائِرُ

ونحن من جانبنا نرى أن معظم مقدمات النشابي الغزلية رديئة، ويبدو أن شاعرنا لم يكن يطرب للغزل، وما قاله في هذا الموضوع لا يتعدي تقليد الشعراء القدامى في أفتتاح قصائدهم، ومن مقدماته الرديئة[١٥٧]: (من الكامل)

مـابينَ نافِثِ سِحْرِهِ أوْ عاقِدِ
رَوَت الضلوعُ غرامَها عن واقدِ
لولا انسِكابُ الدَّمعِ ما ظَهَرَ الهوى
منِّي لِعادي لوعتي أوْ عائدي

ولما كانت المقدمات الغزلية جزءا من قصيدة المدح التقليدية فقد كان الطابع العام لشعراء المديح هو الألتزام بهذه المقدمات على الرغم مما يبدو من أن بعض الشعراء قد أهملوا هذه المقدمات، وابتدأوا قصائدهم بالمدح مباشرة، ولاسيما أبن هبة اللّه عزّى الأربلي[١٥٨] في مدحه، حيث يقول[١٥٩]: (من الطويل)

أضاءَتْ بكَ الأيامُ بعدَ ظَلامِها
وعادَ سُرورُ الخَلْقِ بِعدَ ذَهابِهْ

نفق في الشعر الغزلي على أبيات تمتاز بالجمال والخفة، تقترب من المقطوعات المستقلة التي يرى أحد الدارسين أنها أخذت من قصائد المديح[١٦٠] ولكننا نذهب الى أن هذه الأبيات

نُظمت تعبيرا عن أنفعالات حبّ صادقة تثور في وجدان الشاعر تبعاً لمواقف معينة في حياته ولهذا السبب جاءت عواطفه دافقة فياضة بالمشاعر النبيلة، وهي ذاتية بعيدة عن أنظار الممدوح وبطانته. فهذه المقطوعات ليست مقدمات لقصائد المديح فحسب، بل أنها تفصح عن شاعرية فذة إلاّ أنها ليست من الشعر المغنّى، كما في قول الحاجري[١٦١]:(من المتقارب)

ولمّا اَلتقينا ومَنّ الزمان

جَرى دمعُ عيني دماً في المآقي

فقالَ وعهدي به لؤلؤاً

أيجرى عَقيقاً وهذا التلاقي

فقلتُ حبيبي لا تعجبنْ

جعلتُ فداكم ميتاً وباقي

فتلك أوائلُ دمعِ التلاقي

وَهذي أواخرُ دمعِ الفِراقِ

وكما في مطلع مقطوعة لمحمد بن مكي الإربلي[١٦٢]: (من الخفيف)

غيرُ مُجدٍ إنْ عنف العذّالُ

أقصروا في ملامهم أو طالوا

أنا لا أسمعُ الملامَ ولا يو

جدُ عندى في حُبّ حِبّي ملال

وحين نمضي في أستقراء الشعر الغزلي يطرق أسماعنا الغزل المغنى الذي يطربنا بحلاوة الفاظه وعذوبة موسيقاه، وهو عبارة عن أبيات معدودة أو مقطوعة تنظم للغناء غير جارية على سنن القدماء في الوقوف على الأطلال و البكاء.

ومن هذا الغزل مانقله الوزير أبن المستوفي[١٦٣] وأحمد بن بهرام الإربلي[١٦٤] في منزل الأخير بالموصل، وفي ليلة من ليالي الأنس، حين غنى صدقة بن محمد[١٦٥] الأربلي أبياتا من شعره في لحن صنعه وهو: (من المجتث).

إذا تمَنّعَ صَبْري

وَصانَ بالهجرَ صَبْري

ناديتُ والليلُ داجٍ

وقد خَلَوْتُ بفكري

يـارّب هـبْ لِـيَ مـنـهُ

وصـالَ يَوْمٍ بِعُـمـري

وزاد عليه صديقه وقال:

لاأجْـتـنـي وَرْدَ خَــدُ

زاهٍ عَـلـىٰ كُـلّ زَهْـرِ

وأجـتـلي غُـصْنَ بانٍ

يمـيسُ مِـن تحت بـدْرِ

إنْ صـح لـي ذاكَ منـهُ

يَوْمـاً وفـيتُ بِنذرِ

وسُئل أبن المستوفي أن يكمله، فقال:

عـجتُ مِن صَبْحِ وَجْـهٍ

يَلوحُ مِنْ ليلِ شَـعْـرِ

فـالشـمسُ تلعبُ مـابيـ

نـنـا بـدارٍ وبـدْرِ

وقال أحمد بن بهرام الإربلي:

أقـولُ منْ فـرطِ وَجْـدي

بِهِ وقِلـةِ صَـبْـرِي

يـامـنْ تمـلـكَ رقّـي

أرحمْ - فديتُكَ - ضُرّي

وقال أبن المستوفي:

عِـذارُ خـديْكَ فِـيـهِ

يقـومُ للناسِ عُـذْري

وفـيكَ طابَ جنوني

ولذّلي هتكُ سـتْـري

وينقل أبن الشعار أجتماعاً[١٦٦] أخر للوزير أبن المستوفي مع الشاعر أحمد بن بهرام باربل، والمغني ينشد قوله: (من الرمل)

دَعْ مـلامي بالحـمى أو رُحْ ودْعني

واقـفـاً أنشـدُ قلبـاً ضـاعَ مِنّي

فقال أحمد بن بهرام بديها:

ياحـبـيـبي صِلْ مُـحِـبـاً هائمـاً

قَـدْ يراهُ في الهَـوى طولُ التـمنّي

ثم تممه أبن المستوفي أرتجالا:

لم يقل إذْ باعكم مُـــهـــجـــتـــهُ

بهـواكُمْ يالهـا صَـفْـقَـة غُـبْنِ

وأخيرا أتمه أحمد بن بهرام بقوله:

فـانْضـحـوا مـاء وصـالٍ منكمُ

فوقَ عودي فـعسى يُورِقُ غصني

أيهـــا المُعــــرِضُ عنيّ ظالماً

لا تدعْني ندمـــاً أقـــرعُ سِنّي

وبين أيدينا أخبار أخرى عن الغزل المغنّى الشائع في أربل، وقد نقل أبن خلكان جزءا منها، وذكر وفاة شخصين في أحدى أمسيات الغناء، متأثرين بهذا النمط من النظم[١٦٧]، مما يدل على أن مجتمع أربل كان يتذوق الأدب ويميل إلى الغناء، ويجد اللذة و النشوة في الأستماع إليه، على الرغم من أن هذا المجتمع في عهد أميره مظفر الدين كان محافظا وملتزما بمبادئ الدين و الحنيف، ولعل مردّ ذلك إلى أن الغناء لايأتي - دائماً - مصاحباً للعبث والمجون، فقد يكون جزءا من حياة أصحاب الثقافة المهذبة والذوق الرفيع.

ويؤسفنا ألا تكون بوسع هذه الرسالة الاشارة إلى الغزل المغنّى كلّه بسبب وروده منشورا في أثناء دواوين الشعراء وكتب الأدب.

أتسم هذا النمط من الغزل بقلة عدد أبياته، وببحوره القصيرة أو المجزوءة وألفاظه الرشيقة، وأشهر من روى لهم أمثلة منه الحاجري[١٦٨] وأبو البرّ الإربلي[١٦٩] ويوسف الهذباني الكردي الإربلي[١٧٠] وأبو يعقوب الربعي[١٧١]

ومما يلاحظ أن الحاجري فاق أقرانه من الشعراء في هذا الميدان، بنظمه نماذج متميزة في هذا الفن، بحيث طغى على موضوعاته الشعرية الأخرى، ونظن أن سبب هذا الاهتمام يعود إلى مشاعره المرهفة، وتذوقه السليم للغناء.

ومن غزله المغنّى، قوله[١٧٢]: (من الخفيف)

جَسَـدُ ناحِلُ وقلبُ جـريحُ

ودمـوعُ على الخـدودَ تَسيحُ

وحـبـيبُ مـرّ التـجنّي ولكنْ

كُل مــا يفـعلُ المليح مليحُ

ومن هذا الفن أيضاً قول بهاء الدين بن علي الإربلي[١٧٣] [١٧٤]: (من السريع)

فـاقَتْ على كُل مـلاح الورى

وَفاق في أوصافـها شعري

في ثغـرها دّر، وفي لفظِهـا

دَرّ وفي نظمي وفي نثــري

وننهي الغزل المغنى ببيتين للشاعر أبي الربيع الإربلي المعلم وهما قوله[١٧٥]: (من المقتضب)

لَوْ نظرْتَ طلْعَــــةَ مَنْ

قَـــدْ هويتُ منْ بعــــدِ

كُــنْــتَ آمــنــاً أبــداً

مِنْ نـوازِلِ الرّمــــــــدِ

ومهما يكن من شئ فان من الضروري العودة إلى الشعر الغزلي في مقدمات القصائد لمعرفة سماته العامة، حيث بدا لنا أن معظم هذا الغزل جاء تقليداً للشعراء القدامى، وكأنه دين يجب على الشاعر أداؤه، وأن آثار التكلف والصنعة بادية عليه.

ففي المقدمة الطللية، يطوف الشاعر بين البوادي والرمال على ظهور الجمال، ذاكراً المنازل التي يتصور أن أحبابه من سكانها، كما جاء في مقدمات الحاجري من قوله[١٧٦]: (من الكامل)

عَـرّجِ برامَــةَ إن رامـةَ منتـهى

أملي وغـايةُ بغـيـتي ومُـرادي

للّهِ صَبّ بالعــراقِ مُــتـــيمُ

ظامٍ إلى مـاء المُحصبِ الصـادي[١٧٧]

وقد ذهب الدكتور شوقي ضيف ألى أن "ذكر الأماكن الحجازية هو العودة إلى البداوة والبساطة"[١٧٨].

وهذا ما جسده شعراء أربل كالنشابي في قوله[١٧٩]:(من الكامل)

وتودّ لوْ شـامَتْ بريقـاً بالفَضـا

أوقابَلَتْ مِنْ أرضِ نجدٍ مُخْبِراً

وَتسَنَمَت كُثبـانَ رَمْلِ مَـحْجَـرٍ

وتنسـمت فـيه النسـيم وُمـعَطَّراً

ويبدو لنا أن التيار الصوفي الذي عم البيئة الإربلية والذي حمل رؤية ذات منحى قدسي عن الديار الحجازية، والاحتفال السنوى بالمولد النبوى الشريف كان له تأثير في الشعراء في تعظيم هذه الديار وذكرها في غزلهم[١٨٠].

ومن ضروب الغزل المعروفة في الأمارة الغزل المادي الذي عرفه المجتمع العربي و الاسلامي منذ زمن بعيد[١٨١] ولعل من أوائل الشعراء الذين أولعوا به أبا نواس والحسين بن الضّحاك المعروف بالخليع، و والبة بن حباب الكوفي الذي عدّه الدكتور شوقي ضيف رائد هذا اللون المقيت في القرون الأخيرة من عمر الدولة العباسية[١٨٢] وقد غدا ظاهرة لايعدها المجتمع خروجاً على القيم السائدة . يعتمد هذا الغزل على وصف حسي لمفاتن المرأة، وموطن الحسن فيها، ويعدّ الحاجري رائد هذا اللون من الغزل في اربل، فهو يصف جمال وجه الحبيبة ورقتها، ويتشوق إلى رشق رضابها، كما في قوله[١٨٣]: (من الوافر)

هَـوى لولا لواحظُ أم عَـمْـروٍ

لَصـادَفنا مـصُـادفـةَ القَـضـاءِ

رقيَـقةُ صَفْـحةِ الخدينْ أشْـهى

مِن الماء الزلالَ على الظّمـاءِ

وَقـالُوا في مـراشِـفِـها شِـفـاءُ

فـوا شَوْقَ المرَيضِ إلى الشفـاءِ

ويعمد الحاجري إلى وصف مغامراته الماضية، وتصوير لياليه المليئة بالعبث واللهو و ذكر خلواته[١٨٤] وأحيانا يقترب في غزله المادى من الأدب المكشوف كما في قوله[١٨٥]: (من السريع).

وُكلَمـا نـاولْتني قُـبلَةَ

أشـرقَ وجـهُ الزمن المُقـبلِ

وأنتَ بـالقُـربِ إلى جـانبي

أحسنُ مِنْ حسَناء تَحْتَ الحُلي

وقد وصف عرش الدين الأربلي[١٨٦] محبوبه الجميل، بأنه مريض الأجفان، بقوله[١٨٧]: (من الخفيف)

ومـريضُ الأجـفـانِ بَلْبَلَ عقْلي

بعـذارٍ مْن فـوقِ خَـدّ أسـيلِ

جُـؤذَري اللحـاظِ حلْوُ الثّنايا

طابَ سُقمي في حبهِ ونحـولي

وصوّر النشابي في غزله المادي، رشاقة محبوبه تصويراً بديعاً[١٨٨]: (من الطويل)

شَكا خَصرهُ مِنْ ردِفهِ فتَراخَيا

يفـصلهـمـا بندُ القـبـاءِ المكّتمِ

وَرَدّ جُـيـوشَ العـاشـقينَ لأنه

أتاهُمْ بخطّ العـارضِ المُتـحكّمِ

ومما يجدر ذكره محاولة بعض الشعراء تجديد المقدمة الغزلية – من ناحية اللفظ أو الشكل – بذكر أسماء أماكن من بلادهم، ولكن يبدو أنهم لم يفلحوا، نحو قول الحاجري[١٨٩]: (من السريع)

أذكـرُ عُـهـوداً كنتَ عـاهدْتني

ونـحـنُ بـالشـــــرقيّ مِنْ إربلِ

وقال في أحدى مقدمات خمرياته[١٩٠]: (من الطويل)

لأطيبُ مِنْ ذكْرى حَبيبٍ ومنزلِ

بسقطِ اللّوى دار بشرقّى إربلِ

ويلاحظ أن الدوبيت (الرباعية) الذي سوف ندرسه لاحقاً هو الفن الجديد الذي شاع في هذه الحقبة، وأستساغه الشعراء "وخصصوا له دواوين مستقلة"[١٩١] فقد أعجب به الحاجري، فنظم عليه في أغراض عديدة، فمن دوبيتاته في الغزل، قوله[١٩٢]:

ياريحَ صَباً لاحَتْ بنجْدٍ وسَرَتْ

هل هندُ كما عَهدتُها أم هَزَلتْ

قالتْ بلسانِ الحالِ لو أمكنها

جاء تكَ على جُفونها وأعتذرتْ

ولعله كان يرمي في نظمه إلى الغناء، لاسيما في غزله الذي يتصف بجمال الموسيقى ولطافة

المعنى، مثل قوله[١٩٢]:

الناس بأسـرهم له عـشـاقُ
والكونُ إلى طلعتـهِ مُشـتـاقُ
من أيـةِ طينـةٍ تُرى طينـتُـهُ
مـا أحـسنهُ تبـاركَ الخـلاّقُ

ومن ناحيـة المعنى أو المضمـون، يعد التـغزل بالأتراك، وبالاعين التـركية الضيـقة[١٩٤] من الموضوعات الجديدة في شعر الأمارة، فهذا أبن الظهير، قلبه مقيم على الجمر بسبب وقوعه في شباك غرير من الأتراك[١٩٥]: (من الطويل)

غَـريرٌ منَ الأتراكِ زنجيّ خـالهِ
كـقلبي مُـقـيمُ مِنْ هواهُ على جـمـرِ
إذا أزورّ سـخطا أو تلفت راضـيـا
أمـاتَ وأحـيـا بالقُطوب وبالبِـشْـرِ
وَإنْ سَلَّ سـيفُ اللحظ أو هزعطفُـه
فَيا خَجْلة البيضِ القواضيبِ و السحرِ

من ذلك أيضاً قول بهاءالدين الإربلي[١٩٦][١٩٧]: (من السريع)

ظَبيٌ منِ التـركِ له قـامـةٌ
يُزري تثنيـهـا بسـحـر الرّمـاحْ
عـاَرَضـه أس وفـي خـدّهِ
وَردُ نضـيـرُ والثنايا أقـاحْ

وللنشابي حكاية غرام مع محبوب تركي، فيها محاورة جرت بينهما بعد أن رشف رضابه وقد تشبه بالأعراب، أذ قال[١٩٨]: (من الطويل)

يَقـولُ وَقـدْ قـبلْتـهُ ورشـفـتـهُ
أراك أبحث الخـمرَ و الخمرُ في فَمي
فـقلتُ طبـختُ الخـمـرَ حين لثـمـتـهُ
بأنفـاسي وَجْـدي فـهـو غيـرُ مُـحـرمِ
وَلما رأى بـالتـركِ هتـكي ورامَ أن
يُكتـمُ منه بَهْـجـة لم تَـكَتّمِ

تشّبه بالأعراب عندَ إلتئامه الثامهِ

بعـــــارضـــــهِ ياطيبَ لثمِ المُلثمِ

فــــمــــا زادني الأ قــــولاونم لي

إلى الناسِ عـــذّر بالعـــذّار المنهمِ

ويكثر الحاجري في التغزل بالأتراك وبالعيون التركية الضيقة[١٩٩] أما بقية معاني الغزل فقد التقطها الشعراء من البيئة المحيطة بهم، منها معان سياسية[٢٠٠] ومنها أيضاً معان حربية، ومن المعاني الحربية قول أبي الخير النحوى الإربلي[٢٠١]: (من الخفيف)

هَلْ لطعْنِ القَنا ووقع الحـديدِ

مـثلُ فـعلِ العـيونِ في المعـمودِ

أمْ لشـربِ الطّلا ونيلِ الأمـاني

مـثلُ رَشفِ اللّمي ولثم الخـدودِ

وأفاد الشعراء من الثقافة الدينية[٢٠٢] وقصص القرآن[٢٠٣] والثقافة التأريخية[٢٠٤] وكذلك أفادوا من علمي النحو و الصرف[٢٠٥] ومما تجدر الأشارة إليه في هذا الفن، وجود ظاهرة بارزة، وهي كثرة عودة الضمير إلى المذكر، والتي يرى بعض الدارسين أنها "دلائل تدل على أن الأغلب يراد به المذكر الحقيقي"[٢٠٦] وذهب غيره إلى " أن كثيرا من الشعراء قد أستعملوا ضمائر المذكر مع أنهم في الواقع كانوا يوجّهون شعرهم إلى معشوقات لا إلى معشوقين"[٢٠٧]

وقد شاع هذا اللون من الغزل بين رجال السياسة و العلماء والفضلاء[٢٠٨] ولهذا عدّ من باب تقليد من سبق أو الظرافة[٢٠٩] أو تعبيراً عن واقع أجتماعي حقيقي[٢١٠] وهكذا تباينت الأ راء فيه، فيراه البعض مظهرا حضاريا مألوفا[٢١١] وأن " الشعر لايروي ولا يقبل عليه الناس الا إذا كان مشتملاً على شيء من هذا الغرض"[٢١٢] أو قد يكون من آثار العنصر الفارسي[٢١٣] ونحن من جانبنا نميل إلى أن قسما من هذا الشعر، عبّر عن الواقع الأجتماعي للشاعر، لأنه ثبت أن بعض الشعراء نظموا فيه عن تجارب واقعية، أو ذات ظلال واقعية، ولا نستعبد وجوده في أمارة إربل، ولا يمكن لأحد أن ينفيه، لأننا وجدنا الشاعر العزّ الاربلي الضريريتهم شخصاً يدعى أبن أبي زهران بأنه يدعو الناس اليه ويرغبهم فيه[٢١٤]: (من المتقارب)

وقالَ السـلامُ على منْ زنى

ولاطَ وقـــاد لإ خــــوانهِ

فَردّوا جميعاً عليه السلام

وكلّ يتــرْجمُ عن شــأنهِ

وقــال يـجـوزُ التــدواي بهِ

وكل عليكُ بـأشـــجـــانهِ

ولا يمكن عدّ هذا اللون من الموضوعات الجديدة، وقد ظهر في القرن الثاني الهجري(٢١٥) وشاع في العصر البويهي(٢١٦) وعرفه المجتمع العراقي في العصر السلجوقي(٢١٧) وظلّ تعاطيه مستمرا إلى عصر هذه الأمارة.

ومن دواعي هذا اللون من الغزل في مجتمع إربل، كثرة الغلمان الأفرنج الذين أسرتهم جيوش إربل خلال معاركها المستمرة في بلاد الشام، "وأصبح هؤلاء بملاحتهم موضع قربى من الناس، حتى أن الأمراء والسلاطين، بل الفقهاء والعلماء لم يردعهم الدين والتقية عن أن يصطحبوا الغلمان الصباح الوجوه في مجالسهم، ولم يروا عيبا أو بأسأفي أن يختص أحد هم بواحد أو أثنين منهم لمرافقته في خلواته يستعملهم لطعامه ووضوئه"(٢١٨) فضلا عن ذلك، فأن معظم رجال الحرب كرهوا الزواج بسبب الحروب الصليبية التي لم تكن تخمد نارها، ومنعتهم من الأستقرار وتكوين الأسر.

وتصدى كثير من الكتّاب لهذه العادة، منهم أبن قيم الجوزية الذي أعلن على عشاق الغلمان حرباًفي كتابه " أغاثة اللهفان في مصايد الشيطان"(٢١٩) وقد أستنكر أمير إربل هذه العادة، وحاربها بالقاء الكثيرين منهم في السجن(٢٢٠) ويبدو أنه كان هناك لونان من هذاالغزل في إربل، الأول في مقدمات قصائد المدح، ولاسيما في مقدمات النشابي الذي له فضلاً عن ذلك مقطوعات مستقلة قليلة في الغزل، ولعه بهذا يكون أقل الشعراء غزلا، وغزله يختلط بموضوعاته الأخرى، كالشكوى والعتاب و الحكمة و وصف الخمر و وصف الطبيعة، وهو في غزله بوجه عام يُعنى بالصفات الحسية.

فالمقدمات التي تغزل فيها بالمذكر قليلة، وغزله لايصدر عن تجربة شعورية ومن أمثلة ذلك قوله(٢٢١) (من المنسرح)

سَلْني فــمــا في الســؤال مِنْ بـأس

عن عـزمِ صـبـري في الحُبّ أو بأسي

خُلْقتُ جَلدا علـى الغَــــرامِ وكَمْ

قــاســيتُ من كــانَ قلبُــه قــاسي

ويلمح من ظاهر شعر النشابي، أنه يتغزل بالمذكر والمؤنث معا، بل قد يفوق غزله بالمذكر

غزله بالمؤنث – أحيانا – وأن الشاعر يصف الذكر ويتغزل به وكأنه أنثى لاتميز بين الغزلين، سوى أن الشاعر في بعض قصائده يشير صراحة إلى المذكر بذكره العذار، وبهذا يقطع الشك باليقين كما في قوله(٢٢٢): (من الكامل)

سَرَدَ العذار مُزَرّدا من خَدّه
لاماً فأصبح لامُه مِنْ لامِهْ

ويشير في بعض غزله إلى أن العذار قد أينع في خّد غلامه كالآس في قوله(٢٢٣): (من الرمل)

وكأن الخال في الخدّ وقدْ
أينع الأسُ بهِ إذْ عَذرا

وقوله أيضاً(٢٢٤): (من الكامل)

ياذا الجمالِ وما الجمَالُ بمحصلِ
أنْ كانْ فعلكُ فيهِ غيُر جميلِ
لك كعبةٌ في الخدّ أضحى خالُها
حجراً فهلاّ جُدْتَ بالتقبيلِ

أما الشاعران الحاجري وأبن الظهير الإربلي، فلم يتطرقا إلى الغزل بالمذكر في مقدمتي القصيدتين المدحيتين الوحيدتين في ديوانيهما(٢٢٥) بل تطرقاً إليه في قصائد ومقطوعات كثيرة مستقلة سوف نتناولها بالدراسة لاحقاً.

واللون الآخر من الغزل بالمذكريأتي في القصائد و المقطوعات المستقلة، وقد أفرغ الإربليون معظم غزلهم في هذه المقطوعات، ونكاد نجزم بأن ديوان الحاجري ما هو الاّ مقطوعات شعرية مستقلة، نعني بالمقطوعات ما يتألف من ثلاثين بيتا فما دون(٢٢٦).

وقد مال الحاجري إلى هذا الاتجاه بسبب مراعاته لذوق العصر، وطبيعة موضوعاته الشعرية، فشعره – في الغالب – غزلي، ولذلك عرض له الدكتور شوقي ضيف فعّده من أبرز شعراء الغزل في العراق أبان الحقبة الأخيرة من عمر الدولة العباسية(٢٢٧) وقد أمتلك الحاجري مقدرة فذّة في التعبير عن مشاعره الذاتية وطاقة مبدعة في تصوير مظاهر الجمال، وبطريقة بديعة، عرفت بـ" الطريقة الغرامية" وفي غزله بالمذكر يصف جمال محبوبه، وحركاته والتفاتاته، نحو قوله(٢٢٨): (من الكامل)

كَذَبَ الذي ظَنّ الملاحَة كلّها
في يوسفٍ كَم منْ جمالك يوسفُ

أتكلف الإعراضَ عنكَ مخافةَ آلـ

وأشي إلى كَمْ جُهدِ ما أتكلفُ

فالمصادر لم تشر إلى شغفه بالغلمان، لذا جاء غزله أرضاء للذوق العام، ولزيادة ترغيب الناس بالاقبال على فنه.

ومن المقطوعات الغزلية المستقلة لشعراء إربل، نختار إبياتا للعزّ الاربلي الضرير الذي بث شكواه إلى الحبيب الذي أصم أذنيه، وكأنه لايسمعه بعد أن وقع أسير هواه لايزول عنه، كما في قوله[٢٢٩]: (من الطويل)

تَذَلَّلتُ لوْ أنّ التــــذلل ينفعُ

وأفرطتُ في الشكوى لو أنك تسمعُ

وأمسى خضوعي للحبيب شجيتي

وَسلْ نافــعي للحبّ أني أخــضعُ

هذا وقد وصلتنا أشعار في الغزل بالمذكر لشعراء لم يكن لهم ولع أو ميل إلى الغلمان، ونحسب أن هذا الغزل يدخل ضمن باب تقليد منَ سبق، أو التظرف ونذكر على سبيل المثال الشاعر أبن الظهير الأربلي الذي قال[٢٣٠]: (من الكامل)

ومِنَ العجائب أنّ معجزَ حُسْنِه

ثَبَتتْ له صفةُ الكمالِ مُحَرفا

فبِنونُ حاجبِهِ ونورُ جبينه

وبنَمْلِ عارضِهِ رأيتُ الزخْرفا

ولا غرابة في أن أكثر الذين رويت لهم أشعار في الغزل بالمذكرهم من علماء الأمارة وكبار الساسة فيها، ومنهم الوزير أبن المستوفي الذي تعلقت يده بعذار غلامه وخّده، تارة يجنى وتارة يقبل، ثم خالطت زفراته بأنفاسه، لمّا ضمّهما الليل، كم جاء في قوله[٢٣١]: (من الكامل)

عَلقتْ يَدي بعــذارةِ وَبِخــدّه

هذا أقــبلهُ وذا أجنِيــه

لَوْ لمْ تخالطْ زفرَتي أنفاسهُ

كــانت تنمُ بنا إلى واشيــه

حَسَدَ الصباحُ الليل لما ضمّنا

غيظاً ففرقَ بيننا داعيه

ومن غزل العلماء قول أبن خلكان الذي أشتاق إلى رؤية غلامه ذي القامة التي أقامت قيامته، فقال(٢٣٢):(من مجزوء الخفيف)

أنــا والــلّـــهِ هــالِــكُ
أيِسُ مِنْ ســــلاَمــــتي
أوأرى القـــامــــةَ التي
قُــد أقــامتْ قــيـامـتي

ولا بن خلكان مقطوعات جيدة في هذا اللون، وفي المقطوعة الآتية نراه يقسم بالوجه النير، وبالطّر البارزة السوداء. والقامة الفارهة، فيطلب من غلامه أن يطفئ حرقته، ويشفي غلته، قبل أن يفتضح أمره(٢٣٣): (من الكامل)

قَــسَــمــاً بوجــهكَ وَهوَ بدرُ طالعُ
وبليلِ طُرّتك التي كــالغــيـــهبِ
بقـامـةٍ لكَ كـالقـضـيبِ رَكبْتُ في
أخْطارها في الحبُ أعظمَ مــركبِ
فــارحمْ فـديتكَ حــرقـةً قـد قـاربت
كَــشْفَ القناعِ بحق ذياكَ النبيِّ
لا تفـضـحنَّ مـحـبكَ الصبَّ الذي
جـرّعتـهُ في الحبّ أكـدر مـشَـربِ

ويلحظ أن ظاهرة الغزل بالمذكر ليست من أبداعات العلماء الاربليين، بل كانت معروفة قبل هذه الحقبة، وقد سبق الحديث عنها.

وقد أولع الشعراء بذكر "العذار" وهو أول ما ينبت من خَد الغلام، أذ تباروا في ذكره في غزلهم، وفي هذا الصدد قال الحاجري(٢٣٤): (من السريع)

عُـذراً فَـقَلبي مـا عليــه أعـتــذارْ
إن باتَ مــفــتــوناً بذاك العــذارْ

ولدى انعام النظر في هذا الغزل، نجد أن بعض الشعراء تناولوا فيه معاني ظريفة، ولمحات ظريفة ونذكر على سبيل المثال هذه الأبيات للشاعرالبحراني الملقب موفق الدين الأربلي(٢٣٥) في غلام اسمه السهم وقد التحى(٢٣٦): (من مخلع البسيط)

قالوا التحى السّهمُ قلتُ حصَنْ

حــشــاكَ فــالآن لا يطيشُ

فــالسّــهمُ لا ينفـذُ الرمــايا

إلا إذا كـــانَ فـــيـــه ريشُ

وأخيراً ونحن نختم دراسة هذا الفن نقول، أن بعض الإربليين لم يكفّوا عن الغزل بالمذكر حتى بعد أن أدركوا الشيخوخة، فهذا بهاءالدين الأربلي يهيم شوقاً - وقد جاوز الثمانين - بغلام يفوق الظباء في جمال جيده، والقمر المنير في حسنه، فيقول(٢٣٧): (من الطويل)

وَلولا مَـعـانٍ فـيكَ أوجبن صَـبـوْتي

لَمَا كنتُ من بعـدِ الثـمـانينَ مـغـرَمـا

كَلفتُ بساجي الطرفِ أحوى مهفهفٍ

يميسُ فـينسـيك القـضـيبَ المنعـمـا

يَفـوقُ الظبـا والغصْنَ طرفاً وقـامـةً

وبدر الدجي والبرقَ وجهاً ومـبسـمـا

ومما يلفت النظر في شعر الاربليين، ندرة شعر المجون و العبث الذي يصاحب - في أكثر الأحيان - الغزل بالمذكر، وقد يعود السبب في هذا إلى استقرار الحياة الأجتماعية و الاقتصادية في الأمارة، وإلى عدم إنحراف الشعراء في توجهاتهم الفنية، وعدم خروجهم عن حدود الآداب و الذوق.

المديح:

يعد المديح من أبرز الفنون الشعرية، وقد أزدهر هذا الفن الشعري في العصرين الأسلامي والأموى أزدهاراً كبيراً بسبب المقومات و المعاني والاتجاهات الجديدة التي برزت على الساحة الأدبية، ظلّ ينمو باطّراد في عهد بني العباس حتى "أصبح الشاعر العباسي بلبلا في القصر، يغرد بفضائل الممدوح، ويتغنى بعظمته وجاهه وسعة سلطانه، وأتخذه الملوك نديما لهم، ويطربون لقوله ويخلعون عليه ويخصونه بالمال"(٢٣٨) وهكذا كان المديح دائم الحضور على مسرح الشعر في مختلف العصور، ولا نغالي إذا قلنا مع من قال: "هو الأصل وسائر الفنون الشعرية هي الفروع"(٢٣٩)

ولا نظن أن ثمة من يختلف في أن المديح الذي كان قمة ما يطمح اليه الشعراء في ما سبق من العصور قد فقد في شعر هذه الحقبة كثيراً من مميزاته الفنية الأولى لعدم اكتراث

الشـعراء الفـحول به، ومـع ذلك فـقـد ظَل المديح مـتـصـلاً بتـصـوير الأعـمـال البـاهرة، وتمـجـيد الأصدقاء و الفضلاء و العلماء، لا من أجل التكسب وأنما التزاما بالوفاء و التعبير عن مشاعر الود.(٢٤٠)

قبل التمـعن في دراسـة هذا الفن لابد من الأشـارة إلى أن مـعظم مـاخلفه شـعـراء القـرنين السـادس و السـابع الهـجريين مـا يزال مـخطوطاً، وأن بعضـه مـفقود، وأن كلّ مـا نسـتشـهد به مدون في بعض الدواوين المحققة أو في كتب التراجم العامة.

فالأمر الذي يلفت الأنتباه كثرة عدد شـعراء العصـر العباسـي الثاني بحيث يصـعب على الدارس أن يحـصـيهم عداً، وذلك لأنهم - فضـلاً عن كونهم شـعراء - كانوا فـي الوقت نفسـه علمـاء، ومـحـدثين، وقـضـاة، أصـحـاب مـهن فـقـد كان فـيـهم الورّاق، و النشـاب، والأمـيـر، و الوزير.(٢٤١)

وقد تميزت هذه الحقبة بوفرة شعر المديح، ويعزا ذلك إلى أهتمام الخلفاء و الأمراء بالشـعر و الشعراء" فغزارة الأموال في يد الخلفاء والولاة ووفرة عطاياهم وقلّة الأموال في يد سـواهم جعلت الفنون الجميلة ومنها الشـعر لا تزد هـر الاّ في أحضـانهم"(٢٤٢) وفي أربل كان الوزير أبن المستوفي في مقدمة المهتمين بالشعراء، بحيث جعل من منزله منتدى أدبياً ليس لشعراء أربل وحدهم، وأنما للوافدين عليها أيضا لذا خصّه الشعراء بقصائد رائعة.

ولم يكن المديح في هذه الامـارة مـقـتـصـراً على المشـهـورين من الشـعـراء، أمـثـال النشـابي، والحـاجري، وأبن الظهير، والعزّ الإربلي، والبـحـراني، وغيرهم، بل في أدب الأمـارة شـعـر في المديح نظمه الوزراء(٢٤٣)، والأمراء(٢٤٤) والعلماء.

ويبدو أنه كان لابن خلكان بـاع طويل، ومقدرة جيدة على النظم، وهو من العلماء البـارزين في أربل، وكان يصف ممدوحه بـأنه في جوده وكرمه يفوق الملوك الأوائل كمـا في مدحـه للملك الكامل ناصرالدين(٢٤٥)

إذ يقول(٢٤٦): (من الطويل)

اليك أبن أيوبٍ سَـمتْ بِيَ همّـةُ
هَداها ضـيـاءُ مِنْ جـبـينِكَ ظاهرُ
وَمـا أثْبَتَ الأخبـار في الجُودِ كُلها
لدى النـاس الاّ جُـودَكَ مـتـواتِرُ
ولولاك مـاكُنـا نحـقـقُ أنهُ
يفـوقُ الملوكَ الأولينَ الأواخـرُ

فما قدر وسعي أن أتيتكَ ناصراً

بنظمٍ ولوْ أن الكلامَ جَـــواهرُ

ويشترك معه من العلماء في النظم في المديح الفقيه أبو الفضل الحيزاني(٢٤٧) في مدحه الوزير أبن المستوفي – الذي كان جميل مزاياه يدور على كّل لسان وقد كان مغيث كّل ملهوف – بقوله(٢٤٨): (من الطويل)

أَيا شَرَفَ الدينِ الذي قام في الورى

عَلى كُل عـــودٍ مِّن ثناهُ خطيبُ

تُرى أي ملهـــوفٍ دعـــاكَ ولم تثبْ

لِدَعـــواهُ مِنْ دُونِ الأنامِ تُجـــيبُ

ولا نظن أن المديح أنحصر في الخلفاء والوزراء فحسب، بل وجدنا مديحا نظم في العلماء(٢٤٩) وفي الكتب، فقد أثنى أبن الظهير الاربلي على كتاب " الجزولية"(٢٥٠) ووصف مؤلفه بأنه كالبحر يقذف الدر والياقوت، وهو وحيد زمانه في شرح النحو، فقال(٢٥١): (من الطويل)

مُقدمة في النحوِذاتُ نتيجةٍ

تناهَتْ فأغنتْ عن مُقدمةٍ أخرى

حبانا بها بحرٌ مِن العلمْ زاخرُ

ولا عجبُ للبحر أن يقذفَ الدُرا

وأوضحها بالشرحِ صَدر زمانهِ

وَلَمْ نر شرحاً غيرهُ يشرحُ الصدرا

ونجد أيضاً مديحا للعشيرة، فقد مجدّ بطولاتهم، ورفع من شأنهم بقوله(٢٥٢): (من الكامل)

أبني فَزارَةَ كيفَ ذَلّ فتاكُم

وَيراكمُ أســداً له وأســاوِدا

وَمَقامُكم واهاً لهُ منْ معهدٍ

ي بَقى له أمدَ الحياةِ معاهِدا

ونلقى مديحا نظم في مدينة إربل التي هي نعم الدار عند أبن منعة بن مالك الإربلي الداعي لها بالرخاء بقوله(٢٥٣)(٢٥٤): (من الكامل)

يـارَبْـع إربـلَ أنْـتَ نـعْـمَ الـدارُ

دُم عامراً تنحى بكَ الأعمارُ

ويشيد بها أيضا أبن الحداد (ت٦٢٦ هـ)[٢٥٥] بعد وروده اليها، ورؤية معالمها، ومشاهدة حياة أبنائها وسلوكهم الطيب، قائلاً[٢٥٦]: (من البسيط)

حُـــيـــيتِ إربلُ منْ دارٍ وَمنْ وطنٍ

ولا تعـدّاكَ صَـوْبُ العـارض الهَتنِ

وَطابَ منكَ نسيمُ الرّيحِ في السحرِ آلـ

أعليُّ لأنك مـــأوى الإلف والسكنِ

ولكي تكتمل صورة شعر المديح نعرج قليلا على ذكر بعض سماته فمن الناحية الشكلية نجد المقدمات الطللية تتصدر معظم هذه القصائد، ولا سيما مانظم منها في مدح الخلفاء والوزراء، ويلجأ الشعراء فيها إلى أستخدام لغة واضحة، ويلاحظ أن البعض منهم أهمل هذه المقدمة، وأستهل قصيدته بالمدح مباشرة.

وعند النظر في ديوان النشابي، نقف على أحدى وخمسين قصيدة في مدح الخليفة المستنصربالله[٢٥٧] والوزير أحمد بن الناقد[٢٥٨] وقد أهمل صاحبها المقدمة الطلية في عشرين قصيدة من تلك القصائد، ومنها هذه القصيدة التي قال في مطلعها[٢٥٩]: (من الوافر)

صـــلاةُ اللّهِ تشـــفعُ بالســـلامِ

علـى منْ دارهُ داراُ الســــــلامِ

عَلى خـيـر الخـلائقِ منْ قُـريشٍ

إمـام العـصـرِ ذي المنِ الجـسـامِ

وقد أجهد الشاعر نفسه في بعض هذه القصائد ليساوى بين أبيات المقدمة مع أبياته في المديح[٢٦٠] وفي بعضها الآخر أختصر المقدمة في ثلاثة أبيات، كما في قوله[٢٦١]: (من الخفيف)

كُلّ يومٍ تُملي سطُور التــهــاني

فـتـمـلأ بهـا صُـدور الأمـاني

أشرقَ الدينُ بأسم الثغر بالبُشـ

رى لأهل التـوحـيـد والايمانِ

وتَجلّى الإسلاُم في الشرف الأعلـ

ى مِنَ الفـخـرِ مـؤذناً بالأمـانِ

ومن طريف شعر النشابي في هذا الباب أنه عمد إلى إطالة مقدمة أحدى قصائده، ولم

ينظم في ممدوحه الاّ واحداً، خطّه قلمه المتعب بعد أن نفَدَتْ لديه الأداة، وهو قوله[٢٦٢]: (من البسيط)

لَوْ كـانَ يُفـصحُ عَنْ قـولٍ أبان لنا
مَدْحَ الخليفـةِ مكتـوباً على الوَرَقِ

وقد نهج أبن الظهير سبيل زميله، في مدحه لابن الصلايا[٢٦٣] مبتدأً قصيدته بوصف رحلته الشاقة صوب ديار الممدوح، وحين يلتقيه تخونه قريحته الشعرية، وتستنفد كلماته، فلا تجود عليه الاّ ببيت يتيم في مدحه، وهو قوله[٢٦٤]: (من الخفيف)

وأجـتلينا وَجْـهَ النـهـار كَـوَجـهِ اَلـ
صـاحبِ الصـدر مـرتجى مـأمـولا

وفي هذا الميدان، يبدو الحاجري حريصاً على الموازنة والتكافؤ بين المقدمة وما يخص الممدوح في قصيدته المدحية الوحيدة، وخاصة في مدحه للأمير أحمد بن قرطاي في القصيدة التي مطلعها[٢٦٥]: (من الكامل)

ما للدموعِ تسيلُ سَيْلَ اَلوادي
أحـدًا بركْبِ العـامـريةِ حـادي

إذن لم يكن لدى شعراء إربل قاعدة ثابتة متبعة في بناء هيكل أو شكل المقدمة، فالنشابي جرّب السبل جميعها، فهو يهملها[٢٦٦] أو يختصرها[٢٦٧] أو يسوى بينها و بين أبيات المديح، أو يطيلها، أما أبن الظهير فهو يطيلها كما رأينا، وأما الحاجري فقد ذهب إلى الموازنه و التسوية، وأما الآخرون فلكل منهم مذهبه الخاص في ذلك.

وهكذا فليس بمقدورنا الوقوف على قاعدة مطردة في كيفية إستهلال الشعراء لقصائدهم، فالنماذج المذكورة أنفا، تمثل أتجاهات ونزعات شعراء إربل في بناء شكل القصيدة المدحية.

إما السمة الأخرى من سمات شكل القصيدة، فهي مراعاة ذوق العصر في أطالة المديح، ويعد النشابي من أبرز شعراء الإمارة في هذا الميدان، وقد سلك طرقاً متعددة في أطالة مدائحه، منها الوصف[٢٦٨] و الغزال[٢٦٩] والتهنئة[٢٧٠] وذكر الديار الحجازية[٢٧١] فضلاً عن ذكر الكواكب الخمسة[٢٧٢]. والنيرين، ومنازل القمر، من ذلك قوله[٢٧٣]: (من الخفيف)

وَعَلى كُلّ كــوكَبٍ منكَ وصَفُ
كَلّ عَنْ وصـفـهِ لسـانُ وجـودِ
فلكْيــوانَ منِ عُــلاكَ مكانُ
جَـعلَتـهُ في رفـعَـةٍ وصُـعـودِ

ولك المشـترى بيـاعُ وقَـدْ أصـ

بح يُدعى بجـــدِ المجـــدودِ

وأستـعار المريخ سيـفك لما أحـ

مرّ والآحـمـرار أوفى الشـهـودِ

كما ضّمن أحدى قصائده ألقاب الخلفاء العباسيين جميعهم - توجيها وتورية - وهذا ما سنفصل القول فيه في موضوع الدراسه الفنية.

وللوصول بقصيدة المديح إلى تحقيق هذه الغاية، أستند كلّ من الشعراء الأخرين إلى ذوقه الخاص، فابن الظهير لجأ إلى الوصف[٢٧٤] والحاجري إطال غزله بديار الحبيبة المزعومة[٢٧٥]

وأنتهج آخرون هذه السبل جميعها، وهلّم جرّا، ومهما يكن من الأمر فقد قال أبن رشيق القيرواني "إن طريق العرب القدماء في كثير من الشعر قد خولفت إلى ما هو أليقُ بالوقت، وأشكلُ بأهله[٢٧٦] ومن سمات المديح الأخرى، أجترار شعراء الامارة لمعاني مديح الشعراء من السلف، وتكرار صورهم وأفكارهم، وهو المنهج الصريح الذي أنتهجه - في الغالب - شعراء القرن السادس و السابع الهجريين، فلم يطرأ تغيير يذكر على مدح الخلفاء، فالجميع من بيت النبوة، فالخليفة ورث الخلافة، وهو أحق الناس بهذا الإرث المقدّس يتناقله أفراد الأسرة الحاكمة، نحو قول النشابي[٢٧٧]: (من الكامل)

نُروى الخلاَفةُ فيه عَن أبائهِ

بأصحَ إسنادٍ وَعنْ أعمامهْ

فَلهُ بميراثِ النّبوةِ حجةُ

تقضي لهُ بِقيامِهِ ومقامِهْ

فالحقيقة الثابتة التي نريد بيانها هي أن الشعراء القدامى في القرنين الثالث و الرابع الهجريين تناولوا المعاني فطوّروها، وأضافوا إليها من تجاربهم وقبضوا على زمام اللغة، وحافظوا على مكانتها، وقوة أسلوبها، والقاء نظرة على دواوين تلك الحقبة[٢٧٨] يكفي للوقوف على ذلك، وأما شعراء أمارة إربل ومعهم شعراء العصر، فقد ظلّوا يرددون المعاني القديمة نفسها ويكررونها بأستمرار.وهذا أبو الربيع الأربلي[٢٧٩] يثني على ممدوحه الوزير أبن المستوفي ويصف شجاعته وأقدامه وبسالته وكرمه - وهي من المعاني التقليدية المكررة - بقوله[٢٨٠]: (من الطويل)

جوادُ جرى في حلْبهِ السيفِ والندى

وفاضَتْ على كُل الأنامَ مواهبهُ

هُو الغيثُ يَروْي كُلّ صادٍ على الثرى

هُوَ البحرُ حدّث ما أرتكَ عجائبهُ

ويلحظ أن الشاعر أبن هبة الله الكفر عزّى الإربلي[٢٨١] يكيل لمدوحه عبارات المديح و الاطراء التقليديا، ويشبهه بالشمس التي تزيل الظلام، وبهلال الأرض، و بالبحر في الجود، بقوله[٢٨٢]: (من الطويل)

أضاءَتْ بكَ الأيام بَعْدَ ظلامها

وعادَ سرورُ الخلقِ بَعْدَ ذهابهْ

فأنتَ هلالُ الأرضِ ياخَيْرَ مالكٍ

وَبحرِ ندى طامٍ بفيضِ عُبابهْ

ولم يقف الشعراء عند هذا الحد، بل أعادوا بذكرتهم إلى أيام ما قبل الأسلام، لا ستنباط المعاني التي تدل على السماحة و العطاء و الكرم، من ذلك قول محمد بن مكارم بن أبي العلاء[٢٨٣]: (من المنسرح)

الفاضلُ المنعمُ السَمُوح ومنْ

عطاُء معنٍ في جُودهِ وَشل[٢٨٤]

والأريحيُّ الذي مكارِمهُ

يفرقُ منهنّ السهلُ والجبلُ

ومن المفيد في هذا المجال التطرق إلى بعض عيوب المديح عند شعراء إربل، ومن أهمها، الحاح فئة من الشعراء في استدرار أكف المدوحين، حتى أن القارئ لَيظن أن هؤلاء الشعراء قد فقدوا كرامتهم، وعزة أنفسهم، وهذا أبو محمد الأربلي[٢٨٥] يتواضع للوزير أبن المستوفي، وينعت نفسه بعده الأصغر، ويطلب منه معونه، بقوله[٢٨٦]: (من الخفيف)

عَبْدُكَ الأصغرُ المُحبُ يناديـ

ك وَقدْ هزّهُ الحياءُ أرتياعاً

وَهْوَ يرجو منكَ الإحالة يا أطـ

وَلَ مَنْ مَدّ في البريّة باعاً

ويطلب أبن الظهير من الوزير نفسه (تخفيفة)[٢٨٧] وبالصيغة نفسها بقوله[٢٨٨]: (من السريع)

عَبدُكَ لاشئَ على رأسهِ

هامتهُ في الحكُمِ مكشوفَهْ

وَهوَ على كـثـرةِ تنقـيلِه

يَرْجو منَ الأنعامِ تخفيفهْ

ويبدو استجداء شيطان الشام بيّنا في أثناء مدحه للأمير أحمد بن قرطايا[٢٨٩]: (من الكامل)

أحْـسِنِ إلى فـإنّني لاكـافـرُ

حُسْنَ الصّنيعِ و ساعَةَ الإحسانِ

وَأمـددُ إلى يداً أؤملُ مَـدّهَا

نَحْـوي تكّف يَدي عَنِ الإخـوانِ

وتصل نغمة الاستجداد عند النشابي أعلى مداها في مخاطبته للخليفة المستنصربالله، بقوله[٢٩٠]: (من الخفيف)

أنْتَ أحْـيَـيْـتني بجُـودِكَ حـتّى

خِلْتُ أنّ النوالَ منكَ نشـورُ

والواقع أن هذا الاستجداء لم يكن بدعا عند فئة من شعراء الإمارة الذين سلكوا هذا السبيل في المدح الذي كانوا "يفتحون أعينهم عليه، ويغمضونها عليه، ويقفون عبقرياتهم على صناعته ويعتبرونه باب الرزق الأوحد و سبيل الغنم[٢٩١] وقد حصل هذا - حسب ظننا - لهذه الفئة التي جعلت من الشعر بابا للتكسب ليس الاّ، بل هذا الأمر وجد صداه عند الشعراء السالفين إيضاً. وثمة عيوب أخرى يلاحظها الباحث في شعر الاربليين، ألا وهي المبالغة في صفات الممدوحين، إذ لم يلتفت الشعراء إلى وازع من دين أو فن، وفي هذا الصدد يقول أبو الفرج الأصفهاني: " كان هارون الرشيد يحتمل أن يمدح بما تمدح به الأنبياء، فلا ينكر ذلك ولا يّرده[٢٩٢] وهكذا السكوت من قبل الخليفة شجّع الشعراء على التعمق فيه، وأدى ذلك إلى أثارة غضب الرشيد في أحدى المرات حين مدحه شاعر، قال فيه[٢٩٣]: (من الكامل)

* فَكأنه بَعْدَ الرّسولِ رسولُ*

وظلت هذه المبالغات تنتقل على لسان فئة من الشعراء، إلى عصر الأمارة، ونحن نرى بالتمعن في شعر المديح، أن النشابي من أبرز الشعراء في هذا المجال، خصوصا حين أقترنت مغالاته بالتوجه السياسي، فضلا عن نزعة الشاعر التكسبية الطافية، ومن ذلك قوله في مدح الخليفة المستنصر بالله[٢٩٤]: (من الرجز)

وأرِث سِـرّ الوحْي إرْثاً ظاهراً

بِحـقـهِ مِّن ذلِك السـرّ الخـفِيّ

ويمضي الشاعر في مغالاته، حتى تذهب به الظنون بعيداً، ويرى الخليفة وأرث الدين كّله، و الايمان، ومكة، و الحج، و الا حلال، والاحرام، في قوله(٢٩٥): (من الكامل)

والرّكن و البـيتَ العـتـيقَ ومكّةَ
والحّج والإحـلال و الإ حْـرامـا

وتذهب به المبالغة إلى أن يجعله في مقام النبي - صلى اللّه عليه وسلم - بقوله(٢٩٦): (من الكامل)

وَعليكَمَ نَزَلَ الكتــابُ وفُـصلّتْ
آياتُهُ بِحـقـوقكمْ وَحـقـيـقِـهـا

ولم يتوقف الشاعر في مدحه عند هذا الحد، بل عّده أماما للانبياء جميعهم، تتلى عليه الكتب السماوية، كما جاء في قوله(٢٩٧): (من الخفيف)

وَعليْـهِ تتْلى الأناجـيلُ والتـور
أة فـيـهـا صَـحـائفُ و الزّبوُر

وهكذا تسوقه الأوهام نحو الأكاذيب الفارغة، فهو لو أدعى الوحي لصدقه الناس، طالماً أنبأهم بالأمور الغيبية(٢٩٨)وهو المحي والمميت(٢٩٩) وأخيراً نجده يناجيه مناجاة العبد لربه(٣٠٠) أن هذا إلا سترسال في مدح الخليفة - بلاشك - يشتمل على شئ كثير من التخيلات الوهمية، وقد يظن الشاعر أنه إذا أطنب وأفرط فيه رضى الممدوح، ويكسب جائزته.

ومهما يكن من شئ، فأن بعض الدراسين يرى أن ارتياح هؤلاء الخلفاء والأمراء لما يقال فيهم يدل على "أن سلطانهم واهن ضعيف لا يزيد على مجموعة من الاكاذيب يطلقها شاعر مداح في ساعة طمع"(٣٠١)

ولم يكن هذا الأمر قاصراً على النشابي وحده بل وجدنا شعراء آخرين في الأمارة سلكوا هذا المسلك في التقرب إلى الخلفاء والأمراء، منهم شيطان الشام الذي مدح بدرالدين بن عبداللّه صاحب الموصل(٣٠٢)، وأدّعى أن بيده الحياة و الأجل، بقوله(٣٠٣): (من المتقارب)

وَأشـتـاقُ ناديكَ يامَنْ إليـه
تُشَـدّ الرحـالُ وتحلو الرّحلْ

أعـيـذكَ باللّهِ مِنْ مِـثلِ ذا
ومنْكَ الحـيـاةُ لنا والأجلْ

وقد يجمع الشعراء معاني طريفة في المدح، مثل قول طه بن أبراهيم الهذباني(٣٠٤) وكان في دكة لبستان دار الوزير أبن المستوفي، فجاء الغيث متواليا فقام الوزير مسرعا مع رفاقه،

ودخلوا الدار[٣٠٥]: (من الطويل)

دخـولُ لإقـبـال الشـتـاءِ مـبـاركُ
عليك أبنَ مـوهوبٍ إلى آخـر الدّهرِ
تِفـرّ مِن القطرِ المُلِمّ عـشـيـةً
وَلـمَ نرَبحـراً قّط فَـر مِنَ القَطرِ

وأخيرأننقل هذه الصورة الطريفة في المديح، رسمها أبو الربيع الاربلي، بقوله[٣٠٦]: (من الكامل)

يا أيهـا المولى الوزيرُ ومـا جـدُ
في كّفه البـيـضـاءِ خمسةُ أبحُرِ
ورضـيـعُ دَر المكُرمـاتِ وَمَنْ لهُ
جـوُد كـمنَهلّ السـحـابِ المُطرِ

فالشاعر جعل اليد رمزا للعطاء والكرم وجعل كل أصبع منها رمزاً مستقلاً قاصداً بذلك الكثرة، إلى جانب السحاب الذي تكمن فيه صفة الجود، وهذا أمر مجازي بأعتبار ما كان.

الهجاء:

يعد هذا الفن من الموضوعات الشعرية التي توضح بعض مناحي الحياة، وهو يلقي الضؤ على الحالة النفسية للأفراد و الجماعات، ويكشف عّما ساد الحياة السياسية و الأجتماعية من مظاهر التجديد و التأخر، وهنا تكمن أهميته في أطار الدراسات الأدبية[٣٠٧] والهجاء في حقيقته تهذيب لكل وجه سلبي في المجتمع، سواء ما أتصل بحياة الفرد أو الجماعة[٣٠٨] وهو يقابل المديح في شيوعه وأنتشاره.

ويبدو أن شعر الهجاء معظمه، أقتصر على أبيات مستقلة معدودة لا تشفي الغليل، وأغلب الظن أن هناك مؤثرات في الأمارة قللت من شأن هذا الفن منها مؤثرات سياسية، فالأمير مظفر الدين كوكبري لم يكن يسمح بالهجو والقذف لالتزامه بقيم الدين الحنيف، فقد نقل صاحب العمدة في هذا الصدد حديثاً للرسول – صلى الله عليه وسلم – وهو قوله: "من قال في الاسلام هجاء مقذعاً فلسانه هدر"[٣٠٩] ومنها أيضاً طبيعة الحياة الاجتماعية في أربل[٣١٠] كما لا ينسى بالطبع أن مؤرخي الأدب نقلوا لنا من الشعر ماهو نافع ومفيد.

وعند القاء نظرة فاحصة إلى هذا الفن الشعري الذي شاع في هذه الحقبة نجد تعدد أصناف المهجويين، والأمر الذي يلفت الأنتباه عند الأربليين أن معظم أهاجيهم أنصب على

شريحة أو فئة معينة في مجتمع أربل، وهي طبقة موظفي الدولة، وفي مقدمتهم أمير البلاد مظفر الدين كوكبري الذي لم ينجُ من الهجاء أيضاً، وهذا ياقوت الحموى الذي زار أربل مرتين، يهجو الأمير ويصور أعماله الخيرية وصدقاته من مال جمعه بأساليب غير شرعية، ويتمثل لذلك بهذا البيت[٣١١]:(من الطويل)

كساعيةٍ للخير منْ كَسبِ فرجها

لَك الويلُ لاتزْني ولا تتــصــدقي

فنراه يشبهه بالمرأة التي تتعاطى البغاء، وتصرف ما تجنيه من ذلك الفعل على الأمور الخيرية.

وفي امكاننا أن نعد النشابي رائد الهجائين في الأمارة، وقد تميّز هجائه بطابع ذاتي، والاتجاه الغالب فيه هو النقد السياسي والأجتماعي المتسم - غالباً - بنبل الغاية.

وقد وجه النشابي مجمل نقده إلى الرؤساء وكبار موظفي الدولة و السياسيين من الذين أحتلوا مناصب عليا في الدولة بلا أستحقاق أو كفاية.

ومع هذا التوجه ذي السمة الأيجابية في هذا الفن الشعري عّده أبن الشعار الموصلي شاعراً بذئ اللسان، وقال عنه: "وكان شاعراً بذيء اللسان مقداما على الهجو والسّب، ذا أهاج سخيفة وذم فاحش، كثير التعرض بأرباب الدولة و أصحاب المناصب، قلّ أن سلم أحد من رؤساء أربل وأمثالها من لسانه، لأنه سلك طريقة أبي الحسن علي بن بسام[٣١٢] في هجاء الأشراف والاكابر وتمزيق أعراضهم"[٣١٣] ونحن من جانبنا نستغرب آراء أبن الشعار إذ نعت شاعرنا بكلّ هذه الصفات التي لايستحقها لمجرد هجائه أرباب الدولة والأكابر، فلا عتب عليه في هذا، فأكابر الرجال أولى بالهجاء من غيرهم حين يتقاعسون في قيادة المجتمع، ويبثون الرعب و الفساد، ويجدر بالذكر هنا أن هذا الأمر يعد دليلا على أن أمير أربل قد منح الحرية التامة للشعراء في نقد الأوضاع السلبية السائدة في أمارته، والأمثلة على ذلك كثيرة سوف نأتي عليها لاحقاً. ونحسب أن أبن الشعار أراد بهذا الكلام أرضاء خصوم الشاعر للتقليل من تأثير هجائه فيهم ونظن بأنه أدعى ذلك بايعاز من هؤلاء الذين أقلقهم الشاعر وهزّ مضاجعهم، وكشف عن عيوبهم أمام أنظار الناس.

ومن جميل نقده السياسي والاجتماعي تنبؤه بسقوط بغداد، وقد أنذر رجال الدولة قبل سقوطها بيد المغول بمدة وجيزة، في قصيدة مطلعها[٣١٤]

يا سـائلي ولمحضِ الحقّ يرتادُ

أصغ فعنديَ نُشدانُ وإنشادُ

وأسمعْ فعندي روايات تحققها

درايةُ وأحـــــاديثُ واسـنـادُ

وكشف عن الأوضـا ع المضطربة للبلاد، والسلوك المنحرف لرجـالها، وقد أنتقـد الوزير، وحاجب الباب، ومشرف الديوان، وشيخ الاسلام صدر الدين بقوله(٣١٥)

أمـا الوزيرُ فـمـشـغـولُ بعنَبـره

والعـارضـان فنسـاجُ ومَـدادُ

وحـاجبُ البـابِ طوراً شـاربُ ثملُ

وتـارةً هُـوَ جـنـكـيُ وعَـــوّادُ

ومُشرِفُ الدستِ مُغرى باللواطِ لهُ

في كلّ نـاحـيــة علقُ وقـوّادُ

وشيخُ الآسلامِ صدرُ الدين همتُهُ

مَـقـصـورةُ لحُطامِ المالِ يصطادُ

وفي هذه الأبيات نقل النشابي صورة حيّة ناطقة بما وصلت إليه الحياة السياسية، والاجتماعية والاقتصادية.

وقد سخر النشابي من موظفي الأمارة، وحمل عليهم بسبب سؤ أدارتهم في هجاء يتسم بطابع التندر و السخرية من الوزير الجديد المعين بعد أقصائه، فقال(٣١٦)

فــــرحنا وقلنا تولى الوزيرُ

وأفـلـحَ ديـوانـنـا بـالـوزارهْ

فـمـا زادنا غـيـرَ جـاويشـه

وفي كُـتـبِنا كُـتـبتْ بالإشـارهْ

ويلاحظ في هجائه للموظف تصويره له، على أنه غير كفء للمنصب الذي يتولاه ويقوم هجاؤه - أحياناً - على ثلب المهجو والأنتقاص منه وأظهار معايبه، وقد هجا المدعو المختص أبو الحسن مشرف الديوان المعين بعد حبس سلفه المدعو يعقوب بن أسماعيل النصراني، بقوله(٣١٧): (من الطويل)

فرحنا بيعقوب اللعين وحبْسهِ

وُقلنا أتانا مـا يطيبُ بهِ القلبُ

ولمّا ولي المختص فالكل واحدُ

إذا مامضى كلبُ أتى بعدهُ كلبُ

أما الشاعر أبن الظهير فأنه لم يكن يستسيغ هذا الفن أو بالأحرى لم يكن يجيده، وفي ديوانه بيت يتيم في هجاء القاضي أبن خلكان وأبنه موسى إذ لم تكن علاقته بأبن خلكان حسنة، ولعل هذا الأمر هو الذي حمل الأخير على عدم عقد ترجمة له في كتابه الذائع الصيت "وفيات الأعيان".

قال أبن الظهير في هجائه[٣١٨]: (من السريع)

وكـيف يؤتى رُشـدهُ حـاكمُ

حكم في لحـيـتـهِ مـوسى

ومن طريف هجاء الموظفين، هجاء النشابي للوزير أبن المستوفي الذي تردد ذكره على لسان الشعراء جميعهم ووصفوه بأنه راعي الثقافة والأدب، وأن منزله قبلة الشعراء ومأواهم، بقوله[٣١٩]: (من المجتث)

إنّ المبـــاركَ فـــيـــهِ

تـوَقـفُ ولجـــــاجَـــــهْ

صـــديقـــهُ أنتَ مـــالمْ

تعـرضْ إليـهِ بحـاجـهْ

ونحن من جانبنا نظن أن هذا الهجاء بعيد عن الحقيقة وجاء لسبب ما نجهله، وفي هذا اللون من الهجاء، يتنفس أبوعبدالله الأربلي[٣٢٠] عن حنقة واحنته على علي بن النفيس[٣٢١] ويصب عليه غضبه، ويلبسه رداء الخزي والعار بقوله: (من الخفيف)

قـدْ كـرهتُ الولاء لما تسـمّى

بِعليٍّ هـذا الوضـيـعُ الرذيلُ

إن يومـاً يكونُ فـيـهِ رفـيـعـاً

عندَ هذا الورى ليـومُ ثقـيـلُ

ويفا جئنا الشاعر أبو عمرو الرصاصي[٣٢٢] بقصيدة طويلة بديعة في هجاء رؤساء أربل من أصحاب الديوان و المقدمين، مزّق فيها اعراضهم، وقد شاعت عنه، وأنتشر ذكرها على كل لسان، فولّى بسببها هاربا خائفا.

قال في مطع قصيدته[٣٢٣]: (من السريع)

يـارؤســـاء الناس منْ إربلِ

مـــا أغــربَ الحُـــرّ بناديكُمْ

حـرام مَنْ جـاءكُمْ ســائلا

واخـيـبـة المسْعى لِراجيكمْ

وقد جاءت هذه القصيدة في وقت كان الأتجاه السائد في فن الهجاء إعتماد الشعراء في الامارة على مقطوعات قصيرة جداً أو أبيات معدودة، ويبدو أن الشاعر أراد الأنتقام من الجميع وخصّهم بهذه القصيدة الطويلة.

وثمة أتجاه آخر في فن الهجاء وهو الهجاء الشخصي الذي يقوم على الانتقاص من قيمة المهجو وأظهار معايبه وهذا ما ينسجم مع هدف الهجاء الذي هو " الحطّ من قدر المهجو في غالب الأحيان، وكذلك بأن يجعله الشاعر ضحكة للسامع وتفكها للناس فيصوره بصورة مزرية"[٣٢٤] فيجيء هذا الهجاء معتدلاً لا تعدو معانيه المعايب الخلقية كالبخل و المكر و الغدر و الخيانة و الخبث و اللؤم .

وقد نظم الحاجري في هذا اللون معظم هجائه، وأتهم في أحد أهاجيه الشاعر مجد الدين النشابي بالبخل، فقال[٣٢٥]: (من المقارب)

وذ والمجـدِ ليس له لُقـمَـةُ

يُقَـدمُ يـومــاً لـزُوارِه

أما أغلب هجائه الشخصي فيدور حول شخص يلقبه بـ "زبالة" ويظهر أنه كان أحد المقربين من الأمير ركن الدين بن قرطايا، ولعلّه هو الشخص نفسه الذي لعب دوراً رئيساً في الوقيعة بين الشاعر وهذا الأمير.

والحاجري يجمع في فنه بين هجائه لهذا الشخص ومدحه للأمير، بقوله[٣٢٦]: (من الطويل)

ألا قُل لركنِ الدينِ ذي الفضلِ والحـجا

مـقـالة غَـيـر انٍ عليـهِ إذا زلاّ

زُبـالـةُ لا بـأســاً لـديـهِ ولا نـدى

بنيلٍ ولا رأيا سـديداً ولا أصـلا

أعـيـذُك أن يعلو بسـاطك أسـود

من المجـدِ لَم يجـمـع لمكرمـة شـمـلا

ويدخل أهاجي الياس بن جامع الاربلي[٣٢٧] ضمن هذا الاتجاه حين نراه يهجو شخصاً يدعى كمالا، بقوله[٣٢٨]: (من البسيط)

قـالوا الكمـالُ يزيديُ فـقلتُ لهمْ

لاتـأمـنوه وكـونوا منـه في حَـذَرِ

أضحى بسؤ أعتقادٍ من الوصي وفي

أبنائِهِ النجـــبــاءِ السّــادةِ الزّهرِ

أعــمى الفــؤادِ وأعــمى العين إذنْ

على القياسيْنِ أعمى القلبِ والبَصَرِ

وقد ذكر الشاعر مساوئه التي تتمثل في سؤ أخلاقه، وقلّة أدبه، ونعته بالجاهل الأعمى.

ومن أصناف الهجاء، الهجاء الخلقي، وفيه يحاول الشاعر سلب المهجو بعض الصفات الانسانية، ويقدم نماذج بشرية مصابة بعاهة أجتماعية، نذكر على سبيل المثال أبا الربيع الاربلي، يهجو الشيخ شهاب الدين محمد بن يوسف التلعفري[٣٢٩] الذي قامر بثيابه وخفافه، فقال فيه[٣٣٠]: (من الخفيف)

مـا رأينا ولا سـمـعنا بشـيخٍ

قـبلَ هذا مـقـامِـر بالخـفـافِ

يَدّعي نسـبـةً إلى آل شَـيْـبا

نَ وتلك القـبـائلِ الأشـرافِ

مثلَ نجدٍ لو أستطاعتّ لقالتْ

ليس هذا الدعي منْ أكنافي

وَهُم ينكرونَ مـا يدعـيـهِ

فـهـو والقوم دائماً في خلافِ

وقد يتجه الشاعر في هجائه إلى الجمع بين الهجاء والاعتذار و المديح فهذا أنو شروان البغدادي[٣٣١] الذي ورد أربل هجا أهلها بقوله [٣٣٢]: (من السريع)

تباً لشيطاني وما سوّلا

لأنــه أنـزلـنـي أربـلاً

نزلتهُا في يوم نحْس فَما

شككتُ أني نازلُ كـربلا

ثم يعتذر قائلاً:

قدْ تاب شيطاني وقد قال لي

لاعدتُ أهجو بعد كم أربلاً

وأخيراً يمدح أحد رؤسائها – وقد يكون الوزير أبن المستوفي أن لم نكن مخطئين، لأنه كان

ممدوح أغلب الشعراء الوافدين على أربل – بقوله:

كيفَ وَقَد عاينتُ في صدرها

صدراً رئيساً سيّداً مقبِلا

وقد يكون الجميع بين الهجاء والتأنيب، كما جاء ذلك في شعر خطيب أربل وقاضيها جعفر بن هبة الله الاربلي الذي دخل يوماً على أحد موظفي الأمارة وكان قد درّسه الأدب و النحو، فلم يهتم به، فجلس متألما، وقال فيه أرتجالا مشيراً إليه(٣٣٣): (من مخلع البسيط)

هذا مــقــامي لديكَ يامَنْ

أقــــام دهـراً وراءَ بـابـي

أقـصى أمـانيـهِ قُـربُ إذنٍ

في دولةِ الحُسنِ والشّبـابِ

إن كنت أنسيتَ ذاك فـانظرُ

في فــردِ بابٍ من الكتــابِ

فلما سمع الأمير مظفرالدين الخبر أمر بعزل هذا الموظف(٣٣٤) وهنا قام هذا الفن بتصحيح بعض القيم في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد.

ويلاحظ أن عدداً من الشعراء وجهوا هجاء هم صوب أصحاب الحرف، ولا سيما الأطباء، فوصفوهم بالجهل في مهنتهم وقد هجا الحاجري الطبيب أبن شمعون بقوله(٣٣٥): (من السريع)

أفتى أبن شمعونَ جميع الورى

فـليتَ لو يـعــــدمنا طبـــهْ

لستُ أطيلُ الشرحَ في وَصفِه

لو عـالجَ الخضْرَ قـضى نحبهْ

وهجا أبن الماشطة الاربلي(٣٣٦) طبيباً يلقب بـ "معافي" بقوله(٣٣٧): (من الكامل)

من شاء ينظُر في الورى ضدّ أسمه

فلينظرنْ إلى مــعـــافي يكتــفي

طبـــيب إذا عـــاد المريضَ تزايدت

أمــراضـــهُ وإذا تجنبـــهُ شـــفي

وسلك النشابي الاتجاه نفسه في هجائه للطبيب سعد الدين الدمشقي(٣٣٨) وكان قد عاد من

الحج بقوله[٢٣٩]: (من مخلع البسيط)

حج سـعـيـدُ الطبـيب عـامـاً
وهـو من الاثم غــيــرُ ناجي

مــــاحـج الا يـتــــوب مما
قـــد قـــتل الناس بالعـــلاجِ

لا يقـــبلُ اللّه منه حـــجـــاً
لأنـهـــا حـــجـــة المداجي

وثمة نوع آخر من الهجاء في شعر الامارة يعرف بهجاء المدن، وقد عَده أحد الدارسين المعاصرين أتجاها جديداً ظهر في القرن الثاني الهجري[٢٤٠] وقد أستمر إلى هذه الحقبة التي نحن بصدد دراستها، وهي فترة وجود أمارة أربل.

وأنساق الشعراء بدوافع مختلفة إلى النظم في هذا الفن، وربما ذّموا تلك المدن من خلال الطعن في ساكنيها[٢٤١] وأسباب هذا الهجاء متعددة، وتتخذ أشكالاً مختلفة، منها أن بعض المدن التي كان يسكنها الشاعر ضاقت عليه بما فيها، كأن يعاني من شظف العيش، أو كون المقيمين فيها أناسا لئاما لايحسنون معاشرة الأخرين، وهذا ما كان يهدف إليه الشاعر أبو محمد الأربلي الكردي الهذباني في هجائه لاربل وذم أهلها بقوله[٢٤٢]: (من الوافر)

لحـــاكَ اللّه مِنْ بلدٍ خـــبـــيث
فلسْت تطيبُ الأ للغــــــريبِ

أإربلُ لا ســـقـــاكَ اللّه غــيـــثـــاً
فـقـــدْ أقـــفـرتَ مِنْ رجل لَبـــيبِ

أرى الغـــراء قـــد مُلئت لئـــامـــا
وقـد ضـاقت على النصحِ الوهوبِ

فـمـــا في مـالكيـهـا من مـعينٍ
على صـرفِ الزمـانِ ولا الخُطوبِ

ولا في قـــاطنيـــهـــا أريحَيُ
ولا في ســـاكنيـــهـــا من طَروبِ

ويلاحظ في شعر الإربليين وجود الهجاء السافر الذي نضج على يدي أبن الرومي، وأكتملت صورته في شعر المتنبي[٢٤٣] فالحاجري رسم صورة سافرة لا بن شيخ أربل الذي اتخذ من الأدعية و الشعوذة وسيلة للضحك على ذقون الناس، فنال منه، وهنا نجد الشاعر يمثل دور

الناقد الاجتماعي لمساوئ مجتمعه، فيقول[٣٤٤]: (من الطويل)

فتى الشيخِ لا ينفكُ عن ظَهر بغلةٍ
لنقلِ حـديثٍ مـا سـواه له راوي
يُريكَ ابتـهـاجـاً في اللقـاء تظنهُ
ودِاداً وفعلُ الغدر في قلبـهِ ثاوي
يُلفق في الناسِ المسـاوي بخطهِ
رقاعاً فلا ينفك صباً بها غاوي

ونجد أن ثمة هجاء للأقوام والدول[٣٤٥]: (من البسيط)

بُعْداً لقومٍ غدَوا مِن عظمِ ما جهلُوا
يعلوا النواةُ بهم فـوقَ النمـاريرِ
ودواةٍ ظلّ أعناقُ البُـزاة بهـا
مـجـرورةً بمناقيـرِ العصـافيـرِ

وهجاء في حمّام[٣٤٦]: (من الطويل)

لحا اللّهُ حمـامـاً أرتني صروفـها
بعـينيَ فـيـهـا ضـدّ مـا أتمناهُ
أرتني اَستَ منْ لاقدرة لي بأنْ أرى
كـمـا كـانَ مـا بينَ الأنام مُـحـيـاهُ

وقد ضمنوا هجاءهم - أحيانا - بعض شعر السلف ومنه قول الحاجري[٣٤٧]: (من الوافر)

زبالةُ لا لشـــرّ أنت ممنْ
يرجُـيـهِ الصـديقُ ولا لخـيـرِ
لقد صَدَقَ الذي قد قال قدما
" فغضّ الطرفَ أنكَ من نميرِ"

ويبدو من خلال الامثلة الشعرية السابقة أن الشعراء لجؤوا في هجائهم إلى أستخدام الأساليب السهلة، واللغة الواضحة وابتعدوا عن الالفاظ الجارحة، وأكتفوا بالأبيات القليلة ليسهل تداولها، وفي قصر الهجاء، قال أبن رشيق:

"جميع الشعراء يرون قصر الهجاء أجود"[٣٤٨]

الوصف:

يعد الوصف من أشمل الفنون الشعرية، لأنه يتناول الأغراض الشعرية جميعها، وفي هذا الصدد قال أبن رشيق القيرواني: " الشعر الاّ أقله راجع إلى باب الوصف"[٣٤٩] فالمديح يغدو وصفا للمدوح، والهجاء وصفا للمهجو، والافتخار وصفا للمفتخر، والرثاء وصفاً للميت وهكذا[٣٥٠] فهو عماد أكثر الألوان الشعرية.

وقد تطور هذا الفن وازد هر في العصر العباسي نتيجة لتطور الحياة الاجتماعية وأنتشار المعالم الحضارية، وتعددت جوانبه إلى حد بعيد، وكثر تداوله في شعر الإربليين.

وجاء وصفهم في قصائد ومقطوعات وفي الأغراض المختلفة، وقد جرى الحديث من بعض مظاهر هذا الفن في دراستنا للموضوعات الشعرية الأخرى ضمن هذا الفصل، لذا فان وصف الطبيعة يقع ضمن أولويات أهتمامنا، وفي هذا الجانب يرى الدكتور شوقي ضيف أن شعر الطبيعة شعر متأخر الظهور بالمقارنة مع أقرانه، فقد نما حين قرب الشعر من التعبير عن الحوادث اليومية، وأصبح أدنى إلى الواقع الحسي[٣٥١] " فقد مر شعراء العصرين الجاهلي والأموي الآف المرات على الأزهار مصفّرها ومحمرها دون أن يلاحظوا في ذلك شيئاً سوى جمال منظرها"[٣٥٢] فأصبح التجاوب الوجداني كبيراً بين الشاعر ومظاهر الطبيعة المختلفة[٣٥٣] وفضلاً عن ذلك فأن الشاعر قد زادت صلته الشخصية بالطبيعة فأصبحت تثير في نفسه أستجابة ذاتية بعيدة عن النمط التقليدي.

ونحسب أن القسط الأكبر من شعر الوصف في الامارة كان من نظم أبن الظهير الذي كان له فيه خيال خصب، وقدرة فائقة على التصوير، وهو الرائد الأول في هذا الفن. والطبيعة عند الحاجري نديم خلواته، يمتع النظر بجمالها، والتلذ باحتساء الخمرة بين أحضانها، فجاء وصفه لها مسترسلاً من غير صنعة، وهو يكثر ضمن شعره الخمرى، ويأتي وصف الطبيعة عند النشابي من غير قصد كمقدمات لمدائحه، حرصاً منه على التقاليد الشعرية التي تتطلب أن تطعم قصيدة المديح بالفنون الشعرية الأخرى ولا سيما الوصف.

فالربيع ومظاهره الخلاّبة هو الشيء الوحيد الذي شغل بال أبن الظهير فهو يبهره ويهزه، ويثير عواطفه، فيناجيه بشعر وجداني صادق قلّما نجد نظيراً له عند الآخرين من الشعراء في الامارة، كما في قوله[٣٥٤]: (الكامل)

والأرضُ قد لبستْ ملاءة سندسٍ

تثني على نؤ الغمامِ الباكرِ

نسجتْ لها أيدي السحاب مطارفاً

مـــوشـــيـــةً مِن كل لونٍ باهرِ

من أحـــمـــر باكٍ وأبيضَ باسمٍ

أو أصفرٍ شاكٍ وأخضر شاكرِ

قد شق لطم القطر خدّ شقيقه

وحبت عليه يدُ السحابِ الماطرِ

ويلحظ أن الشاعر – في الغالب– يجمع بين وصف الربيع والدعوة إلى شرب الخمرة في أحضانه:

فاشربْ على وجه الربيعِ مدامةً

قَد قُلدت في كأسها بجواهرِ

جليت فنقطهـــا المزاجُ بلؤلؤٍ

متساقطٍ من كأسه متناثرِ

يُغنيك عن ضوء النهارِ شُعاعُها

كالشمسِ في فلكِ السرورِ الدائرِ

ويسلك الحاجري المنهج نفسه في وصف الربيع، في قوله[٣٥٥]: (الكامل)

وَترنم الأطيـــار تحـــسبُ أنهـــا

أصـــواتُ شـــادٍ مُطربِ الألحـــانِ

وترقرق الماء القراحِ على حَصىً

كـــالدرّ واليـــاقـــوتِ والمرجـــانِ

وينهي الشاعر بوصفه شرب الخمرة وأرتشاف لذتها مع ندمائه:

اللّهُ أكـــبـــرُ مـــا ألذ لشـــاربَ

زمنِ الربيعِ وصـــحـــبـــة الإخـوانِ

أأبيتُ مْنِ رشفِ المُدامــة عــاطلاً

لا والصـــبـــوح أليـــةِ الندمـــانِ

والشاعران في وصفيهما متأثران بمظاهر الربيع وشرب الخمرة في كنفه، وهذا ما يثير الانتباه لا ختلاف في نمط حياة الشاعرين، فالحاجري رجل تهمه الدنيا وما فيها من متعة

ولذة، وهو يعبر عن حياته بصدق، أما الآخر فهو المشهور بالتقوى والتزهدعن حطام الدنيا الفانية، وعلى أي حال فقد يكون الاتجاه السائر في تلك الحقبة هو الجمع بين وصف الربيع ومعاقرة الخمرة في أحضانه.

وقد أستأثر الربيع بأهتمام الحاجري، وفي بعض قصائده تبدو ظاهرة التجسيد بيّنة في ثنايا أبياته حين يشبه أزهار الربيع المختلفة بأشياء لطيفة تثير الأعجاب، كما في قوله(٣٥٦): (المجتث).

لا والربيعِ النضيرِ
وَزَهْرِهِ المُستنيرِ
من نرجسٍ وأقاحٍ
كأعْيُنٍ وثغورِ
وياسمينٍ كلون الـ
مُتَيمِ المهجورِ
وسوسنٍ كنجومٍ
أشرقنَ في ديجورِ

وقد أمتلك الشاعر مقدرة فائقة على نقل الأشكال الموجودة كما تقع في الحس و الشعور والخيال حين شبهّ صورة النرجس بوجه حسناء باسمة، وصور لون الياسمين بلون العاشق الولهان، وزهرة السوسن بنجوم تتلألأ في الليلة الظلماء وهذه ملكة عالية تستمد قدرتها من سعة الشعور حينا ومن لطافته حينا آخر(٣٥٧) ويظهر أن عدداً من شعراء اربل تأثروا في وصفهم للربيع بشعراء آخرين أبدعوا في هذا الفن، و فاقوا فيه غيرهم، منهم الشاعر بهاء الدين علي الاربلي في قوله(٣٥٨): (من الكامل)

والطلّ ينثرُ في الرياض دُموعهُ
والزهرُ يضحكُ في خلالُ بكائهْ
وتخالُ أنفاسَ النسيمِ عليلةً
عَجباً وتشفي الصب مِنْ برحائهْ

وقد تأثر ببيت البحترى المشهور(٣٥٩): (من الطويل)

أتاكَ الربيعُ الطلق يختالُ ضاحكاً
من الحُسن حتى كادَ أن يتكلماً

وعند النظر في فن الوصف عند النشابي نراه قد برع وتميّز فيه بذكر المشاهد البدوية، مقلداً شعراء السلف في صورة حَسية مركبة نابضة بالحركة والخيال، بنحو قوله(٣٦٠): (الكامل)

نِعمَ الحداةُ وحث كاساتِ السُرى
جَعَل المطايا كالحنايا ضُمّراً
نشوى يرنحها السهادُ كأنما
قد أسكرتْ أجفانها خمر الكرى
لمّا انبرتْ والبر يقذف بحرهُ
ألاّ يرى أنضاعها جذبَ البرى
خَضَبَتْ مناسمهُا الثرى فكأنما
خذلتْ على البيداء جسراً أحمراً

ومن الوان الوصف الشائعة في الامارة، وصف المدن، وقد كان قصب السبق فيه بيد أبن الظهير، فهو من المبرزين المجيدين فيه، والمناظر الخلابة في الطبيعة الساحرة في قصيدة طويلة تربو على مائة بيت مطلعها(٣٦١): (طويل)

لعلّ سنا برق الحمى يتألقُ
على النأي أو طيفاً لأسماءَ يطرُقُ
فلا نارها تبدو لمرتقبٍ ولا
و عودُ الأماني الكواذبِ تصدُقُ

ويبدو على النشابي تعلقه الشديد بوصف الديار، فقد أثارت نكبة مدينة أربل في نفسه مشاعر وأحاسيس شتى، فخاطب دِمن أربل وبكى عصراً أذ طوى أمنيات شبابه المتنعم بقوله(٣٦٢): (طويل)

ديارُلها بالجزعِ فالمتقلمِ
أخاطبُ منها دمنةً لم تكلمِ
عُنيتُ بها دهراً أجررُ دونها
ذُيولَ شبابِ الناعمِ المتنعمِ

ثم مضى يصف ربى أربل الخصبة التي جادت عليها السحب فامتلأت غدرانها، وطابت مراعيها، وترنمت طيورها فرحا:

مـواطِنُ كـانت قـبلَ وقـعـة أربلٍ

تنافرُ فيها الغيدُ من كلّ مجثمِ

فـأمسَتْ خلاًّ أنْ أناختِ بربـعها

ركـابٌ ففي مـسـتوبلٍ مـتـوخمِ

سقى إربل الغرّاء صوبُ غمامةٍ

لعلّ ثراه بعـدَمـا جفّ يرْتمي

وقـد أكـثـر الشـعـراء وصف أربل في مـقطوعـات عـديدة[٣٦٣] وهذا عـمـر بن شـمـاس الخزرجي[٣٦٤]يصف " النيلوفر"[٣٦٥] بالبركة التي كانت بالقناةالمهدمة بظاهر أربل، ولم يكن بستان أجمل من بستانها بقوله[٣٦٦]: (من الطويل)

ونيلوفـرٍ مـثل النجـوم ببـركـةٍ

كَلونِ السماء وهي منْ خصر عذْبِ

يَمـيلُ مع الشـمسِ المنيـرةِ مثلما

تميلُ عيـونُ العـاشـقينَ مع الحُبّ

وثمة أشياء أخرى وصفها الاربليون منها الطيف، وقد خصّه معظم الشعراء بأبيات بديعة، وأغلب الظن في هؤلاء أنه كان يتعذر لقاؤهم مع محبوباتهم بسبب الظرف الأجتماعي الخاص لاربل، مما يضطرهم إلى تصورها في مخيلتهم، فيتحدثون عن ذلك الطيف الذي كثيراً ماكان يزورهم ليلاً وكأنه المعشوقة الحقيقة.

فالجميع أسهموا في وصفه حتى دفع أحدهم لتأليف كتاب فيه[٣٦٧] وهذا أبن الظهير يتحدث عن طيف العاشق الذي يأتيه وهو نائم فيقول[٣٦٨]: (مجزؤ الكامل المرفلِ).

أتـظـنّ أنـك عـــــاشـقُ

وتبـيتُ في المحـبوبِ حـالمْ

الطـيـف أعـــشقُ منكَ إذْ

إذْ يسـري إليك وأنت نـائم

وللطيف معنى طريف عند الحاجري أذ عدّه ذا أخلاق مرنه لايعرف القسوة على العشاق وأنما يظل نديمهم إلى الصباح أو الفجر في قوله[٣٧٠]: (دو بيت)

مـا طيـفُك الاّ حُـسنُ الأخـلاقِ

لايعـرفُ قـسـوةً على العشـاقِ

إنْ أجـحـدْ فـضلهُ من أنكرني

كمْ بات منادمي إلى الإشـراقِ

وأحَبّ الأربليون الجمال، وشغفوا بوصف فتنته، فقد وصل حب الشعراء للجمال حّدا حل القلب فيه عند البعض محل العين في تقديره والأحساس التام به فأصبح ضريرهم عاشقاً حين صّور العزّ الأربلي محبوبته في الضمير بقوله(٣٧١): (من السريع)

وَكـاعبٍ قـالتْ لاترابـهـا

يا قوُم ما أعجبَ هذا الضّريرْ

هَلْ تعشقُ العينانِ مـالا ترى

فـقلتُ والدمع بعـيني غـزيرْ

إن كانَ طرفي لايرى شخْصها

فإنها قد صُورتْ في الضميرْ

ويبدو أنه أفاد في ذلك من قول بشار بن برد الذي كان سمعه سببا لعشقه دون بصره كما قال(٣٧٢):(من البسيط)

ياقومُ أذني لبعض الحي عاشِقةٌ

والاذن تعشق قبلَ العينِ أحيـانا

قـالوا بمنْ لاترى تهذي فقلتُ لهمْ

الأذنُ كـالعينِ توفي القلب مـاكـانا

وأولع أمين الدين الاربلي(٣٧٣) بالجمال، أنى وجد، الجمال الذي لايوجد فيه ريبة مادام اللّه سبحانه قد أعتنى به، صوره أحسن تصوير، وقد عَبر عن ذلك بقوله(٣٧٤): (من الخفيف)

قـبلَ تهـوى الجمـالَ قلتُ لهم مـا

فـيـه عـيب إن لم يكن فـيـه ريبـهْ

كـيف لا أعـتني بمنْ يعـتني اللّـ

ـهُ بهِ إن ذي عـقـولُ عـجـيـبـهْ

وقد أستأثر الخال بأهتام الشعراء، وذهبوا في وصفه مذاهب شتى، وخاصة الحاجري الذي نظم فيه أبياتاً عديدة، مثل قوله(٣٧٥): (من مجزوء الخفيف)

لكَ خـالُ مِنْ فـوقِ عَـرْ

ش شـقيق قد أستوى

بعَثِ الصــدغُ مــرسَــلاً

يــأمُــرُ الناسَ بـالهــوى

وهنا وصف الخال الذي فوق جبين محبوبه، وكأنه حسناء جالسة فوق العرش تسبي قلوب الناظرين، ووصف أيضاً الخال الذي في خدّه بقوله[٢٧٦]: (من الكامل)

ومـهفـهفٍ منْ شعرهِ وجبينــه

يغدو الورى في ظلمـةٍ وضـِيـاء

لاتنكروا الخـالَ الذي في خـدّه

كل الشـقيق بنكتـةٍ ســـــوداءِ

وفي المعنى نفسه قال أبن الظهير[٢٧٧]: (من مجزوء الرجز)

وفي الشـقـيقُ نكتــــةُ

تبــدو لعينِ المبــصــرِ

كـأنـهـا خـالُ علــــى

صَـفـحـةِ خـدٍّ أحـمـرِ

وعند إستقراء شعر الوصف نقف على أنماط مختلفة منه كوصف الطعام[٢٧٨] ووصف البرق[٢٧٩]، وكذلك وصف الشيب الذي قال فيه أبو يعقوب الكفرعزى الاربلي[٢٨٠] دداعيا إلى مراجعة النفس و التعقل بعد أن ذهبت نضارة الشباب وأقبل الشيب يغزو[٢٨١]: (من البسيط)

ياراكبـاً في بحـار الظلمِ ملتـحـفاً

فيَّ الشـبـاب وقـدْ غـمتْ غيـا هبـهُ

أفعالكُ السودُ سبق الشبـاب بها

وأبيضّ فـودكَ فـافـعلْ مـا يُناسـبـهُ

إن النضــارةَ قــدْ ولّتْ تطايرُهــا

وأقبلَ الشـيبُ تغـزونا كتـائبِــه

ويذهب ابو الربيع الأربلي في وصفه للشيب مذهباً آخر يرد فيه على المتشائمين الذين يرون في الشيب نذيراً للموت، وهو مذهب المتفائل بالحياة فيقول[٢٨٢]: (من البسيط)

قــالوا المشـيـبُ نذيرُ الموتِ قلتُ لهمْ

كمْ منِ صـغيرٍ قضـى نحبـاً ومـا شـابا

وكمْ رأينا فــتـىً الّسن قَــدْ علقتْ

بِهِ شـعـوبُ وشـيـخــاً عـاشَ أحـقـابا

ووصف الشعراء أيضاً، العيون التركية الضيقة[٣٨٣]، الحديث[٣٨٤] والمدارس، ووصف النشابي المدرسة المستنصرية التي أمر باعمارها الخليفة المستنصربالله بالجانب الشرقي من بغداد على شاطئ دجلة بقوله[٣٨٥]: (من الخفيف)

عـمّــرَالله بيت علْم ببَـغــدا

دَ مَــشـيــداً وجنّةً وقــصــورا

جنةُ مـــا تَرى لضـــوء سناها

حيثُ مالتْ شمساً ولا زمهريرا

ووصفوا الشباب، كما جاء على لسان صفي الدين منصور الاربلي[٣٨٦]: (من الكامل)

أشتاقُ أيام الشباب وحسنَ ما

فَـعلتْ وحقّ لمثلهـا يُشـتـاقُ

رُدّوا علّي منَ الشباب بقدرِ ما

كسَدَ المشيبُ فللشبـاب نفاقُ

و الملاحظ أن الشعراء قد توسعوا في وصف الطبيعة الجامدة منها الورد[٣٨٧] والعود[٣٨٨] فضلاً عن الأمور المعنوية كالليل[٣٨٩]. وقد وصف أبو العباس الاربلي[٣٩٠] ساعة، بقوله[٣٩١]: (من الخفيف)

قيلَ لي أيّ حكمـةٍ في سماعِ الطْ

طَبلِ ظُهــراً وعندَ وَقْتِ الأصـــيلِ

قلتُ ساعاتنا تـخبرُ أنـــــــــا

نحنُ سـفـرُ والطبلُ طبلُ الرّحـيلِ

ووصف شيطان الشام دواليب رآها على شاطيُ دجلة، قائلا[٣٩٢]: (من الكامل)

رأيتُ بشاطي دجلةٍ لا عـدمـتـهـا

دواليبَ منها الماء كالسيلِ يدْعجُ

لرأدِ الضحى منْ فضةٍ في متونها

رداءُ وَمن وشـي الأصـــائل زَبرجُ

إذا انسابَ منْ كيزانها الماء خلْته

عـواميـدَ بلور منَ القـار تخـرجُ

ونختم كلامنا على هذا الفن في الحقبة بأبيات في الوصف لياقوت الحموي[٣٩٣] الذي زار اربل وقد وصف كتابه[٣٩٤] بطلب من الوزير ابن المستوفي بعد أن قرأ عليه جزءا من مقدمته مع اعترافه بقلة بضاعته في الشعر، وركاكة نظمه ونشره، بقوله[٣٩٥]: (من الطويل)

فَكَم قَدْ حَوى منْ فَضل قولِ مُخبرٍ
وَمِنْ نَفرْ مصقاعٍ ومن نظم ذي فهمٍ
وَمِنْ خَـبَـر حُلوٍ ظَريفٍ جِـمـعـتـهُ
على قـدم الأيام للعـرب والعـجمِ
ولو أنني أنصـفـتـهُ في مـحـبـتي
لجَلّدتهُ جلْدي وصندقـتـه عظمي
عَـزيز علي فـضلي بأن لا أضـيـعَـهُ
على بذلهِ للطائفينَ على العلمِ
ولو أنني أسطيعُ منْ فـرطُ حـبـهِ
لما زالَ مِنْ كفي ولا غابَ عَنْ كُمـيَ

الخمريات:

يمثل شعر الخمريات موضوعاً تقليدياً من موضوعات الشعر مثل المديح والهجاء والرثاء، اذ لابد لكل شاعران يدلي بدلوه فيه كي يثبت شاعريته في ميدان الأدب.

وقد شاع في هذه الحقبة من حكم الامارة، موقف من الحياة على انها قصيرة وعابرة، وهو يمثل "فلسفة تمتد جذورها إلى عصرابي نواس. وكان اربابها يعتقدون ان الحياة قصيرة المدى، فيجب ان لايضيعها الانسان سدى، وانما علينا ان ننهب منها كؤوس اللذات"[٣٩٦] واستناداً إلى هذا الكلام فأن هذا الفن يعد تجسيداً للجانب العابث واللاهي من حياة الناس.

ويعد الحاجري في مقدمة الشعراء الذين عبّروا عن هذا الموقف بواقعية ملموسة، واستند في وصفه للخمرة إلى مبدأ اقتناص اللذة، فالعمر قصير وان طال، فهو ليس اكثر من لمعة سراب، فقال[٣٩٧]: (من الخفيف).

فـاذا امكنتك فـرصـة لهـوٍ
فـاقـتـدحُ مِنْ زنادها بشـهـاب
وتغنم صـفـو الزمـان فـإن الـ
عـمـر إن طال لمعة مِنْ سـرابِ

وبشاطره النشابي في الموقف نفسه، بقوله[٣٩٨]: (من البسيط)

يا راقـداً مِنْ زمـان اللذة انتـبـه

فالوقتُ سمحٌ وهذا العيشُ أنتَ بِهْ

والحقيقة ان هناك عوامل عديدة تؤدي إلى شيوع شعر الخمرة منها عوامل اقتصادية واجتماعية وأخلاقية، ونحن نرى فقدان هذه العوامل في حياة هذه الامارة الهادئة، فالجميع ينعمون في ظل أميرها العادل مظفر الدين كوكبرى، ولا شيء يدعو إلى تعكير صفو الحياة ويثير القلق واليأس في النفوس لكي ينصرف بعضهم إلى شرب الخمرة والتهافت عليها.

وهكذا يدرك دارس هذا الفن أن الذي نظم فيه ما هو الاّ تقليد لايمثل الواقع باستثناء بعض مقطوعات الحاجري الذي يعد رائد هذا الفن في مجتمع اربل، فعشقه للخمرة لاحدود له، وهي منتهى طلبه، وغاية مراده، وهو القائل [٣٩٩]: (من الدوبيت)

مـا أطيبَ مـاأبيتُ سكران طَريحْ

لا أفـرقُ مـا بين جـميلٍ وقـبـيحْ

والديكُ إلى الصبح يدعو ويصيح

مـافـاز بما يأملهُ قط شـحـيحْ

ثم أليس هو القائل ايضاً؟[٤٠٠]: (من الدو بيت)

مَنْ شـاء له السـؤالَ عن أخبـاري

فليـسـأل عني حـانة الخـمـارِ

كـأسُ بيدِ السـاقي وكـأس بيـدي

والعـودُ منادي إلى الأسـحـارِ

والملاحظ ان شعر الخمرة قليل في الامارة، فالنشابي يمّربه مرورا سريعاً، ويمزجه بوصفه للطبيعة. كما في قوله[٤٠١]: (من الخفيف)

نبـه الظبي من كناسِ النعـاسِ

ان داعي الصَبوحِ قد حث كاسي

أومـا تنظر الثـريا وقـدْ ولـ

ت إلى السـغـرب رخـوة الأمـراسِ

ولقـوصِ السـمـاء مِنْ بندقِ الشـهـ

ب مـرامٌ والبـدرُ كـالبـرجـاسِ

أما الحاجري فإن شعره الخمري يمتزج مع غزله حتى ليصعب فصلهما أحيانا، ومنه قوله [٤٠٢]: (الكامل)

قسماً بمَرشفهِ الشهيّ السكري

فبغير خمرة ريقهِ لم أسكرِ

ويجمع ابن الظهير شعره الخمري مع وصف الطبيعة في ابيات معدودة قليلة وأحياناً نجده يمزجه بشعره الغزلي، مثل قوله[٤٠٣]: (الطويل)

حَوى الغاية القصوى مِن الحُسنِ وجهُهُ

وها أنا في وجدي بهِ الغايةُ القُصوى

وفضلةُ كأسي أسكرتْ كُلّ عاشقٍ

فكيف بهم لو أنهم شربوا الصفوا

ويبد وأنه هناك شبه أجماع شعراء هذه الحقبة على السير في اتجاه واحد وهو الدعوة إلى معاقرة الخمرة في احضان طبيعة اربل الساحرة ولاسيما في ايام الربيع، فهذه دعوة ابن الظهير الاربلي المعبر عنها بقوله[٤٠٤]: (الكامل)

فَاشربْ على وجه الربيع مدامةً

قد قلدتْ في كأسها بجواهرِ

ويمثل دعوة الحاجري قوله[٤٠٥]: (الكامل)

اللّهَ اكبرما ألذ لشاربٍ

زمن الربيع وصحبة الإخوانِ

وقد نحا الشعراء الآخرون هذا المنحى نفسه، فهذا ابو العزّ الاربلي الضرير يطلب من نديمه أن يسقيه حتى يسكر، ويغني له حتى يطرب، فأن ذلك عنده خير من تسبيحات النساك[٤٠٦]: (من البسيط)

قُم يانديمُ إلى الإبريق والقَدَحِ

هات الثلاثة وسل ما ثبت واقترِحِ

وغنّ إن غادرتني الكأس مطرحا

وأنت ياصاحِ صاحٍ غيرُ مُطرَحِ

إني لافهم في الاوتار ترجمةً

ما ليس تفهمه النساكُ في السبحِ

وكذلك يدعو ابو الربيع الاربلي نديمه إلى الشرب، وطرح الهموم لأن الجو طاب بمجيء ايلول، والكأس المترعة تحاكي الشّمس في بريقها، بقوله[٤٠٧]: (من البسيط)

إشــربْ فــشــريك هذا اليــوم تحليلُ
وانف الـهــمــوم فــقــد وافــاك أيلولُ

أما ترى الشمس وسط الكأسِ طالعةً
مُنيـــرةً ونطاقُ البـــدر مـــحلولُ

وظل الشعراء في الامارة عيالا على ابي نواس في تجسيد معاني الخمرة وصفاتها التي وردت في شعره الخمرى، فقد وصف النشابي خمرته بالقدم فقال[٤٠٨]: (رجز)

وَقــهـــوة شُـــعـــاعــهـــا
كــالشــمس مِنْ تحت الشــفقْ

تـخــــبــــرنـا عن آدم
قِــدمـــاً وَمن خــصف الورقْ

والحاجرى ينعتها بالبريق واللمعان في قوله[٤٠٩]: (بسيط)

قُمْ فانتـهز فرصة اللذات والطربِ
وآشرب معتقةً صفراء كالذّهبِ

ولقد أعاد الشعراء هذه الأوصاف والمعاني عشرات المرات[٤١٠] وظهرلنا من خلال دراسة هذا الفن أن ليس ثمة وصف دقيق للندامى فنصيب الشعراء من هذا الوصف قليل، ولا غرو أن شعراء تلك الحقبة قد وصفوا نداماهم بأوصاف عديدة من كرم الأصل وحسن الخلق[٤١١] وهذا مالم نلاحظه عند شعراء اربل.

ومع هذا الاهمال لوصف الندامي، بيد أن الشعراء منحوا لوصف السقاة قليلا من الاهتمام، فهذا ابن الظهير يتسلم كأسه من كفّ ساقية حسناء، قال فيها[٤١٢]: (مجزوء الرجز)

مِنْ كف مــعــشــوقِ الدّلا
لِ ذي رضـــــابُ يسكرْ

يصــونُ زهر الحُــسن أنْ
تجنى بغـــيـــر النظرْ

ومنهم من خرج عن وصف السقاة إلى التغزل بهم، فالحاجري نشد الجمال اياكان مصدره، وها هو ذا يتغزل بقساة الأديرة من الغلمان، فيقول في غزله بالمذكر[٤١٣]: (خفيف)

وغلامٍ حلُو الشمائل قد الـ

قى على خدِّهِ المدام شعاعهْ

يتثنى كالخيزرانةِ بالرّا

حِ فيحيي بمقلتيه الجماعهْ

والطريف أن شعراء اربل وهم يسعون إلى العثور على معاني غير مطروقة لم يتورعوا من أن يفيدوا من المعاني الدينية في هذا الغرض جميعا لأمرين هما على طرفي نقيض تماما ويبدو ان بعضهم لم يضع لقيم الدين أي اعتبار. كما في قول الحاجري[٤١٤]: (خفيف)

يانديمي عرجا بي جميعاً

نشرب الرّاح كالصلاةِ جماعهْ

خمرةً لو رأى العزيز بمصرٍ

لونها في الكؤوس أرهن صاعهْ

ولتحقيق الغاية من دراسة هذا اللون من الشعر، ينبغي ان نوجه بعض الاهتمام إلى الديارات، ونحن من جانبنا نظن أن هذا النوع من الشعركان موجودا، لأن من سماته توفر ثلاثة عناصر فيه وهي الغزل بالمذكر، ووصف الخمرة، ووصف الطبيعة المحيطة بالدير[٤١٥] ولعل الحاجري هو الشاعر الوحيد الذي انفرد بزياراته للأديرة لمعاقرة الخمر، ولا سيما ارتياده لدير باقوقا[٤١٦] الذى اكثر من ذكره، وتغنى بلياليه ووصف خمرته وأجوائه اللاهية، بقوله[٤١٧]: (المنسرح)

ياديرَ باقوقِ بالرّهابين

بفَضلِ ماجاءَ في الشّعانينِ

بكلّ تقديسةٍ ترُددها

فيك النصارى على البراشين

بحقّ مَنْ جاء مِنْ جثالقةٍ

اليك تسعى ومن مطارينِ

بدينِ عيسى هل عائدُ زمنُ

مضِ مقلايةِ ابن شمعونِ

حيث كؤوسُ المدامِ دائرةُ

والبدرُ في الافقِ شبهُ عرجونِ

والراحُ في كـأسـهـا مـشـعـشـعـةُ

كـــالشـــمس في بـهـــجـــةٍ وتلوينِ

يُـديرهـا أهـيـفُ شـــــمــــــائلُهُ

بـلا ارتـيـــــــاب أرقُ مِـنْ ديـنـي

كالبدرِ في الحُسْنِ والغزالة في اللحـ

ظ وغـــــــصـنِ الاراكِ فـي الـلـينِ

ونحنُ في عـصـبـةٍ شـمـامـسـةٍ

تجـــري مِنَ اللهـــو في مـــيـــادينِ

وعندما ننعم النظر في دراسة هذا الفن نقف على لونين منه، فقد جاء قسم منه في مقدمات قصائد المديح وانفرد النشابي في هذا اللون، مع مروره عليه مرّ الكرام، وفيه يمزج بين خمرياته ووصف الطبيعة، بقوله[٤١٨]: (بسيط)

اذا الرياض سـمـاءُ والمجّـرة كـالنـ

نـهـــر الذي زهرهُ زهـرُ بمســـــربهِ

ان فاتكَ الوقتُ في شهرِ الصيام فخذ

مِنْ شـــهـــر شـــوال ثأرا في تطلبـهِ

ثم يضيف واصفا خمرته:

واغنم مِن الورد وقـــتـــاً لابقـــاء لهُ

وفـــــز بأطيب ريـان وأعـــــذبـهِ

يُشـابهُ الورد راحـاً في زجـاجـتـهـا

فـادرأ حـدودك فـي اللذات بالشـبـهِ

ان أشرف الكأس مِن كف النديم فلا

تجـعل سـوى فـمك المدني لمغـربهِ

واللون الآخر يأتي - غالبا- في مقطوعات خمرية مستقلة مزجت بالغزل، وقد التفت ابن الظهير إلى هذا الجانب وبرع فيه، من ذلك قوله[٤١٩]: (الكامل)

ومـهـفـهفٍ مذّ عـاينتـهُ مُـقلتي

لم يُلفِ قلبي في هواهُ مـعـرجـا

مَنَحَ الأراكـة والغـزالة والطلا

لِيناً وإشـراقـاً وطرفـاً أدعـجـا

أحوى أباح الكأس منهُ مُقبـلاً

عَـذْباً وكنت إليـهِ منهُ أحـوجـا

فـأعـادها سكرى بخمـرة ريقـه

وأعـارها من وجنتيـهِ تأجّـجَـا

وكــأنما كــأسُ المدامِ بكفــهِ

شمسُ النهار يقلها بدر الدجَى

فالأمر الذي يستدعي الانتباه هو فقدان المقدمات الخمرية المستقلة في شعر الاربليين، فضلاً عن القصيدة الخمرية المستقلة، ونحن من جانبنا نعتقد ان طبيعة الحياة الاجتماعية والثقافية كان لها تأثير واضح في انحسار الخمريات بصورة عامة، وقد أشارت المصادر إلى كثرة المجالس العلمية والأدبية[٤٢٠] ولم تشر إلى جلسة شرب خمر واحدة، ويتبارى فيها الشعراء في وصف النبيذ، فكل ماقاله الشعراء لايتعدى مجرد وصف تقليدي له.

وبعد فهذا هو الواقع الذى كان فيه شعر الخمرة في اربل، وأغلب الظن ان ما ذهب إليه أحد الدارسين المعاصرين من أن هذا الشعر قد تراجع في هذه الحقبة عمّا كانت عليه في القرون السابقة صحيح سواء من حيث كثرة النصوص او تنوعها واتساعها[٤٢١]

التصوف والزهد والحكمة:

لاشك في ان الأيوبيين اهتموا بحركة التصوف[٤٢٢] فضلا عن ذلك فان الحياة في القرنين السادس والسابع الهجريين تتسم بشيء من التوجه إلى اللّه سبحانه، والاستسلام للمقادير، والزهد في الدنيا.

والجدير بالذكران عددا من حكام تلك المدة أقاموا لفقراء الصوفية الزوايا والخوانق. وخصصوا لها الأموال اللازمة للصرف عليها[٤٢٣] وفي مقدمتهم امير اربل مظفر الدين، ولا نستبعد ان يكون هدف صاحب اربل هو حشد قوة مؤمنة مستعدة للقتال لمقارعة الصليبيين في أي وقت يشاء وهو القائد للجيوش الشرقية في معركة حطين المشهورة.

فالمعروف أن دور هؤلاء الصوفية كان بارزا في الحروب الصليبية "فقد كانوا دائماً في مقدمة الصفوف المحاربة" (٣)، فضلاً عن دورهم في أن تظلّ للعالم الاسلامي وحدته على الرغم من توزعه بين دول شتى[٤٢٤] ويعد شعر التصوف من الموضوعات التي زهت وراجت في تلك الحقبة، اذ كان له صدى في نفوس الزهاد، يرددونه في أذكارهم[٤٢٥] ولسوء الحظ لم

نتمكن من الوقوف على شئ كثير من نتاج هذا الفن الشعرى على الرغم من رواجه في تلك الحقبة، وان ماوصل الينا منه قليل، ويعود السبب في هذا- حسب اعتقادنا - إلى عدم وجود شعراء متصوفين يوظفون شعرهم لتجسيد أفكار الزاهد وللتصوف، اضافة إلى ذلك فان السمة البارزة لبيئة اربل كانت الاهتمام بالعلم والثقافة اذ انصبت اهتمامات العلماء والأدباء في دراسة القرآن الكريم والحديث واللغة، وقد انجبت اربل علماء وشعراء ومؤرخين، ولكن لم تنجب شاعرا متصوفا يوظف شعره في تصوير معاني الزهد والحكمة.

فالحاجري والنشابي لم يميلا إلى هذا الفن، ومعظم مافي ديوانيهما من هذا الشعر حالة طارئة فرضتها عليهم محنة السجن الأليمة التي حفّزت في وجدانيهما مشاعر وأحاسيس توضح موقف الانسان في الحياة حيث لاسعادة دائمة ولا شقاء دائم، وقد اقترنت أشعارهما بالحكمة التي تذكر الناس بالموت والفناء. وقد يقع نظر الباحث على أبيات متناثرة في شعر الحكمة عند النشابي او عدد من مفردات الزهد عند الحاجرى وابن الظهير وغيرهم. وهكذا لم يوجه الشعراء اهتمامهم الخاص إلى هذا اللون، ولم يأت فنهم تعبيراً عن موقف فلسفي ثابت، وانما جاء - أغلب - شعرهم تعبيراً عن خطرات ذهنية أملتها عليهم تجاربهم الشخصية باستثناء قصيدة ابن الظهير المشهورة التي سوف يأتي ذكرها لاحقاً.

ويلاحظ ان اشعارهم تناولت معاني معدودة منها تطرقهم إلى حتمية الموت والفناء، فالدنيا عمرها قصير وهي زائلة وكل شيء له أجل، وفي هذا المعنى قال الحاجري بعد محنة السجن(٤٢٦): (بسيط)

من شيمةِ الدهر إعراضٌ واقبالُ
فما يدومُ على حالاته الحالُ
وكلّ شيء - وان أعيا - لهُ أجلُ
يَقضي عليه كما للناس أجالُ

وعَبر الشاعر أبن الظهير عن المعنى نفسه، فالانسان عنده ضيف في الدنيا وانه راحل بلا شك-، فقال(٤٢٧): (خفيف)

أنتَ ضيفٌ في الأهل فارتقبِ الرحـ
ـلة والضيفُ لايدوم سحابهْ

ويمضي معظم شعراء اربل في التعبير عن هذا الموقف من الحياة، بحيث يبدو وكأنهم مستسلمون جميعاً لنوائب الدهر وما يخبئه القدر، ولم نجد شاعراً ما سعى إلى منازلة الدهر نظما، والوقوف بوجه نوائبه.

وعند امعان النظر في شعر النشابي، يلاحظ تمسكه باطلاق الحكم والأقوال المأثورة، ويبدو أنه كان يحاول تخفيف وطأة السجن الشديدة عليه، حيث يقول(٤٢٨): (مخلع البسيط)

والدّهرُ يومان ذا يُهنى

بما أتاهُ وذا يعنى

فلا المعنى يدوم فيما

عُني بهِ ولا المهنى

ويؤكد الحاجري هذا المعنى نفسه بزخرفة شعره ببعض الحكم والمواعظ بقوله(٤٢٩): (المجتث)

سينجلي كلّ همّ

ولوأتى بعد حينِ

أين الملوكُ وقومُ

تحصنوا بالحصونِ

وعلى الرغم من تمسك عدد من الشعراء بالحكمة والصبر على الشدائد التي تعكس جانبا من حياتهم الحقيقية، نجد ان ثمة ظاهرة أخرى تلفت انتباه القارئ، وهي تلك الدعوات إلى الزهد والتصوف بمجاهدة النفس، وتنزيهها من أدران الدنيا كي تنال رضا الله سبحانه وتعالى وغفوه، كما جاء على لسان عرش الدين الاربلي. في قوله(٤٣٠): (من البسيط)

الحمدُ الله إني في مجاهَدةٍ

مما أقاسي وحسبي ذاك يكفاني

ولستُ أبغي سوى عفو ومغفرةٍ

من الآلهِ ماالموتُ فاجاني

فإنْ بلغت الذي أرجو وأملُهُ

زالتْ همومي وأوجاعي وأحزاني

ونلمس دعوات أخرى إلى الزهد ونيل الشهرة، وهذا مالايمكن تحقيقه الّ بقطع الفيافي والقفار، والسيف لا جدوى فيه إذا بقي كامنا في غمده، وهذا ما ذهب إليه جعفر بن محمد الاربلي في قوله(٤٣١): (من الكامل)

وَجُبِ الفيافي وآشتهر تنلِ المُنى

لايقطعُ الهندي حتى يشهرا

ومما يكن من أمر فان الدعوات إلى الزهد والتصوف. كانت ترافقها - غالباً- دعوات أخرى إلى الحكمة والتعقل، فقد استأثرت الحكمة باهتمام الشعراء، وظهرت ألسنة كثيرين منهم، وهي في حقيقتها نظرات في احوال الدنيا وأحداثها، فهذا علي بن عثمان الصوفي الاربلي يعظ الانسان بالكفّ عن تعقب عيوب الآخرين لأنهم سوف يّردون عليه بأشنع مما فعل، فيقول(٤٣٢): (من السريع)

كُف عَن الناسِ إذا شئتَ أنْ
تسلم منْ قولِ جهولٍ سفيهْ
مَنْ قذفَ الناس بما فيهمُ
يقذفهُ الناسُ بما ليسَ فيهْ

وعلى هذا المنوال، نجد بعض الشعراء قد تجاوزوا حدود الحكمة وأكثروا من الوعظ والارشاد على طريقة الشاعر ابي العتاهية، وهذا مثال من شعر عزّ الدين الحسن بن محمد الاربلي(٤٣٣) وفيه يقول (٤٣٤): (مجزوء الكامل المذيل)

هذا الوجودُ مكدرُ
فانهضْ إلى أصفى وجودْ
وأطلب مقرّك في العُلى
إن كنتَ من أهل السعودْ
قُرب الرحيلُ اليهمُ
فمزارهمْ غيرُ بعيدْ

ومنهم من ذَم الدنيا الفانية، وهو يسأل أولئك الذين جمعوا الأموال ماذا فعلوا بها، كالشاعر محمد بن عبد العزيز الاربلي(٤٣٥) القائل (٤٣٦): (من الطويل)

رويدك فالدنيا الدنية كم دنتْ
بمكروهما مِنْ أهلها وصحابها
لقد فاق في الآفاق كُل موفقٍ
أفاقَ بها مِنْ شُكرها وصحابها
فسلْ جامع الأموال فيها بحرصِهِ
أخلفها مِنْ بعدهِ أم سرى بها

واذا اردنا توجيه العناية بالكلام إلى هذا اللون من الشعر في الأدب العربي فإن علينا أن

ننوه بشعراء بارزين نظموا قصائد طويلة في الحكمة وفلسفة الحياة وهي من ثمار الخبرة والتجربة، وتلاحظ هذه الظاهرة بوضوح في لاميات الطغرائي، والصفدى، وابن الوردي، وبائية ابن عبدالقدوس، ونونية ابي الفتح البستي.

ولم يتخلف شعراء اربل عن الادلاء بدلوهم في هذا الشأن، فقد انفرد ابن الظهير بقصيدة فاقت في طولها القصائد المشابهة لها وجّسد فيها فلسفته ورؤيته عن الحياة والموت، والبقاء والفناء، والقصيدة مليئة بالعظات والعبرات في مختلف شؤون الحياة الانسانية، مطلعها(٤٢٧): (خفيف)

كُل حيّ رلى المماتِ مآبُهْ
ومَدي عُمْرِهِ سريع ذهابهْ
ثم مِنْ قبرهِ سيُحشر فرداً
واقفاً وحدهُ يوفى حسابهْ

قال ابن كثير في هذه القصيدة: "وهي طويلة جدا قريبة من مائة وخمسين بيتاً"(٤٣٨)

في حين ان القصيدة التي وصلت الينا في ديوانه مائة وواحد وعشرون بيتاً، وهذا دليل على ان شعر الحكمة لم يكن عند ابن الظهير خطرات ذهنية كما ألمعنا اليها من قبل وانما كان اتجاها صميميا، ونهجا عميقاً سار عليه الشاعر ومارسه وتأثربه في حياته، وهذا ما تؤكده سيرته الشخصية، وميله إلى التديّن، وأغلب الظن ان الشاعر يعد بهذه القصيدة الرائد في هذا اللون من الشعر بين شعراء القرنين السادس والسابع الهجريين.

وثمة قصيدة أخرى بديعة مزج فيها الشاعر جعفر بن محمد الاربلي الحكمة بالعتاب، مطلعها(٤٣٩): (من البسيط)

لايدفعُ المرءُ ما يأتي بِهِ القدرُ
وفي الخُطوب إذا فكرتُ مُعتبرُ

ويلاحظ ان عددا من الشعراء جنحوا إلى الغزل الصوفي، في هذا المجال تطالعنا ابيات لأبي النجيب السهروردي(٤٤٠) الذي ورد اربل مرات متعددة، وأرسل إلى جهات عديدة مندوبا من ديوان أمير اربل، وكان يحضر مجالس وعظه امير اربل نفسه، قال السهروردي(٤٤١): (من مخلع البسيط)

تصرفت وحشةُ الليالي
وأقبلت دولة الوصالِ

وصـار بالوصل لي حسـوداً

مَنْ كان في هجركم رثى لي

وحـقكم بعـد أن حـصلتُم

بكل مــافــاتَ لا أبالي

ومـا على عـادمٍ أجـاجـاً

وعـنـدكـمْ أعـين الـزْلالِ

ونـظـرةُ مـنـكـم بِـروحـي

لو بعــتم لم يكن بغــالي

وأخيرا فان هذا اللون من الشعر قد تطور بفضل ترجمة الكتب الخاصة بهذا الموضوع، وأصبح – أحيانا – غرضا ثابتا لقصائد مستقلة، أما قيمته الفنية فهي ضئيلة، لانه يجنح إلى اتجاه عقلي، وتقل فيه العاطفة والشعور وفي هذا الصدد قال ابن رشيق القيرواني: "فلا يجب للشعر ان يكون مثلا كلّه وحكمة كشعر صالح بن عبد القدوس"(٤٤٢)

وقد جاءت الالفاظ فيه سهلة والمعاني واضحة، وندرت فيه الألفاظ والمصطلحات التي صارت لها مدلولات خاصة بشعراء الزهد والتصوف في هذه الحقبة.

الرثاء:

ان الله سبحانه وتعالى جعل لكل شيء نهاية وما البقاء الاّ لوجهه الكريم *(كل شيء هالكُ وجههُ)*(٤٤٢) وهو الذي قهر عباده بالموت والفناء، ومن هنا جاء الرثاء مواساة للأهل والاقارب والآخرين. ومن الظواهر الآدبية التي تستوقف الباحث في شعر امارة اربل قلّة المراثي قياساً إلى الموضوعات الآخرى من جانب، ورداءة هذه المراثي وضعفها من جانب أخر.

وعند النظر في شعر الاربليين، يشعر القارئ بندرة هذا اللون من الشعر ففي دواوين الشعراء، يبدو أن هذا الفن لم يثبت وجوده بالمعنى الحقيقي باستثناء ديوان ابن الظهير الذي يضم بين دفتيه قصيدة يتيمة واحدة في رثاء شيخ الاسلام محيي الدين ابي زكريا النووي الحافظ(٤٤٤) وهي في حقيقته من رثاء العلماء، يقول فيها(٤٤٥): (من البسيط)

عَـزّ العـزاء وعم الحـادثُ الجللُ

وخـاب بالموتِ في تعـمـيـرك الأملُ

وأستوحشتْ بعد ما كنتَ الأنيس لها

وساءها فـقـدُك الاسـحـارُ والأصلُ

وكنتَ تتلو كـتـابَ اللّهِ مُـعـتـبـراً

لايعـــــتـــربك على تكرارهِ مللُ

قـد كنتَ للدينِ نوراً يُسـتـضـاء بِهِ

مُـسـدداً فـيـه منك القـولُ والعَـملُ

ويلاحظ ان رثاء الأربليين لايزيد عن بعض النتف المتناثرة في كتب الأدب قيلت في بعض الملوك والأمراء والأهل والأصدقاء، فضلاً عن أبيات معدودة في رثاء الأطباء والمدن، وهذا مما لايشفي غليل الباحث للاحاطة الشاملة بهذا الفن الشعري.

وقد لايتجاوز الشاعر في رثاء الملوك الجمع بين المديح والرثاء وذكر مناقب الفقيد وتأبينه بتعداد فضائله ومحامده، فهذا ابن خلكان يرثي الملك العزيز محمد بن غازي(٤٤٦) صاحب حلب بقوله(٤٤٧): (من الطويل)

هَوى مِنْ نظام الملكِ واسطةُ العـقـدِ

ولم يك عن صـــرف المنيـــةِ من بدٍّ

فـما للرماحِ السـخـر مشرعةُ القنا

ومـا للصـفـاحِ البـيضُ موهفـة الحدِّ

أمنْ بعـدِ فـقـد ابنِ العـزيز مـحـمـدٍ

تدور رحى الحـربِ على صـافنِ نـهـدِ

إذا عطلتْ مِنْ هذهِ حــومـــةُ الوغى

فما تصنع الفرسانُ بالقضيب والملدِّ

ومما لا يخفى ان الدافع إلى هذا الضرب من الرثاء هو الرغبة في ارضاء المرثي، لذا نرى الشاعر يميل إلى الوقوف على صولاته وشجاعته عند ما تدور رحى الحرب، فهو لا يعبر في رثائه عن مشاعره الحقيقة وخلجات نفسه، وأفكاره سطحية لا تتعدى صفات المرثي وفضائله.

وفي ميدان رثاء الوزراء يسترسل شيطان الشام في الحديث عن فضائل الوزير الفقيد ابن المستوفي والاشادة به ويعدّه نابغة عصره، بقوله(٤٤٨): (من الوافر)

أبا البــركـاتِ لو درتِ المنايا

بانكَ فرد عـصـرِكَ لَمْ تـصـبـكا

كفى الاسلامَ رزءاً فقد شخصٍ

عليـــهِ بأعينِ الثـــقلينِ يبكى

وقد يجمع الشاعر في رثائه بين فقيدين كبيرين في مرثية واحدة، وهذا مافعله بهاء الدين

علي الاربلي في رثائه للملك عزالدين عبدالعزيز بن جعفر[٤٤٩] والخواجة نصير الدين الطوسي[٤٥٠] حيث قال[٤٥١]: (من الطويل)

ولما قضى عبدُ العزيز بن جعفر

واردفهُ رِزء النصيرِ مُحمدِ

جزعتُ لفقدان الا خِلاءِ وانبرتْ

شؤوني كَمرفض الجمانِ المبددِ

وجاشتْ إلى النفسُ حُزناً ولوعةً

فقلتُ تعزيْ واصبرى فكانْ قدِ

ومن ضروب الرثاء الآخرى مرثية للشاعر عزالدين محمد الاربلي الضرير في الطبيب شمس الدين عبدالحميد الخسرو شاهي[٤٥٢] في قصيدة مطلعها[٤٥٣]: (من الطويل)

بموتِك شمسَ الدين ماتَت الفضائلُ

وأردى ببدرِ الفضل والبدرُ كاملُ

فتى عالمُ بالحقِّ بالخير عاملُ

وما كلّ ذي علم منَ الناسِ عاملُ

ومن أظهر الوان الرثاء في قصائد الشعراء رثاء الآهل والاصدقاء من ذلك، رثاء سليمان بن جبرائل بن منعة الاربلي[٤٥٤] لصديق له في قوله[٤٥٥]: (من الكامل)

ولكل بيت مأتمُ منْ فقدهِ

فكأنه للعالمين نسيبُ

يا أوحداً فُجعَتْ بِهِ مُهجُ الوري

فبكتْ عليه نواظرُ وقلوبُ

روّى ثراكَ وآنستكَ تحيةٌ

تغدُ وعلى طُولِ المدى وتؤوبُ

وهناك ضرب آخر ظهر في تلك الحقبة وهو رثاء المدن، وقد تأثر النشابي بنكبة مدينة اربل القاسية حين توالت عليها موجات المغول واندحرت امامهم سنة ٦٣٤ للهجرة ولحقها الخراب والدمار، فقال[٤٥٦]: (من الطويل)

ولم أبكِ الآ الدار أقفرَ ربعها

وألقتْ عليها رحلها أم قشعمِ

مـواطِنُ كـانت قَـبلَ وقـعـةِ اربلِ

تنافرُ فيها الغيدُ من كل مجثمِ

ومـا دمنا نتـحـدث عن الرثاء نرى من المناسب الاشـارة إلى أهـم سـمـاته بالاسـتناد إلى مـا وصلنا من الشـعـر في هـذا الفن، فـالملاحظ في هـذه المراثي خلوها من العـاطفـة الصـادقـة. والحزن العمـيق، وتضـمنها لكثير من المبالغات وتـهويل شـأن الميت، فـالتكلف وافتـعال الحزن باديان على المراثي، وهكذا كانت مـراثي بعض شعرائنا مبنية على هذا الأساس، كما في قول ابن الظهير[٤٥٧] (من البسيط)

يالهفَ حـفلٍ عظيمٍ كنتَ بهـجتـهُ

وحليـة فـعـراهُ بعـدكَ العطلُ

وطالبوُ العلم منْ دانٍ ومـقتـربٍ

نالوا بيـمنك فـيـه فوق مـا أملوا

حاروا لهيبةِ هاديهم وضاقَ بهمْ

لفرطِ حزنٍ عليهِ السهلُ والجبلُ

وقد نحا ابن خلكان المنحى نفسه في مرثية له حيث قال[٤٥٨]: (من الطويل)

لئن أظلمتْ دُنيـا العُـفـاةِ لفـقـده

فـقـدْ أشـرقتْ منْ وجـهـهِ جنةُ الخُلدِ

عليك سـلامُ اللّهِ ياخـيـرَ مـالكٍ

مضى غيرَ مصحوبٍ سوى حلُةِ الحمدِ

أما في رثاء الأهل والأصدقاء فقد كان الشاعر- في الغالب - صـادق المشاعر والأحاسيس لتأثير المصاب في نفسه وقلبه، فالشاعرأ أجاد لأنه عبّر عن تجربة صادقة ومن أمثلة ذلك قول احمد بن عبدالرحمن بن خلكان بن شاكل الاربلي[٤٥٩]

عَظم المُصـابُ فَعَزّ فيـهِ عزائي

وتدّلتْ عـبـراتنُا بدمـاءِ

وَتضـرّمتْ لفـراقـهِ نار الجـوى

وتـأجـجتْ القلْبِ والأحـشـاءِ

فـالقـارئ يحس من ألفـاظ الشـاعـر المختارة ومـعـانيـهـا مدى خزنه وحـرقتـه على فقدان أحد أفراد عائلته.

الشكوى:

تعد الشكوى فناً من فنون الشعر الوجداني العميق يجسد معاناة الشعراء وشكواهم من الفقر، والزمان، وسؤ الحال، ومن الطبيعة، والآصحاب، لقد قيل قديماً "الشكوى تخفف الهم وتزيل الا لم"[٤٦٠] وبعد أن كانت الشكوى ذات طابع فردي، أصبحت في هذه الحقبة موجة عامة، لذا جاءت على كل لسان[٤٦١] وقد قاسى المجتمع الاسلامي والعربي مآسيَ وويلاتٍ بسبب الحروب التي أنهكت الناس في القرن السادس وخاصة الحروب الصليبية، وفي العصر الأيوبي أصبحت الشكوى ظاهرة أخذت دورها في الشعر العربي[٤٦٢].

والملاحظ في هذا الضرب من الشعر في اربل أنه لم يكن شائعاً، وتبدو عليه القلة إذ إنّ معظمه جاء في مواقف طارئة غير ثابتة، وحسب متطلبات الحياة اليومية للشاعر، فهو أشبه ما يكون بشعر المناسبات، ويعود السبب – حسب اعتقادنا– إلى استقرار الحياة الاقتصادية في هذه الامارة الصغيرة وكثرة خيراتها التي كانت تكفي الجميع من جانب، والاهتمام الشديد من لدن أميرها بالفقراء والمساكين من جانب آخر[٤٦٣] بحيث لم يعد هناك ما يستوجب القلق والشكوى من ضيق وضنك في المعيشة، والدليل على ما نقول ندرة شعر الشكوى من الفقر وسوء الحال باستثناء مثال شعرى – حسب ظننا– لشاعر وجهّ شكواه إلى اولئك الذين لا يؤازرونه في فقره، وأضحى الكرم عندهم معدوما، وأصبح هو يسحب ذيل الذلّ والهوان وهو ابو الربيع سليمان بن بليمان الاربلي القائل[٤٦٤]: (من الطويل)

خليلي كم أشكو إلى غير راحمٍ
وأجعلُ عرضي عرضةً للوائمِ
وأسحبُ ذيل الذلّ بين بيوتكم
وأقرعُ في ناديكمُ سن نادمِ
هبوني ما استوجبت حقاً عليكمُ
أما تعتريكم هزةُ للمكارمِ

ولعلنا لانجانب الحقيقة اذا قلنا إنه كان هناك ضرب من الشكوى في هذه الحقبة لا يدخل ضمن الوانها المعروفة منها الشكوى إلى الملوك والأمراء في مواقف خاصة يصادفها الشاعر في حياته، وهذا ما حصل للوزير ابن المستوفي حين خرج من المسجد ليلا حيث وثب عليه مجهول وضربه بسكين قاصدا فؤاده، فالتقت الضربة بعضده فجرحته، فاحضر المزين وخاطه، وكتب بهذه المناسبة شكواه مما ألم به إلى مظفرالدين كوكبري، بقوله[٤٦٥]: (من الكامل)

يا أيهـــا الملك الذي سطواتهُ

من فـعلهـا يتـعـجب المريخ

آياتُ جـودك مـحكم تنزيلهـا

لا ناسخٌ فـيـهـا ولا منسـوخُ

أشكو اليك ومـا بليتُ بمثلهـا

شنعـاء ذكـرُ حـديثـهـا تـأريخُ

هي ليلةٌ فيـهـا ولدتُ وشـاهدي

فـيمـا آدعيت القمط والتمـريخُ

وقد نحا الحاجري المنحى نفسه، حين مضى إلى الأمير شمس الدين ابي الفضائل باتكين المستنصري ممثل الخليفة العباسي في اربل. رافعا شكواه، لعله يستطيع أن يحميه من أعدائه المتربصين به، فقال[٤٦٦]: (الكامل)

أشكوكَ يا ملك البسيطةِ حالةً

لم تبق رعباً في عضواً سـاكنا

إن تستبح إبلي لقيطةُ معشرٍ

ممن أ أمل غـيـر جـاشكَ مـازنا

يا للعجائب كيف يصبحُ خائفاً

من باتَ في حَرَمَ الخلافة قاطنا

ويبدو أن الأمير لم يفعل له شيئا لحمايته حتى قتل[٤٦٧] وقد وّجه عدد من الشعراء عنايتهم إلى الشكوى من الدهر أو الزمان، فقد حملوه مسؤولية ما أصابهم من نوائب، وقد يأتي هذا اللون أثر من آثار الضغط السياسي، فلما أرادوا أن يعبروا عن آلامهم وسخطهم " لم يستطيعوا أن يكونوا صرحاء في مواجهة الظالمين والطغاة خوفا من البطش والتنكيل، لهذا تجاهلوا مصدر الفساد الحقيقي وكنّوا عنه بالزمان أو الدهر"[٤٦٨].

ويكاد ينحصر الشكوى من السجن حسب رؤيتنا ضمن هذا الاطار في المنحى والاتجاه حيث لايكون بمقدور الشاعر الاشارة إلى هؤلاء الملوك والأمراء الذين ظلموه غدرا فيتجه إلى الدهر ونوائبه، وأما الشكوى من الدهر كرمز لمعاناة السياسيين في اربل. فهذا مالم نجد له أثرا في شعرهم.

ويبدو من شعر النشابي أنه ربط شكواه بالزمان بذكر الملوك والأمراء الذين شيّدوا القصور وتحصنوا بالحصون، ثم تراهم جميعاً في ضيق اللحود، وقد يكون هذا اشارة رمزية لمصير

أميره الذي حبسه، كما في قوله[٤٦٩]: (مخلع البسيط)

وفي الزمـان الذي وجـدنا

كم قـد رأينا وكم سـمعنا

وكم رزينـا وكم نعــينا

وكم ألفنا وكم فــقــدنا

أين الملوكُ الذينَ شـادُوا

وحصنوا بالحصون مدنا

وقد أعاد الحاجري المعاني نفسها في سجنه بقوله[٤٧٠]: (المبحتث)

أين الملوكُ وقـــومٌ

تحـصنوا بالحـصـونِ

مـا إنْ هـم غـيـرُ نـاء

تحتَ التـــرابِ دفينِ

ومما لايخفى ان الشاعر اشتكى من الدهر، ووصفه بأن حكمه عليه بالحبس كان سريعا، وكان من الأولى أن يكون فيه صبروترو، وأغلب الظن أنه اراد به امير اربل، نحو قوله[٤٧١]: (المجتث)

يا دهـر كنتَ علينا

بما قـضـيتَ عـجـولا

ويظهر أنه كان هناك من يصرح بشكواه وهو في السجن بذكر أولئك الذين كانوا السبب في سجنه، لأننا وجدنا الشاعر جمال الدين طه الاربلي في قصيدته يائسا ينتظر الفرج القريب من الملك، بقوله[٤٧٢]: (من الوافر)

فـقـد أيست فـيـهِ وفي زمـاني

بحـبسِ الملكِ منْ فـرجٍ قـريبِ

ويمضي الشاعر في شكواه بذم أهل اربل متصورا أنهم السبب في محنته فيقول[٤٧٣]:

ألا أخـزى الإلهُ بليدَ سوءٍ

تحكم فيهِ عبادُ الصلّيبِ

فالحقيقة أن السجن أو الأسر يحفز الشعراء ويوقظ ملكاتهم الشعرية التي تصور ما يقاسونه من آلام ومعاناة بشعور صادق فَيّاض، فالحاجري حين طال حبسه وبدأت الالآم

تنخر في عظامه، بدا ضعيفا منهارا، يطلب الرحمة والشفقة، ويمثل ذلك قوله[٤٧٤]: (المجتث)

وارحـــمـــتـــا لعـــزيزٍ

في السـجنِ أضـحى ذليـلا

حليفِ وجـــدٍ يعـــاني

أسـراً وقـيـداً ثقـيـلا

ووصف نفسه بالعبد المطيع لأمير اربل بقوله[٤٧٥]: (البسيط)

فـإنْ قـتلتَ فـعـبـداً أنتَ مـالكهُ

وإن عفـوتَ فتلك آلعادُ والشيـمُ

أما النشابي فخاطب نفسه آمرا اياها بالصبر، وامتلاك الجلد قائلا[٤٧٦]: (مخلع البسيط)

يا قلبُ خـفـضْ عليكَ حـزُنا

واَصبـر فللصـبـر طيبُ مـجنى

ويمكننا ان نشير هنا إلى الشـاعر الذي مثل الاباء في شكوى السجن في العصـر العباسي، وربما هو فراس الحمداني (ت ٣٥٧هـ) الذي جنح إلى الصبر في سجنه، وهو يقول[٤٧٧]: (من الطويل)

مُصـابـي جلَيلُ والعزاء جـميلُ

وَظنـي بـأن اللّه سـوفُ يدُيلُ

جراحُ وأسرُ واشتياقُ وغربةُ

احـمل وأني بعـدها مـحـمولُ

وفي ما عدا ما ذكرناه في هـذا الضـرب من الشكوى فـأن معظم شكوى الدهر الذي وصل الينا - مما يلاحظ - ذاتي وهـو عبارة عن أبيات مزوجة بالحكمة، كما جاء في شكوى عرش الدين الاربلي حيث قال[٤٧٨]: (من الكامل)

والدهرُ يرفـع الفـتـى ويحطهُ

والعـمـرُ فـيـهِ صـحـةُ وسـقـامُ

والبـدرُ يكملُ بعد نقـصـانٍ بهِ

وَيَحُلُ فـيــه النقصُ وهـو تمامُ

ومن ضـمـن مـا عبـرّ عنه الشـعـراء في شكوى الدهـر ظلم الزمـان وغدره، وراحـوا ينعـتـونه بالزمن الخؤون وهذا ماصرّح به بهاء الدين علي الاربلي في قوله[٤٧٩]: (من الكامل)

يا دهركم لَكَ مثلُها من غَدَرةٍ
ولأنت أجدر أن تخونَ وتغدُرا
حارَ الأحبة في قضايا حُبهم
فغدوت أظلمَ في القضاء وأجورا

وسلك الحاجري في احدى شكاويه من الزمان مسلك العتابه كما في قوله[٤٨٠]: (المجتث)

مَنْ مُسعدي ومعيني
على الّزمان الخؤونِ
أذلّني وأراني
فوقي الذي هو دوني
وكل أهل ودادي
وصُحبتي هجروني

ومن جميل الشكوى الممزوجة بالعتاب قول خطيب اربل القاضي جعفر ابن هبة الله بن احمد الاربلي[٤٨١]: (من البسيط)

يا اربليين لو أنصفتمُ أدبي
أحللتموني حيث الانجمُ الزّهُرُ
فبي فخار لمن يبغي الفخار إذا
جاءتْ بنو الفضلِ بالآداب تفتخرُ

وإضافة إلى ماذكرناه من ضروب الشكاوي فقد كان للشكوى من الأصدقاء صدى في شعر الاربليين، ويمكننا التمثيل بمثال من شعر الوزير ابن المستوفي الاربلي الذي كان يبحث عن صديق ودود ويشكو من صديق خائن، ثم يظهر تذمره من أناس اعمالهم قذى في العيون وهو القائل[٤٨٢]: (من الطويل)

إلى اللّه أشكو من همومٍ تواصلتْ
أمـا تغلط الدنيا لنا بصديقِ
لقد خانني لما هجرتم مواصلي
وَقدْ صدّ عني معشري وفريقي
فوا حرباكمْ تضرمون بصدكم
وإعرضكم في القلب نار حريقِ

أقاسي هموماً منْ أناسٍ فعالهم

قذىً لعيونٍ أو شجىً لحلوقِ

ومن ضروب الشكاوى الأخرى، الشكوى من الشيب الذي يعد من العوامل المثيرة للشجن لأن الانسان فيه يحس بالهرم والشيخوخة، فالنشابي يشكو من سرعة شيب مفارقة، بقوله(٤٨٣): (كامل)

زمنَ الصبا ماكنتَ إلا زائراً

كانت زيارته كلمحة بارقِ

غمضتُ جفني والتصابيِ ساعةً

وفتحتهُ فرأيت شيب مفارقي

فكأن شيبي لم يزل وكأنما

كانَ الشبابُ خيالَ طيفٍ بارقِ

أما عرش الدين الاربلي فانه يشكو من الشيخوخة ومن معدته التي لا تهضم الطعام، ويسمى جسمه ببيت السقام، بقوله(٤٨٤): (المنسرح)

شبتُ وجزتُ السبعين وأرتحل

الصبا فصبحي منْ بعدهِ علسُ

لا معدتي تقطع الطعام ولا

الوسيطُ فيه روح ولا نفسُ

فكيف يرجو طيب الحياة أخو

شيب بيوت السقام يلتمسُ

وفي هذا الصدد نقول ان شعر الشكوى في الامارة قلّما أتى متكلفا، وهو يعبر عن صدق العاطفة وحرارة الوجدان، ويترجم أوجاع النفس وأشجانها، ويدلّ على تجربة حقيقة وجدانية.

ومهما يكن فان الذي يلفت النظر في العصر العباسي كثرة الشعراء المكدين، قال آدم متز: "ومما هو عظيم الدلالة اننا لانجد في الشعر العربي مكانا للمكدين الطوافين قبل القرن الرابع"(٤٨٥) ونحن نذهب إلى القول بأن أمثال هؤلاء الشعراء المكدين لم يكن لهم أثر في حياة هذه الامارة، ويعود السبب في هذا - حسب تصورنا - إلى أميرها الذي أجاد سياسة الرعية، وعرف كيف يكون الحاكم العادل، وإلى الهدوء الذي ساد الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في ظل حكمه.

الاخوانيات:

وهي من الفنون الجامعة للعتاب والإعتذار والتهنئة والشكر والمداعبة والظرف المراسلة.

والجدير بالذكر ان أشعار الاربليين لا تخلو من هذا الفن الشعرى فالشاعر هو أبن هذا المجتمع ومن حقه ان يصادق ويحب ويعتب ويهنئ ويشكر ويعتذر ... الخ، وذلك لادامة العلاقة التي تربط ابناء المجتمع الواحد او الأسرة الواحدة، ولخلق جو من المحبة والتفاهم وعقد الصداقات. وقد جاء شعر الاخونيات عند الاربليين تعبيراً من مشاعرهم وعواطفهم، وهو يعد من الظواهر البارزة، فالملاحظ في أدب هذه الحقبة كثرة الرسائل الشعرية المتبادلة بين الشعراء، ولعلّ مردّ ذلك إلى اهتمام الوزير ابن المستوفي بالرسائل التي كان يجيدها ويحبذها والى متانة العلاقة الاجتماعية بين الأدباء.

وقد وقفنا على رسالتي عتاب شعريتين متبادلتين بين الشاعر النشابي والشاعر هاشم بن السلام الاربلي(٤٨٦) اثر جفوة حصلت بينهما، ويفهم من رسالة النشابي أنه خدع زميله وأطال لسانه عليه، كما في قوله:(٤٨٧) (من الطويل)

وكيفَ آحتيالي فيك إذ لم يكنْ
إلى ودادكَ الاّ بالخداعِ طَريقُ
ولستُ بخداعٍ وَما إن جَرى عَلى
لسانيَ قولٌ كان فيهِ خُلوقُ

فأجابه صاحبه هاشم عبدالسلام على الروى والوزن نفسيهما، بقوله:

لعمرى ماساد الكرام أولو النهى
بهجو ولا سب الرجالِ يليقُ
ولا أنا ممن يجهلُ الناسُ حالتي
ولاَ أنا ممن لا يُقالُ صديقُ

ويظهر من هذه الرسالة الشعرية وعند دراسة مضمونها ان النشابي ذم أو سب صاحبه في غيبته.

ومن شعر الاعتذار رسالة شعرية من عبدالرحمن بن منصور القنطري الاربلي(٤٨٨) يعتذر فيها إلى الوزير ابن المستوفي من شيء بلغه عنه، فيقول(٤٨٩): (من البسيط)

مولاي يا شَرفَ الدينِ الّذي شرفتْ
بهِ الآماجد مِن عربٍ ومن عجمِ

يا معدنَ الجودِ قَدْ وافاك عبدٌ وَفَا

مــقــودُ منكَ بالإحــســان والكرَمِ

مـغـفـرا فـوقَ تُربِ الأرض وجنتــهُ

خــزيانَ يقــرعُ أسناناً مِنَ الندم

ومنشـداً بيت شـعـر كـانَ فـاه بِهِ

نحلُ النمـيـري في أيامــهِ القـدُمِ

(إقبل معـاذير عبدٍ جاءَ مُعتـذراً

يثنـي عليكَ بمـا أوليتَ مِنْ نـعمَ)

وبين أيدينا رسالة اعتـذار شـعـرية طويلة مـوجـهـة إلى النقيب مـحـيى الدين أبي ظاهر الموصلي[٤٩٠] من الشاعر ابي عبدالله الاربلي[٤٩١] مطلعها[٤٩٢]: (من السريع)

مـولاي مـحـيي الدين ياماجـداً

فــاقَ جـمـيـعَ الخلقِ إحــســانا

وَمَنْ إذا مــا فــاهَ مِنْ نطقــهِ

يعــجــز بالبـيــانِ ســحــبــانا

ومن ضروب الاخوانيات التماس الكتب شعراً وهو من العادات المألوفة بين الشعراء والأدباء والعلماء. فقد التمس ابن الظهير من بعض أصدقائه كتاب البديع[٤٩٣] الذى صنّفه ابو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الجزري[٤٩٤] وقال في طلبه[٤٩٥]: (من السريع).

مــولاي عــزالدين يا منْ لهُ

مــالُ مــذالُ وجنابَ منيـعْ

وَمَنْ أياديه وأخــــلاقُـــــهُ

يخـجلُ منهل جـعفرُ والربيعْ

قــاسمَ مــا تملكهُ كــفــهُ

وللندى بين البـرايا مـشـيـعْ

عـبـدُكَ مـولاي له حــاجــةٌ

دَعتْ إلى نسخ كتابِ البديعْ

فــجــد بهِ عــاريةً واغــتنمْ

ثناء عـبـد شــاكـر للصنيعْ

والتمس ايضاً ابو الفضل الاربلي كتاب تفسير الثعلبي من أحد اصدقائه ملقب بـ(مهذب الدين) ابان عيد النصار، فانقض العيد ولم يتسلم الكتاب المذكور فكتب إليه يطلبه، بقوله[٤٩٦]: (من البسيط)

مُهذّبَ الدينِ ياذا الفضل والنسبِ

والعلم والشرف السامي مع النشبِ

عيد النصاري أنقضى والدينُ حل بهِ

لاصبرَ لاصبرَ لي عن سيد الكتبِ

فانعم بِهِ كأياديك التي سبقت

فالمن بالكتب فوق المنه بالذهبِ

اما رسائل التهنئة فهي - غالباً- ما تكون في الأعياد الدينية اذ الناس يهنيء بعضهم بعضاً ويشترك في ذلك الشعراء ايضاً، ومن ذلك ماقاله ابو الفضل بن الخير الاربلي[٤٩٧] مهنئا الوزير ابن المستوفي بمناسبة العيد[٤٩٨]: (من الوافر)

بأعينِ طالعَ عيدتَ يا مَنْ

بطلعتهِ يهنأ كلّ عيدِ

ولا زالت لكَ الآيام عونا

مُساعفةً على رغمِ الحسودِ

كما وردت رسائل في الشكر وهو الآخر من المصطلحات التي يتبادلها الناس للتعبير عن امتنانهم للشخص الذي قّدم لهم خدمة معينة، ومنها رسالة شكر من أمين الدين علي بن عثمان الاربلي إلى الوزير ابن المستوفي يشكره فيها اذ وسد إليه ولاية البيمارستان، قال فيها[٤٩٩]: (مجزوّ الكامل المرفّل)

ياأيها المولىِ الوزيرُ

وذ الرعاية والعنايةْ

إن العلاء أضلني

بالقولِ عَنْ طريق الهدايةْ

لألي بمارستانكمْ

وأقومَ فيه بالكفايَهْ

إني لمحتاجُ إليهِ

متى أجتُ إلى الولايةْ

ومنها ايضاً رسالة شكر من أبي العباس بن شجاع[٥٠٠] إلى ابي الحسن علي بن شماس كاتب ديوان الأنشاء باربل، نقتطف منها هذين البيتين[٥٠١]:(من الطويل)

فشكري لما أوليتي من صنيعةٍ
مُتممةٍ بالشكرِ أثقل كاهلي
وقد كنتُ أشكو الحبس والجوع هاجعٌ
فما زادني الإظلافُ غير البلابلِ

يفهم منها أن كاتب الديوان بذل جهوده لاخراجه من الحبس والجوع وإعاده إلى اولاده وعائلته. ومن الأمور التي نسترعي الانتباه وجود رسالة تعزية واحدة وصلت الينا من شعر الاخوانيات من حماد بن محمد البوازيجي[٥٠٢]:

أرسلها إلى ابن المستوفي يعزيه بوفاة أخيه قائلاً[٥٠٣]: (من المتقارب)

تعزونني أم أعزيكمُ
بمن كان عضوين لي في الجسدْ
أتتهُ المنيةُ مقتالةً
فنقص ممنْ أحبّ العددْ
فابكتْ عليه وعمّ البكا
فكلّ حزينٌ على مَنْ فقدْ
فأصبحتُ لما أتاني النعي
أذيب مِن الدمعِ ما قدْ جحدْ

والتفت الشعراء إلى ضرب أخر من هذا الفن هو المداعبة التي هي من باب المزاح والتسلي وملء الفراغ، ويبدو أن ابن المستوفي أحب يوما أن يداعب بعض الشعراء، فجرى له حديث في ذلك مع الشاعر ابي الحجاج الحواري[٥٠٤] بعد استماعه لقوله[٥٠٥]: (من الطويل)

بنفسي ليبلاتُ مضينَ وكان لي
نديماً بها شادٍ أغنّ ربيبُ
تديرُ على الراح بالراح كلما
تروقَ راووقُ وراق طروبُ

قال الوزير ابن المستوفي: وعبثت به يوماً وقلت له: ما أظن هذا شعرك، فحلف أنه له،فقال: (اقترح علّي وزنا أعمل فيه وأنت تشاهدني، فقلت له: قول ابي الفضل البغدادي[٥٠٦]: (من الدوبيت)

طـلـقـتُ تجـلـدي ثـلاثـاً

والصـبوة بـعدُ في حـبـالي

فأخذ ورقة وفكر يسيرا وكتب:

أبـكي أســفــاً بدمعٍ عينٍ

قـد أخـبـر عنكم بـحـالي

أبقي جلدي وريح صـبري

مـا نسم نشـرها بـبـالي

وفي موضع آخر نجد الوزير ابن المستوفي يحاور شاعر أخر بعد أن وصلت منه رسالة، فيصف رسالة الشاعر بأنها حديقة غناء تنشر ازهارها عطرا فوّاحا وهي أسحر من ظبي غرير، وانها بلسم شاف لما تضمنت جوانحه من هموم بقوله(٥٠٧): (من البسيط)

وافى كـتـابكَ يامـولاي مـشـتـمـلاً

على رياض مـعـان نشـرها أرجُ

فكانَ أحـسن مِنْ سـحـرٍ تقلبـهُ

أجفان ظبي مراض حشوها غنجُ

إذا بدا قـيـد الأبصـارَ منظرهُ

فـمـا لإنســان عين عنه منعـرجُ

فـبـت أشـفـي بِهِ داءً تضـمـنهُ

جـوانحُ باتَ فـيـهـا الهم يعـتلجُ

وهناك ثمة رسائل شعرية أخرى يمكننا ادراجها في باب االظرف، فهذا ابو احمد الفزاري الاربلي، يأتيه ولد فيشبهه بدرة رصعت تاج قبيلته فزارة التي ادعى الانتماء اليها، ويطلب من أحد اصدقائه اختيار أسم له قائلا(٥٠٨): (من الكامل)

وأتى يبـشـرني البـشـيـرُ بدرةٍ

في غـيـر تاجِ فـزارةٍ لاترصـعُ

بـدرٌ، تـكـامـل نـوره فـي لـيـلـهِ

وتريده عــشــرٌ تمر وأربعُ

فـاختـر له أسـماً يبقَ فوق جبينه

_ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _(٥٠٩)

وقد عبر الشعراء عن معاني الود والوفاء بطرائق لاتخلو من غلو ومبالغة كما فعل الحاجري في رسالة رفعها إلى رفيق صباه ضياء الدين عيسى، أخي ابن خلكان، بقوله[٥١٠]: (من البسيط)

الله يعلم ما أبقى سوى رمقٍ

منـي فـراقك يا من قـربه الأملُ

فابعث كتابكَ وأستودعه تعزيةً

فربما متُ شوقاً قبل ما يصلُ

ويشتاق ابن أبي عبداللهّ الفرضي الاربلي[٥١١] إلى لقاء أحبته، وتسيل العبرات من عينيه كلّما ذكر لقائهم، فيصور حاله، قائلاً[٥١٢]: (من الكامل)

أشتاقُكم فإذا ذكرت لقاءكم

أجرت دموعي لوعةٌ وتفرّقُ

خوفاً على أني إذا لاقيتكم

يبقى القليلُ وبعده نتفرقُ

وخلال استعراضنا للرسائل الشعرية في الامارة نقع على عدد من القصائد الطريفة في باب الاخوانيات، منها رسالة كتبها ابو العباس الاربلي إلى القاضي جعفر بن الكفر عزى الحاكم باربل بدأها ببيت من الشعر تؤلف الفاظه الحروف الأولى من ابيات القصيدة جميعها.

وهذا مطلع الرسالة[٥١٣]: (من والمجتث)

قاضٍ به صحّ يُسري

ومات ضُري وعسري

أما أبيات الرسالة الأخرى فهي تتألف من عدد حروف البيت المذكور، ونحن نختار الأبيات التي تجمع حروف الكلمة الأولى (قاض) فقط بسبب طول الرسالة.

قُل للذي لام تدري

بأن لومكُ يغري

اللّه ينصفني منكَ

إذا ولعتَ بهجري

ضيرى قصدت منهلاً

قصدت إصلاح أمري

يامنيــتي في حــيــاتي

وبُغــيــتي يوم حــشــري

وفضلا عما ذكرنا وجدنا في موضع آخر رسالة شعرية أخرى من النمط نفسه للشاعر ابن الجارود ابي عبدالله الماراني الاربلي[٥١٤] نظمها جوابا إلى الصلاح احمد بن عبد السيد ابو العباس الاربلي مطلعها[٥١٥]: (من المجتث)

إن الصــلاحَ مــجـيـرى

مـن نكبـــةِ الحَـــدَثانِ

إنـي أحبُ فـــتـــاةً

كـــأنـهـــا غـــصنُ بانِ

نمتْ بوجــدي عليــهــا

ســحــائب الأجــفــانِ

....الـــــــــــخ.

ووقفنا بين نتاجات هذا الفن على رسالة غريبة، تلفت نظر الباحث للشيخ ابي عبدالله محمد بن احمد بن حسن[٥١٦] الذي ورد اربل ونشرها بها وكرر فيها حرف (السين) نثرا وشعراً حيث قال في منثوره[٥١٧]:

" بالأسماء الحسنى استفتح سحابُ سيبكَ ساحَ بساحةِ المسترفدين والسلامةُ بالاستسلام لمراسمك سرابيل المستسلمين، وأشداء الفرسان فرائسُ فراستكَ، وأنفس الحاسدينَ مستشعرةُ بأس سطوتك، فسنابكُ أفراسك يرؤوسِ رؤسائهم واسمه، وسيوف سخطك باستئصالِ ساداتهم باسِمَه، والمسلمون بأسرهم مستعدون بسعودِ سَعادتكَ، نفوسهم مسرورةٌ باستدامةِ سلامتك، وأساريرهم مستنيرة لآستعلان مسرتك، وسرائرهم مستيسرةٌ سلوك سبيلِ سيرتك، والمشيرُ بسطر محاسنك يستوجب الاحسان ومستحقُ الانفسِ يستدخره الانسان".

وقال في منظومه: (من السريع)

سامقْ وسس واسم وسر سالما

واستأسر الاسد وسد وأسعدِ

وسل سيف البأس مستهلكا

لأنفس الحسادِ واستحصدِ

وأستفرسِ الفرسانَ مستظهياً

بالسمهري الأسمرِ بالمُسعدِ

وساجبلِ السجب وتسكابها

فَسيبكَ السماحُ بالعسجدِ

وسام وأستعل سنامَ السطا

مستخدما للسعدِ والسؤددِ

" قدّس القدوس نفس الرسول، وأسكنه الفردوس، فسكناه السّول".

وتنم هذه الرسالة عن براعة فائقة في جمع الألفاظ المتشابهة، وهي من نتاجات الكدّ العقلي والمران الفكرى ونحسب أنها في المديح ووصف البطولة والشجاعة، وليس في وسع هذا الفصل تفسير ألفاظها الكثيرة.

وأستنادا إلى الرسائل المذكورة آنفا، يبدو أن تداول الشعر كان جاريا باستمرار بين الأدباء والعلماء ومحبي الشعر، وهذا دليل ملموس على الاهتمام الجاد بالشعر العربي في تلك المدة، وولع الاربليين بنظمه وانشاده.

وقد أدى هذا الاهتمام بالشعر إلى استخدامه في مناسبات عديدة، فهذه رسالة من ابي محمد الاربلي الكردي الهذباني وهو في بلاد الشام إلى الوزير ابن المستوفي بعد حبسه من قبل أمير اربل يبث فيها حزنه وحنينه إلى اربل ويتسال كيف يمكنه أن يعود إلى مرابعها وماجدها محبوسا بقوله(٥١٨): (من الكامل)

الاربلُ الغــــراء تطلبُ أوبتي

هيهات فارقتُ الجسومَ الرؤسا

كيف الرجوعُ إلى مغاني بلدةٍ

فارقت ماجدها بها محبوسا

كبرت عزائم أهلها من بره

فَوَشوا بهِ للظالمين رئيسا

باعوا بدنياً دينهم وتخيروا

جَهلاً على صدر الهدى قسيسا

وقد سار عبد الرحمن بن عثمان الاربلي على النهج نفسه في رسالة كتبها إلى صديق له مسجون منع الناس من زيارته(٥١٩) ويظهر ان هذا اللون من الشعر قد ساد كلّ البلاد

الاسلامية في هذه الحقبة من الزمن وقد عبّر فيه الاربليون عن المعاني الاجتماعية أبلغ تعبير وبذلك كشفوا النقاب عن قسم من جوانب الحياة الاجتماعية في اربل في القرنين السادس والسابع الهجريين.

ولم تقتصر الاخوانيات على الألوان التي ذكرناها فحسب بل تعدتها إلى لون آخر وهو الأحاجي والألغاز التي تندرج ضمن هذا الفن والذي قال فيه ابن رشيف القيرواني: " وهو أن يكون للكلام ظاهر عجب لا يمكن وباطن ممكن غير عجب"(٥٢٠) فقد أولع شعراء اربل بهذا الفن لأنه يشحذ القريحة ويثير التفكير الجاد كما ان فيه معاني دقيقة يحتاج في استخراجها إلى توقد الذهن(٥٢١) فهو مظهر من مظاهر ثقافة العصر.

ويبدو ان مجاهدين قايماز نائب أمير اربل كان محبا له، ويستظرفه في مجالسه. حتى الف له سعد بن على الحظيري كتابا فيه بعنوان " الاعجاز في حل الأحاجي والألغاز" فيه نحو الف لغز مع شرح وتوضيح(٥٢٢) ولا ننسى الاشادة بالوزير ابن المستوفي في تشجيعه للألغاز من باب التسلية، وقد استظرف بعض الألغاز منها لغزلأبي نصر بن وهبان(٥٢٣) في اسم " شهرزور" ضمنه قوله(٥٢٤): (مجزؤ الرجز)

مـابَلَدٌ نصفُ أسـمـه
جـــزءٌ مِنَ الزمـــانِ
ونصـــفـــهُ الآخـــرلا
يخلو من البـــهـــتـــانِ
بينهُ للســـــائلِ يا
ذا الفـــهم والبـــيـــانِ

ومن الشعراء الذين عرفوا بالظرافة مع أصحابهم، ابن الظهير الذي كان له معهم مطارحات في الألغاز والأحاجي التي أصبحت وسيلة للهو والرياضة الفكرية، قال ابن الظهير ملغزا في " قراقوش"(٥٢٥): (من مجزؤ الخفيف)

اسمُ مَنْ قــد هويتــهُ
ظاهرٌ غـــيـــر ظاهرِ
قــسم البُــعــدُ قلبــهُ
بـينَ قـلـبـي ونـاظـري

وكتب إلى أصدقائه لغزا شعريا في لفظة "نعم"(٥٢٦): (من الخفيف)

أيهـا العـالمُ الذي بهـرا لعـا

لَم فـضـلاً وفـاق طبـعـاً وذهنا

أبن أسـمـاً مؤنثـاً مـفـرداً وضـ

ـعـاً ويعـد ومـذكـراً إذ يثنى

وإذا شئت حـال فـعلاً وحـرفـاً

وعنِ الجـملتين في اللفظِ أغنى

وإذا مـا تركـتـهُ كـانَ لفظاً

وإذا مـا عكسـتـهُ صـار مَـعَنى

وكذلك جاءت الغاز ابن خلكان من باب الظرافة ايضاً، وهذا لغزله في " التاريخ"(٥٢٧): (من الكامل)

مـا اسمُ إذا صـحـفـتـهُ ألفـتـهُ

من بعـــدِ ذاك ولفظةُ تاريخُ

مِنْ ضـمنهِ نارُ إذا خـفـضـتـهـا

لاجـــمـــرهـا وأرِ ولا منفـــوخُ

يا ريحُ بلغْ مَنْ أحبُ تحـيـتـي

إن الحـبـيب لما يقـولُ مـصـيـخُ

موضوعات أخرى:

الحنين والشوق:

يلاحظ ان روح الغربة قد سرت في شعر هذه الحقبة، فقد استمد الشاعر معاني شعره من هذه الروح التي أحس بعض من اصـحـابهـا الشـعـراء بأنهم غرباءوهم في بلدهم وبين ابناء قومهم، وكانت هذه الروح تزداد شدة كلّما ابتعد الشاعر وتغرب عن بلده، حيث ملعب صباه ومـسـقط رأسـه و "من لطف النفس أن تكون إلى مـولدها مـشـتـاقـة والى مـسـقـط رأسـهـا تواقة"(٥٢٨) وقد رأينا الوزير ابن المستوفي يودّع مدينته اربل متألما ومتحسرا بعد خرابها بيد المغول حاملا كتبه ومتاعه متوجها إلى الموصل، ولسان حاله يردد قائلاً(٥٢٩): (من البسيط)

فـارقتكم مكرهاً لاكـارهاً ويدي

أعضـها ندمـاً إذ لم أمت كمدا

واللّهِ لو أن أيامي تطاوعني

على اختياريَ ما فارقتكم أبدا

ومن الشعراء من حَن إلى بلاد اخرى وذكرها في قصائده منهم ابن الظهير الاربلي الذي اشتاق إلى مدينة دمشق بمشاعر صادقة واضحة خالية من الافتعال، فحنينه إلى دمشق يظل مدى الحياة وقلبه أسير هذا الحنين ويصور ذلك كلّه قوله(٥٣٠): (الطويل)

حنيني إليها ما حييت مُرجعُ

وقلبي أسير الشوق والدمعُ مطلقُ

عليها تحياتي غوادٍ روائحُ

بها الريحُ تجري والركائبُ تخفقُ

ونراه يحن إلى الديار الحجازية من جانب آخر، لاسيما بعد عودته منها، وقد تجاوز عمره السبعين عاماً بقوله(٥٣١): (الطويل)

أحن إلى نجدٍ رعى اللّه أهلهُ

وأين من المشتام بالشام نجدُهْ

وأسالُ ركبَ الريح حملَ تحيتي

إذا ما سرى نحو الاحبةِ وفدُهْ

أيا قاصدي أرض الحجاز تحملوا

تحية صب طال بالإلفِ عهدُهْ

ولم يكن حنين الشاعر إلى المنازل التي يحل بها فحسب، بل إلى قاطنيها ايضاً الذين أخلصوا له الوّد وفتحوا له قلوبهم، فكان يتفقدهم ويسأل عنهم.

ويتجلى في شعر النشابي انصرافه إلى النهج نفسه في حنينه إلى العراق ولا سيما مدينة بغداد حينما كان في خوزستان، وقد بان عليه أنه فاقد الصبر، شديد الشوق إليها كما في قوله(٥٣٢): (من الطويل)

ألا هلْ إلى دارِ السلام لمغرم

سبيلُ ولو في ضمن تسويف موعدِ

عَدِمتُ بخوزستانَ صبراً أضاعه

نزاعٌ إلى بغداد غيرُ مفندِ

وقد اكثر الحاجري من حنينه إلى الديار الحجازية - وفي الأغلب- يأتي حنينه إلى الأيام

الخوالي، واجترار الذكريات السعيدة، وفي الأبيات الآتية يبعث بسلامه إلى أجبته من ساكنٍ تلك الديار، فيقول[٥٢٣]: (الطويل)

سـلامٌ علـى الوادي الذي يـسكنونهُ
وإن كنتُ لا أحظى بساكنِ شعبـهْ
كـأن ومـيضَ البـرقِ مِنْ هضبـاته
يُعـمـدُ قلبي فـاَسـتطار بلبـهْ
إذا خطرتْ للقلب خطرة ذكـــرهِ
إبى الدمعُ إلا أن يجـودَ بغـربهْ

ومن المفيد أن اشير هنا ايام السجن الثقيلة التي لها تأثير كبير في احاسيس الشعراء الرقيقة، فكان السجن باعثا في تحفيزهم على الحنين والتشوق إلى الأصحاب والأهل، وهو يأتي استجابة لاحساس داخلي منبعث من الشعور بالغربة، لذلك وجدناه صادقاً ورقيقاً، كما في قول الحاجري[٥٢٤]: (من الكامل)

يا برقُ إن جـزتَ الديارَ بإربلٍ
وعـلا عليكَ مِن التـداني رونقُ
بلغ تحـيـةَ نازحٍ حـسـراتهُ
أبداً بأذيالِ الصـبـا تتـعلقُ
قُل يا جعلتُ لكَ الفداء أسيرُكم
مِنْ كلّ مشـتـاقٍ اليكمْ أشـوقُ

ولا بأس ان نذكر في هذا الموضع بعض مظاهر الشوق، وقد عَد البرق رمزا من رموز الشوق، ويبدو لنا أن قلب ابن الظهير رقّ حين شاهد البرق فتخيل أنه أقبل من ديار الأحبة، ويلمس ذلك من قوله[٥٢٥]: (الطويل)

أرقتُ لبــــرق من دياركمُ عنا
ألم فكم أصـبى فـؤاداً وكم عنى
بدا حـاكيـاً تلك الثغور أبتسـامهُ
وعادَ نحيلاً حاكياً جسميَ المضنى

أما الحاجري فأنه كان يتلقف أخبار الأحبة البعيدين من البرق حين يناجيه ويطالبه أن يبث في سمعه بعض الأخبار، كما جاء في قوله[٥٢٦]: (البسيط)

يا برقُ أنت قريبُ العهدِ مِنْ سلمٍ

قفْ بث لي خبراً حييتَ مِنْ أتٍ

ويلاحظ في هذا الفن ان الشعراء قد تنوعت لديهم بواعث **الشوق والحنين**، وهذا صفي الدين منصور الاربلي تعود به ذاكرته إلى ايام الشباب متشوقا **لها، فيقول**[٥٣٧]: (من الكامل)

أشتاقُ أيام الشبابِ وحسن ما

فعلت وحق لمثلها يُشتاقُ

رُدوا علي مِنْ الشبابِ بقدر ما

كَسَدَ المشيبُ فللشبابِ نفاقُ

ويظهر أن لشجو الحمام تأثيرا بليغا في نفوس شعراء اربل، وقد أثار هذا الأمر فيهم احساساً غريباً بالحنين المزوج بالحزن والألم، وارتبط – غالباً – بفراق الأحبة وهجرانهم، وفي ذلك قال الحاجري[٥٣٨]: (الخفيف)

لحمامِ الأراكِ شجوٌ ولكنْ

اين شجوي والطائرُ الغريدُ

عللوني ولو بلمعِ سَرابٍ

يتَسلى بِهِ فؤادي العميدُ

وقد سعى الحاجري في ابياته إلى التميز بين شجوه الحزين وشجو الطائر المغرّد الذي سرعان ما يزول بلقاء الفه، بعكس الف الشاعر الذي هجره.

وقد يرتبط الشوق بالمحبة – أحيانا– وفي هذا نتمثل بقول ابي محمد عبد اللّه لأنصاري[٥٣٩] الذي ورد اربل، وفيه يعبّر عن معنى طريف في شوقه وحبه مخاطباً حبابه[٥٤٠]: (من الطويل)

أأحبابَ قلبي هَلْ سبيلٌ إليكمْ

فجسمي عندي والفوادُ لديكمْ

وانْ لَم يكنْ ذنبٌ فُردوا تحيتي

فقد طال ما قلتُ السلامُ عليكمْ

وفي المعنى نفسه قال ابن وهسوزان[٥٤١] حيث مزج بين الشوق والألم[٥٤٢]: (من البسيط)

أخفتْ عن القوم ما أبدتْ عزيمتهمْ

وأظهـرتْ للنوى والبينِ مـاكُـتـمـا

بـائـوا فــــألم قـلـبي يوم بـينـهـمُ

فلستُ أحــملهُ مِنْ بعـــدهـم ألما

وهكذا فلا نظن أن ثمة من يختلف معنا عند استقراء شعر الحنين والشوق في أن الشعراء قد بالغوا وتكلفوا في التعبير عن مشاعرهم، وهو في الواقع سمة من سمات هذا الفن نفسه، وتثبيت ما ذهبنا اليه، نستمع إلى الوزير ابن المستوفي وشوقه القاتل في قوله(٥٤٣): (من المتقارب)

أراكمُ فـأعرضُ عنكمْ وبي

منَ الشوقِ ما بعضهُ قاتلُ

ومـا بي مـلالٌ ولا جـفـوةٌ

ولكنني عـــاشقٌ عـــاقلُ

ولنقرأ قول احمد بن بهرام ابي العباس الذي لم يغض له جفن بعد فراق أحبته(٥٤٤): (من الكامل)

واللهِ مـا ألفتْ جُـفـوني بعـدكمْ

طيبَ الرقادِ ولا هناني مضـجـعي

ولقــد بليــتكم جـوى وصــبـابةً

حـــتى تزود ركـبكمُ مِنْ أدمــعي

الفخر والحماسة:

يرى أحد الدارسين المعاصرين أن الشيء الوحيد الذي يلفت الانتباه في امارة اربل هو خلوّ ساحة الأدب فيها من الشعر الحماسي الذي برز فنا ظاهراً وبغزارة في القرنين السادس والسابع الهجريين(٥٤٥) ويبدو ان الأيام قد عدت عليه وضاع مع ماضاع من تراث اربل الخالد في هذه الحقبة المهمة من تأريخها.

وإذا ذهبنا نبحث في دواوين الشعراء ونجيل النظر في كتب الأدب لانجد مبتغانا من هذا اللون، وكأن شعراء اربل لم يسمعوا بهذه البطولات والأمجاد التي حققتها جيوش المسلمين على موجة الغدر التي أرادت ان تسيطر على اجزاء من العالم الاسلامي، وقد علا اسم صلاح الدين الأيوبي وملأ صدى شهرته الآفاق ومدحه الشعراء بأبلغ الكلام وأجزله(٥٤٦) وهذا ما

يثير الاستغراب حقا إذا ألقينا نظرة على جهاد امير اربل مظفرالدين، ومن قبله أخيه وأبيه، في معارك التحرير التي دارت رحاها آنذاك في ديار الشام مع الافرنج، ولاسيما معركة تحرير القدس.

ونحن من جانبنا نرى أن شعراء اربل كانوا مقلين ولم يدلوا بدلوهم في هذا الميدان، والسبب يعود إلى طبيعة مجتمع اربل المتحضرة من جانب، ولكون باعث الفخر المتمثل بالقبيلة أو الفرد عند القدماء والذي كان يحفز الشاعر على الافتخار بقبيلة أو بنفسه معدوما من جانب آخر.

ومما تجدر الاشارة إليه في هذه الحقبة، أن موضوع الفخر كان يرتبط بالفكرة الدينية، لذا كان الشعراء يرون ان الدفاع عن البلاد الاسلامية يعد دفاعا عن العقيدة الدينية بعيدا عن التعصب القبلي أو القومي، وهو واجب ديني يتطلب من الجميع الاسهام فيه.

وهكذا اكتفى شعراء هذه الحقبة بنظم قصيدة في مدح صلاح الدين وبطولاته او تمجيد جيوشه، وشجاعة افرادها، وسرعة حركتهم، كما فعل الشاعر النشابي حين نظم قصيدة في مدح جيش الخليفة المستنصر بالله فوصفه بأنه عرمرم كالطوفان يثير الرعب والخوف في قلوب الأعداء بقوله[٥٤٧]: (من الكامل)

ويسيرُ جيشُ الرعبِ دونَ مسيرِه

شهراً فيبعث للعدى إرغاما

فكأنه الطوفانُ ألقى موجه

فتعمدَ الأوهادَ والآكاما

ويمضي الشاعر في وصفه ويقول بأن الكواسر تتابع ناحيته لالتهام جثث الأعداء، وسنابك خليه تثير غبار الأرض الذي يغشى سماء المعركة كغيوم سوداء: (كامل)

والوحش يتبع سيره وقَد آلف الـ

مطعانَ منهُ وصاحبَ المطعاما

عُقدتْ سنابكُ خيله في وقعها

مِنْ قسطلٍ مثل السماءِ قتامَا

ويستمر في مبالغاته جاريا على خطى شعراء هذه الحقبة في مدح ووصف الجيوش اثناء خوضها الحروب[٥٤٨]

وَعساكر منصورةٍ لو حاربتْ

شُهُبَ السماء لحلتِ الإحراما

جيشٌ تضيقُ الأرض عنه فلا ترى

الآ أســـود تحـــملُ الآ جـــامـــا

أوضــــــــارباً أو طـاعنـاً أو نـابـلاً

أو أروعــاً أو مــحـرباً قـمـقـامـا

أما الفخر والاعتداد بالنفس، فهو نادر، ولا سيما أن " مدح النفس في الشعر كثير، وهو فيه أسهل منه في الكلام المنثور"(٥٤٩) باستثناء قصيدة واحدة لأبي البرّ الإربلي مطلعها(٥٥٠): (مجزوّ الرمل)

لا ذيقنكَ فــــقـــــدي

راغـبـاً عنكَ بجــهـدي

عُـد إلى غـيـري فـاني

رجـلٌ لـستُ بـجـنـدي

ويظهر أن الشاعر طرد من عمله من قبل سيده. المدعو ضياء الدين بسبب سؤ الظن به، لذا فانه يدافع عن نفسه ويفخربها في آن واحد بقوله:

ياضـيــاء الدين هـيـهـا

ت ترى مـــثلي بعــدي

في تصـاريفي وأعـمـا

لي وفي حلي وعـقـدي

ذا أحـتـيـاطٍ وأحـتـفـاظٍ

لـلأمــــــانات يـُؤدي

آه لـولا سُــــــؤ ظـن

في قـــد أوجبَ طردي

وينفي عن نفسه الخيانة، ويؤكد وفاه بالعهد، وان وجد بخلاف ذلك فانه يعّد زنديقا كافرا:

أنـــا إن خـنـتـك فـــي

شيءٍ ولـم أوف بعـهـدي

كــافــرٌ أشنا عـــاليـا

وأولـــي لآبـــنِ هـــنـــدِ

ويمضى ويقول أن مردّ عذابه إلى فقره، وهو رغيف خبز يسد جوعه وقميص يستر جلده،

وهنا يقترب شعره من قصائد الكدية:

عـــيلتي بطني وإني
جـملةُ التكمـيل وحـديْ
برغـيـفٍ وقـمـيص
مـتـعش مـتـردي
فـبـذا أشـبعُ بطني
وبذا أسـتـرُ جلدي

وينهي الشاعر قصيدته بالفخر بالنفس، ويدعي أن طينته جبلت بماء الورد والكافور، وينعت نفسه بأنه السيف البتار:

لي نفسٌ جـبلتْ طيـ
نتـهـا بالماء وردِ
بعـدمـا شيـبتْ بمسكٍ
وبـكـافـور ونـدّ
أنا سـيفٌ غـربهُ أمـ
ضى شباً مِنْ غرب هندِ

وفي كلّ الأحوال فان الشاعر يعرض مشكلته مع صاحب العمل، فضلا عن الافتخار بنفسه، وهو يصور ويجسد جانبا من أوضاع عمال هذه الحقبة ومشاكلهم في امارة اربل.

الصيد والطرد:

من المعلوم ان وصف الصيد جاء غرضا مستقلا في هذا العصر، وعلى الرغم من ذلك فأن شعر الطرد والصيد نادر في الامارة، ويعود السبب- حسب إعتقادنا- إلى ان بيئة اربل كانت بيئة حضرية، وقد ذهب أحد الدارسين إلى ان هذا النوع من الشعر كان أصله بدويا، ومضمونه أقرب إلى احوال أهل الوبر منه إلى عيشه سكان المدن وأهل الحضر(٥٥١) ويذكر ان أمير اربل كان مولعا بالصيد في ايام محددة من كلّ اسبوع(٥٥٢) وأن ممارسة هذا الهويّ كانت لها وجود، وهذا ما يدعو إلى الاستغراب، ناهيك عمّا ذكرناه من عوامل فقد أنه، الاّ انه من المرجح ان تكون النتف التي قيلت فيه لم تدون اوضاعت مع الأيام.

الدراسة الفنية

من المعروف ان أبرز تحول حصل في العصر العباسي تمثل في انتقال المجتمع من البداوة إلى المدنية، وما صاحبه من تبدلات في نمط الحياة على المستويين الفكري والأدبي ولاسيما الشعر، حتى إذا أطَلّ القرن الرابع هبت رياح التغيير في بنية القصيدة العربية.

وفي هذا العصر تحكمت الأقليمية، وأخضعت الأدب لمؤثرات البيئة[٥٥٣] فاتخذت لغة الشعر وجهتين عامتين، وجهة شعبية بأسلوبها وألفاظها التي اقتربت من لغة الحياة اليومية، ووجهة تمسكت بالقديم وتمثلت المستوى الأدبي الرفيع في الفخامة والمتانة.

فالاتجاه الفني العام للشعر كان تقليدا وهو يمثل امتدادا طبيعيا لمستوى الشعر الذي قيل بعد المتنبي، وكانت لغته – في الغالب – فصيمة[٥٥٤] اما اطاره العام فقد كان قابلا لاستيعاب شتى الأغراض الشعرية، فالشاعر يلجأ إلى استخدام الألفاظ الفصيحة في موضوعات المدح والرثاء. وحين ينتقل إلى الموضوعات الأخرى كالغزل والوصف ... الخ فأنه يصطنع لغة سهلة تعتمد على معجم من الألفاظ الجارية على الألسن في الحياة اليومية، وقد يستخدم لغة ركيكة في غرض معّين كالهجاء، وفي ثنايا هذا الفصل شواهد عديدة تؤكد صحة ماذهبنا إليه.

ومن مظاهر هذا الاتجاه في الشعر الدعوة إلى مانسميه اليوم بواقعية التجربة الشعرية، واختيار الموضوعات من البيئة المادية والاجتماعية[٥٥٥] التي كان لها تأثير واضح في استخدام اللغة الدراجة للتعبير عن هذه الواقعية.

وجاء العصر الأيوبي فاستخدم معظم شعرائه الألفاظ اللينة الواضحة، وفي مقدمتهم الشعراء الغزليون الذين ساروا على النهج المعروف بالطريقة الغرامية[٥٥٦] ولم يكن شعراء اربل يختلفون عن شعراء العصر من ناحية وضوح اللغة الشعرية، لذلك نلاحظ ان السهولة أصبحت الطابع الغالب على لغة جمهرة كبيرة منهم.

ويعسر علينا ان نحكم على هذا الاتجاه بالضعف، بسبب غياب الدراسات النقدية التي تقومه وتعطي حقّه من التقدير.

الخصائص الفنية

الأسلوب:

من خلال دراستنا للامثلة الشعرية المتنوعة في الفصل السابق، وفي الأغراض الشعرية السائدة في الامارة، ظهرلنا أن السمة الغالبة على مفردات الشعر ومعانيه هي الوضوح الشديد، والابتعاد عن التعقيد بنوعيه اللفظي والمعنوى.

ومع هذا التعميم الذى أصدرناه على شعر إمارة اربل، فأن هناك تباينا جليا بين أساليب الشعراء من جهة، وتباين أساليبهم بين غرض وآخر من جهة ثانية.

فالشاعر النشابي يقوده اختياره الألفاظ والمعاني التي تليق بمكانة الخليفة طمعا لنيل الجائزة إلى استخدام الألفاظ الجزلة الفخمة كقوله(٥٥٧): (رجز)

لولا أمام العصر مالاحَ هُدى الـ

إنعام مِنْ بعد انسدال السدفِ

ولا رعت آمـــــالنا في أنفٍ

مِنْ بره مِنْ بعـــد جـــوبِ نفنفِ

ومن شعره في مدح الوزير(٥٥٨): (كامل)

ولرب حـــالكة الإهاب ونبلة الـ

أزمـــاتِ، غـــائلة الرزايا الغـــولِ

أضحى نصيرُ الدين فارج أزلها

عزماً بمضي الشفنرينِ صقيلِ

ويلاحظ تغير اسلوب في مدح من هم أدنى كما في قوله(٥٥٩): (مجزوء الكامل المرفل)

قَدِمَ الأمير فقد غدا

ربعي بمقدمهٍ أنيسا

ولبستُ بالأخراج عنـ

د لقاء خدمتهِ لبوسا

ورأيتُ للإقـــبـــال عنـ

د رواءِ طلعتهِ شموسا

وقد غير لغته وأسلوبه تبعا لتغير درجات ممدوحيه السياسة والاجتماعية.

وهذا مثال آخر من شعره في الغزل الذي يتقدم قصائده المدحية[٥٦٠]: (البسيط)

هيفاءُ أعطتْ قُدودَ البانِ قامتها

ليناً، وأسعفت الأغصانَ بالجيدِ

يريكَ تفتير عينها إذا نظرتْ

سحراً ترى عنده نفاثة العقدِ

وقوله في غزله المستقل الذى ظهرت لنا فيه جرأته وصراحته[٥٦١]: (طويل)

يقولُ - وقد قبلته ورشفته -

أراكَ أبحث الخمر والخمر في فمي

فقلتُ: طبختُ الخمر حين لثمتهُ

بأنفاسِ وجدي، فهو غير محرمِ

وهكذا فقد الشاعر وقاره، وانطلق في غزله، حين غابت عنه عين الرقيب وهو بعيد من بلاط الخليفة وأنظار حشمه وبطانته.

ويظهر هذا التباين في الأسلوب بوضوح عند الحاجري، ففي مقدمته الغزلية نراه يتشبث بالألفاظ والمعاني التي يطرب لها الممدوح، ويرضى عنها نحو قوله[٥٦٢]: (من الكامل)

ومرنحِ الأعطاف تحسده القنا

عند اهتزاز قوامهِ المياد

صنم أباح لِيَ الضلال وجههُ

ومِنَ العجائب أن يظل الهادي

إما غزله المستقل فانه يأتي به ساذجا من غير قيود مهملا النظر في اختيار الألفاظ والمعاني المؤثرة كما جاء في قوله[٥٦٣]: (من مجزؤ الرجز)

يا صاحبَ الوجهِ المليـ

حِ والقوام الحسنِ

مَنْ ذا الذّي أفتاكَ يا

مولاي أنْ تقتلني

والواقع أن اختلاف اساليب التعبير في الغرض الواحد كالمدح أو الغزل ليس ظاهرة غريبة، بل أن الشاعر كان يعبر به عن ذاته خير تعبير، وهذا التباين في الأسلوب جاء اكثر وضوحا في الأغراض المختلفة حيث كانوا يقسمون مدائحهم بحسب أقدار الممدوحين ومكانتهم

الاجتماعية، فلا يصح ان يكون الأسلوب المتبع في مدح الخليفة هو نفسه الذي يحتذى في مدح الآخرين[٥٦٤] فقد اجاد الشعراء في تخير اللغة والأسلوب المناسبين لكل ممدوح كما أجادوا في غزلهم في مقدمات القصائد اوفي غزلهم المستقل.

ومن خلال دراسة أساليب الشعراء في الغزل في تلك الحقبة، يظهر أن السمة البارزة لطريقة نظم الشعر الغزلي هي الطريقة التي عرفت في حينها بـ"الطريقة الغرامية" أو "الانسجام" والتي اطلق عليها بعض الباحثين المحدثين على أصحابها تسمية "مدرسة الرقة والسهولة"[٥٦٥] وقد عرض ابن حجة الحموى في خزانته لهذه الطريقة بشيء من التفصيل فقال " المراد من الانسجام أن يأتي لخلوه من العقاعدة كانسجام الماء في انحداره، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة، ولعمرى أن طيور القلوب ما برحت على أفنان هذا النوع واقعة، وبمحاسنه الغضة بين الأوراق ساجعة، وأهل الطريق الغرامية هم بدور مطالعه، وسكان مرابعه، فانهم ما أثقلوا كاهل سهولته بنوع من أنواع البديع اللّهم الاّ ان يأتي عفوا من غير قصد"[٥٦٦] ونحن نرى ان الشاعر الحاجرى قد تأثر في اسلوبه بهذه المدرسة، ويعد الرائد الأول لهذه الطريقة بين شعراء هذه الحقبة، ويتجلى تأثره في قوله[٥٦٧]: (من الكامل)

لَكَ أنْ تشـــوقني إلى الأوطانِ
وعلي أن أبكي بدمعٍ قـــاني
إن الأولى رحلوا غداة مـحـجـرٍ
مـلاءوا القلوب لواعج الأحـزانِ

وتسرب تأثير هذه الطريقة إلى الشعراء الآخرين ومنهم ابن خلكان كما في قوله[٥٦٨]: (من الخفيف)

أي لـيـل عـلـى المحـب أطـالـه
سـائقُ الظعن يوم زم جـمـالهْ
يزجُرُ العيس طاوياً يقطعُ المهـ
ـمـة عـسـفـاً سـهـوله ورِمـالهْ

ويعزي سبب انحياز الشعراء إلى هذه الطريقة في نظم الشعر إلى ميلهم الشديد إلى السهولة والرقة التي هي أهم سماته، وأساس بنائها.

ومن الأساليب الأخرى التي سلكها بعض الشعراء تأثرهم بالأسلوب البدوى القديم أو ما سميْ بـ(المدرسة البدوية)[٥٦٩] حيث يكثر الشاعر من وصف الصحراء ورمالها وجمالها، وقد

برز معظم شعراء اربل في هذا الاتجاه ولاسيما في مدح الخلفاء.

ويعتمد هذا الاتجاه على البحور الهادئة، وفيه نطلع إلى موسيقى الشعر، فالشاعر حين يبدأ بمدح الخليفة لابد له من أن يلجأ إلى اختيار الألفاظ ذات الجرس القوى ووزن موسيقي فيه وقار وهيبة، لأنه يدرك بعين عقله وأنه سوف يتعرض لنقد ومحاسبة كبار المثقفين المحيطين بالخليفة عادة، ومن أمثلة هذا الباب قول النشابي في مدح الخليفة المستنصر بالله(٥٧٠): (كامل)

خيرُ الخلائق مِنْ ذؤابةِ هاشم الـ
مستنصر الباني ذري عيوقها
وخليفة اللهِ الذي طاعاتهُ
مفروضة لوجوبها وحقوقها
جَمَعتْ لهُ كف النوالِ مدائحاً
ضجت بيوتُ المال مِنْ تفريقها
مِنْ نبعةٍ غدتِ السماء وما حوتْ
والأرض بين أثيلها وعريقها

استخدم الشاعر البحر الكامل مع التأكيد على القافية، فالهاء تليها الألف، وبها يستطيع الشاعر تفخيم صوته واعطاء شعره قوة وضخامة.

فلأسلوب واللغة مختلفان في ما يسمى بالمدرسة البدوية عما وجدناه عند غير أنصار هذه المدرسة ولاسيما في مدح من هم دون مستوى الخليفة أو الوزير.

ويبدو ان شعراء الامارة ومعهم شعراء العصر أرادوا عن طريق العناية باللفظ ان يطوروا أساليبهم في العمل الفني(٥٧١) فالشعراء حاولوا تقوية لغتهم الشعرية واتباع المنهج المسمى بـ "تيار القصيدة المحكمة البناء"(٥٧٢) ولكنهم لم يفلحوا في الالتزام بهذا المنهج والعودة إلى الألفاظ القوية والفخمة لأن معظم شعراء العصر قد هجروها منذ زمن.

وكان لطبيعة التركيب السكاني لمجتمع اربل في اشاعة بعض الألفاظ بين الشعراء والاكثار من تداولها، كما في قول الحاجرى(٥٧٣): (الطويل)

مِنَ الترك أبهى مَنْ رأيتُ معمما
وأحسنُ وجها مَنْ لقيتُ مشربشا

وقد تأثر الشعراء بالثقافة الفارسية، فثمة الفاظ فارسية معربة، استخدمها الشعراء، كما في قول النشابي(٥٧٤): (خفيف)

وأقتبالُ النوروزِ عامٌ جديدٌ

وانتظارُ الشرور بالتعييدِ

وقوله ايضاً(٥٧٥): (خفيف)

وأخو، حاجةٍ يُمشي أحوا

لاً لديه إن جاءهُ البرطيلُ

ومن الجدير بالذكر ان ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) أورد قصيدة للشاعر الضرير أنو شروان البغدادي المعروف بشيطان العراق الذي زار اربل، وفيها سلك الشاعر طريق الهزل والفكاهة مورداً ألفاظ البغداديين والأكراد، والقصيدة طويلة نقتطف منها هذين البيتين المتضمنين ألفاظ البغداديين(٥٧٦): (من السريع)

أما العراقيون الفاظهم

جب لي جفاني جفّ جال الحلا

جمالك أي جعجع جبه تجي

تجب جماله، قبل ان ترجلا

وآخرين متضمنين ألفاظ الاكراد وهما قوله:

كلاً، وبوبو علّكو خشترى

خليو وكيلو، وموسكا منكلا

قمو ومقو محكي ثم ان

قالوا: بويركي تجي قلت لا

وهذه الألفاظ الكردية كتبت بالحروف العربية، ولم تنج من التحريف بسبب اختلاف اسلوب الكتابة بين اللغتين، ولا يتسع هذا المقام لتحليلها وتفسيرها.

ومن الأمور التي لايمكن اغفالها في دراستنا لشعر الاربليين ظاهرة تكرار بعض الألفاظ والصيغ والمعاني، وهو أمر طبيعي عند بعض الشعراء المعروفين كأبي العتاهية (٥٧٧) وأبي الطيب المتنبي(٥٧٨) والسرى الرفاء(٥٧٩) وقد استحسن القدماء هذا التكرار لاتصاله بالحالة الانفعالية للشاعر وأخيلته وعباراته الخاصة(٥٨٠).

ومن ألفاظ الحاجري المكررة قوله(٥٨١): (السريع)

كَمْ التاسي في ربوعِ الحمى

ياسعدُ عرج بالديار الديارْ

ويلاحظ عند النشـابي- في المجـال نفسه - تكرار بعض الصيـغ السـابقـة وترديدها لفظا ومعنى في اكثر من موضع مقاربة ومطابقة، فهو يبالغ كثيراً في اعادتها كما هو الحال في قصائده في المديح[٥٨٢]: (من الخفيف)

اقرأ ان شئت قوله[٥٨٣]

صاحب النصر والزمان أبي جعـ

فـــــر رب النوالِ وآلبــــاسِ

نجد انه يكاد يطابق ماجاء في قوله[٥٨٤]: (خفيف)

صاحبُ العصرِ والزمان أبي جعـ

فـر خـيـرِ الأنام من عـدنانِ

ومن ألفاظه المكررة في مدح الخليفة قوله[٥٨٥]: (خفيف)

وترى مـالكاً وأحـمـدَ والنعـ

مـانَ والشـافـعي والمسطورا

وقد أعادها في مدح الوزير حيث قال[٥٨٦]: (كامل)

وعلمتَ علمَ الشـافـعي ومـالكٍ

وأبي حنيفةَ في القياسِ وأحمدا

وتفسـيـر ذلك ان الشـعـراء يسـتـهلكون الكثـيـر من الألفـاظ والمعـاني في الغـرض الواحـد، ويقودهم ذلك إلى هذا التكرار المعيب، وهو مسلك سلبي لايقبل من الشعراء المقتدرين[٥٨٧] لأن الأسلوب الأدبي يأخـذ المعنى الواحد ويعرضه علينا في عدة صـور بيانية متـعـددة فلا يكرر الألفاظ في التـعبير عن المعاني نفسـهـا، فالأسلوب يخـتلف في الفن الواحد باخـتلاف هؤلاء الأدباء، اذ نرى لكل منهم طابعا خاصاً في تفكيره، وتعبيره، وتصويره، وقد يصح لنا بعد ذلك أن نقول مع القائلين: "الأسلوب هو الأديب" او هو الرجل إلى نحو ذلك من العبارات [٥٨٨] إذا في الأسلوب تكمن نفس الشاعر وتظهر براعته الفنية، وبهذا فاننا نقف على ظاهرة التكرار المعيبة في اسلوب بعض شعراء اربل البارزين.

وعند دراسة البيئة العامة في اربل، يجد الباحث ان هذه البيئة اتسمت بالطابع الاسلامي في توجهاتها العامة[٥٨٩] وملامح تأثر الشعراء بها بينة، وقد استفادوا من مكوناتها، ولا سيما من مفردات القرآن الكريم بالاشارة إلى سورة وآياته، ومن احاديث الرسول- صلى اللّه عليه وسلم -.

وهذا ابن الظهير الاربلي يصورلنا موقف الانسان أمام اللّه سبحانه وتعالى يوم الحشر

العظيم متأثرا بآيات من الذكر الحكم اذ يقول[٥٩٠]: (خفيف)

ثم مِنْ قبرِهِ سيحُشر فَردا

واقفاً وحَدهُ يوفى حسابهْ

مَـعَـهُ سـائقٌ له وشـهيـدُ

وعلى الحرص -ويحَهُ- إكبابهْ

وذكر الشعراء الكتب السماوية االمشهورة، وأفادوا من التأريخ، وقصص الانبياء واكثروا من اسماء الفقهاء الكبار كالأئمة الأربعة المجتهدين واليهم أشار النشابي بقوله[٥٩١]: (خفيف)

وترى مـالكاً وأحـمـدَ والنعـ

مـانَ والشـافـعيّ والمسطورا

وتأثر الشعراء بالبيئة الدينية وصوروا مظاهرها في شعرهم، حتى أوصلهم ذلك إلى التأثر بالنصارى المنتشرين في أطراف أربل[٥٩٢] الذين خالطوهم وترددوا اليهم، واستعملوا مفرداتهم التي ساهمت في اغناء شعرهم، ويمّر الحاجرى بمسجد مهجور، فيكتب إلى عماد الدين والي الموفق[٥٩٣] شعرا، ولما قرأه أتى المسجد وكساه، وفيه يقارن الشاعر بين المسجد المهمل المهجور وكنيسة النصارى المضاءة بالشموع المشتعلة ليلا مما يدل على اقامة الصلاة فيها وامتلائها بالعباد، وفيه يشير إلى القّس والسّاعور بقوله[٥٩٤]: (الكامل)

أنا مـسـجـدُ اللهِ بَيتُ عـبـادِهِ

عاري الملابس ليس في حـصـيـرُ

هَجَرَ المؤذنُ والجـمـاعـة جـانبي

وجـفـاني التـهليل والتكبـيـرُ

الشـمـعُ في خَلِ الكنائس نيـرٌ

وفناء ربعي مظلمٌ ديجـورُ

- - - - - - - - - - - -

- - - - - - - - - - - -

وأخـجلتي والذلُ حين يمربي

فـيـقـالُ هذا مـسـجـدٌ مـهـجـورُ

لو كنتُ في أيدي النصارى بيعةً

لبكى علّي القس والسـاعـورُ

أما الثقافة الفلكية فقد عبر عنها النشابي بقصيدة طويلة أودع فيها أسماء الكواكب الخمسة، والنيرين، ومنازل القمر، والتي مطلعه[٥٩٥] (خفيف)

للتهاني في كل شهر جديدِ
كل مدح يُتلى، وكلُ قصيدِ

اللغة:

بعد أن جرى الحديث عن اسلوب الشعراء وظاهرة تكرار بعض الألفاظ عند شعراء اربل بصورة عامة، وتم التركيز فيه على موضوع الأسلوبية التي تباينت في الأغراض الشعرية المختلفة، نعود مرة أخرى إلى الكلام على لغة الشعراء لنسلط الضوء هذه المرة على أهم عيوبها التي هي الضعف والركاكة، وشيوع العامية فيها مع ايراد أمثلة لذلك.

فاللغة حاجة اجتماعية، ترقي مجتمعها، وتتدهور بتدهوره[٥٩٦] وعليه فلا غرابة إذا وجدنا أن لغة الشعراء في العصر العباسي الأخير لم تعد هي ذاتها التي عرفناها عند شعراء العربية الأوائل وما تميزت به ألفاظهم من جزالة ومتانة وقوة، فالضعف أصاب الدولة العباسية، وقد كانت من أبرز نتائجه سيطرة الأجانب في كثير من جوانب الحياة فيها ترك أثره على اللغة، فلم يعد الاهتمام بها كما كان ابان نفوذ العباسيين.

وفي ضوء ماتقدم، فان شعراء العصر ومنهم شعراء اربل جنحوا إلى تبسيط لغتهم الشعرية لتكون في متناول أيدى الناس جميعاً، وكتبوا لهم باللغة التي يفهمونها[٥٩٧] وفي هذا الصدد قال ابو هلال العسكرى: "وإذا كان موضوع الكلام على الافهام فالواجب أن تقسم طبقات الكلام على طبقات الناس فيخاطب السوقي بكلام السوقة، والبدوي بكلام البدو ولا يتجاوز به عما يعرفه إلى مالا يعرفه فتذهب فائدة الكلام وتعدم الخطاب"[٥٩٨].

وطفق الشعراء يميلون إلى استعمال اللغة الرقيقة السهلة، وقد عزا يوهان فك هذا التغيير في لغة الشعر إلى انتقال المجتمع من حياة البداوة إلى حضارة المدن، وتغلغل غير العرب في مناطق الأدب[٥٩٩].

ومن عيوب اللغة عند الاربليين:

١- الركاكة:

ومردها شيوع الأسلوب السالف الذكر في استخدام الألفاظ الرقيقة والمعاني الواضحة بين الشعراء، واكتسابهم لكثير من المفردات اللغوية السهلة التي أصبحت جزءا من ثقافتهم، حتى غدت طائفة من شعرهم رديئة وانحدرت إلى الركاكة والضعف، ويبدو أن مؤرخي الأدب قد

اسـقطو- غـالبـا - هذا النوع من الشـعـر الذي لا لون له ولا طعم من نظم شـعـراء اربل، واعتمدنا نحن في تقويم هذا الشعر على النصوص التي جمعها محققو دواوين الشعراء بصورة أساسية. ومن أمثلة شيوع الركاكة في شعر تلك المدة. ماجاء على لسان ابن خلكان إذ يصور حنينه إلى موطنه اربل من قوله[٦٠٠]

تمثلتم لي والبـــلادُ بعــيـــدةٌ

فخيلَ لي أن الفؤاد بكم مـعنى

وناجـاكم قلبي على البـــعـدِ

فأوحشتم لفظاً وانستم معنى

أنها الفاظ مرصوصة ذات قافية واحدة ووزن واحد لاتجد فيها روحا او حياة.

ومن الشعر الردئ لفظا ومعنى ساق ابن المستوفي الوزير في كتابه ابيانا متعددة للشاعر مسعود البوازيجي (ت ٦٢٥هـ) الذي ورد اربل[٦٠١] ومن شعر الوافدين على اربل من هذا الباب ابيات نظمها ياقوت الحموى في الغزل بطلب من الوزير ابن المستوفي، فقال[٦٠٢]: (من الطويل)

وَقَـدْ غـبتُ عنكم شـهـراً لم اراكمُ

فـمـــا ضـــركمُ لو زرتموني كلمـا

أهيمُ بكم مـهمـا حـييتُ فـانْ أمتْ

أهيمُ بكم بالقبرِ والحشرِ مـثلما

يقـــولون زُرنا قُلتُ مَنْ لي بزورةٍ

يعــيشُ بهـــا روح المعنى وإنما

أقـــولُ لقلبي حين هم بفـــجــعـــةٍ

عـــسى ولعل اللّه يومـــاً وربما

ومن ركة التعابير عدم التمكن في لغة الضاد، فالنشابي يفصل بين (لو) و (جوابها) بأجنبي عنهما مع أن معظم شعره سليم من الخطأ، فيقول[٦٠٣]: (كامل)

لو كنت شاهـدنا-وقد رفع الأسى

مني ظلامـــتـــهُ إلى ظلامـــهِ

لرأيتَ برقـــاً من ثنايا باسمٍ

ولمد مَـعي رعدُ بفـيضِ غَـمامـهِ

وبعض شعر الحاجرى أقرب إلى النثر منه إلى النظم، نحو قوله في المدح[٦٠٤]: (من الكامل)

هذا الذي غدتِ الليالي منه كالأ

يامِ والأيامُ كالأعيادِ

والبيت ليس من الشعر في شيء، فهو مجرد ألفاظ جاءت ثقيلة الوقع، ساذجة التشبيه.

واذا عدنا إلى ديوان النشابي. نجد أنه في بعض أقواله يقترب من النثر ولا سيما في أهاجيه، نحو قوله[٦٠٥]: (مخلع البسيط)

حج سعيدُ الطبيبُ عاماً

وهو من الآثم غيرُ ناجي

ما حجّ الاّ يتوب مِما

وقد قتل الناس بالعلاجِ

أما منشأ الركاكة فانه يأتي - أحيانا - بسبب عجز الشاعر عن التصرف في اللغة، وهذا ابن ملاعب الاربلي يفقد السيطرة على لغته في الغزل إذ يقول[٦٠٦]: (من الرمل)

عللاني بالأماني فلعلي

واعذراني وأغدلا من رام قتلي

وارحما منْ ظل يحسو دمعُه

كلما غني حمامُ فوق أثلِ

اذن الركاكة تنشأ -حسب رأينا -من عدم تمكن الأديب في اللغة التي يكتب بها لافتقاره إلى معرفة أسرارها.

٢- العامية:

لعل أول كتاب في لحن العامة كان من تأليف علي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩هـ)[٦٠٧] وهو اشارة واضحة للدراسين إلى أن العامية قد تسللت إلى اللغة العربية الفصيحة منذ القرن الثانيث للهجرة وربما قبله.

والمظنون ان العامية في هذا العصر قد سيطرت على معظم النتاجات الشعرية، ولاسيما في غرض الهجاء، وهذا ما يلاحظ في شعر الاربليين.

وحين نتصفح دواوين الشعر في اربل، نجد ان الشعراء قد بذلوا جهودا كبيرة في سبيل رفع مستوى شعرهم إلى درجة من النضج والتكامل مجاراة للمتقدمين من شعراء العصر

حتى وقف بعضهم في مصاف البارزين، وفي مقدمتهم الشاعر النشابي الذى تميز أغلب شعره بالرصانة والجودة ولاسيما في مدحه، وبرز الحاجرى في غزله، وابن الظهير في وصفه. ومع ذلك فان لغتهم - في بعض الأحيان - كانت تفقد هيبتها، وتتسلل العامية إلى كيانها، وهو ما سوف نشير إليه لاحقا.

فالنشابي يقدم لنا لغتين مختلفتين، الأولى جادة حين يقف بين يدى الخليفة او الوزير، والثانية لا تشبه الأولى حينما يخاطب رجلا يستهجنه، ويحاول الحط من قيمته، وبهذا فهو يختار لكل موقف لغته، لكن لغته لا تخلو من بعض الألفاظ العامية الشائعة، حتى وان كانت جادة كما في قوله في مدح الخليفة [٦٠٨] (خفيف)

ولو أن النبي أدركــهُ قــا

ل: أبو جعفرٍ مكان مكاني

فاللفظتان "مكان مكاني" عاميتان لا نعلم ماذا يقصد الشاعر بهما؟

وعندما نلتفت إلى لغته الأخرى في سخريته واستهزائه، نرى التغيير باديا عليها حيث تقترب من الليونة والعامية، وكأنه يريد أن يستهجن المهجو بألفاظه قبل الاستهجان بمعانيه، نحو قوله في هجاء صدرالدين ابن نبهان[٦٠٩]:

رجل ابن نبهان الأعيرج شؤمها معلوم

مــادار قَّط بأحــد الاّ لقى المحــتــوم

فانظر إلى الألفاظ "الأعيرج، معلوم، قطّ" وهي كلمات عامية دارجة على الألسن.

وهكذا تسربت العامية رويدا إلى لغة الشعراء في مدحهم كبار شخصيات العصر يدل على ذلك النماذج التي مرّ ذكرها.

أما الغرض الذي لم تكن العامية تخلو منه عند الاربليين وشعراء العصر فهو الهجاء ومرد ذلك - حسب ظننا - إلى ان الشاعر كان يريد ان ينتشر هجاؤه بين أوساط الناس جميعا، لذلك كان لابد له من التعبير عن معانيه بلغة تناسبها وتلائم ذوق العامة والخاصة.

فالحاجري ينحدر في بعض أهاجيه من المعاني العامة إلى المعاني التي ينبو عن سماعها الذوق[٦١٠] وتطغي العامية بصورة مباشرة على سمطاته نحو قوله[٦١١]: (من المسمط)

أي قلبـي مـــــالكْ

تشكوخــــيــــا لكْ

لا أرتـــاح بـــالـــكْ

خــــــالفتَ رائـي

ولم تختص العامية بالهجاء وحده، بل وجدت آثارها في بقية الأغراض الأخرى كالغزل مثلاً.

وقال الحاجري في الغزل(٦١٢): (السريع)

ان شِئْتَ قاطِعني وإن شئتَ صِلْ

لأبد لي منك على كل حـــــالْ

وإذا تجاوزنا صدر البيت، على مافيه من تكرار ثقيل فالعجز من الكلام الدارج .

وهكذا زحفت العامية إلى شعر الاربليين، ومن جميع الأغراض الشعرية ولا سيما الهجاء، فالتعابير العامية شكلت قسطا جيدا من لغة العصر بسبب هبوط المستوى الثقافي واللغوى لجمهور الناس، وأن اكثر الألفاظ التي استخدمت في الشعر لم تكن تحتاج إلى ان يراجع من أجلها المعجمات، بل كانت مفهومة عند السامع والقارئ العادي، بدون بذل جهد وعمل فكر.

وجوه البلاغة العربية:

تكاد دواوين شعراء اربل لا تخلو من وجوه البلاغة العربية ومحسناتها ولابد أن نجد فيها أحد وجوهها.

ويلاحظ أن الجرى وراءها كان الشغل الشاغل لمعظم شعراء العصر، فلم يعد المثل السائر والاستعارة الرائعة والتشبيه أهم ما يجب أن يشتمل عليه شعر العصر، لأن مفهوم الشعر البليغ قد تغير في اواخر ايام العصر العباسي.

وهنا يلاحظ بروز اتجاهين عند الشعراء الاربليين، فالأول ما يلمسه الباحث من انجراف معظم الشعراء مع تيار " مدرسة الرقة والسهولة"، وأصحاب هذا التيار نزعوا نحو السهولة والوضوح وابتعدوا عن التكلف وما جاء بخلاف ذلك كان أمرا عارضاً من غير قصد، وهم لم يتعقبوا الألفاظ العصبة والمعاني المبهمة، وخير من مثل هذا الاتجاه الحاجرى وابن الظهير الاربلي وغيرهما، وهؤلاء لم يتقصدوا في ايراد المحسنات اللفظية، حتى بدت قصائدهم خالية منها.

أما الاتجاه الثاني فقد مثله مجد الدين النشابي وأمين الدين السليماني الاربلي وغيرهما من الذين حرصوا على ان يجمعوا اكبر قدر مستطاع من المحسنات اللفظية والمعنوية، وكأنما حسبوا أن اعجاب الناس بشعرهم مردّه إلى صبّ الفاظهم في اطار جاهز من المحسنات اللفظية.

ولدى استقراء شعر النشابي يلاحظ ان الصنعة البديعية بادية عليه وليس أدل على هذا من تصريحه بذلك في قوله مخاطبا الخليفة المستنصر باللّه في أحد مدائحه(٦١٣): (خفيف)

يا إمــامَ الهُــدى أتتكَ قــوافٍ

مِنْ طبـاقٍ في نظمـهـا وجناسِ

ثم يعود ليؤكد هذا الجهر في قصيدة أخرى(٦١٤):

ولئنْ أرسلتــهــا قــافــيــةً

تتــهــادى في جناسٍ وطبــاقِ

ودعما لما ذهبنا إليه من استغراق بعض الشعراء في بحر من المحسنات نستشهد في هذا الموضع بقصيدة النشابي القافية من ديوان، وهي في مدح الخليفة المستنصر بالله، وفيها من الجناس سبعة عشر ومن الطباق اثنان، مطلعها(٦١٥):

بين جــفــوني والأرقْ

مــاتَ رُقــادي بالغـرَقْ

ولعل ما يدل على اتساع موجة البديع هو انجراف الشعراء من تيارها، وظنهم أنها الضالة التي ينشدونها ويسعون وراءها، فالشاعر امين الدين السليماني الاربلي نظم قصيدة طويلة في كل بيت منها نوع من البديع، وبهذا جمع معظم الوان المحسنات البديعية في قصيدة واحدة، وهي من القصائد النادرة التي قلّ نظيرها في هذا العصر.

قال أمين الدين في مطلع قصيدته(٦١٦): (من الخفيف)

بــعـضُ هــذا الـدلالِ والا دلالِ

حـالَ بالهـجـرِ والتـجنبِ حـالي

حــرتُ أذْ حُــزْتَ ربع قلبي وإذْ

لاليَ صـبـر أكـثـرت من اذ لالي

......الخ.

ففي البيت الأول جانس بين "الدلال والا دلال" وهو جناس لفظي وفي البيت الثاني جناس خطي بين "اذلالي واذلالي" ولكون القصيدة تحتوى على ستة وثلاثين بيتا، وفي كلّ بيت نوع من المحسنات يختلف عن الآخر لذلك فان المقام يضيق بشرحها وشرح ما فيها من الوان البديع الكثيرة.

وفي امثال هذه القصائد قال العماد الأصفهاني "هذه القصيدة من حقها ان تكتب بسويداء القلوب على بياض الأحداق، وقد أحدقت بها حدائق من التجنيس التطبيق والترصيع"(٦١٧):

وقاد هذا الافراط في استخدام المحسنات اللفظية والمعنوية إلى طغيان الصناعة والتكلف

على الشعر، ومن ثم إلى فقد ان الشعر لركن مهم من اركانه، ألا وهو العاطفة، وبذلك غد الشعر عبدا للبديع وألوانه، فهزلت الأفكار، وتكررت الصور التي لاتعبر عن شعور ووجدان عميقين.

ومن هذه الامثلة الشعرية قول النشابي(٦١٨): (رجز)

كــأنما شــاربُهــا

يمُج برقــا قَــدْ خــفقْ

وشــادنٍ يُحــيي الموا

ت صــــوتهُ إذا نطلقْ

رشـــيقُ قـــدٌ إن بَدا

وانْ رنا فـــقـــد رشُقْ

عنا فـــفـــاحَ مندَلٌ

لـنِـا شــق إذا نـشـقْ

وهي أبيات مجردة من العاطفة، ومنتزعة الخيال، وهي لاتجذب الانتباه، ولا توقظ الاحساس، وذلك لأن العقل قد تحكم في شعر هؤلاء الشعراء، وأدى إلى ندرة الصور الشعرية الرائعة، والخيال المبدع، وفقد ان القدرة على تصوير الانفعال والأحاسيس، وبذا فقد خلا الشعر من كثير من المذاق ورهافة الحس.

أما الشعراء الآخرون الذين انتهجوا الاتجاه المعاكس لهؤلاء ولم يسعوا وراء صيد المحسنات اللفظية، ونزعوا إلى الرقة والوضوح، واعتمدوا في نظمهم على الطبع وعلى مهارة شعرية صقلتها الموهبة والخيال والواسع لاستحضار الصور البديعة، والألوان الزاهية(٦١٩) فقد برعوا وأبدعوا في مجال الشعر، ومن يطالع قصائدهم يتمتع بعذوبة الفاظهم وجمال صورهم.

فالحاجرى صوّرلنا البيئة البدوية في غزله أحسن تصوير، وقال(٦٢٠): (الكامل)

يا سائقَ الوجناء -غير مقصرٍ-

يطوي المفـــاوز من ربىً ووهادِ

مالي اليك سوى التحية حاجةٌ

تلقى سعاعدَ بها ودار سعادِ

عــرجْ برامـــة ان رامـــة منتـــهى

أملي وغــاية بُغــيــتي ومــرادي

للّهِ صبٌ بـالعــــراقِ مـــتــــيمُ

ظامٍ إلى مــاء المحــصبِ صــادي

وهذه صورة للخمرة يرسمها ابن الظهير الاربلي بقوله[٦٢١]: (الكامل)

ومـدامـةٍ مـثلَ العقـيق شـربتـهـا

والنجُم في كَـبـدِ السـمـاءِ مُـعلقُ

عـاطيتـهـا بدَر الدجى والليلُ منْ

وَجــهِ المدير ومنُ سناهاُ يشـــرقُ

في روضة حسَنَت، وطابَ نسيمها

فكانِ مـــسكاً في ثراها يعــبقُ

وفي هذه الأبيات يصف الشاعر الخمرة التي يشبه لونها بالذهب في صفرته، والنجم يسامرهم متلألئا في كبد السماء، ويشرق الوجه الجميل للساقي كأنه البدر في رياض طاب نسيمها. وفي النماذج السابقة لانجد أثرا للمحسنات اللفظية، فجاحت الفاظها عذبة سلسة، ومن يطالع شعر أصحاب هذا الاتجاه يلتمس ذلك بوضوح.

ويلاحظ من شعر الحاجري وابن الظهير الاربلي أنهما قد ثارا على تيار البديع في معظم قصائدهما حيث كانت خالية من آثاره أو الوانه في أغلب الأعراض التي تناولاها، فضلا عن امتلائها بالمشاعر الصادقة والعواطف الحارة.

وبعد أن تبين لنا موقف شعراء اربل من موجة البديع السائدة في العصر، وبروز اتجاهين منضادين، نعود إلى وجوه البلاغة العربية التي أشرنا إليها أنفا، ومن تلك الوجوه نستهل بعلم المعاني.

وقد بدالنا من دراسة قصائد الشعراء، شيوع اسلوب الاستفهام، وقد يستخدم الشاعر هذا الأسلوب في مطلع قصيدته، كما فعل ذلك ابو الربيع الاربلي في مدحه للوزير ابن المستوفي بقوله[٦٢٢]: (من الكامل)

هَل عندَ مكانِ اللوى والأجــرعِ

علمٌ بما تطويِ عليــه أضلعي؟

ام هل درى ذاك الغــزالُ بأنني

بـاكٍ عـلـى آثار تـلـكَ الأربـعِ؟

وكذلك استهل بهاء الدين الاربلي قصيدته بأداة الاستفهام "كيف" قائلا[٦٢٣]: (من السريع)

كيفَ خلاصي مِنْ هَوى شادنٍ

حكمهُ الحسنُ على مهجتي؟

بعادهُ ناري التي تتقى

وقربهُ لوزارني جنتي

وقد يستعمل الشاعر أداة الاستفهام بين القصيدة، نحو قول النشابي في البيت الرابع عشر من قصيدته المدحية[٦٢٤]: (كامل)

هَلْ لي إلى دارِ السَّلام زيارةٌ

يشفي بها القلبَ القريحَ مِن الصدى؟

واستخدم الشعراء أساليب أخرى منها أسلوب النداء وخاصة في غرضي المدح والغزل، وهذا شيطان الشام ينادي ممدوحه بـ "يا" النداء قائلا[٦٢٥]: (من الكامل)

يا أيها الملكُ الذي في وجههِ

مِنْ بشْرهِ وسماحهِ نورانِ

والحاجرى في غزله ينادي محبوبه بـ(يا) النداء بقوله[٦٢٦]: (السريع)

ياقمراً في القلبِ أضحتْ لهُ

دقائقُ دقتْ على كوسيارْ

وعند التمعن في شعر اربل نجد ان هذه الأساليب مستخدمة بكثرة وعند معظم الشعراء.

والحديث الآن عن الوجوه والصور البيانية التي اشتمل عليها شعر الاربليين التي من أهم الوانها التشبيه والاستعارة، وفيا يخص التشبيه، لقد وقفنا على تكرار المعاني والأفكار التي طرقها السابقون بصورة بينة، كتشبيه الكريم بالبحر، والفارس الشجاع بالأسد، والملك أو الأمير العظيم بالنجم في العلو أو بالشمس.

وقد شبه ابو الربيع الاربلي ممدوحه بالبحر في الكرم وليث الوغى في النوائب، بقوله[٦٢٧]: (من الطويل)

وبحرُ نوالٍ لا يفيضُ قرارهُ

وليثُ وغىً يعدي على نوب الدهرِ

وكذلك الممدوح عند الحاجري كالبحر وكالجوزاء وكالأسد في قوله[٦٢٨]: (من الكامل)

كالبحرِ يوم ندى وكالجوزاء يوْ

م عَلا وكالضرغامِ يومَ طرادِ

وفي الغزل أعاد الشعراء المعاني المطروقة نفسها كتشبيه الوجه الجميل بالبدر، نحو قوله بهاء الدين بن نجا الاربلي[٦٢٩]: (من الخفيف)

وجهـهُ والقوامُ والشعـرُ الآسـوُد

في بهـجـةِ الجـبينِ النضـيـرِ

بدرتُم على قـضـيبٍ عليـه

ليلُ دجن مِنْ فـوقِ صُـبحٍ مُنيـرِ

وفي المعنى نفسه قال ابو علي عزالدين الاربلي[٦٣٠]: (من الكامل)

رَشاً، لهُ بينَ الجوانحِ مرتعُ

بُدُر لهُ قلبي وطرفي منزلهْ

وكذلك ظلّت العيون تشبه بالسيوف في الغزل بالمؤنث، أما اذا كان المتغزل به ذكرا قيل فيه انه شاهر سيفين، أي سيفه وعينه، نحو قول أبي علي عتيق بن علي الاربلي[٦٣١]:(من السريع)

ناطقني مِنْ طرفهِ الوحـيا

وهم أن ينطق فاستـحـيا

جرد لي سيفينِ منْ لحظهِ

أمـوتُ مِنْ ذا وبذا أحـيـا

وقد ذكرنا ان سمه الشعر البارزة في العصر هي الوضوح في الألفاظ والمعاني، وأدى ذلك إلى ايراد التشبيهات الواضحة التي لاتحتاج إلى تفكير عميق في ادراكها.

ومن التشبيهات الواضحة قول ابن الشعار الموصلي صاحب كتاب "قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان "الذى أقام في اربل سنين عديدة، وهو يشبه قامة محبوبه بالغصن الذى يرنحه كالنسيم الهاب"[٦٣٢]: (من الكامل)

وَمـوردِ الاجـفـانِ تحـسبُ قـدهُ

غـصناً يرنحـه النيـمُ إذا سرى

ويشبه بهاء الدين الاربلي دموعه بالسحاب المطر في قوله[٦٣٣]: (من الطويل)

أأظمـأ غـرامـاً في هواكَ ولوعـةً

ولي دمعُ عينٍ كالسـحـابِ بكيتـه

أما ابن خلكان فانه يبالغ في تشبيه وجه محبوبه، وهو يراه أجمل من البدر، في قوله[٦٣٤]: (من الدوبيت)

قاسوكَ ببدر التم قومٌ ظلموا

لا ذنب لهم لأنهم ماعلموا

ونختم التشبيهات الواضحة ببيت من شعر أن الظهير، وهو قوله[٦٣٥]: (من الكامل)

وأن طرتهُ ونور جبينه

ليلُ تالقَ فيهِ بارقُ صبحهِ

ويلاحظ ان شعراء الامارة يكررون تشابيه الشعراء المتقدمين، وكل يتصرف فيها بحسب شاعريته وقدرته، ومن التشابيه المألوفة التي أعادها معظم الشعراء تشبيه المرأة بالظبية، وكما في قول الحاجرى[٦٣٦]: (طويل)

لوى جيدهُ كالظبي عن لسر بهِ

وأقسم تيهاً لايرقَ لصبهَ

فهذه التشبيهات وغيرها كثيرة عند الشعراء ولا تتعدى حدود وصف الشيء بما يقاربه لزيادة الوضوح، بيد ان هذا لايعني ان الشعراء لم يوظفوا هذا الفن توظيفا يصلون بهِ إلى مستوى يبعث النشوة في نفس السامع من خلال الصياغة والتصوير باعتبار "ان التشبيه من أهم أدوات التعبير الجمالي عند الشاعر ومظهر براعنه واقتداره "[٦٣٧] بل ان بعض الشعراء صاغوا تشابيه رائعة من حيث الدقة والتعبير، ومنهم النشابي الذي ربط بين طرفي التشبيه البرق الخافق والقلب الخافق، بصورة حسية جمالية دقيقة في قوله [٦٣٨]: (كامل)

والبرقُ يخفقُ مِنْ خلالِ سحابةٍ

خفقَ الفؤادِ لموعدٍ مِنْ زائرِ

وكذلك يشبه وميض البرق بالسلاسل الذهبية والسيوف البراقة القاطمة نحو قوله[٦٣٩]: (طويل)

كأنّ أئتلافَ البرق مِنْ جنباتها

سلاسلُ تبر أو سيوفُ قواضبُ

وقد يرسم لنا الشاعر صورا تفصيلية متلاحقة الأجزاء حيث تتابع التشبيهات في عّدة أبيات من القصيدة[٦٤٠]: (بسيط)

وأنهض إلى قهوة تبدي أشعتها

في الكأسِ مثل ضياءِ الشمسِ في الأفقِ

فتلكَ بدري، وبدر الليلِ في حُجبٍ

وتلك شمسٌ، وشمسُ الناسِ في الشفقِ

ومن تشبيهات الحاجري الرائعة، قوله في الغزل، ويظهر أنه سباق إليها [٦٤١]: (المتقارب)

فقد شبّه كف المحبوب بالشمس في البريق واللمعان من جهة، وانفراد كفه برائحة عبقة سحرية، وقد أبدع في تشبيه المحسوس بالمعقول.

ويبدولنا أن الشعراء لم يكتفوا بترديد معاني التشبيهات المألوفة والشائعة، بل سعو إلى اخترع معانٍ جديدة لم يطرقها السلف في عصر طغى عليه التقليد وعزّ فيه الابداع، منها قول الحاجرى[٦٤٢]: (الطويل)

وما أخضَر ذاك الخد نبتاً وانما

لكثـرة مِـا شـقت عليـهِ المرائرُ

وهو تشبيه لم ينل به استحسان بعض أهل البيان، ومنهم ابن حجة الحموى "وقالوا مازاد الحاجري على ان جعل خدّ محبوبه مسلخا. فأن فيه بشاعة شق المرائر على خدّ المحبوب"[٦٤٣]، الاّ ان هذا النقد لم يمنع هذا التشبيه من الانتشار حتى لنجد شاعر الأندلس ووزيرها لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٦٦هـ) يقول[٦٤٤]: (الطويل)

تذكرتُ بيتاً في العذارِ لبعضهم

له مثلٌ بالحسنِ في الأرض ساترُ

" وما أخضَر ذاكَ الخد نبتاً وأنما

لكثـرةِ مـا شـقت عليـهِ المرائرُ

وللحاجرى معانٍ أخرى غير مطروقة، نحو قوله[٦٤٥]: (الكامل)

أومى بوجنتيـه إلى كـأنهـا

في شكلها عينُ الغـزالِ الأغـيـدِ

فقد شبه وجنة الحبيب بعين الغزال.

أن الشائع الملاحظ في هذه الحقبة هو اجراء التشبيه بين الأطراف المادية المشاهدة، أما التعبير عن أفكار دقيقة أو اختيار تشبيهات يكون الشبه فيها خافيا غامضا ويجيء المشبه به مشهور الصفة فيزيل بذلك غرض المشبه ويحدد صفته، فان هذا الضرب من التشبيهات قليل بصورة عامة.

ومن تلك التشابيه قول النشابي[٦٤٦]: (كامل)

تَتَنفسُ الصهبـاءُ في لهـواتهِ

كـتنفسِ الريحانِ في الآصالِ

وكـأنما الخـيـلانُ في وجناتهِ

ساعاتُ هجرٍ في زَمانِ وصالِ

فوجه الحسن في البيتين هو ان المشبه محسوس والمشبه به معقول. ومنها ايضاً قول عمر الدنيسرى[٦٤٧]: (من الكامل)

فـالبـدُر مـفـتـقـرُ إلى أنوارهِ

والغصنُ مضطرُ إلى حركاتهْ

والسـر مِنْ الحـاظهِ والدر مِنْ

ألفـاظهِ والوردُ مِنْ وجناتِهْ

فالتشابيه "السّر من الحاظه والدر من الفاظه والورد من وجناته" من التشابيه المقلوبة التي جعل الشاعر فيها المشبه مشبها به بادعاء ان وجه الشبه فيه أقوى وأظهر، وقصد بذلك المبالغة، وهذا مظهر من مظاهر الافتنان والابداع.

ولعل من اللافت للنظر أن شعراء الامارة قد تأثروا بنصوص القرآن الكريم وأفادوا من المعاني الدينية في خلق مجموعة من التشابيه التي يظهر فيها تأثر الشعراء واضحا بالبيئة الدينية التي اهتم بها أمير البلاد، فاختار الشعراء من مفردات القرآن الكريم ومضامينه وقصصه وحكمه ماشاؤوا، وليطرزوا بها أشعارهم ويزيدوا من قوة تأثيرها في نفوس السامعين.

ان المتأمل لديوان النشابي، يلمس صدى القرآن الكريم في كل قصيدة من قصائده، من ذلك قوله[٦٤٨]: (كامل)

فكأنهُ فينا المسيحُ وقَدْ غدتْ

صدقاتهُ تحيي الغداةَ رميما

شبه الشاعر الخليفة بالسيد المسيح – عليه السلام- في أنه أحيا الناس بالصدقات كما كان السيد المسيح يحبس الناس بمعجزاته بأذن اللّه تعالى، وقد أفاد من قوله تعالى على لسان السيد المسيح: *(وأبرىء الأكَمهَ والأبرصَ وأحيي الموتىُ باذن اللّه)*[٦٤٩]، وقال ايضاً[٦٥٠]: (خفيف)

وأرانا صرحاً، كأن قواريـ

ـرَ لديهِ قد قدرتْ تقديرا

وهنا يشبه قصر الخليفة في جماله بالأواني الزجاجية الملونة، وقد أفاد من قوله تعالى:

(... قال انه صرح ممرد من قوارير)[٦٥١] وقوله تعالى: *(قوارير من فضة قدروها تقديرا)*[٦٥٢] وفي هذا البيت أفاد الشاعر من النص القرآني بتمامه في صوغ او ايجاد التشبيه المطلوب.

وقد يستفيد الشاعر من المعنى او الفكرة القرآنية في صياغة التشبيه الذي يريده، دون أن يتقيد بالنص القرآني، وهذا الضرب من التشبيهات هو الذي يجذب الانتباه لكثرته في شعر الامارة.

ومن هذا القبيل قول الحاجرى[٦٥٣]: (الخفيف)

أنتَ منا كـــثـــوبِ يوسفَ لما

حَمَلَتهُ البشرى إلى يعقوبهِ

وأفاد الشاعر من قوله تعالى: *(فلما أن جاءَ البشيرُ ألقاهُ على وجهِهِ فارتَدَّ بصيرا)*[٦٥٤]

فقد استلهم المعنى من قصص الانبياء، حين شبه هبوب نسيم الديار الحجازية الذى حمل له أخبار الحبيبة بثوب يوسف الذى حمل البشرى إلى نفس يعقوب ببقائه على قيد الحياة وجعله بصيرا.

وقال ايضاً[٦٥٥]: (الوافر)

كـــأني يونسُ والريحُ حـــوتُ

ومن حولي - وقُيت الشر- بحرُ

وقد أفاد من قوله تعالى: *(وإن يونسَ لمن المرسلين)*[٦٥٦]

ويقوله تعالى:

* (فالتقمهُ الحوتُ وهوَ مُليم)*[٦٥٧]

أما ابن الظهير الاربلي فقد صاغ بعض تشبيهاته من أفكار ومعاني دينية، ولوحظت هذه المعاني عند معظم الشعراء، قال ابن الظهير[٦٥٨]: (البسيط)

صلى إلى حبكمُ قلبي وَطافَ بِهِ

فـأنتم كـعبـةُ المُشتـاقِ والحَـرَمُ

فالألفاظ "صلى، وطاف، وكعبة، والحرم" جميعا ألفاظ إسلامية جاء ذكرها كثيرا في القران الكريم.

ومن الألوان البيانية الأخرى الاستعارة، وفي هذا الصدد نقول أن الفاظ اللغة كثيرا ما تعجز عن أداء المعاني أداء حقيقيا معبرا، فيضطر الشاعر إلى اللجوء إلى الاستعارة وغيرها

من الوسائل للتعبير عن افكاره وأحاسيسه في شكل صور فنية، فقد "تفعل الاستعارة في نفس السامع مالا تفعل الحقيقة"[٦٥٩] والاستعارة ضرب من التشبيه، وأنها من الوسائل المهمة في أداء الصورة الشعرية، وتتطلب رسوخ قدم الشاعر في الفن الشعرى، وبذلك فقد قلت الاستعارات الجيدة عند شعراء الامارة.

ومن لطيف كلام النشابي الذي جمع فيه الاستعارة المكنية مع الاستعارة التصريحية، قوله[٦٦٠]: (كامل)

حَلَّ العـزائمَ عند حلّ لثـامِـهِ
بدرٌ يفـوقُ البـدر عند تمامـهْ

ففي صدر البيت استعارة مكنية، اذ استعار للعزائم صفة من صفات شيء معقود كالحبل أو اللثام، كما ورد في الشطر نفسه على وجه الحقيقة "حل لثامه"

وفي العجز استعارة تصريحية، اذ استعار للممدوح لفظة "البدر" بعد حذف المشبه، وجانس بين "بدر" و "البدر" في الوقت نفسه

ومن الاستعارات المتتابعة قوله ايضاً[٦٦١]: (خفيف)

أقبلَ العامُ مفصحاً بالهناءِ
رافعـاً بالثناء كفَّ الدعـاءِ
مُقسماً - غير آثم - أن أياً
م أبي جعفـر كنوزُ البقـاء
كلما جاء عامـهُ بشر القا
دم مِنْ بعـدهِ بحسنِ اللقـاءِ

ففي الأبيات السابقة استعارات مكنية، لأن الافصاح ورفع الكف بالدعاء والقسم البشرى، كلّ هذه من صفات الانسان، وهو الذي ما يسمى بظاهرة التشخيص التي لمحناها كثيرا في شعره.

وقد جنح بعض الشعراء في استعاراتهم إلى التشخيص حيث استعاروا من الصفات ما يبث روح الحياة والحركة في الجوامد، ولم يقتصر هؤلاء في استعاراتهم على تشخيص المعنويات وتجسيدها كما فعل النشابي في الأبيات المذكورة آنفا فحسب، بل تعدت استعاراتهم إلى تشخيص المحسوسات وتجسيدها ايضا من ذلك قول الحاجرى[٦٦٢]: (الكامل)

حلَف الربيعُ بقــدهِ الفــتــانِ

وتحـرشَ الأغصـانُ بالأغصـانِ

وببهجةِ الزهرِ الأنيف إذا سَرَتْ

أنفــاســهُ مــسكيــةَ الأردانِ

ففي البيت الأول استعارة مكنية لأنها شبهت الأغصان بالصفات الانسانية وحذف المشبه به، وأشار إليه بشيء من لوازمه وفي البيت الثاني شبه الزهر بالصفة الانسانية نفسها، ورمز للمشبه به بأنفاسه. وكما استعان الشعراء بالتشبيه والاستعارة في ابراز المعاني وتجسيد صـورها فـقـد اسـتــخـدمـوا الكناية ايضـاً، وهـي " ان تكنى عن الشيء وتعـرض به ولا تصرح"(٦٦٣) ومن ابرز ميزاتها انها توضح المعنى الكثير باللفظ القليل.

ومن طريف كنايات الحاجري(٦٦٤): (السريع)

يمشي وعــزرائيلُ مِنْ خلفِــهِ

مُــشــمــرُ الأردانِ للقــبضِ

وفي البيت يهجو الشاعر طبيبا يعرف بابن شمعون، ويقصد بعزرائيل الموت، فعدل عن التصريح بالاشارة إليه والكناية عنه. ومن كنايا الاربليين قول امين الدين الاربلي(٦٦٥): (من الخفيف)

أنا أخـفي هـواكَ صـوناً وإن بـ

ت طعينَ القنا جــريح النبــالِ

استخدم الشاعر الرمح والنبال كناية عن الحاظ محبوبه الفتاكة.

والكناية أقل شيوعا في شعر النشابي قياسا مع التشبيه والاستعارة ومن كناياته في مدح الخليفة قولُه(٦٦٦): (الطويل)

أبي جـعـفـر المنصـور أكرم منْ مش

على الأرض هَوناً، أو على متن أجـردِ

استعمل الشاعر "مشي الهوينا" كناية عن التواضع، و" علو متن أجرد" كناية عن الفروسية والبطولة والاقدام.

وقوله(٦٦٧): (مجزوء الكامل المرفل)

القــاتلُ الأمــوالِ كــالـ

أبطالِ في ليلِ الهــريرِ

وقال ايضاً[٦٦٨]:

مِنْ مــعــشــرٍ أيديهمُ

خُلقت مِنَ الغيثِ المُطيرِ

فـاسـتـخـدم "القـاتل الأمـوال، وأيديهم خلقت من الـغـيث المطير " كـناية عن الكرم والجـود والعطاء.

ومن كنايات ابن الظهير قولُه في الرثاء[٦٦٩]: (بسيط)

كـــســـاكَ ربك أثوابا مـــجــملةً

يضيقُ عَن حصرِها التفصيلُ والجملُ

فأراد ان يثبت للمرثي فوزه بالجنات النعيم وترك التصريح وانصرف إلى التعبير عنها بالأثواب كناية.

وفي موضع سابق كنا أشرنا إلى بروز اتجاهين متضادين، وموقفين مختلفين في استخدام الوان البديع، فمنهم من أغرق نفسه في الجرى وراء المحسنات البديعية، ومنهم من لم يقصد اليها دائماً وانما أتت في شعره دون تكلف او تصنع.

ونعود الآن إلى البديع نفسه، حيث غدا سمة تعبر عن ذوق العصر في الميل إلى هذا الفن، يتسابق إليه الشعراء لاظهار مهارتهم في النظم وقدرتهم عليه، لأن الاجادة فيه أصبح معيارا لجودة الشعر، وأصبحت براعة الشاعر في استعمال المحسنات البديعية دليلاً على سعة ثقافته وثراء لغته.

وقد اصبحت الوان البديع مجرد زينة لا تحوى عقلا ولا فكرا، وليست لها هذه الطرافة التي كنا نجدها في شعر ابي تمام[٦٧٠] وبدأت تسيء إلى القصيدة العربية، لأنها كثرت وصارت تدل على التكلف والبعد عن الطبع والصدق، وتحولت إلى زخارف افظية لاحياة فيها[٦٧١].

والملاحظ ان فئة من شعراء اربل أسرفت في استخدام البديع اسرافا بالغا، فهذا امين الدين السليماني الاربلي، نظم قصيدة طويلة التزم في كل بيت منها ضربا معينا من البديع[٦٧٢] وهؤلاء لم يعتمدوا على التقاليد الموروثة لهذا الفن بل اعتمدوا على رأيهم الشخصي في ابتداعه[٦٧٣]. والملاحظ على شعراء القرن السادس بشكل عام جنوحهم إلى استخدام الجناس والطباق بكثرة، نتيجة لاهتمامهم بموسيقى الشعر، لذا تجدهم قد مالوا إلى الفنون البديعية أكثر من ميلهم إلى بعض الفنون البيانية[٦٧٤] ولدى استقراء ديوان النشابي نجد ان الجناس والطباق من اكثر الوان الصنعة البديعية شيوعاً فيه، ومن امثلة الجناس التام ماجاء في قوله[٦٧٥]: (كامل)

أو أشكلَ الأمـرُ العظيم بدا لهُ

عـزمٌ يحل عـقـائداً بعـقـائد

فالعقائد الأولى بمعنى الأمور المعقدة والثانية بمعنى التصميم والثبات.

ومنه ايضاً قول ابن الظهير الاربلي[٦٧٦]: (الخفيف)

أنا مسـتـعذبٌ عذابي ومُختـا

رُعلى العـز في هواكمُ هواني

فالهوى الأول بمعنى الحب الصادق والثاني بمعنى الذّل.

ومن جناس الحاجرى التام قولُه[٦٧٧]: (الخفيف)

قلتُ لما بَدا وأعـــرضَ عني

هكذا منْ يهـواك يلقى الهـوانا

قـال أنت العـزيز بل ذاكَ كي لا

يفـهم الكاشـحـونَ منّا هـوانا

فالهوان الأول يعني الصدّ والهجر، والثاني يعني المودة والمحبة.

ولهـذا اللون من البـديع الذي هومـا اتفق ركناه لفظا واختـلفا مـعنى نماذج قليلة في شـعـر الاربليين بسبب عدم اكتراث الشـعـراء به. اما الجناس الناقص الذي هـو تجانـس اللفظين في الحـروف والحركات مع الاختـلاف في عدد الحروف، فله نماذج كثيرة بسبب اهتمام الشعراء به، واقبالهم عليه.

فمن الجناس الناقص قوله امين الدين الاربلية [٦٧٨]:(من الخفيف)

بـعـضُ هـذا الـدلالِ والإدلالِ

حـالَ بالهـجـر والتـجنبِ حـالي

فقد جانس الشاعر بين الدّلال الذي يعني التدلل والا دلال الذي يعني الوصل بعد الصدّ.

ومنه ايضاً قول النشابي[٦٧٩]: (رجز)

لو كنتُ فـيـهم حـاضِـراً

سـابقتُ في أخـذ السـبقْ

فالسابق والسبق كلمتان متجانستان لاتفاوت بينهما الاّ بحرف واحد.

وبسبب تنوع الجناس وكثرة مسميانه نذكر نموذجين آخرين فقط للحاجرى احدهما جناس الترجيع كما في قوله[٦٨٠]: (السريع)

والراحُ في راحة مستعربٍ

كالبدر يبدو منْ محياهُ نورْ

فقد جانس بين الراح وهي الخمرة مع الراحة التي هي كف الساقي الأبيض.

ومن جناس التصحيف قوله[٦٨١]: (الكامل)

بُعثَ الغرامُ منْ الخيامِ فيا لها

تحفُ تخفَّ لحــملهــا الأعناقُ

فالغرام والخيام متماثلان خطا ومختلفان في النطق وفي النقط.

وهكذا يبد واضحا من النصوص المتقدمة أن شغف بعض الشعراء بالجناس كان كبيرا وحرصوا على الاتيان به وتكديسه على حساب المعنى وجودة النص.

وهكذا لم يمنع الشعراء الآخرين من السير في الطريق المضاد أذ سبق أن ذكرنا عدم اكتراثهم بفن البديع.

ويأتي الطابق والمطابقة في المرتبة الثانية بعد الجناس، فالطباق هو " ذكر الشيء وضده"[٦٨٢]: وهو كثير الورود في شعر الاربليين ولا سيما في ديوان الحاجري قياسا مع غيره من الدواوين، واختيارات الحاجري لاتخلو من حسن صياغة، نحو قوله[٦٨٣]: (الطويل)

أعـاتبـهُ والطرفُ يفتكُ في دَمي

مُذيتَ حبيباً سلمهُ مثلَ حربهِ

فقد طابق بين لفظتي السلم والحرب، فالعتاب لايفيد في محبوبه لأن عواطفه متضادة لايعرف لها استقرار وهو طباق بين اسمين.

ويذهب الحاجري إلى المقابلة – في بعض الأحيان – حتى يتسع في الطباق ليضم شعره اكثر من طباق واحد، كما في قوله متغزلا[٦٨٤]:(الطويل)

فليـتكم عـُدلٌ، ودهري جــائرٌ

وليـتكمُ سِلمٌ وكل الورى حَـربُ

وفيه مطابقة بين عدل وجائر، وسلم وحرب.

فالطباق اذا جاء ضدين كان مقابلة[٦٨٥]:

ومن ذلك قول النشابي في المدح[٦٨٦]: (رجز)

وَهِـمـــــةٍ كـم رتـقـتْ

في الدينِ كلمـا آنفـتقْ

لكَ السـرورُ دائمـاً

مُـصطبحُ ومـغـتـبقْ

فقد أتى بازاء (رتق) (انفتق)، وبازاء (مصطبح) (مغتبق) وهي مقابلة اثنين باثنين.

وبهذا اللون من البديع، يعبر النشابي عن ثقافة عربية اسلامية واسعة، استغلها في قصيدة دالية في مدح نصير الدين احمد بن الناقد، وقد أفرغ فيها فنه الشعرى وبراعته في اختيار الفاظ القصيدة جميها، نحو قوله(٦٨٧): (كامل)

لولا انسكابُ الدمعِ ما ظهرَ الهوى

مني لعـادي لوعـتي أو عـائِدي

وَمِنَ العـجـائب أن قلبـاً مـوثقـا

بيـدِ الغـرامِ رفـيق دمعٍ شـاردِ

أبكي فـيـبـدى ثغـرهُ كـمـدامـعي

مُـتـبـسـمـا عن سلسـبيلٍ باردِ

فـأصـد عنهُ بشـوقِ قلبٍ وامقٍ

وأغـيبُ فـيـه بلحظ صبٌ سـاهدِ

ونجد في الأبيات طباقا بين "عادى وعائدى" والموثق والشارد، وأبكي ومبتسم"، وهي أسماء، وفي الأبيات طباق بين فعلين وهما "أصد عنه وأغيب فيه".

وعلى الرغم من انحسار البديع- ومنه الطباق - في شعر ابن الظهير الاربلي فان دراسة شعره وقراءة ما بين ابياته تثبت أن البديع قد تسلل إليها، وبدت مظاهره طبيعية غير متكلفة، فمن طباقه قوله(٦٨٨): (طويل)

ودعـوى المحب السكر آية صـحـوهِ

وَهَلْ عاشقٌ مَنْ يعرفُ السكر والصحوا

وفيه طابق بين "السكر والصحو" وهما ضدّان.

ومن ألوان البديع الأخرى الترصيع، حيث أنه يستملح ويستحسن في النظم اذا أحسن الشاعر استخدامه في شعره ولم يصل به حد الاسفاف والتصنع، لأنه اذا كثر وتوالي دلّ ذلك على التكلف(٦٨٩).

ويظهر من شعر النشابي أنه استخدم هذا الفن الشعرى وأجاد فيه، ولا سيم في مدحه حين ذهب فيه إلى تعداد مناقب ممدوحه بقوله(٦٩٠): (كامل)

بحـر الندى، داني المدى، نور الهُـدى

مُغني العدا، دامي المدى، ليثُ الشرى

رَحبُ الذرى، جم القـرى، عذبُ الثرى

كاسـي العُرى، وثيقُ أسـبابِ العُرى

فقد جزأ الأبيات بفواصل متوازنه من جانب وبجمع منسجم بين الألفاظ والصيغ من جانب آخر، واستطاع أن يتحفنا بفن بديعي مستساغ قلّ نظيره عند شعراء اربل.

ومن شعر امين الدين الاربلي نختار هذا الترصيع(٦٩١): (من الخفيف)

خنْتَ عَـهْـدي فـدامَ وجـدي فـهلْ يـكـ

بتُ ضـــدي يومـــاً بطيبِ الوصـــالِ

فالترصيع واضح في خنت عهدى، ودام وجدى، ويكبت ضدى، وطيب الوصال.

ومن ضروب البديع الاقتباس والتضمين، وقد سبقت الاشارة اليهما بصورة مقتضبة لدى حديثنا عن فن التشبيه وتأثر الشعراء بالتشابيه الواردة في القرآن الكريم، ولا ضير هنا ان نذكر بعض الأمثلة الأخرى لغرض اعطاء الموضوع حقّه.

ويظهر أن تأثر الشـعـراء بهذا الفن كان واسـعا جدا في هذا القرن وخاصة بآى الذكر الحكيم الذي "أصبح في هذا العصـر نوعا من الضـرورة في الشـعـر"(٦٩٢)، حتى ان بعض الشعراء، استخدموا بعض معاني القرآن في وصف الخمرة، كما جاء عند الحاجرى(٦٩٣): (المنسرح)

حـــــــيثُ كـــــــؤوسُ المُدام دائرةٌ

والبـدرُ في الأفقِ شـبـهُ عُـرجـونِ

وقـد أخـذ المعنى من الآية الكريمة: *(والقـمـرَ قـدرناه منازلَ حـتى عـادَ كـالعُـرجـونِ القديم)*(٦٩٤):

اما في الغزل فقد اقتبس ابن خلكان بعض الفاظ القرآن الكريم بقوله (٦٩٥): (من الطويل)

يقـولُ عـذولي والغـرامُ مُـصـاحـبي

أمــالكَ عَنْ هـذي الصــبـابةِ مـذهبُ

وَفي دَمِك المطلولِ خـاضُوا كمـا تَرى

فـقلتُ لهم: ذرهُـم يخـوضـوا ويلعـبـوا

وهي مــأخـوذة من قـوله تـعـالى:*(ذرهُـم يخـوضـوا ويلعـبـوا حـتى يُلاقُـوا يومـهـمُ الذي

يوعَدُونَ)*(٦٩٦). فالتضمين القرآني - على ما هو معروف - يشدّ قوى الكلام، ويثبت صحته في الافهام (٦٩٧):

ويبدو أن النشابي وظّف هذا المفهوم في شعره اذ يعد من ابرز الشعراء في هذا الفن.

ومن اقتباس النشابي قوله (٦٩٨): التقارب

فَـصلّ لربكَ ثم انحـرْ

وضعْ بشـانئك الأبتـرْ

في البيت اقتباس من قوله تعالى:*(فصل لربك وانحر، إن شانئك هُو الابتر)*(٦٩٩):

كما اقتبسوا من الحديث الشريف ومنه قول النشابي(٧٠٠): (بسيط)

يُشـابِهُ الوردُ رأسـاً في زجـاجـتـهـا

فـادرأ حـدودكَ في اللذاتِ بالشـبـهِ

وهو تضمين لقوله - صلى الله عليه وسلم -: (ادرؤوا الحدود بالشبُهات)(٧٠١):

وقد اكثر شعراء اربل من التضمين ايضاً فضلا عن الاقتباس، فالتضمين من محاسن البديع عند ابن المعتز وسماه حسن التضمين (٧٠٢) وعرف التضمين في عصر الامارة بشكل واسع بحيث اتخذ عند البعض مذهبا خاصا بهم (٧٠٣).

ومن طريف التضمين قصيدة للنشابي، ضمن فيها ألقاب الخلفاء العباسيين حسب التسلسل التأريخي لحكمهم، وهي في مدح الخليفة المستنصر بالله مطلعها(٧٠٤): (كامل)

بشرى كمهل السحابِ الممطرِ

تنجابُ عن فلقِ الصباحِ المسفرِ

أو بفرحةِ العاني، وإدراكِ المُنى

أو فرحةِ الساري بليلٍ مقمرِ

اللّهُ خص العـــالمينِ بنائبٍ

مُستبصرٍ، وخليفةٍ مُستنصرِ

ومن ضروب البديع التورية.

وقد تحدث عن أهميتها ابن حجة الحموى واعتبرها من أعلى فنون الأدب(٧٠٥). وهي " أن تكون الكلمة تحتمل معينين، فيستعمل المتكلم احد احتماليهما ويهمل الآخر، ومراده ما أهمله لا ما استعمله"(٦٧٠). ومن توريات الحاجري الذي يظهر من استقراء ديوانه أنه كان مقلا في هذا الفن، قوله (٧٠٧): (الطويل)

سَــرَى طيــفــهُ الي مــجــددا

عُهودَ الهَوى يا حـبذا ليلةُ الاسرا

والتورية في ليلة الاسراء، فالشاعر لم يرد معناه الظاهر، بل أراد بها الليلة التي أسرى بها طيف الحبيبة.

أما الشاعر النشابي، فقد كان مكثرا، وسعى إلى تحسين شعره بالتورية من ذلك قوله على سبيل المثال لا الحصر(٧٠٨): (طويل)

ألا فـأروني مَنْ له الحـمـدُ مـسندُ

سِوى أحمدٍ أو في الوزارةِ مسندُ

في البيت تورية بمسند الامام احمد بن حنل، والحمد مسند إلى احمد ابن الناقد الوزير.

ومن ضروب البديع حسن التعليل.

وهذا الضـرب من البـديع يكشف عن طبع الشـاعـر وقـدرته على الابداع "وهو أن يدعى للوصف علّة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي"(٧٠٩)

ويظهر بأن الحاجرى قد برز فيه، نحو قوله(٧١٠) (سريع)

لَوْ لَمْ تكنْ وجنتـــــــهُ جـنةً

مــا أنبــتت ذاكَ العــذارَ الانيقْ

يرى الشـاعـر ان وجنته لم تكن جنة الاّ بسبب ظهور ذلك العذار الأنيق حيث ينكر السبب الحقيقي بكون وجنته تشبه الجنة بحسنها وبهائها.

ومن حسن تعليل النشابي نذكر له هذا البيت(١٧١): (كامل)

كَمْ قيلَ صِفْ صدَقاته، فأجبتهمُ

أمـا حـيـاتي فـهي في إنعـامـهْ

فقد بالغ في وصف صدقات ممدوحه التي شملت الناس جميعهم، فهو لذلك يدّعي ان حياته السعيدة مستمرة في انعامه، وهي اشارة إلى كثرة صدقاته.

ومن الوان البديع الأخرى رد العجز على الصدر، ويسمى الترديد أو التصدير(٢٧١) وقد ذهب بعض الباحثين إلى ان هذا اللون البديعي يصبح مهارة فنية من المهارات التي يجب على الشعراء الأخذ بها ان استطاعوا، لأنه يساعد من ناحية على وضوح المعنى ومن ناحية أخرى يزيد الموسيقى اللفظية من خلال التكرار النغمي الذي يراد به تقوية الجرس (٧١٣).

ويبدو ان الحاجرى قد شغف بهذا اللون البديعي شغفا كبيراً. وأجاد في استعماله، وهذا

لايتأتي الاّ للشعراء المجيدين الذين يمتلكون موهبة وملكة لغوية كبيرة، ومن قوله الحاجرى (٤٧١): (الوافر)

سَـــلامُ اللّهِ مـــا لَمَعَتْ بُروقٌ

على منْ ليس يسـمحُ بالســلامِ

فقد جاءت لفظة السلام في أول البيت وآخره، واختيارها يدل على ذوق وفن.

ومن جميل امثلة هذا اللون قوله ايضا(٧١٥): (الطويل)

ولو أنّ ناراً بالُمحـصبِ أوقـدتْ

وليلي بنجـدٍ قلتُ هاتيك نارُها

فالمقصود من النار الأولى النار الاعتيادية، أما الثانية فانها تعني شدة الوجد والشوق.

ومن تصدير الاربليين ايضا هذا البيت لاصين الدين الاربلي(٧١٦) (من الخفيف)

مـاجـدٌ بعض فـضلهِ بذلهُ الما

ل وقـل الذي يـجـــــودُ بمـالِ

ويدلي النشابي بدلوه في هذا الفن ولكنه دون مستوى الحاجرى في ابداعه، يقول(٧١٧) (وافر)

اذا نحـرتْ مـهـابتكَ الأعـادي

ترصـعَ مدحُ صنعكِ في النحورِ

فـ(نحرت) الأولى تعني (الذبح) اما الثانية فالمراد بها أعالي الصدور.

ويعد حسن التخلص من ضروب البديع الأخرى والذى سماه ابن رشيق (ت ٤٦٥هـ) بـ"لطافة الخروج"(٧١٨) وقد شغل هذا الفن النقاد قديما لأهميته الفنية في القصيدة، فاذا ما وفق الشاعر في الانتقال من المقدمة التي يقصد بها الاثارة إلى الغرض انتقالا طبيعيا من غير ان يقطع التيار النفسي، كان هذا دليلا على براعته واجادته لفنه(٧١٩) ويكاد يتفق النقاد على ان المحدثين أحسن تخلصا من المتقدمين(٧٢٠) لأن مذهب الأوائل واحدة لايخرج عن قولهم " دع ذا" و "عد عن ذا"(٧٢١) ولاغرابة ونحن بعد تقويم الشعر أن نجد بعضا من شعراء اربل يسلكون في بعض قصائدهم المنهج القديم في حسن التخلص، وهذا ابو الربيع الاربلي في قصيدة مدح يخاطب الديار الحجازية، ثم ينتقل من الغزل إلى المدح بقوله(٧٢٢): (من الوافر)

فـفي أذني وقـرٌ عَن سَمـاعِ الـ

كلامِ وفي الهَوى عيي كرشدي

أرخ صـاحِ مِنْ ذكـر البـوادي

وَخل عنِ القبـاب قبـابَ سَعـدِ

فـقـد ملكت بنو الأتراكِ رقي

بهـزلٍ منْ تجنبهـم وَجـدً

وفيه يطلب من صاحبه أن يدع ذكر البوادي لينتقل مباشرة إلى ذكر ممدوحيه الذين هم من ابناء الأتراك.

وبالرغم من وجود شعراء محافظين على تقاليد الشعر العربي الموروثة ولكن يبدو أن هناك من برعوا في التخلص من مقدمات قصائدهم، من ذلك قول النشابي متخلصا من الغزل إلى المدح(٧٢٣): (رجز)

وَصـارَ ذكـري عَلمـاً فـيـه، فلوْ

قـيلَ سـوى وصـفي بِهِ لم أعـرفِ

كـمـا بنو العـبـاسِ حـازوا بأبيـ

هم جعفرِ المنصورِ أقصى الشرفِ

ولا بن الظهير حسن تخلص بديع في مدحه، وفيه يسترسل في وصف رحلته الشاقة ليلا إلى المدوح، وحين يصل إليه وقت بزوغ خيوط النهار ينتقل مسرعا فيخلط بين وصفه ومدحه وبين وجه الصباح النير ووجه المدوح المشرق بقوله(٧٢٤) (خفيف)

وثنى النجم عَنِ سُـراهُ عناناً

مُطلقـاً وانبـرى النسـيمُ عليـلا

واجـتلينا وجـهَ النهـارِ كـوجـهِ آلـ

صـاحبِ الصـدرِ مُرتجى مـأمـولا

ومن ضروب البديع الاكتفاء.

وهوما يسمى بحدف الضرورة، ومنه قول النشابي(٧٢٥) (طويل)

أهُـم بشيءٍ والأمـاني تخُـيلُني

عَلى أملٍ بالقُـربِ، حَـتى كـأنْ قـدِ

أي حتى كأن قد احالتني.

ومنها ايضاً الالتفات ويسميه اسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ) بالانصراف(٧٢٦) وهو لون آخر من البديع اعتاد الشعراء على استخدامه في كلامهم" وهو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى

الاخبار وعن الاخبار وعن الاخبار إلى المخاطبة"(٧٢٧).

ولهذا اللون أمثلة عديدة في شعر الحاجرى، ونكتفي هنا بما استشهد به ابن معصوم(٧٢٨) في موضوع الالتفات من الغيبة إلى الحضور(٧٢٩) (وافر)

أهَل لكَ في إعـانةِ مُـسـتـهـامِ

يُقـادُ إلى الغـرامِ بلا زمـامِ

تـعـرض بالخـيـامِ علِى زرودِ

فـراحَ وقلبـهُ بينَ الخـيـامِ

عُـريبَ الحي كـيفَ أبيحَ قـتلي

أليسَ العُـربُ تعـرفُ بالذمـامِ

وأخيرا نختم الكلام على فنون البلاغة العربية بالحديث عنْ خواتم القصائد التي قال عنها ابن رشيق: "قاعدة القصيدة وآخرما يبقى منها في الأسماع" وذكر ان سبيل الانتهاء فيها " أن يكون محكما لا تمكن الزيادة عليه ولا يأتي بعده أحسن منه، واذا كان أول الشعر مفتاحا له وجب أن يكون الآخر قفلا عليه"(٧٣٠) فقد اهتم شعراء اربل بخواتم قصائدهم ولكنهم اختلفوا فيها، فمنهم من أورد الأدعية في بعض خواتم قصائده، مثل النشابي في قوله(٧٣١) (بسيط)

فلا برحتَ طويلَ العمر منتصراً

تنال مما ترجى غـاية الأمـدِ

حـتى تَرى الف لقـمـانَ لهُ لبـدٌ

وَبعـده ألفُ لقـمـانِ بلا لبـدِ

وهذا ما انتهجه ايضاً ابو الفضل الحيراني في مدحه للوزير ابن المستوفي مختتما قصيدته بهذين البيتين(٧٣٢) (من الطويل)

فَـدم لبني الآمـالِ - ياخـيرَ مـاجـدٍ-

كَـمـا دام فـينا يذبلٌ وعـسـيبُ

فـلا زلتَ مـحـروسَ الجنابِ مِنَ الأذى

وَغـصنك في روض العـلا قـشـيبُ

ومنهم من سعى إلى جعلها عالقة في الأذهان باستخدام التشبيهات اللطيفة نحو قوله الحاجرى(٧٣٣) (الرجز)

يَنوبُ عَنْ وردِ الربيعِ خَـدهُ
كـأنما شـقـيـقـهُ شـقـيـقـهْ

وقوله ايضاً[٧٣٤] (الوافر)

وَقالوا كالهِلالِ، فقلتُ كلاً
قلامـةُ ظفـرهِ تحكي الهلالا

فهذا تقريبا ابرز ماوجدنا من وجوه البلاغة العربية في شعر الاربليين خلال الحقبة المحددة لهذه الدراسة.

الفنون الشعرية المستحدثة:

واذ نحن بصدد دراسة الشعر في اربل علينا ان لاننسى الفنون الشعرية المستحدثة، وان جاء انتشارها على نطاق ضيق بسبب عدم اكتراث معظم الشعراء بها، وهي مهما تكن فانها من الاتجاهات الشعرية السائدة في هذا العصر.

فشعراء اربل لم يقصروا في قرضهم الشعر على الهيكل المألوف للقصيدة العربية بل كانت لهم مشاركات في الفنون الشعرية المستحدثة، كالموشح، والد وبيت، والمواليا، والتسميط، والتخميس.

ولدى القاء نظرة فاحصة في أشعار هذه الحقبة، نجد أن الشاعر الوحيد الذي نظم في هذه الفنون جميعها هو حسام الدين الحاجرى، أما النشابي فقد نظم مواليا واحدة فقط في الهجاء، وأما ابن الظهير فليس في شعره الذي وصل الينا أي أثر لهذه الفنون، ولا بن خلكان ثلاثين دوبيتا جمعها الدكتور احسان عباس، وللشاعر ابي محمد الاربلي والعزّ الاربلي دوبيتين اثنين فقط.

هذا مجمل ما وصل الينا من هذه الفنون، ونحسب ان الذين جمعوا شعر الاربليين أهموا من شأن هذه الفنون، أو انها لاتزال في طي المخطوطات التي ما تزال مفقودة إلى وقتنا الحاضر.

الموشح:

يعد الأندلس البلد الذي ولد فيه الموشح في اواخر القرن الثالث الهجري، وفي هذا المجال قال ابن بسام: "وأول من صنع أوزان هذه الموشحات بافقنا واخترع طريقتها فيها بلغني محمود بن حمود القبرى الضرير، وكان يصنعها على أشطار الأشعار، غير ان أكثرها على الأعاريض المهملة غير المستعملة، يأخذ اللفظ العامي والعجمي ويسميه المركز، ويضع عليه

الموشحة دون تضمين فيها، ولا أغصان"[٧٣٥] ومن الجدير بالذكر ان الباحثين اختلفوا في نشأة الموشح الأولى، وأصوله التي تطور عنها[٧٣٦] ويبدو أنه قد حمل إلى المشرق[٧٣٧] بعد اقبال الناس عليه في الأندلس، فعرف به في مصر القاضي السعيد بن سناء الملك (ت ٦٠٨ هـ) صاحب " دار الطراز في عمل الموشحات"، ثم انتشر في بلاد الشام والبلاد الأخرى[٧٣٨] وكان من رواده في الموصل ابن الدهان الموصلي (ت ٥٨١هـ)[٧٣٩] ويعد الحاجرى رائد الشعراء الاربليين في هذا الفن الوافد[٧٤٠] ويبد و ذلك من استقراء الشعر العربي في اربل.

نحا الحاجرى في موشحه منحى غزله البدوي، باستخدام ألفاظ رقيقة عذبة المعاني، نحو قوله[٧٤١]

سـلامٌ على أهلِ تلكَ الخـيـامْ

هُمْ سُـؤلُ قلبي وأقـصـى المرامْ

بحقِّ الهَـوى يانسـيمَ الخُـزامْ

علـى رَسـمِ دارهـم عـــرجِ

وحـي لنـا ربـةالـهـــودجِ

وهذا الموشح هو الوحيد في ديوانه، ونظرا لجودته، لايمكن ان يكون مجرد محاولة أولية بل يدعو إلى الظن بوجود غيره.

الدوبيت:

لم يقف شعراء اربل عند أوزان الخليل وحدها، وانما نظموا في وزن الرباعية، وهو وزن كان معروفا عند الفرس باسم الدوبيت ينظمونه بلغتهم، وقد سمّاه العرب بأسم الرباعي لكونه مؤلفا من أربعة مصاريع، وسموا الواحدة منها رباعية، وأوزانها كثيرة أشهرها "فعلن، متفاعلن، فعولن، فعلن"[٧٤٢] يعد الدوبيت الشكل الجديد الذي يمكن ان يكون ابن القرن السادس الهجرى لأنه شاع وذاع فيه بعد أن أخذه العراقيون من الفرس، ومن العراق انتقل إلى البلاد العربية والاسلامية الأخرى[٧٤٣] ويبدو أن معظم دوبيتات الاربليين نظمت في الغزل، اذ يروى ان الشاعر صلاح الدين الاربلي الذي كان حاجبا عند امير اربل ثم خدم الملك الكامل الذي اعتقله، عمل في سجنه دوبيتا، فغناه بعض القيان، فاستحسنه الملك، وسأل لمن هذا؟ فقالوا: للصلاح، فأمر الملك بالأفراج عنه، والدوبيت المذكور هو[٧٤٤]

مـا أمرُ تجنيكَ على الصبْ خَفي

أفنيتُ زمــاني بالأسى والأسفِ

بماذا غضب بقدر ذنبي ولقدْ

بالغتَ ومـا أردتَ الاّ تلفي

وذهب عدد من الدارسين إلى ان الفقهاء والعلماء قد شغفوا بهذا الفن من باب ممارسة الهواية(٧٤٥)

وهو ما نرجحه لأننا وجدنا ابن خلكان يمتلك مقدرة كبيرة على نظمه، ويعود إليه معظم ما نظم في هذا الفن، نحو قوله(٧٤٦)

في هامِش خدك البديع القاني

أسـرار هوىً لكل صبٍّ عانِ

قَدْ خرجها البارى فما أحسنها

من حاشيةٍ بالقلم الريحاني

ولدى النظر في دوبيتان الحاجري ظهر لنا بأن اكثرها غنائية، وهذا النمط من الشعر اعجبت المتصوفة، فنظموا به كثيرا من المعاني التي تصلح للغناء في حلقاتهم، نحو قوله(٧٤٧)

يابدرُ كمالاً وجمالاً وبها

أنت القمرُ المنيرُ الصبُ سُها

أخفى فاذا بداتبينت بهِ

كالشمسِ إذا بدتْ بدا البدر بِها

المواليا:

المواليا فن شعري يحتمل الاعراب واللحن، واللحن فيه أحسن وأليق، وله وزن واحد واربع قواف على روى واحد، ومخترعوه أهل واسط، وينظم على البحر البسيط(٧٤٨)

ومن كبار شعراء أربل الذين تاثروا بهذا الف هو الحجاري. ومن مواليا الحاجري قوله:(٧٤٩)

بحقَ مَنْ جَعَلْ ذا الحُسنَ ملبوسَك

وقع على قصتي بإطلاقِ محبوسكْ

لولا الفضيجة وإحراقي بناموسكْ

كنتُ الزمكْ عندما ألقاكَ وأبوسكْ

والمواليا عند الحاجرى تدور جميعا حول موضوعه الرئيس وهو الغزل، ويبدو ان الحاجرى ساير تطور أشكال المواليا فألزمه مالايلزم بقوافيه الأربع، ولم يكتف بذلك بل عمد إلى

الجناس التام، فاللفظة ذاتها ترددت في القوافي الأربع وبمعاني مختلفة، من ذلك قوله(٧٥٠)

ما ضركم لو يطيب الوصلِ حليتم

عيشي وعني وثاقَ الذل حليتمْ

منْ بعدما في صميم القلب حليتمْ

قتلي وَسفكِ دمي كيفَ أستحليتمْ

فحليتم الأولى من الحلاوة، والثانية بمعنى فك الوثاق، والثالثة بمعنى نزلتم، والرابعة بمعنى الحلال، وهذا الضرب شديد الصلة بالغناء، وتداوله يدل على ان شعراء اربل كانوا مبدعين غير مقلدين في تجديد فنون الشعر في القرنين السادس والسابع الهجريين.

والملاحظ ان الحاجري نظم في ضرب آخر من المواليا وهو ما يسمى " اثنين اثنين" وهو ترديد اللفظة في القفل الأول والثاني من جناس واحد والثالث والرابع من جناس آخر، على ان تكون المواليا من روى واحد(٧٥١)، نحو قوله(٧٥٢)

طَرفي الشحيحُ بدمعةْ صارحاتم طيْ

وقد طواني هواكم في المحبة طي

باللهِ أرقبوا لي سُليمى يا نساء الحيّ

لعل قلبي الذى قَد ماتْ يرجع حيْ

وللنشابي مواليا واحدة في الهجاء، كما جاءت في ديوانه(٧٥٣)

رجل ابن نبهان الأعيرج شؤمها معلوم

مادار قط بأحد الاّ لقى المحتوم

قلع ملك وعزل عارض بهذا الشؤم

وعاد جرّر زعيمه بعر أخت البوم

التسميط والتخميس:

تتألف القصيدة في الشعر المسمط عادة من أدوار وكلّ دور يتكون من أربعة أشطر او أكثر تتفق كلها في القافية ما عدا الشطر الأخير الذي يجب ان يوافق دائماً قافية العمود ذي القافية الثابتة التي بدأبها الشاعر(٧٥٤) وتسميتها مشتقة من السمط " وهو أن تجمع عدة سلوك في ياقوتة او خرزة ما، ثم تنظم كل سلك فيها على حدته باللؤلؤ يسيرا، ثم تجمع السلوك كلها في زبرجدة أو شبهها أو نحو ذلك، ثم تنظم ايضاً لكل سلك على حدته وتصنع به كما صنعت أولا إلى ان يتم السمط"(٧٥٥) فالمسمطة عند الحاجرى بسيطة الألفاظ، وسهلة

البناء، ذات جرس موسيقي غنائي، ومن دورها الأول(٧٥٦)

لولا تجـــــني   مَنْ قَـدْ هجـرني

مــا كُنت أعْني   إلـــى قضــاء

وآخر دورها:

إى قلْبُ مــالكْ   تشـكوُ خـــيـالكْ

لا أرتاحَ بـالكْ   خــــالفتَ رائي

أما المخمسة فانها تتألف من أدوار، وكل دور يضم خمسة أشطر، الأربعة الأولى منها ذات قافية موحدة، والخامس بقافية ثابتة دائما، أى بمثاية اللازمة أو عمود القصيدة، وقد يكون المقطع الأول من الخّمسة بأشطره الخمسة ذا قافية واحدة(٧٥٧) ومن الأخيرة نظم الحاجرى احدى مخمستيه، وهي مخمسة غزلية المنحى بدوية المعنى، تفوح برائحة الحنين والوجد لفراق الأحبة، ورسم صورة رائعة لما يعانيه العاشق ١٤٥١٤٥الولهان، وهي من أربعة أدوار، ودورها الأول(٧٥٨) (الكامل)

هـاتيكَ دارُهُـمُ، رُويدكَ بـالسُـــرى

حـتى أعـفـر وجنتي فـوق الثـرى

ياحـادي الأضـعـانَ ويكَ أمـا ترى

كَتَبتْ دُموُعي فـوقَ خـدى أسطُرا

مِنْ بعـدْ مـا أجرتْ نجيعا أحـمرا

ويظهـر أن هناك ضـربا آخـر من هذه المخـمسـات شـاع في عصـر الامـارة وهـو ان يختـار الشاعر قصيدة لشاعر معروف ويجعل أبياتها أو بعضها تشترك في سمط القافية الموحدة، أما الأشطار الثلاثة التي تسبق هذه الأبيات، فتكون بقافية موحدة(٧٥٩)

وقد اعجب الحاجرى بشعر الشاعر ابن الخياط(٧٦٠) وبشكل خاص قصيدته المشهورة التي مطلعها(٧٦١)

خُذا من صَبا نجدٍ أمـانـاً لقلبهْ

فـقـد كـادَ رياهـاَ يطيـرُ بلبـهْ

أمـعن الحـاجرى في هذه القصـيدة، ونسـخ على منوالها غزلا بدويا، عفيف المضـمون، رقيق المعنى، اتسم بحسن الصنعة، وجود المحاكاة، وهي تقع في تسعة أدوار، ونحن نتمثل بالدور الأول من هذه المخمسة(٧٦٢) (طويل)

خليلي عـوجـا بالغـوير وكـتـبـهْ

ولا تمنعـا المُشـتـاقَ مِنْ لثم تربِهْ

هُو الصب يصبيه الهوى دونَ صحبهْ

(خـذا مِنْ صَبـا نجـدٍ أمـاناً لقلبـهْ)

وبهذا فقد أسهم الاربليون في الفنون الشعرية المستحدثة، حيث بدت آثار اتقانهم وبراعتهم لها واضحة.

الهوامش:

(١)دائرة المعارف الأسلامية، مادة أربل ١:٥٧٠، وبحث عن لواء أربيل لعبد الرزاق الحسني، مجلة (لغة العرب) ٨:٦٠٩، والعراق قديما وحديثا ٢٣٦.

(٢) ينظر: المرشد ألي مواطن الآثار، الرحلة الخامسة، ص٦، وبحث بعنوان (حدياب-أربيلا، عشتار-أربيلا)، مجلة سومر، مجلد ٢٥ ١٩٦٩، ص ٢٢٠ .

(٣)الموسوعة العربية المسيرة ٨٠٠ .

(٤)مظفرالدين كوكبري أمير أربل ١٨٩ .

(٥) وفيات الأعيان ٢:١٨٩ .

(٦) ينظر: الروضتين ١:٣٠، ومفرج الكروب ١:٩٧، ومرآة الزمان ٨:١٨٩ .

(٧) أربيل في العهد الأتابكي ٤١ .

(٨) ينظر:دائرة المعارف الأسلامية. مادة أربل.

(٩) ينظر: مظفر الدين كوكبري أمير أربل ١٩٥-١٩٦ .

(١٠) وفيات الأعيان ٤:١١٤ .

(١١) هو الشاعر أبو الفوارس سعد بن محمد الصيفي التميمي الملقب شهاب الدين (ت ٥٧٤هـ)، وكان من اخبر الناس بأشعار العرب وإختلاف لغاتهم (وفيات الأعيان ٢:٣٦٢).

(١٢) الكامل في التاريخ ١١:٣٢١ .

(١٣) كوكبري: أسم تركي معناه الذئب الأزرق (وفيات الأعيان ٤:١٢١).

(١٤) هو مجاهد الدين قايماز بن عبدالله الزيني، أصله من سجستان وأخذ منها وهو طفل، وكان عاقلا ديّنا (التأريخ ١٩٣) .

(١٥) العبر في خبر من غبر ٥:١٢١ .

(١٦) الفتح القسّي في الفتح القدسي ٤٣٨ .

(١٧) ينظر: الروضتين ٢:١٦٤ .

(١٨) مرآة الزمان ٨:٦٨ .

(١٩) الشعر في أربل في ظل الأسرة البكتكينية (مجلة) ٩:٢٨٥ .

(٢٠) مرآة الزمان ٨:٦٨ .

(٢١) وفيات الأعيان ٧:١٣، وينظر: قلائد الجمان ٤:١، ٥٢١، ٦:٣٧٤، ٩:٢٤٤، ١:٤٤٧، ٤:١٣٤، ٩:١٨٦ .

(٢٢) آل بكتكين أمارة أربل في عهدهم (مجلة) ٤١٠ .

(٢٣) مظفرالدين كوكبري أمير أربل ٧ .

(٢٤) الحوادث الجامعة ٤٤-٥٠-٩٨-١٠٩ .

(٢٥) تنظر التفاصيل التأريخية عن أربل في:

- أربيل في أدوارها التأريخية-زبير بلال أسماعيل.
- وأربيل في العهد الأتابكي-دكتور محسن محمد حسين.
- ومدينة أربيل دراسة في جغرافية الحضر-دكتور هاشم خضير الجنابي.
- والتجديدي الحضري لقلعة أربيل-عبدالباقي عبدالجبار أمين الحيدرى.
- وتراث أربيل التأريخي-هادي رشيد الجاوشلي.
- الحياة العلمية في أربل-أوميد أبراهيم جوزلي.

(٢٦) معجم البلدان ١:١٣٧ .

(٢٧) ينظر: مظفرالدين كوكبري أمير أربل ٢٠١ وما بعدها.

(٢٨) وفيات الأعيان ٤:١١٦ .

(٢٩) مرآة الزمان ٨:٦٨٠ .

(٣٠) معجم البلدان ١:١٣٧ .

(٣١) وفيات الأعيان ٤:١١٦ .

(٣٢) وفيات الأعيان ٣:٢٧٢، ومرآة الزمان ٨:٦٨٢، والبداية والنهاية ١٣:١٣٧ .

(٣٣)الأسلام والحضارة ١:٣٢٧ .

(٣٤) خانقاهات: جمع خانقاه، وهو لفظ فارسي معناه البيت. (السلوك ١:١٨٢).

(٣٥) ينظر: وفيات الأعيان ٤:١١٦، مرآة الزمان ٨:٦٨١ .

(٣٦) مرآة الزمان ٨:٦٨٢ .

(٣٧) وفيات الأعيان ٤:١١٦، ومرآة الزمان ٨:٦٨٣ .

(٣٨) تأريخ البيمارستانات في الأسلام ٤، والبيمارستان: تعني دار الشفاء.

(٣٩) نفسه ١٩ .

(٤٠) ينظر: مظفرالدين كوكبري أمير أربل ٢١٠ .

(٤١) ديوان البهاء زهير ١٠ .

(٤٢) ينظر: مظفرالدين كوكبري أمير أربل ٢٠٣ .

(٤٣) ينظر: القلائد الجمان ٥:١٥٦ والحضارة الاسلامية، آدم متز ٢:٢١٨، ٢١٩ .

(٤٤) وفيات الأعيان ٤:١١٧ .

(٤٥) تنظر تفاصيل الأحتفال في: وفيات الأعيان ٤:١١٧-١١٨، وقلائد الجمان ٨:٦٨١، والبداية والنهاية ١٣:١٣٧ .

(٤٦) وفيات الأعيان ٣:٢٧٣ .
(٤٧) أربيل في العهد الأتابكي ٢٠٢ .
(٤٨) هو أبو الخطاب عمر بن الحسن الأندلسي البلنسي الحافظ، من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء، عارفا بالنحو واللغة وأيام العرب وأشعارها(ت ٦٣٢هـ) بالقاهرة (وفيات الأعيان ٣:٤٤٨، وذيل مرآة الزمان ٢:٤٢٢).
(٤٩) ينظر: البداية والنهاية ١٣: ١٣٦ .
(٥٠) العجسد المسبوك ٤٥٣ .
(٥١) معجم البلدان ١:١٢٧ .
(٥٢) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، مقدمة الجزء الرابع، ص٩ .
(٥٣) المختصر قي التأريخ البشر ٣:١٥٣ .
(٥٤) تتمة المختصر قي التأريخ البشر ٢:٢٢٨ .
(٥٥) ينظر: أربيل في عهد الأتابكي ٢٠٠ .
(٥٦) ديوانه ٣٢٩ .
(٥٧) مازالت هذه القيسارية عامرة وباقية في القلب مدينة أربيل، وهي عبارة عن مجموعة من أسواق متداخلة ذات سقوف خصص كل منها لبضاعة معينة.
(٥٨) ينظر: دائرة المعارف الأسلامية، مادة أربل.
(٥٩) وفيات الأعيان ٥:١١ .
(٦٠) تل هفتون: من نواحي أربل تنزلها القوافل في اليوم الثاني من مسيرها لمن يقصد أذربايجان، وهي في وسط الجبال، وفيها نهر جار (معجم البلدان ٢:٤٥) .
(٦١) معجم البلدان ٢:٤٥ .
(٦٢) نزهة القلوب ١٠٣ .
(٦٣) شقلاباز: هي شقلاوة حالية، قرية كبيرة مليحة في كّف الجبل المطل على أربل ذات كروم كثيرة وبساتين وافرة، ينقل كروم عنبها ال أربل العام بطوله فيكفيهم (معجم البلدان ٣:٣٥٥).
(٦٤) معجم البلدان ٢:٢٥٦ .
(٦٥) المنارة المظفرية في أربيل تأريخها وأوصافها (مجلة) ١٦:١٢٧ .
(٦٦) ينظر: الشعر في أربل (مجلة) ٣٨٥ .
(٦٧) ينظر: آل بكتكين أمارة إربل في عهدهم (مجلة) ١٣٩ .
(٦٨) كان هذا الكتاب من الكتب المفقودة، وقد عثر أخيراً على الجزء الثاني منه في مكتبة (جستربيني) في دبلن بايرلندا تحت رقم (٤٠٩٨)، كتب سنة ٦٤١ للهجرة، أى بعد أربع سنوات من وفاة المؤلف وعدد أوراقه ٢٣١ ورقة ويسمى تأريخ أربل. وقد نشره سامي الصقار بقسمين سنة١٩٨٠ .
(٦٩) وفيات الأعيان ٤:١١٩ .
(٧٠) ينظر: الفنون الأسلامية ٣:١٠٥٩ .

(٧١) ينظر: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية ١٥ .
(٧٢) ينظر: تأريخ أبن خلدون (المقدمة) ١:٤٠١ .
(٧٣) الأدب في العصر العباسي ١٩٠-١٩٩ .
(٧٤) وفيات الأعيان ٤:١٢٠ .
(٧٥) معالم الحياة العلمية والأدبية في أربل، بحث غير المنشور، د. ناظم رشيد شيخو.
(٧٦) مبادئ التربية الأسلامية ٢٨ .
(٧٧) تأريخ التربية الأسلامية ٩٩ .
(٧٨) وفيان الأعيان ٢:٢٣٧.
(٧٩) نفسه ٣:٢٤٢ .
(٨٠) طبقات الشافعية للأسنوي ١:٤٩٥ .
(٨١) علماء النظاميات ومدارس المشرق الأسلامي ١٩١-١٩٢ .
(٨٢) أربيل في العهد الأتابكي ٢٥٠ .
(٨٣) طبقات الشافعية للأسنوي ١:٤٩٦ .
(٨٤) نفسه ٥:١٣٠ .
(٨٥) قلائد الأجمان ١:٨٠ .
(٨٦) آل بكتكين أمارة أربل في عهدهم (مجلة) ١٤٦ .
(٨٧) الشعر في أربل (مجلة) ٣٨٩ .
(٨٨) تنظر: مقدمة في المؤلف وكتابه ٧:١١ .
(٨٩) قلائد الجمان ١:٤٥٤ .
(٩٠) وفيات الأعيان ٤:١٤٧ .
(٩١) قلائد الجمان ٦:١٤٣، والكتاب من تحقيق الدكتور خلف رشيد نعمان، دار الشؤون الثقافة – بغداد ١٩٨٩ .
(٩٢) شذرات الذهب ٥:١٨٧ .
(٩٣) أربيل في العهد الأتابكي ٢٨٢ .
(٩٤) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٣٣٧ .
(٩٥) وفيات الأعيان ٥:٣١١ .
(٩٦) كشف الظنون ١:٤٨٩ .
(٩٧) وفيات الأعيان ٢:٢٣٧ .
(٩٨) التكملة لوفيات النقلة ١:٤٢٦ .
(٩٩) قلائد الجمان ١:٣٠٩ .
(١٠٠) الجامع المختصر ٩:١٦٥ .
(١٠١) ينظر: جاوان القبيلة الكردية المنسية والمشاهير الجاوانين(مجلة) ٨٤-١٢٢ .
(١٠٢) بغية الوعاة ١:١٨٢ .

(١٠٣) قلائد الجمان ٥:٢٥٥ .

(١٠٤) نفسه ٥:٢٥٦ .

(١٠٥) نفسه ٩: ٥٤ .

(١٠٦) وفيات الأعيان ١:٢١٥ .

(١٠٧) ذيل مرآت الزمان ٢:٤٠١ .

(١٠٨) وفيات الأعيان ٣:١٤٣ .

(١٠٩) بغية الوعاة ٢:٢٧٦-٢٧٧ .

(١١٠) التعريف بالمؤرخين ٧٥ .

(١١١) وفيات الأعيان ٥:٣٨٩ .

(١١٢) أربيل في العهد الأتابكي ٢٥٩ .

(١١٣) تذكرة الحافظ ٤:١٤١٦ .

(١١٤) مرآة الزمان ٨:٥٣٧ .

(١١٥) العبر في خبر من غبر ٥:١٥١ .

(١١٦) التكملة لوفيات النقلة ٤:٨١ .

(١١٧) بغية الوعاة ٢:٢١٦ .

(١١٨) وفيات الأعيان ٢:٩٣ .

(١١٩) بغية الوعاة ٢:١٥٢ .

(١٢٠) ينظر: وفيات الأعيان ٥:٢٦٤، ودول الأسلام ١:٢٥٦، وذيل مرآة الزمان ١٤:٣٨٤، وعيون التواريخ ٢١:٣٢٨، والبداية والنهاية ١٣:١٣٤ .

(١٢١) هو أبو المكارم محمد بن عابد بن محمد الكرماني الصوفي الزرندي، ورد أربل غير مرة، متفنن في العلوم، وله النظم والنثر والترسل (ت٦١٦هـ)، ٠تأريخ أربل ١:١٨٨

(١٢٢) تأريخ أربل ١:١٨٨ .

(١٢٣) هو أبو محمد عبدالحميد بن مرّى بن ماضي المقدسي، ورد أربل غير مرة، مدح مظفرالدين بشعره، أقام بدار الحديث بالموصل، (ت٦٠٢هـ)، (تأريخ أربل ١:٢١٥).

(١٢٤) تأريخ أربل ١:٤٥٩ .

(١٢٥) نظرة عابرة في شمال العراق ٥٨٧ .

(١٢٦)وفيات الأعيان ٧:٢٥، وديوانه ٢٧٥ .

(١٢٧) هو الأمير ركن الدين أبو الشجاع التركي الأربلي، مولي صاحب أربل، محدث وله شعر جيد، رحل وإخوانه الى حلب بعد وفاة أمير أربل مظفرالدين (ت٦٥٥هـ) (الوافي بالوفيات ٧:٢٩٦).

(١٢٨) قلائد الجمان ١:١٧٢ .

(١٢٩) وفيات الأعيان ٧:٢٥ .

(١٣٠) مرآة الزمان ٨:٥٣٧ .

(١٣١) آل بكتكين أمارة أربل في عهدهم (مجلة) ١٤٤ .

(١٣٢) حديث الأربعاء ٢:٣٤، وينظر: الأندية الأدبية في العصر العباسي في العراق ٦٥ .
(١٣٣) دائرة المعرف الأسلامية ١:٥٧٤، صورة الأرض ١٩٤ .
(١٣٤) ينظر: تأريخ الموصل ٢:١١١، وتأريخ نصارى العراق ٩٤ .
(١٣٥) نفسه ٢:١١١، وجاء فيه إن ديوان جيورجيس وردا الأربلي عني بتحقيقه المستشرق الألماني هزيخ وطبع في لايبزك سنة ١٩٠٤ .
(١٣٦) ترجم الأبيات الى اللغة العربية الأب فرنسيس شير في أربيل.
(١٣٧) الشعر العراقي في القرن الخامس الهجري ١٥٤، والشعر العراقي في القرن السادس الهجري ٨٥ .
(١٣٨) ينظر: أتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ٥٠٠ .
(١٣٩) العمدة ٢:١١٧ .
(١٤٠) ينظر: عصر الدول والأمارات ٣٨٢ .
(١٤١) نفسه ٣٨٣ .
(١٤٢) ديوان شريف الرضي، (المقدمة) ١١٥ .
(١٤٣) ديوان الحجاري ٢٥٩ .
(١٤٤) نفسه ٢٦٢ .
(١٤٥) ديوان النشابي ٣٣١، وديوان أبن الظهير ٤٧ .
(١٤٦) الأدب في ظل الدولة الزنكية ٢٥٧ .
(١٤٧) ديوانه ١٦٧ .
(١٤٨) ديوانه ١٨٨ .
(١٤٩) ديوانه ٦٤ .
(١٥٠) ديوانه ١٨٥.
(١٥١) هو أبن علي أبي العلاء، أبو عبدالله، أنتقل جده الى نواحي أربل وسكن قرية البلهيثة القريبة من أربل، حيث ولد محمد بها ونشأ، وترا من الى نظم القريض، ومدح بناة ناحية (قلائد الجمان ٧:١٠٢).
(١٥٢) هو سليمان بن سليمان بن أبي الجيش،من كتّاب الأنشاء، ذو نوادر، وصاحب أهاج ومدح، له طبع في النظم والأنشاد (ت٦٨٦هـ) (قلائد الجمان ٣:٥٣، وذيل مرآة الزمان ٤:٣٢١).
(١٥٣) هو يوسف بن نفيس بن أبي الفضل، من أهل أربل المشهور بشيطان الشام كان شاعرا خليعا ظريفا من ذوي الهذل والمجانة، يتزيا بزي جند الأكراد (ت٦٣٨هـ) (قلائد الجمان ١٠:٢٦٤أ)، ووفيات الأعيان (١:١٥٥).
(١٥٤) قلائد الجمان ١٠:٢٦٤ أ.
(١٥٥) هو سليمان بن كيلوك بن عثمان، شاب متفقه على مذهب الإمام الشافعي، له طبع في قول الشعر لا بأس به، ولادته سنة ٦٠٠هـ، لم يذكر المترجم تأريخ وفاته (قلائد الجمان ١٠:٢٨٩أ).
(١٥٦) وفيات الأعيان ٧:١٧٠ .

(١٥٧) ديوانه ٢٦٣ .

(١٥٨) هو جعفر بن محمد بن محمود، عالم متقن لعلوم الفقه والأدب والنحو وعلوم القرآن تولي القضاء بأربل، وكان يقول الشعر (ت٦٠٤ه)، (قلائد الجمان ٨:٨٨أ)، (والغصون اليانعة ٦٨-١١٦).

(١٥٩) قلائد الجمان ٧:٤٨ .

(١٦٠) ينظر: الشعر العراقي في القرن السادس الهجري ١٣١ .

(١٦١) ديوانه ٢٩٤.

(١٦٢) هو ابن أبي حرب بن حمدان، أبو عبدالله الإربلي، كان شاباً قصيراً يسلك طريق التصوف، وكان ذا خط حسن، وأشعار في المديح و الغزل و الهجو وغير ذلك، لم يذكر المترجم تاريخ وفاته (قلائد الجمان ٧: ١١٠ أ) .

(١٦٣) قلائد الجمان ١: ١٢٥أ.

(١٦٤) هو أحمد بن بهرام، أبو العباس الأربلي، ابن بنت الأمير مجاهد بن قيماز جندي لطيف المحاروة، ظاهر الدين، ينشيُ من الشعر تأدبا، بارع في الغزل، (ت٦١٨هـ)، (قلائد الجمان ١: ١٢٤ب).

(١٦٥) هو صدقة بن القاسم الملحن، أبو البرّ الإربلي، كان يصنع الالحان ويخترعها، جيد المعرفة بالغناء والأصوات، وله شعر جيد، (قلائد الجمان ٣: ١٠٣).

(١٦٦) قلائد الجمان ١: ١٢٤ب.

(١٦٧) ينظر: وفيات الأعيان ١: ٣١٧.

(١٦٨) ديوانه ١٤٧، ١٩٢، ٢٠٠، ٢٣١، ٢٤٧، ٣٠٤، ٣١٨، ٤٧٤.

(١٦٩) قلائد الجمان ٣: ١٠٤.

(١٧٠) نفسه ١٠: ٢٣٦أ.

(١٧١) نفسه ١٠: ٢٢١أ

(١٧٢) ديوانه ١٧٠.

(١٧٣) هو أبو الحسن بهاء الدين بن علي الشيباني الإربلي الهكاري، تولى رئاسة الكتاب في ديوان متولي أربل، (ت ٦٩٢هـ) في بغداد (قلائد الجمان ٤: ٣٨ب).

(١٧٤) قلائد الجمان ٤: ٣٨ب.

(١٧٥) هو سليمان بن المظفر بن موسى بن منصور، أبو الربيع الإربلي المعلم، أستاذ أبن الشعار الموصلي الذي علمه الخط، وكان يقول أشعارا ويخلطها بالهزل، ولادته بقلعة أربل سنة ٥٦٦ه، لم يذكر أبن الشعار وفاته (قلائد الجمان ٣: ٦٤ – ٦٥).

(١٧٦) ديوان ١٨٦.

(١٧٧) رامة: موضع بالعقيق الذي هو واد بالحجاز (معجم البلدان ٣: ١٨)،
المحصب: واد بمكة (مراصد الأطلاع ٣:١٢٣٥).

(١٧٨) الفن ومذاهبه ٣٤٤.

(١٧٩) ديوانه ١٥٦. نجد: قلب الجزيرة العربية (معجم البلدان ٥: ٢٦١)،
محجر: قيل قرية بواد باليمامة (معجم البلدان ٥: ٥٠٦).
(١٨٠) ينظر: ديوان الحاجري ١٣٧، ١٣٨، ١٤٢، ١٥٠، ١٦١، ١٧٢، ١٧٣، ١٩٠، و ديوان النشابي ١٣٥، ١٨٤، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٣٧، و ديوان أبن الظهير٥٩.
(١٨١) ينظر: الأدب في ظل بني بويه ٢٦٦.
(١٨٢) العصر العباسي الأول ٧٣.
(١٨٣) ديوان ١٣٦.
(٢) ديوانه ٥ – ١٣٩.
(١٨٥) نفسه ٣١٧.
(١٨٦) هو أبو بكر بن محمد بن أبراهيم، عرش الدين الإربلي، له معرفة بالنحو و العربية و كان شاعراً، عمل الالغاز، ومن نظمه (الألفية في الالغاز المخفية) وهي الف لغز في الف أسم، (ت ٦٧٩هـ) بدمشق، (ذيل مرآة الزمان ٤: ٧٩).
(١٨٧) ذيل مرآة الزمان ٤: ١٠٧٩.
(١٨٨) ديوانه ٣٣٤.
(١٨٩) ديوانه ٣١٧.
(١٩٠) نفسه ٣١٣.
(١٩١) في أدب الدول المتتابعة ٦٢٢.
(١٩٢) ديوانه ٤٥٠.
(١٩٣) نفسه ٤٥٨.
(١٩٤) ينظر: دراسات في الشعر في عصر الإيوبيين ١٣٩.
(١٩٥) ديوانه ٤٧.
(١٩٦) هو بهاءالدين بن الفخر بن عيسى الأربلي، له نظم و نثر و مقامات مليحة، ومن مصنفاته رساله الطيف، وكشف الغمة في معرفة الأئمة، بارع في الغزل (ت ٦٨٣ هـ)، (وفيات الأعيان ٤: ١٦٢)، وعيون التواريخ ٢١: ٣٥٢.
(١٩٧) وفيات الأعيان ٤: ١٦٢.
(١٩٨) ديوانه ٣٣٤.
(١٩٩) ديوانه ١٥٢ – ٢١٠ – ٢٨٦ – ٤٢٩.
(٢٠٠) ديوان أبن الظهير ٦٩.
(٢٠١) هو أبو غالب بن أبي عبدالله، أبو الخير النحوى الأربلي، أشتغل بفن النحو و العربية، حفظ شعرا كثيراً من أشعار المحدثين وغيرهم، وكان مقتدرا على النظم، خدم الملوك وهو أحد مشايخ الصوفية، (ت ٦٧٠ هـ)، (قلائد الجمان ١: ١٢٤ب) .
(٢٠٢) ديوان النشابي ١٦٧،٢٤٨، ١٨٥، ١٩٩، ٢٠١، ٢٢٢ .
(٢٠٣) ديوان الحاجري ٢١١، ١٦٥، ٢٣٣، ٢٥٤، ٢٥٩، ٢٦١ .

(٢٠٤) نفسه ١٦٥، وديوان النشابي ١٦٣.
(٢٠٥) ديوان أبن الظهير ٥٠.
(٢٠٦) الشعر في أربل (مجلة) ٣٩٧.
(٢٠٧)الشعر العربي بين الجمود والتطور ٢:١٣٢.
(٢٠٨) ينظر: الحياة الأدبية في الشام ٩٩.
(٢٠٩) الشعر العراقي في القرن الخامس الهجري (رسالة ماجتير) ١٠١.
(٢١٠) الشعر العربي في العراق وبلاد العجم ٢: ٢٣١.
(٢١١) في الأدب العباسي، الرؤية و الفن ٣٩٨، ونفسية أبي نواس ٨٨.
(٢١٢) دواد بن عيسى الأيوبي ١٥٩.
(٢١٣) ينظر: الصراع بين الموالي و العرب ٩٤.
(٢١٤) هو الحسن بن محمد بن أحمد، الفيلسوف عزّالدين الضرير، كان بارعا في العربية والأدب، رأسا في علوم الأوائل، كان قذراً، قبيح المنظر، يتمتع بذكاء وذهن جيد، وشعره خبيث الهجو، (ت ٦٦٠هـ) بدمشق، (فوات الوفيات ١:٣٦٢، وشذرات الذهب ٥: ٣٠٨).
(٢١٥) ينظر: اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري ١٩٥.
(٢١٦) الأدب في بني بويه ٢٦٧.
(٢١٧) ينظر: الشعر العربي في العراق وبلاد العجم ٢: ١٣٠- ١٣٣.
(٢١٨) الأدب في العصر الأيوبي ٣٨.
(٢١٩) الشعر في إربل (مجلة) ٣٩٨.
(٢٢٠) نفسه ٣٩٨.
(٢٢١) ديوان ١٦٢.
(٢٢) ديوانه ١٢٠.
(٢٢٣) نفسه ٢٠٣.
(٢٢٤) نفسه ٢٦٨، وينظر: نفسه ١٦٧ – ٣٢٢.
(٢٢٥) ينظر: ديوان الحاجري ١٨٥، وديوان أبن الظهير ٦٤.
(٢٢٦) النفس الشعر في القصيدة العربية ٣٥٥.
(٢٢٧) ينظر: عصر الدول والامارات ٣٩٢، وتأريخ الأدب العربي (فروخ) ٣: ٥٠٦.
(٢٢٨) ديوانه ٢٦٠. وينظر: نفسه ٤٠٩.
(٢٢٩) ذيل مرآه الزمان ١: ٥٠٤.
(٢٣٠) ديوانه ٥١.
(٢٣١) وفيات الأعيان ٤: ١٤٩.
(٢٣٢) وفيات الأعيان ٤: ١٤٩.
(٢٣٣) نفسه ١:٨.
(٢٣٤) ديوانه ٢٣٣.

(٢٣٥) هو عبدالله محمد بن يوسف، الملقب موفق الدين الأربلي، كان أماماً في علم العربية، متقنا الوان من الشعر، ومن أعلم الناس بالعروض و القوافي وأحذقهم بنقد الشعر، بدأ بنظم الشعر وهو صبي، و له ديوان شعر جيد (ت ٥٨٥هـ) بأربل، (وفيات الأعيان ٤: ١٠٢، والوافي بالوفيات ٥:٢٥١).

(٢٣٦) وفيات الأعيان ٥: ١١.

(٢٣٧) فوات الوفيات ٣: ٥٩.

(٢٣٨) فن المديح وتطوره في الشعر العربي ٢٠٠.

(٢٣٩) نفسه ١٥.

(٢٤٠) ينظر: الأدب في العصر المملوكي ٢: ١١١.

(٢٤١) ينظر: الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد ٧٤، والشعر العراقي في القرن السادس الهجري ٨٩.

(٢٤٢) ضحى الاسلام ١٣٤.

(٢٤٤) نفسه ٧: ١٩٥أ.

(٢٤٥) هو أبو المعالي محمد أبن الملك العادل الملقب بالملك الكامل ناصرالدين وكان سلطاناً عظيم القدر جميل الذكر محبا للعلماء، يجتمع مع الفضلاء ويسأل عن مشاكل كل علم (ت ٦٣٥ هـ) (وفيات الاعيان ٥: ٧٩).

(٢٤٦) وفيات الأعيان ٧: ٩٢.

(٢٤٧) هو سليمان بن عثمان، شاب متفقه، وله طبع في قول الشعر جيد، كانت ولادته سنه ٦٠٠ للهجرة، توجه إلى الشام ونزل حلب، لم يذكر المترجم تأريخ وفاته (قلائد الجمان ١٠: ٢٨٩أ).

(٢٤٨) قلائد الجمان ١٠: ٢٨٩ب.

(٢٤٩) تأريخ إربل ١: ١٥٨، وقلائد الجمان ٣: ٢٧٢ - ٢٧٣.

(٢٥٠) الجزولية: وتسمى المقدمة الجزولية، كتاب موجز في النحو من تاليف أبي موسى عيسى بن عبدالعزيز الجزولي (ت٦٠٧هـ)، (أنباه الرواة ٢/٣٧٨، وبغية الوعاة ٢: ٢٣٦).

(٢٥١) ديوانه ٤٢.

(٢٥٢) هو عبدالعزيز بن عثمان بن منصور، أبو أحمد الفزاري الإربلي، يقول الشعر وأكثر من نظمه، وكان يسرق الأشعار ويمدح بها، خرج من أربل قاصدا ملوك الشام و كانت ولاته سنه ٥٩٣هـ، ولم يذكر المترجم تأريخ وفاته، (قلائد الجمان ٣: ٢٧٠، وتأريخ إربل ٢: ١٧٣).

(٢٥٣) قلائد الجمان ٣: ٢٧٢.

(٢٥٤) تأريخ إربل ١: ٧٤، وينظر: الفصل الأول من هذه الرسالة، ص ٢٠.

(٢٥٥) هو أبو عبدالله محمد بن أبي المنى المنصور الواعظ الموصلي المعروف (تأريخ إربل ١: ٤٥٩).

(٢٥٦) تأريخ إربل ١: ٤٥٩.

(٢٥٧) هو أبو جعفر بن الظاهر بأمر الله، أمير المؤمنين، بويع بالخلافة بعد موت أبيه، وكان ذا همة عالية وشجاعة، نشر العدل، وقرب أهل العلم (ت ٦٤٠ هـ) (تأريخ الخلفاء ٤٦٠).

(٢٥٨) هو أبو الأزهر نصرالدين الناقد، كان وكيلاً للخليفة المستنصربالله، ومنه أستلم الوزارة، ونهض باعبائها نهوضا حسنا (ت ٦٤٢هـ)، (البداية والنهاية ١٣: ١٦٥، والنجوم الزهراة ٦: ١٥٠)

(٢٥٩) ديوانه ١٩٤.

(٢٦٠) ديوانه ١١٩، ١٣٢، ١٣٨، ١٥٠، ١٧٣، ١٨٠، ١٨٤.

(٢٦١) نفسه ١٢٧.

(٢٦٢) (نفسه) ٢٥٠.

(٢٦٣) كان نائباً للخليفة المستنصر بالله في إربل، و واليا عليها (ت ٦٥٦هـ) (الحوادث الجامعة ٢٣٦، وعيون التواريخ ٢٠: ١٣٢).

(٢٦٤) ديوانه ٦٥.

(٢٦٥) ديوانه ١٨٥.

(٢٦٦) ديوانه ١٢٣– ١٣٥.

(٢٦٧) نفسه ١٣٨– ٢٦٣.

(٢٦٨) ديوانه ١٣٦.

(٢٦٩) نفسه ١١٩.

(٢٧٠) نفسه ١٢٧.

(٢٧١) نفسه ٢٠٢.

(٢٧٢) أعني: الكواكب السيارة وهي: زحل، والمشتري، والمريخ، والزهرة، وعطارد (الأزمنة والأمكنة ١: ٣١٩).

(٢٧٣) ديوانه ١٤٥ – ١٤٦.

(٢٧٤) ديوانه ٦٤.

(٢٧٥) ديوانه ١٨٦.

(٢٧٦) العمدة ١:١٠١٠.

(٢٧٧) ديوانه ١٢٢.

(٢٧٨) ينظر: ديوان أبي تمام، و ديوان أبن الرومي، وديوان البحترى، و ديوان أبن المعتز، وينظر أيضاً، ديوان الشريف المرتضى، و ديوان المتنبي، وديوان أبي فراس الحمداني.

(٢٧٩) هو أبو الربيع شرف الدين سليمان بن سليمان الإربلي، كان أديباً لطيفاً ونظمه مشهور، وكان صاحب نوادر، نظم في مختلف الأغراض الشعرية، عمل في أول عمره صائغا (ت٦٨٦هـ)، (ذيل مرآة الزمان ٤: ٣٢١، النجوم الزاهرة ٧:٣٧٢).

(٢٨١) هو جعفر بن محمود بن هبة الله الكفر عزّى الإربلي، عالم متقن لعلوم الفقه و الحساب و الهندسة و الأدب و النحو و علوم القرآن، وكان يقول الشعر، تولى القضاء بأربل (ت ٦٠٤هـ) (قلائد الجمان ١/ ٨٨أ، الغصون اليانعة ٦٨– ١١٦).

(٢٨٢) قلائد الجمان ١: ٨٨أ.

(٢٨٣) قلائد الجمان ٧: ١٠٢ب.

(٢٨٤) هو معن بن زائدة بن عبدالله الشيباني، من أشهر أجواد العرب (ت٥٥هـ) (وفيات الأعيان ٥: ٢٤٤).

(٢٨٥) هو صالح بن مكارم، أبو محمد الإربلي، رجل سوقي من العامة، كان مناديا في سوق البز بمدينة إربل، له طبع في عمل الشعر حسن، لايذكر المترجم تأريخ وفاته (قلائد الجمان ٣: ١٠٣).

(٢٨٦) قلائد الجمان ٣: ١٠٤.

(٢٨٧) التخفيفة: هي عبارة عن عمامة خفيفة، على نقيض العمامة الضخمة الكبيرة، (المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب (١٣).

(٢٨٨) قلائد الجمان ٧: ٣٧ب. لم نجد هذه القصيدة في ديوانه المحقق.

(٢٨٩) قلائد الجمان ١٠: ٢٩٨أ.

(٢٩٠) ديوانه ١٩٣.

(٢٩١) فن المديح وتطوره في الشعر العربي ١٦.

(٢٩٢) الأغاني ١٣: ١١٤.

(٢٩٣) نفسه ١٣: ١١٤.

(٢٩٤) ديوانه ٢٣٩.

(٢٩٥) نفسه ٢٠٠.

(٢٩٦) نفسه ١٣٥.

(٢٩٧) نفسه ١٨٩.

(٢٩٨) نفسه ٢٤٠.

(٢٩٩) نفسه ٢١٧.

(٣٠٠) نفسه ١٩٧.

(٣٠١) ينظر: الشعر العراقي في القرن السادس الهجري ١٠٤، و الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد ٧٧.

(٣٠٢) هو الأمير بدالدين بن عبدالله صاحب الموصل (ت٦٥٧ه) بالموصل وعمره ما يقارب ثمانين سنة (وفيات الأعيان ١:١٨٤)

(٣٠٣) قلائد الجمان ١٠: ٢٦٨أ.

(٣٠٤) هو جمال الدين طه بن أبراهيم الهذباني الاربلي، كان عنده فضيلة وأدب ورئاسة وتوصل و حسن مداخلة، وله نظم ويجيد في الدو بيت، مدح الخلفاء و الأمراء، (ت ٦٧٧ه) بالقاهرة، (ذيل مرآة الزمان ٧: ٣٠٣، وعيون التواريخ ٢١: ٢٠٤ - ٢٠٥).

(٣٠٥) قلائد الجمان ٣: ١٤٠.

(٣٠٦) قلائد الجمان ٣: ٥٥.

(٣٠٧) ينظر: أتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري ٥.

(٣٠٨) ينظر: الهجاء ٨٠ -٨١، والهجاء و الهجاؤون في صدر الاسلام ٩٧.

(٣٠٩) ينظر: العمدة ٢: ١٧٠.

(٣١٠) ينظر: الفصل الأول – مبحث الحياة الاجتماعية –.

(٣١١) معجم البلدان ١: ٣٣٨.

(٣١٢) هو علي بن نصر، المعروف بأبن بسام البغدادي، شاعر هجاء، فرغ شعره في رجال السياسة (ت ٣٠٢هـ) (معجم الأدباء ١٤: ١٣٩).

(٣١٣) قلائد الجمان ١:٢٦١ب.

(٣١٤) ديوانه ٣٠٧ وما بعدها.

(٣١٥) نفسه ٣٠٨.

(٣١٦) نفسه ٢٤٥.

(٣١٧) ديوانه ٢٠٢، ولم نقف على ترجمة للمشرفين في ديوان الأمارة.

(٣١٨) نفسه ٧٤.

(٣١٩) نفسه ٢٤٥.

(٣٢٠) هو أبو عبدالله بن أبي الحسن، من أكبر أولاد الوزير أبي الحسن على بن شماس كتب في ديوان الانشاء باربل، ثم أستوزه مظفرالدين، وكان جليلاً عاقلاً بصيراً بالأمور السلطانية (ت ٦٢٢هـ)، (قلائد الجمان ٤:٢٠٠).

(٣٢١) هو من أولاد النصاري بأربل، كان موظفاً على مملكة أميرها مظفرالدين، وقد جمع اموالا جمة، وظلم الناس ظلماً فاحشاً (قلائد الجمان ٧: ٥٧٠).

(٣٢٢) هو أبن علي بن أحمد بن محمد بن سالم، لقب يعود إلى عمل الرصاص، كان ينقش الدنانير في دار الضرب لمظفرالدين، أبرز أغراض شعره المدح والهجاء، وهو من الشعراء المعدودين (ت ٦٣٢هـ)، (قلائد الجمان ٤: ٣٨ب).

(٣٢٣) قلائد الجمان ٤: ٣٨ب.

(٣٢٤) الهجاء ٢٥.

(٣٢٥) ديوانه ٤٢١

(٣٢٦) ديوانه ٤٢٤ وما بعدها.

(٣٢٧)هو الياس بن جامع بن على ابو الفضل الاربلي، أحد عدول أربل المشهورين، وهو أحد أئمتها، رحل إلى بغداد طلباً للعلم: و له أشعار في الغزل و الهجاء (ت ٦٠١هـ) بإربل (قلائد الجمان: ٣٠٦أ).

(٣٢٨) قلائد الجمان ٥: ٣٠٦أ.

(٣٢٩) هو محمد بن يوسف شهاب الدين الشيباني التلعفري، الشاعر المشهور، مدح الملوك والأعيان، وكان خليعاً معاشراً، أمتحن بالقمار، وكلما أعطاه الملوك قامربه (ت ٦٧٥هـ)، (فوات الوفيات ٤: ٦٢، ووفيات الأعيان ٧: ٤٠ – ٤٥)

(٣٣٠) فوات الوفيات ٢: ٥٧– ٥٩.

(٣٣١) هو أنو شروان الضرير المعروف بشيطان العراق، سافر إلى بلاد الجزيرة وورد أربل، ومدح

الملوك الأكابر، والغالب على شعره الخلاعة و المجون و الهزل و الفحش، لم يذكر المترجم تأريخ وفاته (نكت الهميان في نكت العميان ١٢٢).

(٣٣٢) معجم البدان، مادة أربل، وينظر: نكت الهميان في نكت العميان١٢٢.

(٣٣٣) الغصون اليانعة ٧٩. يقصد الشاعر بالكتاب (كتاب سيبويه).

(٣٣٤) عيون التواريخ ٢١: ٤٠٤.

(٣٣٥) ديوانه ٤٢٠، أبن شمعون: لم نعثر على ترجمة له، ويبد وأنه كان طبيباً وعلى خلاف مع الشاعر.

(٣٣٦) هو محمد بن على بن حامد المعروف بأبن الماشطة الاربلي، تولى أعمالا شتى بأربل له شعر صالح في الغزل والمعاتبة، والمدح، و الهجاء، وفي الألغاز والأحاجي، كانت ولادته بأربل، لم يذكر المترجم تأريخ وفاته. (قلائد الجمان ٧: ٢١٣).

(٣٣٧) قلائد الجمان ٧: ٢١٣.

(٣٣٨) تنظر: ترجمة في عيون الأنباه في طبقات الأطباء ١: ٦٧١.

(٣٣٩) ديوانه: ٣٠٦، المداجي: المداري الذي يساتر العداوة.

(٣٤٠) بنظر: أتجاهات الهجاء في القرن الثاني الهجري ٤٣٠.

(٣٤١) الهجاء (سلسة فنون الأدب العربي) ٨٧.

(٣٤٢) قلائد الجمان ٣: ١٤٠

(٣٤٣) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ٢١٣.

(٣٤٤) ديوانه ٤٢٧.

(٣٤٥) قلائد الجمان ٧: ١٩٧.

(٣٤٦) نفسه ٧:٢١٣.

(٣٤٧) ديوانه ٤٢١، ما بين القوسين صدر بيت للشاعر الأموى جرير بن عطية في هجاء الراعي النميري وعجزه (فلا كعبا بلغت ولا كلابا) (ديوانه ٢: ٨٢١).

(٣٤٨) العمدة ٢: ١٧٢.

(٣٤٩) العمدة ٢: ٢٩٤.

(٣٥٠) ينظر: جوهر الكنز ٧٢.

(٣٥١) ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي ١٢٧.

(٣٥٢) الشعر العربي بين الجمود و التطور ١٢٧.

(٣٥٣) ينظر: أبن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره ٣٩.

(٣٥٤) ديوانه ٤٤ وما بعدها.

(٣٥٥) نفسه ٣٣٩- ٣٤٠.

(٣٥٦) ينظر: أبن الرومي حياته من شعره ٢٠٥.

(٣٥٧) ينظر: أبن الرومي حياته من شعره ٢٠٥.

(٣٥٨) رسالة الطيف ٦٠.

(٣٥٩) ديوان البحتري ١:١٢٦.

(٣٦٠) ديوانه ١٥٥- ١٥٦. الحنايا: الأقواس. الأنضاء: جمع نضو الدابة التي هزلتها الأسفار، البري: جمع برة الحلقة في أنف البعير.

(٣٦١) ديوانه ٥٢ وما بعدها.

(٣٦٢) ديوانه ٢٥٧ وما بعدها.

(٣٦٣) تأريخ أربل ٢: ٧٨، ٣٠١، ٣٦٣.

(٣٦٤) هو علي بن شماس بن الله، كتب في ديوان الانشاء بأربل، ثم أستوزر، ونال مرتبة رفيعة، كان من محاسن زمانه، نقل عنه أبن المستوفي بعض الأشعار، مات محبوساً سنه ٦٢٢ه (معجم أبن الفوطي ٢: ١١٥٩).

(٣٦٥) النيلوفر: ضرب من الرياض ينبت في المياه الراكده (معجم أسماء النبات ١٥٤).

(٣٦٦) تأريخ أربل ٢: ٦٣. خصر: هو الماء الجارى لسان العرب (خصر)

(٣٦٧) هو (رسالة الطيف) من تأليف بهاءالدين بن علي الإربلي، تحـ: عبدالله الجبوري، دار الجمهورية - بغداد ١٩٦٨.

(٣٦٨) ديوانه ٦٧، وينظر: نفسه ٣٥.

(٣٧٠) ديوانه ٤٥٩.

(٣٧١) فوات الوفيات ١:٣٦٤.

(٣٧٢) ديوان بشار بن برد ١:٣١، وينظر: الأغاني ٣: ٢٣٨.

(٣٧٣) هو علي بن عثمان بن علي أمين الدين الاربلي الصوفي، كان فاضلاً مقتدراً على النظم، وهو من أعيان شعراء الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن عبد النظم، وهو من أعيان شعراء الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن عبدالعزيز، وكان أول عمره يخدم جنديا ثم تركه وتزهد وصار أحد مشايخ الصوفية، ونقل عنه أبن الشعار أشعاراً عديدة (ت ٦٧٠هـ) بمصر.(قلائد الجمان ٣: ٣٩، وعيون التواريخ ٢٠: ٤٢٥).

(٣٧٤) عيون التواريخ ٢٠: ٤٢٥.

(٣٧٥) ديوانه ٣٩٠.

(٣٧٦) نفسه ٣٩٠، وينظر: نفسه ٤١١.

(٣٧٧) ديوانه ٣٣.

(٣٧٨) ديوان النشابي ٣٢٢.

(٣٨٠) هو يوسف بن يعقوب بن عمر بن الجارود أبو يعقوب الاربلي، شاب طويل منصرف في الاعمال، أنتقل من عمل إلى آخر، وكان والده قاضي أربل، وكان يداوم زيارة مجلس الوزير أبن المستوفي (ت ٦٣٠هـ) (قلائد الجمان ١٠: ٢٦٩أ).

(٣٨١) قلائد الجمان ١٠: ٢٦٩أ، وينظر: نفسه ٧: ٥٣٣.

(٣٨٢) نفسه ٣: ٦٤. شعوب: الموت.

(٣٨٣) ديوان الحاجري ٤٢٩.

(٣٨٤) رسالة الطيف ٧٨.

(٣٨٥) ديوانه ١٧٤.

(٣٨٦) التذكرة الفخرية ٥٩.

(٣٨٧) التذكرة الفخرية ٣٨٧.

(٣٨٨) قلائد الجمان ٣: ١٩٥.

(٣٩٠) هو أحمد بن عبد السيدّ بن شعبان بن قحطان أبو العباس الاربلي، كان شاعراً ومتأدبا، خدم جنديا وحاجبا بين يدي مظفر الدين، أتصل بملوك الشام، أنعموا عليه أنعاماً سنيا، وصار أحد ندماءهم (ت ٦٣١هـ) (وفيات الأعيان ١: ١٨٤ - ١٨٧، وقلائد الجمان ١: ٨٧ب).

(٣٩١) قلائد الجمان ١: ٨٨ب.

(٣٩٢) نفسه ١٠: ٢٦٥ب

(٣٩٣) هو ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى الرومي البغدادي، صاحب كتاب معجم البلدان الذي يعد من أعظم المراجع (ت ٦٢٦هـ) بحلب (معجم البلدان ١:٦).

(٣٩٤) الكتاب هو (ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب) المعروف بـ(معجم الأدباء).

(٣٩٥) تأريخ اربل ١:٣١٩.

(٣٩٦) أدب الدول المتتابعة ٥٦٦.

(٣٩٧) ديوانه ١٥٣.

(٣٩٨) ديوانه ١٣٦.

(٣٩٩) ديوانه ٤٥١.

(٤٠٠) نفسه ٤٥٥.

(٤٠١) ديوانه ١٥٠. البرجاس هدف السهم وهو معرب (الألفاظ الفارسية ١٨).

(٤٠٢) ديوانه ٢١٧.

(٤٠٣) ديوانه ٧٦.

(٤٠٤) ديوانه ٤٥.

(٤٠٥) ديوانه ٣٤٠.

(٤٠٦) فوات الوفيات ١:٣٦٥.

(٤٠٧) نفسه ٢: ٥٨.

(٤٠٨) ديوانه ٢٢٦. وينظر: ديوان ابي نواس ٢٦٣.

(٤٠٩) ديوانه ٣٩١. وينظر: ديوان أبي نواس ٢٤٤.

(٤١٠) ينظر: ديوان ابن الظهير ٣٠ -٣١- ٣٧- ٧٠ وديوان الحاجرى ٢٢٩ - ٢٨١، وديوان النشابي ١٥١ - ١٦٥.

(٤١١) تطور الخمريات في الشعر العربي ٢٠١ - ٢٠٢.

(٤١٢) ديوانه ٤٧، وينظر: ديوان النشابي ١٦٣.

(٤١٣) ديوانه ٢٥٤، وينظر: ديوان ابن الظهير ٣٧.

(٤١٤) ديوانه ٢٥٤، وينظر: ديوان ابن الظهير ٣٧.

(٤١٥) تطور الخمريات في الشعر العربي ١٩٥.

(٤١٦) دير باقوقا: يقع هذا الدير وراء الزاب بينه وبين الموصل سبعة فراسخ وهو دير كبير، وصفه ابن فضل الله العمرى نقلاً عن ابن المستوفي في تأريخ اربل (وهو إلى الآن باق فيه رهبان كثير). (مسالك الأبصار ١: ٢٨٩).

(٤١٧) ديوانه ٣٤٩- ٣٥٠، الشعانين، وقيل السعانين، وهما سواء وعرف الشعانين في المؤلفات العربية القديمة بالسباب، جاء في المخصص ١: ١٠١، وتاج العروس ١: ٢٩٤ (ان يوم السباسب عيد للنصاري ويسمونه يوم السعانين، ويقال شعانين، وللشعانين عند النصاري عيد يقع في يوم الأحد الذي يسبق عيد الفصح من كل سنة (ينظر: الديارات ص ١٨، حاشية ١).

(٤١٨) ديوانه ١٣٧ - ١٣٨.

(٤١٩) ديوانه ٣١.

(٤٢٠) ينظر: الفصل الأول من هذه الرسالة - مبحث الحياة الثقافية والحياة الأدبية-.

(٤٢١) الشعر العراقي في القرن السادس الهجري ٢٣٥.

(٤٢٢) دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين ٦٤.

(٤٢٣) خطط المقريزى ٤: ٢٧٣.

(٤٢٤) ينظر: عصر الدول والامارات ٢٧٤.

(٤٢٥) وفيات الأعيان ١: ٣١٧.

(٤٢٦) ديوانه ٣٦٧.

(٤٢٧) ديوانه ٢٤.

(٤٢٨) ديوانه ٣٣٧.

(٤٢٩) ديوانه ٣٧٧.

(٤٣٠) ذيل مراة الزمان ٤: ٨٤.

(٤٣١) الغصون اليانعة ٨٠.

(٤٣٢) ذيل مرأة الزمان ٢: ٤٨٣.

(٤٣٣) هو عزالدين الحسن بن محمد بن أحمد بن نجا الغنوى الاربلي، كان بارعاً في العربية والأدب، رأساً في علوم الأوائل، وكان حسن المحاضرة له شعر خبيث الهجو (ت ٦٦٠هـ) (فوات الوفيات ١: ٣٦٢، وذل مرأة الزمان ٢: ١٦٥).

(٤٣٤) عيون التواريخ ٢٠: ٢٦٩.

(٤٣٥) هو محمد بن عبد العزيز ابو بكر نورالدين الشاعر، كان من كبار شعراء الملك الناصر وله ديوان شعر مشهور، وغلب عليه المجون (ت ٦٥٦ هـ) (نكت الهميان في نكت المعيان ١٢٢).

(٤٣٦) طبقات الشافعية الكبرى ٦: ١٢٦ - ١٢٧.

(٤٣٧) ديوانه ٢٠.

(٤٣٨) البداية والانهاية ١٣: ٢٨٣.

(٤٣٩) الجامع المختصر ٢٤٤.

(٤٤٠) هو ابو النجيب عبد القاهر الملقب ضياء الدين السهروردي، كان شيخ وقته بالعراق، سلك طريق الصوفية، وحبب إليه الانقطاع (ت ٥٦٣ هـ) (وفيات الأعيان ٣: ٢٠٤).

(٤٤١) تأريخ اربل ١: ١٩٤.

(٤٤٢) العمدة ١: ١٩٣.

(٤٤٣) سورة القصص، الآية ٨٨.

(٤٤٤) هو يحيى بن شرف بن مرى محي الدين ابو زكريا الحافظ، له مؤلفات عديدة منها (المنهاج)، و (رياض الصالحين)، و (الارشاد في علوم الحديث)، وغيرها (ت ٦٧٦هـ) . (فوات الوفيات ٤: ٢٦٤، والنجوم الزاهرة ٧: ٢٧٨).

(٤٤٥) ديوانه ٦٠.

(٤٤٦) هو يوسف بن محمد بن غازي الملك الناصر حلب، كان سمحا جوادا، يحاضر الادباء والفضلاء، حافظاً لكثير من الشعر والأدب، وله نوادر ونظم، قتل سنة ٦٥٨ للهجرة (فوات الوفيات ٤: ٣٦٤، وذيل مرآة الزمان ١: ٤٦١).

(٤٤٧) وفيات الأعيان ٧: ٩٣.

(٤٤٩) هو الملك عزالدين بن جعفر النيسابوري، وكان سمحا جوادا مواصلا لِكّل من يسترفده، اشتهر ذكر كرمه في البلاد، تولى شحنكية واسط والبصرة (ت ٦٥٣ هـ) (عيون التواريخ ٢١: ٦٥).

(٤٥٠) هو محمد بن محمد نصير الدين الطوسي الفيلسوف، كان رأساً في علم الأوائل وذا حرمة وافرة عند هولاكو. وابتنى بمراغة مرصداً عظيماً، ومن مؤلفاته (مقدمة في الهيئة) (ت ٦٧٢ هـ)، (فوات الوفيات ٣: ٢٦٤، والبداية والنهاية ١٣: ٢٦٧).

(٤٥١) رسالة الطيف ٢٧ وما بعدها.

(٤٥٢) هو عبد الحميد بن عيسى العلامة شمس الدين ابو محمد الخسرو شاهي اشتغل بالعقليات وبرع في الكلام، وله مؤلفات عديدة (ت ٦٥٢ هـ) بدمشق (فوات الوفيات ٢: ٢٥٧، والنجوم الزاهرة ٧: ٣٢).

(٤٥٣) عيون الانباء في طبقات الاطباء ٦٤٩.

(٤٥٤) هو ابو القاسم جبريل بن محمد بن منعة بن مالك الاربلي، اربلي المولد والمنشأ، شاهد عدل، دين عنده فضل، وله طبع سليم في الشعر. وينظم الشعر في مختلف الأغراض، منقطعاً عن مخالطة الناس، (ت ٥٨٩ هـ) باربل، (تأريخ اربل ١: ٧٤، وقلائد الجمان ٢: ٦٠).

(٤٥٥) قلائد الجمان ٢: ٦٠- ٦١.

(٤٥٦) ديوانه ٢٥٩. ام قشعم: كنية المنية. وفي البيت نظر إلى قول زهير ابن ابي سلمى في معلقته:

فشــدّ فام يفزع بيوتــا كثيرة

لدى حيث ألقت رحاها أم قشعم

(٤٥٧) ديوانه ٦٢.

(٤٥٨) وفيات الأعيان ٧: ٩٣.

(٤٥٩) هو أحمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم ابي بكر بن خلكان بن باول بن عبداللهّ بن شاكل الاربلي والأصل من ابناء الأكراد، ومن بيت فقهة وعلم، شاب قصير يتزى بزى الاجناد، ولادته سنة ٥٩٩هـ، ولم يذكر المترجم تأريخ وفاته (قلائد الجمان ١: ٢٢٤ب).

(٤٦٠) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٢: ٤٣٨.

(٤٦١) ينظر: العصر العباسي الثاني ٢٤١.

(٤٦٢) ينظر: الأدب في العصر الأيوبي ٢٤٥.

(٤٦٣) ينظر: الفصل الأول من هذه الرسالة – مبحث الحياة الاجتماعية –.

(٤٦٤) فوات الوفيات ٢: ٥٩.

(٤٦٥) وفيات الأعيان ٤: ١٤٩.

(٤٦٦) ديوانه ٤٧٥.

(٤٦٧) ينظر: تذكرة الفخرية ١٩٧، وقلائد الجمان ٥: ٢٤٠ب.

(٤٦٨) الأدب في ظل بني بويه ٣٤٣.

(٤٦٩) ديوانه ٣٣٨.

(٤٧٠) ديوانه ٣٧٧.

(٤٧١) نفسه ٣٧٢.

(٤٧٢) عيون التواريخ ٢١: ٢٠٣.

(٤٧٣) يقصد بـ(عباد الصليب) احد موظفي للديوان من النصاري ويتوقع ان يكون الشاعر قد سجن بسببه.

(٤٧٤) ديوانه ٣٧١.

(٤٧٥) نفسه ٣٧٣.

(٤٧٦) ديوانه ٣٣٧.

(٤٧٧) ديوانه ٢: ٣١٣ – ٣١٤.

(٤٧٨) ذيل مرآة الزمان ٤: ٨١.

(٤٧٩) رسالة الطيف ٨٧.

(٤٨٠) ديوانه ٣٧٦.

(٤٨١) الجامع المختصر ٢٤٤.

(٤٨٢) قلائد الجمان ١: ٧٢ب.

(٤٨٣) ديوانه ٣٢٦.

(٤٨٤) ذيل مرآة الزمان ٤:٨٣.

(٤٨٥) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ١: ٤٩٤ – ٤٩٥.

(٤٨٦) هو هاشم بن عبد السلام بن يوسف بن عمرو بن مند وابو الفضل الاربلي، كان يكتب الطغرة لأميرها مظفر الدين، ونال عنده وجاهة وتمكن، سافر إلى بغداد حين دخل التتار إلى اربل، ولادته

كانت سنة ٥٨٣هـ، ولم يذكر المترجم تأريخ وفاته (قلائد الجمان ٩: ١٩٤ب، ووفيات الأعيان ٧: ١٠٢).

(٤٨٧) قلائد الجمان ٩: ١٩٤ أ، لم نهتد إلى هذين البيتين في ديوانه.

(٤٨٨) هو عبد الرحمن بن منصور بن ابي بكر بن تامر القنطرى الاربلي، شاب طويل من ابناء القضاة اعتنى بقول الشعر وعمله، من غير ان يشتغل بالأدب، لم يذكر المترجم تأريخ وفاته (قلائد الجمان ٣: ٣٠٦).

(٤٨٩) قلائد الجمان ٣: ٣٠٧.

(٤٩٠) هو محيي الدين ابي ظاهر بن حيدر الحسيني الموصلي، تولى نقابة العلويين بالموصل ثلاث مرات، ولادته كانت سنة ٥٧١ هـ، ولم يذكر المترجم تأريخ وفاته (قلائد الجمان ٧: ٢أ).

(٤٩١) هو ابي حربي بن حمدان ابو عبدالله الاربلي، شاب قصير، نزل الشيب بعارضيه، رحل إلى بغداد، وهو يسلك طريق التصوف ويخالط المتصوفة وله خط حسن، ومعظم أشعاره في المديح والغزل والهجاء، ولد سنة ٥٩٨هـ، ولم يترجم تأريخ وفاته (قلائد الجمان ٧: ١١٠أ).

(٤٩٢) قلائد الجمان ٧: ١١١أ.

(٤٩٣) البديع، هو شرح لكتاب الفصول في النحو لا بن الدهان سعيد بن مبارك (فيات الأعيان ٤: ١٤١).

(٤٩٤) هو مجد الدين ابو السعادات محمد بن عبدالكريم المعروف بابن الأثير الجزري (ت - ٦٣هـ)، (وفيات الأعيان ٤:١٤١، وأنباه الرواة ٣: ٢٥٧).

(٤٩٦) نفيه ٥: ٢٠٧ب.

(٤٩٧) هو يونس بن سعيد بن عيسى بن سعد الله ابو الفضل بن ابي الخير الخراط الاربلي، كان من أهل القرآن الكريم والفضل، وكان رجلا خيراً ويقول مقطعات صالحة من الشعر (ت ٦٣٤ هـ) (قلائد الجمان ١٠- ٢٨٢ب).

(٤٩٨) قلائد الجمان ١٠: ٢٨٢أ.

(٤٩٩) ذيل مرآة الزمان ٢: ٤٨١.

(٥٠٠) هو ابو العباس احمد بن شجاع بن منعة، اربلي المولد والمنشأ، أقام بها بقالا، قال ابن المستوفي فهو الآن ينسخ الكتب بالأجر، له طبع موات وقريحة محببة (ت ٦٢١هـ) (تأريخ اربل ١: ٢٣٢).

(٥٠١) تأريخ اربل ١: ٢٣٢. البلابل: شدة الهم والوسواس في الصدور.

(٥٠٢) هو حماد بن محمد بن جساس البوازيجي، شيخ البوازيج في الانقطاع، من أصحاب عدى بن مسافر، تردد كثيراً إلى اربل، ويغشاه الأكابر، تردد إليه امير اربل، ومات بالبوازيج سنة ٥٩٦هـ (تأريخ اربل ١: ٢٥٣).

(٥٠٣) تأريخ اربل ١: ٢٥٣.

(٥٠٤) تنظر ترجمته في: قلائد الجمان ١٠: ٢٤٤أ.

(٥٠٥) نفسه ١٠: ٢٤٤ب.

(٥٠٦) هو محمد بن ناصر بن محمد الحافظ ابو الفضل البغدادي محدث العراق، عني بالحديث بعد ان برع في اللغة، كان متدينا نظيفا نزها (ت ٥٠٥ هـ) (العبر في خبر من غير ٤: ١٤٠).

(٥٠٧) الحوادث الجامعة ١٣٥.

(٥٠٨) قلائد الجمان ٣: ٣٧١.

(٥٠٩) في موضع النقاط كلام غير مقروؤ في الأصل.

(٥١٠) ديوانه ٤١٢.

(٥١١) هنو محمد بن محمد بن أبي حنيفة ابن ابي عبدالله بن الفرضي، كان اربلي المولد والمنشأ بغدادي الوالد والأصل، له أشعار في الغزل العفيف (ت ٦١٦هـ) بدمياط بمصر (قلائد الجمان ٧: ٢٣٩أ، والنجوم الزاهرة ٦: ٢٣٠).

(٥١٢) قلائد الجمان ٧: ٢٣٩أ.

(٥١٣) نفسه ١: ٨٨ أ - ٨٨ب.

(٥١٤) هو محمد بن علي بن محمد ابن الجارود ابو عبدالله الماراني، ولد بكفر عزة، قرية من قرى اربل ونشأ بها، وتقلد القضاء باربل في ايام مظفر الدين كوكبرى وكان من ظرفاء الحكام، متحليا بالنزاهة، فيه أداب (ت ٦٢٩هـ) وقد جاوز الثمانين (الوافي بالوفيات ٤: ١٧٢. والبداية والنهاية ١٣: ١٣٤).

(٥١٥) قلائد الجمان ٧: ٣٢ب.

(٥١٦) تنظر ترجمته في: قلائد الجمان ٦: ٦٩أ.

(٥١٧) تأريخ اربل ٢: ٣٠٣.

(٥١٨) قلائد الجمان ٣ك ١٤١ - ١٤٢.

(٥١٩) قلائد الجمان ٣: ٣٠٨.

(٥٢٠) العمدة ١: ٣٠٧.

(٥٢١) المثل السائر ٣: ٨٦.

(٥٢٢) تنظر: مجلة المخطوطات العربية، مجلد ٣٣، الجزء الأول ١٩٨٩. الدكتور ناظم رشيد، بحث بعنوان (سعد بن علي الحظيري الملقب بدلال الكتب) ص ١٦٩ - ١٩٥.

(٥٢٣) هو ابو نصر عبد الرحيم بن النفيس بن هبة الله الحديثي، ورد اربل فيه ذكاء وعنده فقه، له أشعار عديدة (ت ٦١٨هـ) (تأريخ اربل ١: ٢٣٥).

(٥٢٤) تأريخ اربل ١: ٢٣٦.

(٥٢٥) ديوانه ٤٥، قراقوش: اسم تركي معناه عصفور أسود وأراد باللغز معكوس قراقوش. (شوق، أرق).

(٥٢٦) ديوانه ٧٢.

(٥٢٧) ذيل مرآة الزمان ٤: ١٥٩.

(٥٢٨) مختصر كتاب البلدان ٢٣٨.

(٥٢٩) التذكرة الفخرية ١٠٥.

(٥٣٠) ديوانه ٥٦ - ٥٧.

(٥٣١) ديوانه ٣٦.

(٥٣٢) ديوانه ١٨٥.

(٥٣٣) ديوانه ١٥٩. والغرب: عرق في العين يسقيها بلا انقطاع.

(٥٣٤) نفسه ٣٦٧.

(٥٣٥) ديوانه ٧٢.

(٥٣٦) ديوانه ١٦٥.

(٥٣٧) التذكرة الفخرية ٥٩.

(٥٣٨) ديوانه ١٧٨.

(٥٣٩) هو ابو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد الأنصاري الميناري من مدينة سلا في أقصى المغرب، ورد اربل، وسكن دار الحديث بها، عنده من كلّ فن طرف منه (ت ٧٠٠هـ)، (تأريخ اربل ١: ٣١١).

(٥٤٠) تأريخ اربل ١: ٣١١.

(٥٤١) هو ابو الفتح نصر بن و هسوزان بن ملكيشوع الهذباني الاربلي، كان له خط حسن (ت ٥٣٠هـ)، (تأريخ اربل ١:٣٣٢ - ٣٣٣).

(٥٤٢) تأريخ اربل ١: ٣٢٢.

(٥٤٣) التذكرة الفخرية ١٠٨.

(٥٤٤) قلائد الجمان ١: ١٢٥ب.

(٥٤٥) ينظر: "القدس في شعر القرن السادس الهجري " مجلة المورد، العدد الأول، المجلد الحادي عشر، سنة ١٩٨٢، للدكتور ناظم رشيد.

(٥٤٦) ينظر: " جهاد صلاح الدين الأيوبي - التأريخ والشعر- " مجلة المورد، العدد الرابع، المجلد السادس عشر، سنة ١٩٨٧، للدكتور ناظم رشيد.

(٥٤٧) ديوانه ٢٠١.

(٥٤٨) المحرب: الشجاع، قمقام: السيد الكثير الخير والفضل.

(٥٤٩) العيون الأخبار ٣: ٢٧٨.

(٥٥٠) قلائد الجمان ٣: ١٠٤ وما بعدها.

(٥٥١) تأريخ آداب العربية، نيلينو ١٩٢.

(٥٥٢) ينظر: وفيات الأعيان ٤: ١١٨.

(٥٥٣) الشعر الشعبي في العراق في القرن الرابع الهجري ١٣١.

(٥٥٤) ينظر: الشعر في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد ٢٠٥.

(٥٥٥) في الأدب العباسي - الرؤية والفن - ٣٣٨.

(٥٥٦) ينظر: دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين ١٨٦.

(٥٥٧) ديوانه ٢٣٩. الأنف: من الرياض مالم يرعه أحد، الجوبة: المكان النفنف: المفازة. وينظر [illegible] ٢٤٦.

(٥٥٨) نفسه ٢٦٩. حالكة الاهاب: مسودة الجلد. نبلة الأزمات: الحوادث العظيمة. غائلة الر[illegible] المصائب المهلكة. الغول:المنية.

(٥٥٩) نفسه ٣٢٥.

(٥٦٠) ديوانه ٢٤٢.

(٥٦١) نفسه ٣٣٤.

(٥٦٢) ديوانه ١٨٦.

(٥٦٣) ديوانه ٣٤٦.

(٥٦٤) ينظر: الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ٨٧.

(٥٦٥) دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين ١٨٥.

(٥٦٦) خزانة الأدب ١٩٠ - ٢٠٠.

(٥٦٧) ديوانه ٣٤٣.

(٥٦٨) وفيات الأعيان ٧: ١٠١.

(٥٦٩) عصر الدول والامارات ٣٩١.

(٥٧٠) ديوانه ١٣٣، وينظر ايضاً: نفسه ١٩٩.

(٥٧١) ينظر: الفصل الثاني من هذه الرسالة، ص ٥٦.

(٥٧٢) كتاب الصناعتين ٣٩.

(٥٧٣) ديوانه ٢٤٤، مشربش: كلمة تركية تعني المشرق الرجه (المعجم التركي - العربي ٣: ١١٣).

(٥٧٤) ديوان ١٤٥، نوروز: وهو اليوم الجديد (مروج الذهب ١/٢٤٦).

(٥٧٥) نفسه ٢٢٩، البرطيل: الرشوة (الألفاظ الفارسية المعربة ٢٠).

(٥٧٦) معجم البلدان ١: ١٣٨ وما بعدها.

(٥٧٧) ابو العتاهية - حياته وشعره - ٢٨٩.

(٥٧٨) ابو الطيب المتنبي وماله وما عليه ٣٢.

(٥٧٩) ديوان السرى الرفاء ١: ١٦٣.

(٥٨٠) جوهر الكنز ٢٥٧. العمدة ٢: ٧٣.

(٥٨١) ديوان ٢٣٥.

(٥٨٢) ينظر: الفصل الثاني من هذه الرسالة، ص ٦٠.

(٥٨٣) ديوانه ١٦٥.

(٥٨٤) نفسه ١٢٧.

(٥٨٥) نفسه ١٧٦.

(٥٨٦) نفسه ٢٧٤.

(٥٨٧) ينظر: سر الفصاحة ٩٥.

(٥٨٨) ينظر: الأسلوب ١٤٨.

(٥٨٩) ينظر: الفصل الأول من هذه الرسالة - مبحث الحياة الاجتماعية -.

(٥٩٠) ديوانه ٢٠، في البيت اشارة إلى قوله تعالى:*(وجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وشَهيد)* سورة ق، الآية ٢١.

(٥٩١) ديوانه ١٧٦.

(٥٩٢) ينظر: الفصل الأول من هذه الرسالة - مبحث الحياة الأدبية -.

(٥٩٣) الموفق: ولي العهد لأخيه الخليفة المعتمد وذلك في سنة ٥٧٨ هـ، (تأريخ بغداد ٢: ١٢٧).

(٥٩٤) ديوانه ٢٠٤ - ٢٠٥، البيعة: معبد للنصارى واليهود (المنجد٥٧) القس: من كان بين الأسقف والشماس (المنجد ٦٢٧).

(٥٩٥) ديوانه ١٤٢ وما بعدها.

(٥٩٦) لحن العامة والتطور اللغوى ٣٠.

(٥٩٧) البيانه والتبيين ١: ١٠٥، وينظر: الأسلوب ٢٣٠.

(٥٩٨) كتاب الصناعتين ٢٩.

(٥٩٩) العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ٥٨.

(٦٠٠) وفيات الأعيان ١: ١٠.

(٦٠١) تأريخ اربل: ٣٩٣. وتنظر ترجمته في: نفسه ١: ٣٩٣.

(٦٠٢) نفسه ١: ٣٩٣.

(٦٠٣) ديوانه ١٢١، وينظر ايضاً: نفسه ٢٨٤.

(٦٠٤) ديوانه ١٨٨، وينظر ايضاً: نفسه ٣٢٠.

(٦٠٥) ديوانه ٣٠٦.

(٦٠٦) تأريخ اربل ١: ١٥٨.

(٦٠٧) ينظر: لحن العامة والتطور اللغوى ١٠١، والكتاب اسمه (ما تلحن فيه العوام) تحـ: عبد العزيز الميمني (في ثلاث رسائل) - قاهرة ١٣٤٤هـ وحققه ايضاً بروكلمان.

(٦٠٨) ديوانه ١٣١، وينظر ايضاً: نفسه ١٦٢ - ١٧٦.

(٦٠٩) ديوانه ٣٣١. تنظر ترجمته في: ذيل مرآة الزمان ١:١١١، وفوات الوفيات ١:١٦٥.

(٦١٠) ديوانه ٤٢١.

(٦١١) نفسه ٣٨١.

(٦١٢) ديوانه ٣٢٠، ٣٩٣.

(٦١٣) ديوانه ١٥٥.

(٦١٤) نفسه ١٨٣.

(٦١٥) نفسه ٢٢٥ وما بعدها، ومن الجناس الوارد في هذه القصيدة " الأرق والغرق، العلق والعلق، فراق وقرق، رشيق ورشق، ناشق ونشق، أهدى وهدى، يبرق وبرق، حكمة وحاكمة، ذمة وتذم، اعتلى واعتلق، مشقة وممشق، تفترق والفرق، الطباق والطبق، قرضت وقريضة، سابق والسبق، يحفظ وحفظ، غسق واتسق "ومن الطباق" رتق وانفتق، مصطبح ومغتبق" . وينظر ايظا: نفسه ٢٦٣ وما بعدها.

(٦١٦) فوات الوفيات ٢: ٣٩ وما بعدها.

(٦١٧) خريدة القصر وجريدة العصر ٤: ٢٣٣.

(٦١٨) ديوانه ٢٢٦.

(٦١٩) ينظر: الصورة الأدبية ٣١.

(٦٢٠) ديوانه ١٨٦.

(٦٢١) ديوانه ٥٢.

(٦٢٢) قلائد الجمان ٢: ٥٣.

(٦٢٣) فوات الوفيات ٣: ٥٧.

(٦٢٤) ديوانه ٢٧٥.

(٦٢٥) قلائد الجمان ١٠: ٢٦٧أ.

(٦٢٦) ديوانه ٢٣٤، الكوسيار: لفظة تركية تعني الطبل الضخم (المعجم التركي - العربي ٣: ٢٠٥).

(٦٢٧) قلائد الجمان ٢: ٥٣.

(٦٢٨) ديوانه ١٨٨.

(٦٢٩) عيون التواريخ ٢١: ٣٥٢.

(٦٣٠) التذكرة الفخرية ٢٢٥.

(٦٣١) تأريخ اربل ١: ٨٤.

(٦٣٢) نفسه ١:٣٨٤.

(٦٣٣) فوات الوفيات ٢: ١٣٥.

(٦٣٤) وفيات الأعيان ٧: ١٠٢.

(٦٣٥) ديوانه ٣٤.

(٦٣٦) ديوانه ١٥٦.

(٦٣٧) اتجاهات النقد في القرن الخامس الهجري (٣٧٦).

(٦٣٨) ديوانه ٣١٦.

(٦٣٩) ديوانه ٣٠٢.

(٦٤٠) نفسه ٢٤٩، ٢١٣.

(٦٤١) ديوان ٢١٥.

(٦٤٢) نفسه ٢٠٣.

(٦٤٣) خزانة الأدب ١٨١، وأنوار الربيع ٥: ٢٣٤.

(٦٤٤) نفاضة الجراب ١٢٩، وأزهار الرياض ١: ٢٧٥.

(٦٤٥) ديوانه ٣٩٨.

(٦٤٦) ديوانه ٣٣٠.

(٦٤٧) تأريخ اربل ١:٢٣٤.

(٦٤٨) ديوانه ٢٤٧.

(٦٤٩) سورة آل عمران، الآية ٤٩.

(٦٥٠) ديوانه ١٧٧

(٦٥١) سورة النمل، الآية ٤٤.

(٦٥٢) سورة الدهر، الآية ١٦.

(٦٥٣) ديوانه ١٦٠.

(٦٥٤) سورة يوسف، الآية ٩٦.

(٦٥٥) ديوانه ٣٦٤.

(٦٥٦) سورة الصافات، الآية ١٣٩.

(٦٥٧) السورة نفسها، الآية ١٤٢.

(٦٥٨) ديوانه ٦٨.

(٦٥٩) كتاب الصناعين ٢٧٤.

(٦٦٠) ديوانه ١١٩.

(٦٦١) ديوانه ١٢٣.

(٦٦٢) ديوانه ٣٣٩.

(٦٦٣) ينظر: دلائل الاعجاز ٧٠، ١٦٥، وخزانة الأدب ٣٦٠.

(٦٦٤) ديوانه ٤٢٢.

(٦٦٥) قلائد الجمان ٥: ١٤٤.

(٦٦٦) ديوانه ١٨٦.

(٦٦٧) نفسه ٢٩٦. ليل الهرير: كان بصفين، وفيه اشتد القتال، وكثر عدد القتلى، وهي ليلة من ليالي معركة القادسية أيضاً (ثمار القلوب ٦٣٧، والكامل في التأريخ ٢: ٤٧٩).

(٦٦٨) نفسه ٢٩٧.

(٦٦٩) ديوانه ٦١.

(٦٧٠) ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر ٢٧٦.

(٦٧١) ينظر: اسرار البلاغة ٨-٩، وسر الفصاحة ١٨٥.

(٦٧٢) فوات الوفيات ٢: ١١٨.

(٦٧٣) الشعر العربي بين الجمود والتطور ٢١٤.

(٦٧٤) ينظر: محاضرات في الأدب المملوكي والعثماني ٧٢.

(٦٧٥) ديوانه ٢٦٤.

(٦٧٦) ديوانه ٧٣.

(٦٧٧) ديوانه ٤١٦.

(٦٧٨) فوات الوفيات ٣: ٣٩.

(٦٧٩) ديوانه ٢٢٨.

(٦٨٠) ديوانه ٢٣٨.

(٦٨١) نفسه ٢٧٩.

(٦٨٢) جوهر الكنز ٨٤، وكتاب الصناعتين ٣١٦.

(٦٨٣) ديوانه ١٥٦.

(٦٨٤) ديوانه ١٤٢.

(٦٨٥) العمدة ٢: ١٥.

(٦٨٦) ديوانه ٢٢٧.

(٦٨٧) ديوانه ٢٦٣.

(٦٨٨) ديوانه ٧٥.

(٦٨٩) ينظر: نقد الشعر ٤٦، وكتاب الصناعتين ٢٩٣، والعمدة ٢: ٢٦ – ٢٧.

(٦٩٠) فوات الوفيات ٣: ٣٩.

(٦٩١) أدب الدول المتتابعة ٦٧٦.

(٦٩٢) ديوانه ٣٥٠.

(٦٩٣) سورة يس، الآية ٣٩.

(٦٩٤) فوات الوفيات ١: ١٠٢ - ١٠٣.

(٦٩٥) سورة المعارج، الآية ٤٢.

(٦٩٦) صبح الأعشى ١: ٦٣.

(٦٩٧) ديوانه ٢٧٣.

(٦٩٨) سورة الكوثر، الآية ٢-٣.

(٦٩٩) ديوانه ١٣٨.

(٧٠٠) النهاية في غريب الحديث ٢: ١٠٩.

(٧٠١) ينظر: المبديع ١١٤.

(٧٠٢) ينظر: أدب الدول المتتابعة ٦٨١.

(٧٠٣) ديوانه ٢٢٩ وما بعدها.

(٧٠٤) خزانة الأدب ٢٣٩ - ٢٤٩.

(٧٠٥) جوهر الكنز ١١١.

(٧٠٦) ديوانه ٢١١.

(٧٠٧) ديوانه ٢٨٤.

(٧٠٨) الايضاح ١: ١٦٩.

(٧٠٩) ديوانه ٢٩٥.

(٧١٠) ديوانه ١٢٢.

(٧١١) ينظر: البديع في نقد الشعر ٥١، والعمدة ٢: ٢.

(٧١٢) ينظر: الشعر والشعراء ٩٠.

(٧١٣) ديوانه ٣٢٨.

(٧١٤) نفسه ٢٠٨.

(٧١٥) فوات الوفيات ٣: ٢٩.

(٧١٦) ديوانه ٢٧٨.

(٧١٧) العمدة ١: ٢٣٤.

(٧١٨) ينظر: اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري ٢٧٤.

(٧١٩) العمدة ١: ٢٣٦.

(٧٢٠) خزانة الأدب ١٤٩ وما بعدها.

(٧٢١) قلائد الجمان ٣: ٥٧.

(٧٢٢) ديوانه ٢٣٨.

(٧٢٣) ديوانه ٦٥.

(٧٢٤) ديوانه ١٨٤.

(٧٢٥) ينظر: البديع في نقد الشعر ٢٠٠.

(٧٢٦) البديع لابن المعتز ٥٨، وجوهر الكنز ١١٩.

(٧٢٧) انوار الربيع ١: ٣٦٩.

(٧٢٨) ديوانه ٣٢٧.

(٧٢٩) العمدة ١: ٢٣٩.

(٧٣٠) ديوانه ٢٤٥.

(٧٣١) قلائد الجمان ١٠: ٢٨٩أ.

(٧٣٢) ديوانه ٢٨٩.

(٧٣٣) نفسه ٣٠٨.

(٧٣٤) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق ١، مج ١: ٤٦٩.

(٧٣٥) فصول في الأدب الأندلسي ١٢٩ - ١٣٨.

(٧٣٦) ينظر: في أدب العصور المتأخرة ٤٦.

(٧٣٧) ينظر: أدب الدول المتتابعة ٥٨٦.

(٧٣٨) ديوان ابن الدهان الموصلي ٢٧٠.

(٧٣٩) حسام الدين الحاجرى (مجلة) ٢٦٩.

(٧٤٠) ديوانه ٣٨٥.

(٧٤١) أدب الدول المتتابعة ٦٢١.

(٧٤٢) ينظر: مقدمة (ديوان الدوبيت في الشعر العربي) ٣٠ - ٩٥.

(٧٤٣) مرآة الزمان ٦٩٢.

(٧٤٤) ينظر: الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ٤٠٧.

(٧٤٥) وفيات الأعيان ٧: ١٠٣.

(٧٤٦) ديوانه ٤٦٨.

(٧٤٧) العاطل الحالي والمرخص الغالي ٨.

(٧٤٨) ديوانه ٤٣٧.

(٧٤٩) نفسه ٤٤١.

(٧٥٠) الفنون الشعرية غير المعربة، المواليا ١٥٨.

(٧٥١) ديوانه ٤٤٦.

(٧٥٢) ديوانه ٢٣١.

(٧٥٣) العمدة ١: ١٧٨ – ١٧٩.

(٧٥٤) نفسه ١: ١٨٠.

(٧٥٥) ديوانه ٢٨١.

(٧٥٦) ينظر: فن التقطيع الشعرى والقافية ٢٩٦.

(٧٥٧) ديوانه ٢٨٧.

(٧٥٨) ينظر: أدب الدول المتتابعة ٦٣٢.

(٧٥٩) هو ابو عبد اللّه احمد بن محمد بن علي التغلبي المعروف بابن الخياط الدمشقي (ت ٥١٧ هـ) شاعر معروف، ترجمته في مقدمة ديوانه، تحـ: خليل مردم بك ٥.

(٧٦٠) ديوان ابن الخياط ١٧٠.

(٧٦١) ديوان ٢٨٢.

المصادر والمراجع

المصادر:

١- القرآن الكريم.

٢- الأزمنة والأمكنة: ابو علي المرزوقي الأصفهاني، مط مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن -الهند ١٩١٢.

٣- أسرار العثمانية:د عبد القاهر الجرجاني، تحـ: رينز، استامبول، مط وزارة المعارف ١٩٥٤.

٤- الأغاني: ابو الفرج الأصفهاني، تحـ: عبدالستار احمد فراج، دارة الثقافة، بيروت ١٩٥٩.

٥- الامتاع والمؤانسة: ابو حيان التوحيدي، شرح: احمد أمين الزين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٣.

٦- انباه الرواة في انباء النحاة: جمال الدين علي بن يوسف القفطي، مط دار الكتب المصرية، ١٩٥٠.

٧- أنوار الربيع في انوار البديع: علي صدر الدين بن معصوم المدني، تحـ: شاكر هادي شكر، النجف الأشرف، ١٩٦٨.

٨- الايضاح: جلال الدين محمد القزويني، نشر: عزالدين التنوخي، دمشق ١٩٤٨ -١٩٥٠.

٩- البداية والنهاية: اسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٦٦.

١٠- البديع: عبدالله بن المعتز، اعتني بنشرة: اغناطيوس كراتشفوفسكي، أعادت مكتبة المثنى - بغداد ١٩٦٧.

١١- البديع في نقد الشعر: أسامة بن منقذ، تحـ: د. احمد أحمد بدوى، ود. حامد عبد المجيد، مط مصطفى اللبابي الحلبي وأولاده، القاهرة ١٩٦٠.

١٢- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي، تحـ: محمد ابو الفضل ابراهيم، مط البابي الحلبي، مصر ١٩٦٥.

١٣- تاج العروس: مرتض الزبيدي، مط الخيرية، القاهرة ١٨٨٦.

١٤- تأريخ ابن خلدون: دار الكتاب اللبناني. بيروت ١٩٥٧.

١٥- تأريخ ابن الفرات: ناصر الدين محمد بن الفرات، نشر: د. حسن محمد الشماع، ود. قسطنطين زريف، مط الامريكانية، بيروت، ١٩٣٦ -١٩٤٢.

١٦- تأريخ اربل: شرف الدين ابي البركات المبارك ابن المستوفي، تحـ: سامي الصقار، مط المركز العربي للطباعة، بيروت، وزارة الثقافة، بغداد ١٩٨٠.

١٧- التأريخ الباهر في الدولة الاتابكية في الموصل: علي بن ابي كرم المعروف بابن الجزري، تحـ: د. عبدالقادر احمد طليمان، مط دار الكتب، القاهرة ١٩٦٣.

١٨- تأريخ بغداد: ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت).

١٩- تأريخ الخلفاء: جلال الدين عبد الرحمن اليوطي، تحـ: محمد محي الدين عبد الحميد، ط القاهرة، ١٩٦٤.

٢٠- التذكرة الفخرية: بهاء الدين المنشيء الاربلي، تحـ: د. نوري حمودي القيسي، و د. حاتم صالح الضامن، ط المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٨٤.

٢١- تقويم البلدان: عماد الدين اسماعيل ابو الفداء، دار الطباعة السلطانية، باريس ١٨٤٠.

٢٢- التكملة لوفيات النقلة: زكي الدين ابو محمد المنذرى، تحـ: بشار عواد معروف، دار احياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٧٦.

٢٣- تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب: كمال الدين عبد الرزاق البغدادي ابن الفوطي، تحـ: د. مصطفى جواد، مط الهاشحية، دمشق ١٩٦٢ - ١٩٦٧.

٢٤- ثمار القلوب في المضاف المنسوب: عبد المارك بن محمد الثعالبي، تحـ: محمد ابي الفضل ابراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٦٥.

٢٥- الجامع المختصر في عنوان التأريخ وعيون السير: على بن أنجب المعروف بابن الساعي الخازن، نشر: الدكتور مصطفى جواد، المط السريانية بغداد ١٩٣٤.

٢٦- جمهرة الأمثال: ابو هلال الحسن العسكري، تحـ: ابو ابراهيم وقطامش، مط السعادة، القاهرة ١٩٥٩.

٢٧- الجواهر المضية في طبقات الحنفية: عبد القادر بن ابي الوفاء القرشي، مجلس دائرة المعارف، الهند ١٣٣٢ هـ.

٢٨- جوهر الكنز: احمد بن اسماعيل بن الأثير الحلبي، تحـ: محمد زغلول سلام، مط منشأة المعارف بالأسكندرية، مصر (د. ت).

٢٩- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة: عبدالرزاق ابن الفوطي البغدادي، تعليق: الدكتور مصطفى جواد، مط الفرات بغداد ١٩٣١.

٣٠- خريدة القصر وجريدة العصر: عماد الدين الأصفهاني - قسم شعراء الشام - تحـ: د. شكري فيصل، دمشق ١٩٥٥.

٣١- خزانة الأدب وغاية الأرب: تقي الدين ابو بكر المعروف بابن حجة الحموي، دار الحديث، بيروت (د. ت).

٣٢- الديارات: ابي الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي، تحـ: كوركيس عواد، مط المعارف، بغداد ١٩٥١.

٣٣- ديوان ابن الخياط: احمد بن محمد التغلبي المعروف بأبن الخياط الدمشقي، تحـ: خليل مردم بك، دمشق ١٩٥٨.

٣٤- ديوان ابن الدهان: عبد الله بن أسعد الموصلي، تحـ: عبدالله الجبوري، مط المعارف، بغداد ١٩٦٨.

٣٥- ديوان ابن الظهير الاربلي: محمد بن احمد بن عمر، تحـ: د. ناظم رشيد، مط دار الكتب،

الموصل ١٩٨٨م

٣٦- ديوان ابن نباته: عبد العزيز بن نباته، تحـ: عبد الأمير مهدي الطائي، مط دار الحرية، بغداد ١٩٧٧.

٣٧- ديوان أبي فراس الحمداني: تحـ: سامي الدهان، بيروت ١٩٤٤.

٣٨- ديوان ابي نواس: الحسن بن هانيء، تحـ: احمد عبدالمجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت (د. ت).

٣٩- ديوان البحتري: تحـ: حسن كامل الصيرفي، دار المعار مصر ١٩٧٢.

٤٠- ديوان بشار بن برد: علّق عليه: محمد رفعت فتح اللّه، ومحمد شوقي أمين، مط لجنة التأليف، القاهرة ١٩٥٠.

٤١- ديوان الحاجري: حسام الدين بن سنجر الحاجري، تحـ: صاحب شنون ياسين، كلية الآداب بجامعة بغداد ١٩٨٨، رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الكاتبة.

٤٢- ديوان جرير: شرح: محمد بن حبيب، تحـ: نعمان محمد امين طه، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٩.

٤٣- ديوان الحماسة: حبيب بن أوس الطائي. تحـ: عبد المنعك احمد صالح، دار الرشيد، بغداد ١٩٨٥.

٤٤- ديوان الخنساء: دار الأندلس، بيروت ١٩٧٨.

٤٥- ديوان سبط ابن التعاويذي: تحـ: مارجليوث، مط المقتطف، القاهرة ١٩٠٣.

٤٦- ديوان الشريف الرضي: تحـ: د. عبدالفتاح محمد الحلو، بغداد ١٩٧٧.

٤٧- ديوان النشابي: محد الدين أسعد بن ابراهيم الاربلي، تحـ: عبداللّه محمود طه، كلية الآداب بجامعة الموصل ١٩٨٥، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة.

٤٨- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني، تحـ: احسان عباس، الدار العربية، ليبيا ١٩٧٨م

٤٩- ذيل الروضتين: عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي، نشر: عزة اسماعيل ١٩٤٧.

٥٠- ذيل مرآة الزمان: ابو الفتح موسى اليونيني، مط دائرة المعارف، العثمانية، حيدر أباد، الهند ١٩٥٤.

٥١- رسالة الطيف: بهاء الدين الاربلي، تحـ عبداللّه الجبوري، دار الجمهورية، بغداد ١٩٦٨.

٥٢- الروضتين في أخبار الدولتين: عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي، تحـ: محمد حلمي محمد، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٥.

٥٣- سر الفصاحة: الأمير محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، شرح وتصحيح: عبد المتعال الصعيدي، مط محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة ١٩٦٩.

٥٤- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل المرادي، مصورة مكتبة المثنى، بغداد (د. ت).

٥٥- السلوك لمعرفة دول الملوك: المقريزي، مط دار الكتب، القاهرة ١٩٣٤.
٥٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن عماد الحنبلي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت (د. ت).
٥٧- شرح ديوان زهير بن ابي سلمى: صنع: احمد بن يحيى الشيباني، مظ دار الكتب، القاهرة ١٩٦٤.
٥٨- الشعر والشعراء: عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تحـ: د. طه الحاجري والدكتور محمد زغلول، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٩٥٦، مط دار الثقافة، بيروت ١٩٦٤.
٥٩- شمامة العنبر والزهر المعنبر: محمد مصطفى الفلاحي، تحـ: د. سليم النعيمي، مط المجتمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٧٧.
٦٠- صبح الأعشى في صناعة الانشاى: احمد بن علي القلقشندى، مط الأميرية، القاهرة ١٩١٣.
٦١- طبقات الشافعية: جمال الدين بن الحسن بن علي القرشي الآسنوى، تحـ: عبدالله الجبوري، مط الارشاد، بغداد ١٩٧٠.
٦٢- طبقات الشعراء المحدثين: عبدالله بن المعتز، مط دار المعارف، القاهرة ١٩٥٦.
٦٣- العبر في خبر من غبر: الحافظ الذهبي، تحـ: د. صلاح الدين المنجد، الكويت ١٩٦٠.
٦٤- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك: اسماعيل بن العباس الغساني، تحـ: شاكر عبد المنعم، دار البيان، بغداد ١٩٧٥.
٦٥- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابو علي بن رشيق القيرواني، تحـ: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت ١٩٧٢.
٦٦- عيون الأخبار: مسلم بن قتيبة الدينورى: الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٣.
٦٧- عيون الأنباء في طبقات الأطباء: احمد بن القاسم السعدي الخزرجي المعروف بابن ابي أصيبعة، تحـ: د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٥.
٦٨- عيون التواريخ: محمد شاكر الكتبي، تحد: نبيلة عبد المنعك داود، والدكتور فيصل السامر، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٤٨.
٦٩- الغصون اليانعة في محاسن شعر المئة السابعة: ابن سعيد ابو الحسن علي بن موسى الأندلسي، تحـ: ابراهيم الأبياري، دار المعارف القاهرة (د. ت).
٧٠- الفتح القسي في الفتح القدسي: العماد الأصفهاني، تحـ: محمود محمد صبيح، الدار القومية، القاهرة ١٩٦٥.
٧١- فوات الوفيات: محمد شاكر الكتبي، تحـ: محمد محي الدين عبدالحميد، مط السعادة، مصر ١٩٥١.
٧٢- قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان المشهور بـ "عقود الجمان في شعراء هذا الزمان": كمال الدين ابي البركات المبارك بن الشعار الموصلي، مصورة اللجنة المشرفة على تحقيقها في كلية التربية بجامعة الموصل من مخطوطة أسعد أفندي في استانبول تحت رقم (٢٣٢٦).

٧٣- الكامل في التأريخ: عزالدين علي بن محمد بن الأثير، دار صادر، بيروت ١٩٦٦.
٧٤- كتاب الصناعتين: ابو هلال الحسن العسكري، تحـ: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار حياء الكتب العربية، مصر ١٩٥٢.
٧٥- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة، طبعته بالأفيست مكتبة المثنى، بغداد ١٩٢٧.
٧٦- كنز الدرر وجامع الغرر: عبد الملك بن ايبك الداوداري، تحـ: سعيد عبدالفتاح عاشور، نشر: المعهد الألماني، القاهرة ١٩٧٢.
٧٧- لسان العرب: محمد بن مكرم الأفريقي المصري ابن منظور، دار صادر بيروت ١٩٥٥.
٧٨- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين نصر الله بن محمد المعروف بابن الأثير، تحـ: د. احمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة، مط نهضة مصر، القاهرة ١٩٥٩.
٧٩- مجمع الأمثال: احمد بن محمد النيسابوري الميداني، تحـ: محمد محي الدين عبد الحميد، مط السنة المحمدية ١٩٥٥، دار المعروفة بيروت.
٨٠- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: ابو القاسم حسين محمود الراغب الأصبهاني، منشورات مكتبة الحياة، بيروت (د. ت).
٨١- المختصر في أخبار البشر: عماد الدين ابو الفد اسماعيل، دار الكتاب اللبناني، بيروت (د. ت).
٨٢- مختصر كتاب البلدان: الجهشياري، البابي الحلبي، ١٩٣٨.
٨٣- مرآة الجنان وعبرة اليقظان: عبدالله بن أسعد بن علي المكي اليافعي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ١٩٧٠.
٨٤- مرآة الزمان في تأريخ الأعيان: سبط ابن الجوزي، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند ١٩٥١.
٨٥- مراصد الاطلاع على أسماء الأزمنة والبقاع: صفي الدين عبد المؤمن عبد الحق البغدادي، تحـ: علي محمد البجاوي، دار احساء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٥.
٨٦- مروج الذهب ومعادن الجوهر: ابو الحسن علي المسعودي، تحـ: محمد محي الدين عبد الحميد، ط السعدة الثانية، القاهرة ١٩٤٨.
٨٧- معجم الأدباء: ياقوت بن عبدالله الحموى، دار المستشرق، بيروت ١٩٢٢.
٨٨- معجم البلدان: ياقوت بن عبدالله الحموي، دار صادر، بيروت ١٩٥٥.
٨٩- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب: محمد بن سالم المشهور بابن واصل، القاهرة ١٩٥٣.
٩٠- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين يوسف بن تغري بردي الاتابكي، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣٥.
٩١- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب: لسان الدين بن الخطيب، تحـ: د. احمد مختار العبادي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة (د. ت).
٩٢- نقد الشعر: قدامة بن جعفر، تحـ: كمال مصطفى، مط السعادة، القاهرة ١٩٦٣.

٩٣- نكت الهميان في نكت العميان: خليل بن ايبك الصفدي، مط الجالية، القاهرة ١٩١١.
النهاية في غريب الحديث والأثر: ابو السعردات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، تحـ: طاهر احمد الراوي ومحمود محمد الطناحي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٣.
٩٥- الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي، تحـ: س، ديد رينغ، مط الهاشمية، دمشق ١٩٥٥، الجزء الرابع، والدكتور احسان عباس، مط دار صادر، بيروت ١٩٦٩، الجزء السابع.
٩٦- وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان: شمس الدين احمد بن محمد ابي بكر بن خلكان، تحـ: د. احسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٨.

المراجع:

٩٧- ابو العتاهية حياته وشعره: محمد محمود الدش، دار الكتاب العربي - القاهرة - ١٩٦٨
٩٨- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري: د. محمد مصطفى هدارن دار المعارف - القاهرة ١٩٦٣.
٩٩- اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري: يوسف حسين بكار، دار المعارف القاهرة ١٩٧١.
١٠٠- اتجاهات النقد الادبي في القرن الخامس الهجري: د. منهصور عبدالرحمن مكتبة الانكلو المصرية - القاهرة ١٩٧٧.
١٠١- أدب الدول المتتابعة: د. عمر موسى باشا، مط دار الفكر، دمشق ١٩٦٧.
١٠٢- الادب في ظل الدول الزنكبة: عبدالوهاب العدواني - رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة -جامعة بغداد- كلية الاداب.
١٠٣- الادب في العصر الايوبي: د. محمد زغلول سلام، دار المعارف- القاهرة ١٩٦٨.
١٠٤- الأدب في العصر المملوكي: د. محمد زغلول سلام، دار المعارف القاهرة ١٩٦٨.
١٠٥- ابن الرومي حياته من شعره: عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي -بيروت ١٩٦٨.
١٠٦- ابن الرومي ونفسيته كن خلال شعره: ايلها حاوي - بيروت ١٩٥٩
١٠٧- ابو الطيب المتنهي وماله وما عليه: عبد الصباح بن محمد بن اسماعيل العثماني، مط الجمالية - القاهرة ١٩١٥.
١٠٨- اربيل في العهد الاتابكي: د. محسن محمد حسين، مط أسعد، بغداد ١٩٧٦.
١٠٩- الاسلام والحضارة العربية: محمد كرد علي، دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٣٤، ومط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٩.
١١٠- الأسلوب: احمد الشايب، مط السعاد، القاهرة ١٩٧٦.
١١١- الأعلام: خيرالدين الزركلي، بيروت ١٩٦٨.
١١٢- الألفاظ الفارسية المعربة: أدى شير، مط الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٩.
١١٣- الأندية الأدبية في العصر العباسي في العراق حتى نهاية القرن الثالث الهجري: علي محمد

هاشم، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٨.
١١٤- تأريخ آداب اللغة العربية: كارلونالينو، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٤.
١١٥- تأريخ الأدب العربي: د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٨.
١١٦- تأريخ البيمارستانات في الاسلام: د. احمد عيسى بك، مط الهاشمية، دمشق ١٩٣٩.
١١٧- تأريخ التربية الاسلامية: الدكتور احمد شلبي، ط مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٠.
١١٨- تأريخ الموصل كالقس سليمان صائغ الموصلي، مط السلفية، مصر ١٩٢٣.
١١٩- تأريخ نصاري العراق منذ انتشار النصرانية في الأقُطار العراقية إلى أيامنا: رفائيل بابو اسحاق، مط المنصور، بغداد ١٩٤٨.
١٢٠- التربية والتعليم في الاسلام: الدكتور محمد أسعد طلس، دار العلم للملايين ١٩٥٧.
١٢١- تطور الخمريات في الشعر العربي: الدكتور جميل سعيد، مط الاعتماد مصر ١٩٤٥.
١٢٢- التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان: عباس العزواي ط شركة التجارة والتباعة، بغداد ١٩٥٧.
١٢٣- جاوان القبيلة الكردية المنسية ومشاهير الجاوانيين: الدكتور مصطفى جواد، مط المجمع العلمي الكردي، بغداد ١٩٧٣.
١٢٤- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري: أدم متز، ترجمة: محمد عبد الهادي ابو ريدة، مط لجنة الأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٨.
١٢٥- الحضارة العربية طابعها ومقوماتها العامة: الدكتور محمد عبدالسلام كفافي، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٠.
١٢٦- الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام كاحمد احمد بدوي دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٢.
١٢٧- الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي: الدكتور مريزين ابن سعيد مريزين عسيرى، مكتبة الطالب الجامعي، كمة المكرمة ١٩٨٧.
١٢٨- دائرة المعارف الاسلامية: مادة اربل، ط أولى، القاهرة ١٩٣٣.
١٢٩- داود بن عيسى الأيوبي - حياته وأدبه -:ناظم رشيد، رسالة دكتواره على الآلة الكاتبة، بغداد ١٩٧٢.
١٣٠- دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين: الدكتور محمد كامل حسين دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٥٧.
١٣١- ديوان الدوبيت في الشعر العربي في عشرة قرون: الدكتور كامل مصطفى السبيبي، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٢.
١٣٢- ديوان السرى الرفاء: تحـ: جبيب حسين الحسني، دار الرشيد، بغداد ١٩٨١.
١٣٣- الشاعر الثائر محمد باقر الشبيبي (ت ١٩٦٠): عبدالرزاق الهلال، نشر: مكتبة النهضة، بغداد ١٩٦٥.

١٢٤- الشعر الشعبي في العراق في القرن الرابع الهجري: حميد مخلف، رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الكاتبة، جاحعة بغداد ١٩٦٧.
١٢٥- الشعر العراقي في القرن السادس الهجري: مزهر عبد السوداني، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٠.
١٢٦- الشعر العربي بين الجمود والتطور: الدكتور محمد عبدالعزيز الكفراوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ١٩٧٣.
١٢٧- الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد: عبدالكريم توفيق العبود، داغر الحرية، بغداد ١٩٧٦.
١٢٨- الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي: الدكتور علي جواد الطاهر، الجزء الأول، مط المعارف، بغداد ١٩٥٨.
١٢٩- الشكوى في شعر القرن الرابع الهجري: جواد رشيد مجيد، الجامعة المستنصرية، كلية الأداب، بغداد ١٩٨٨.
١٤٠- الصراع بين الموالي والعرب: محمد بديع شرايف، مطبعة دار الكتاب العربي ١٩٥٤.
١٤١- الصورة الأدبية: الدكتور مصطفى ناصف، دار الأندلس، بيروت ١٩٨٣.
١٤٢- ضحى الاسلام: احمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت (د. ت).
١٤٣- العراق قديماغغ وحديثا: عبدالرزاق الحسني، مط دار الكتب، بيروت ١٩٧١.
١٤٤- العربيةك يوهان فك: ترجمة: الدكتور عبدالحليم النجار مصر ١٩٥١.
١٤٥- عصر الدول والامارات: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٠.
١٤٦- العصر العباسي الأول: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٦.
١٤٧- علماء النظاميات ومدارس المشرق الاسلامي: الدكتور ناجي معروف مط الارشاد، بغداد ١٩٧٣.
١٤٨- علم النفس والأدب: سامي الدروبي، مط دائرة المعارف، بغداد ١٩٧١.
١٤٩- فصول في الأدب الأندلسي: الدكتور حكمة على الأوسي، مكتبة النهضة، بغداد، ط الثانية ١٩٧٤.
١٥٠- فصول في الشعر ونقده: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٧١.
١٥١- الفكر الاسلامي منابعه وآثاره: احمد شلبي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٢.
١٥٢- فن التقطيع الشعري والقافية: د. صفاء خلوصي، بيروت ١٩٧٤.
١٥٣- فن المديح وتطوره في الشعر العربي: احمد ابو حاقة، منشورات الشرق الجديد، بيروت ١٩٦٢.
١٥٤- الفن ومذاهبه في الشعر العربي: د. شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة ١٩٧٨.
١٥٥- الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية: د. حسن الباشا مط لجنة البيان العربي، القاهرة ١٩٦٦.

١٥٦- الفنون الشعرية غير المعربة: د. رضا محسن القريشي، دار الحرية بغداد ١٩٧٦.
١٥٧- في الأدب العباسي الرؤية والفن: عزالدين اسماعيل، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٥.
١٥٨- في أدب العصور المتأخرة: د. ناظم رشيد، دار الكتب، الموصل ١٩٨٥.
١٥٩- قضايا الفن قصيدة المدح العباسية: د. عبدالله عبدالفتاح التطاوي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٨١.
١٦٠- لحن العامة والتطور اللغوي: د. رمضان عبد التواب، دار المعارف القاهرة ١٩٦٧.
١٦١- محاضرات في الأدب المملوكي والعثماني: عمر موسى باشا، مط الاحسان، دمشق ١٩٧٩ - ١٩٨٠.
١٦٢- المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة: طه باقر وفؤاد، وزارة الثقافة والارشاد، بغداد ١٩٦٦.
١٦٣- مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني: بكري شيخ أمين، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٠.
١٦٤- مظفرالدين كوكبرى أمير اربل: د. عبدالقادر احمد طليمات، مط مصر القاهرة ١٩٦٣.
١٦٥- معجم أسماء النبات: جمع وتحقيق: محمود مصطفى الدمياطي، الدار المصرية للتأليف، القاهرة ١٩٦٥.
١٦٦- المعجم التركي العربي: عبداللطيف بندر اوغلو والدكتور ابراهيم البياتي، دار الطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٢.
١٦٧- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: د. احمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٨٣.
١٦٨- المنجد في اللغة والأعلام: دار المشرق، بيروت ١٩٧٣.
١٦٩- الموسوعة العربية المسيرة: دار نهضة لبنان، اشراف: محمد شفيق غربال، بيروت ١٩٨٠.
١٧٠- نظرة علبرة في شمال العراق: عبدالرزاق الحصان، بغداد ١٩٤٠.
١٧١- نفسية ابي نواس: د. محمد النويهي، دار الفكر، القاهرة ١٩٧٠
١٧٣- النقد الأدبي الحديث: د. محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطبع والنشر، مط نهضة مصر (د. ت) الهجاء: ساميس الدهان، مط المعارف، القاهرة (د. ت).
١٧٤- الهجاء: لجنة من أدباء الأقطار العربية، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٧.
١٧٥- الهجاء والهجاؤون في صدر الاسلام: د. م . محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، الأسكندرية ١٩٤٨.

المجلات:

١- مجلة آداب الرافدين: مجلد ٩ سنة ١٩٧٨م، الدكتور ناظم رشيد، بحث بعنوان (الشعر في اربل في ظل الأسرة البكتكينية ٥٢٦ - ٦٣٠هـ).
٢- مجلة آداب المستنصرية: العدد ١٠ سنة ١٩٨٤م، الدكتور ناظم رشيد، بحث بعنوان (حسام الدين الحاجري الاربلي - حياته وشعره -).

- العدد ١٥ سنة ١٩٨٧م، الدكتور يونس احمد السامرائي، بحث بعنوان (النفس الشعري في القصيدة العربية).

٣- مجلة سومر: مجلد ١٦، الجزء الأول والثاني سنة ١٩٦٠م، ووداد علي القزاز. بحث بعنوان (المنارة المظفرية في اربل تأريخها وأوصافها).

- مجلد ١٨ سنة ١٩٦٢، كامل حسين، بحث بعنوان (التنقيب حول المئذنة المظفرية في اربيل).

- مجلد ٢٥ سنة ١٩٦٩، فؤاد جميل، بحث بعنوان (حدياب اربيلا - وعشتار - اربيلا).

٤- مجلة كلية الآداب: جامعة بغداد، العدد ٢٢ سنة ١٩٧٨م، نوري حمودي القيسي، بحث بعنوان (تقويم جديد لدور الأدب العربي في العصور المتأخرة).

٥- مجلة لغة العرب: مجلد ٨ سنة ١٩٣٠م، عبدالرزاق الحسيني، بحث لواء اربيل ص ٦٠٩.

٦- مجلة المجمع العلمي العربي -دمشق: مجلد ٢١- ٢٢ سنة ١٩٤٦، و ١٩٤٧، عباس العزاوي، بحث بعنوان (آل بكتكين - امارة اربل في عهدهم).

٧- مجلة المجمع العلمي العراقي: مجلد ٣ سنة ١٩٥٤، الدكتور مصطفى جواد، بحيث بعنوان (الأدب العراقي في العصر المغولي).

- المجلد الأول، سنة ١٩٥٦، بغداد، د. مصطفى جواد، بحث بعنوان (جاوان القبيلة الكردية المنسية ومشاهير الجاوانيين).

٨- مجلة المخطوطات العربية: مجلد ٣٣، الجزء الأول ١٩٨٩، د. ناظم رشيد، بحث بعنوان (سعد بن علي الحظيري الملقب بدلال الكتب).

٩- مجلة المورد: المجلد الأول، سنة ١٩٧٢، محمد عبدالمنعم الخفاجي بحث عن رسالة الطيف.

- المجلد الحادي عشر، العدد الأول، سنة ١٩٨٢، د. ناظم رشيد، بحث بعنوان (القدس في شعر القرن السادس الهجري). - المجلد السادس عشر، العدد الرابع، سنة ١٩٨٧، د. ناظم رشيد، بحث بعنوان (جهاد صلاح الدين الأيوبي، التأريخ والشعر).

الفصل الثاني

ثلاثة شعراء من أربيل

تقسمت الدولة العباسية في عصورها المتأخرة على امارات صغيرة لها ملوكها وجيوشها. وكانت اربيل (اربل)[١] واحدى تلك الامارات التي نشطت فيها حركة فكرية[٢] وادبية جديرة بالدراسة بفضل اسرة الامير زين الدين علي من بكتكين[٣] (ت ٥٦٣هـ)، ومن أحفاده الافذاذ الملك المعظم مظفرالدين كوكبري[٤] الذي كان قائدا للجيوش الشرقية في معركة (حطين) الخالدة سنة ٥٨٣هـ[٥] وقد اضحت اربيل في عهده ذات شأن، مدينة زاخرة بالعلم والعلماء الذين كانوا موضع رعاية وعناية حتى غدا النشاط الادبي ايام آل بكتكين غزيرا ومبدعا، وقد كان مظفرالدين على خلق كريم ينفق على الفقهاء والمحدثين، ويكرم الشعراء، "فما كان يضيع قصدهم. ولا يخيب أمل من يطلب بره "[٦] ويبدو ان الشعراء ادركوا فضل هذه الاسرة، واثنوا على اعمالهم الجليلة[٧] فقد الف في هؤلاء الادباء الوزير المبارك بن احمد المشهور بابن المستوفي (ت ٦٣٧هـ) كتابا في اربعة مجلدات سماه (البلد الخامل ومن ورد عليه من الاماثل)[٨] ومن الجدير بالذكر ان مظفرالدين كوكبري انفرد من بين ملوك زمانه باقامة إجتفالات دينية تبركا بولادة الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم - وقد وصف ابن خلكان هذه الاحتفالات. واشار إلى الوفود التي كانت تصل اربيل مع بداية الاحتفال اذ كان بينهم الفقهاء، والمحدثون والادباء والشعراء[٩] وكان من الطبيعي ان تعقد مجالس علمية وادبية في الجوامع والمساجد يبحث الوافدون في موضوعات ثقافية وعملية ودينية عديدة، وكانوا يحظون برعاية أمير اربل. حيث أنه دفع لأبي الخطاب ابن دحية البلسي الف دينار نظير قيامه بتأليف كتاب له[١٠] وهناك من ساهم مع أمير اربل في اعصاء ثقافة ابناها وفي تشجيع الحركة العلمية والادبية، ومنها الوزير ابن المستوفي (ت ٦٣٧ هـ)[١١] وقد كانت داره ملتقى النخبة الفاضلة من العلماء والأدباء ولعل أمسياتها أشبه ما تكون اليوم بالمنتدى الأدبي ومنهم ايضاً ابن خلكان[١٢] صاحب الكتاب المشهور (وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان) فضلا عن المجالس العلمية والادبية التي كانت لها مساحة واسعة في ازدهار الادب، وقد حفلت بالشعر[١٣] وقد كان لمظفرالدين ولع كبير بمجالسة العلماء والادباء. سواء بحضوره الندوات الادبية التي كانت تعقد في دار الوزير ابن المستوفي، أو حضوره المجالس الدينية والاستماع إلى العلوم الاسلامية، ويلاحظ إلى هذه الندوات كانت تقام في مسجد القلعة والمسجد الذي شيده بجوار مدرسته[١٤][١٥] وفي خضم هذا النشاط العلمي والادبي ظهر أدباء بارزون،

فضلا عن هؤلاء المشتغلين في المجالات الثقافية الاخرى اسهموا في نظم الشعر وتذوقه. وفي الوريقات الأتية نشير إلى البارزين منهم حسب منهج البحث .

حسام الدين الحاجري الاربلي (ت ٦٣٢ هـ):

اسمه ولقبه

هو عيسى بن سجر بن بهرام بن جبرائل بن حمرتكين بن صاشتكين الاربلي، ويكي بابي يحيى وإلى الفضل[١٦] وابي موسى[١٧]

واشتهر بلقب الحاجري، يقول ابن الشعار الموصلي (ت ٦٥٦هـ): وعرف بذلك لأنه يكثر من حاجر في شعره. وقلما تحلو له قصيدة الا ويعرض بذكره فيها[١٨] كما ورد ابن خلكان بقوله: (والحاجري هذه نسبة إلى حاجر. وكانت بليدة بالحجاز . ولم يكن الحاجري منهم بل لكونه إستعملها في شعره كثيراً)[١٩] وفي هذا اللقب عمل الشاعر دوبيتا، وهو[٢٠] لو كنت كفيت من هواك البينا

ما بات يحاكي دمع عيني عينا

لولاك لما ذكرت نجدا بفمي

من اين انا؟ وحاجر من اينا؟

وذكره ايضاً في ابيات اخرى بقوله[٢١]:

يهذا الاربيلي

هم فيك الحويجري

ولادته ونسبه:

ولد الشاعر سنة (٥٨٢هـ) في قرية جبريل[٢٢] التابعة لاربيل. أما نسبه فقد اشار إليه ابن الشعار الموصلي بقوله: (هو شاب من ابناء الاتراك. وقدماء أجنادهم)[٢٣] وعزاه بعضهم إلى اصول كردية[٢٤] وذهب آخرون ألى انه ارمني[٢٥] ومن خلال دراسة شعره الذي وصلنا لانجد اثرا لذكر نسبه، فضلاً عن أنه لم يفخر به.

نشأته:

يعرف القليل عن نشأة الشاعر وسيرته، ولكنه عاش في عصر ازدهرت فيه اربيل في الجوانب الأدبية والعلمية. وعشق الادب منذ صباه، وغشى مجلس صديقه ابن المستوفي الوزير، ويشير إلى هذا الجانب اليونيني حين يقول: (ان الاديب مجدالدين النشابي الاربلي،

وكان كاتب انشاء الامارة وقد اهدى إلى شرف الدين بن المستوفي في بعض الليالي طبعا فيه تفاح مخصب وسفرجل على يد غلام وكان جميل الصورة. فوصل إليه وعنده جماعة فيهم حسام عيسى بن سنجر ابن بهرام الحاجري، فعمل كل واحد من الحاضرين في ذلك شعراء فعمل الحاجري(٢٦):

اهدى لنا المجـد تفـاحـا واحـمـره

من خـد من جـمل التـفـاح مـسـترق

وللسـفـرجل من اعـلاه رائحـة

يضـع منـهـا المهـديه ثناء عـبق

فظلت أعـجب من خـالين كـيف هوى

وصف الغلام ووصف السيد الطبق

يرى الدكتور ناظم رشيد أنه كان (... ذكيا نابها ... دربه ابوه على حمل السلاح، وركوب الخيل. وضمه إلى الجيش ثم استعفى منه)(٢٧) ويتوجه الشاعر نحو معاقرة الخمرة، ينتهب اللذة ويعشق الجمال، وفي هذا المجال يقول(٢٨):

لدواعي الـهوى وفـرط الخـلاعة

ألف سـمع لا للوقـار وطاعـة

سـيـمـا والصـبـوح رفع الكا

س بأيدي السقـاه فينا شراعه

ويدعو إلى الخلاعة، وشرب الخمر، والجهر بهِ، بقوله:

يا ندمي عـرجـا بي جـمـيـعـا

نشرب الراح كالصلاة جماعة

خـمـرة لو رأي العـزيز بمصـر

لونهـا في الكون أرهن صـاعـه

ويتمادي الشاعر في المجون والخلاعة. فشكاه الناس مظفر الدين كوكبرى. فرمي به في السجن(٢٩) وكانت أيام السجن قاسية عليه. ويبعث بشعره الحزين إلى أصدقائه يترجون مظفر الدين في اطلاق سراحه. فأطلق سراحه بعد أن لبس ثوب المتصوفة، واستدعاه إلى مجلسه(٣٠) ومن أشعاره في السجن قوله(٣١):

قـيـد أكـابده وسـجن ضـيقُ

يارب شـاب من الهـموم المفرق

ان لم يكن فرج فموت عاجل

ان الحمام من الرزايا أرفقُ

يا برق ان جزت الديار باربل

وعلا عليك من التداني رونقُ

قل يا جعلت ملء الفدا اسيركم

من كل مشتاق اليكم أشوق

كيف السبيل إلى اللقاء ودوننا

صماء شاهقة وباب مغلقُ

رحلاته وشيوخه:

قضى الشاعر معظم حياته في اربيل، ولكن يبدو أنه ضاقت به في مستهل حياته الادبية، فيشد الرجال إلى مدينة الموصل. يستأنس بأجوائها. ويلتقي بأدبانها[٣٢] وحينما طال مكوثه فيها يحن إلى اربيل، ويكتب إلى رفيق صباه ضياءالدين عيسى. وهو اخو ابن خلكان[٣٣] رسالة ضمنها هذين البيتين[٣٤]:

!اللّه يعلم ما ابقى سوى رمق

مني فراقك يا من قربه الأمل

فابحث كتابك واستودعه تعزية

فربما مت شوقا قبل ما يصل

ويبدو ان الشاعر لا يحقق ما يصبو إليه في الموصل. فيعود ادراجه. وهو يردد[٣٥]:

وبلدة ما كنت في قصدها

الا كراجي السيد من محرم

قال المني فيها وقد رمته

حاشاي ارجو من بني الديلم

أثاره:

للشاعر ديوان شعر كبير[٣٦] فضلاً عن شخصيته الادبية التي اشاد بها الباحثون من القدماء والمحدثين، قال عنه ابن الشعار الموصلي: (جيد القريحة وله اشياء حسنة في الغزل ومعان يجيد استنباطها)[٣٧] ويقول ابن خلكان: (وله ديوان شعر تغلب عليه الرقة[٣٨] واشاد به صاحب التذكرة الفخرية انه:(شاعر مجيد ومحسن)[٣٩] وذكره ابن الاثير انه: (صاحب

الديوان المشهور)[٤٠] وقد عرض له ابن تغري بردي فقال: (الشيخ الامام البارع... كان اديبا فاضلا. ظريفا فصيحا، وله ديوان شعر مشهور. يغلب على شعره الرقة والانسجام)[٤١] وسمي إسماعيل باشا البغدادي "بلبل الغرام الكاشف عن لثام الاستجمام"[٤٢] أما المحدثون فقد أولوا الشاعر من الأهتمام فوصفه الزركلي إنه "شاعر رقيق الألفاظ حسن المعاني" [٤٣] وعدّه محمد أمين زكي "من شعراء عصره البارزين"[٤٤] ووصف وترجم له صاحب تأريخ الموصل فوصف شعره بالرّقة والجودة و حسن المقصد[٤٥]، وتعرض له عمر فروخ فقال: "الحاجري شاعر محسن تغلب على شعره الرقة[٤٦]، كما وصف شعره الدكتور ناظم رشيد بأنه بعيد عن العقل قريب من القلب[٤٧]، وعدّه الدكتور شوقي ضيف من أبرز شعراء الغزل في العراق إبان الحقبة الأخيرة من عمر الدولة العباسية، ووصف قصيدته الطويلة التي مطلعها: [٤٨].

باتت له هزوي فهاج جواها

نسيم شمال ضوغه رباها

ووصفها بأنها «قصيدة تفيض بحنين رائع» [٤٩] وتحدث عنه أخرون [٥٠].

وفاته:

عاش الشاعر في ظل مظفرالدين كوكبرى مطمئناً على نفسه. ولما قضى نحبه. صارت اربيل بيد نائب الخليفة شمس الدين باتكين[٥١] بدأ القلق يساوره فلزم داره وصادف ان خرج يوما، فوثب عليه رجل فطعنه. فحمل إلى داره. وكتب إلى الأمير نائب الخليفة قائلاً[٥٢]:

أشكوك يا ملك البسيطة حالة

لم تبق رعبا في عضوا ساكنا

ان تستبح إبلى لقيطة معشر

ممن امل غير جاشك مازنا

يا للعجائب كيف يمسى خائفا

من بات في حرم الخلافة قاطنا

ويتوفى الشاعر بسبب جرحه سنة (٦٣٢ هـ). ويدفن بمقبرة باب الميدان[٥٣].

مجدالدين النشابي الاربلي (ت ٦٥٦هـ):

أسمه ولقبه:

هو اسعد بن ابراهيم بن على النشابي الاربلي[٥٤]. وكني بأبي المجد، وقيل ابو الفصل وأبو سعد[٥٥]. أما لقبه الاربلي فهو نسبة إلى مدينة اربيل[٥٦]

ولادته ونسبه:

أجمع معظم الباحثين على أن ولادته كانت، بأربيل سنة (٥٨٢هـ)[٥٧] أما عن نسبه فقد قال عنه اليونيني: (الشيباني والانصاري)[٥٨] والنسبتان تدلان على أصله العربي، ولكننا لم نجد في ديوانه فخرا بهذا النسب. وقد نعته بعضهم بالنشابي نسبة إلى النشاب[٥٩] وهو النبل او السهام التي كان يصنعها أو يبيعها في بداية حياته. فأصبح (لا يعرف الا بها)[٦٠]:

نشأته:

يعرف القليل عن طفولة الشاعر ونشأته، والذي لاشك فيه أنه اقبل على الدرس والتحصيل الثقافي في مدارس اربيل، وبرع في دراسة اللغة العربية ونظم الشعر، وقلد كتابة الانشاء بديوان امير اربيل مظفرالدين كوكبري سنة ٦١٥هـ[٦١] وكان للشاعر مراسلات شعرية مع الشخصيات الادبية والعلمية. منهم الوزير شرف الدين ابن المستوفي (ت ٦٣٧هـ)[٦٢] وظل الشاعر في خدمة امير اربيل إلى ان نقم عليه[٦٣] وحبسه في قلعة كرخيني[٦٤] سنة ٦٢٩ هـ، بعد ان نمي إليه انه كان يطالع ديوان الخلافة العباسية بالامور المتجددة له[٦٥] وقد يكون السبب معاملة النشابي المذمومه لاهل بلدته اربيل وبقي في السجن إلى ان توفي مظفرالدين كوكبري سنة (٦٣٠هـ). فأرسل الخليفة المستنصر بالله عسكره. فاخذوا اربيل. واخرج المسجونين ومنهم الشاعر النشابي[٦٦][٦٧] وأمر الخليفة باحصاره إلى بغداد، وقلده أعمالا بنواحي بغداد، وشاعرا رسميا بديوان الخلافة[٦٨] ونحن نظن ان هذا التكريم من الخليفة تشير الشكوك حول سبب سجنه وعلاقته السرية بديوان الخلافة.

رحلاته وشيوخه:

يبدو أن الشاعر كان قليل السفر والترحال، ومع ذلك فيه تنقل في بلاد الشام والجزيرة، وأشار إلى ذلك ابن النديم، بقوله: (قدم الينا إلى حلب. واتصل بخدمة الوزير شمس الدين محمد بن عبدالباقي بن ابي يعلى في ايام الملك الظاهر غازي[٦٩] ومدح بها الملك الظاهر)[٧٠] وكذلك صاحب الشاعر مظفر الدين كوكبري لما توجه إلى بغداد لمقابلة الخليفة المستنصربالله العباسي، وعندما دخلا على الخليفة تقدم النشابي بين يديه، وأنشد في الحال[٧١]:

جـلالة هـيـبـة هذا المقـام

تحـيـر عـالم علم الكلام

كـان المناجي به قـائمـا

يناجي النبي عليـه السـلام

ثم اتبع هذين البيتين قوله: (ولو كشف الغطا لرأينا الملائكة بك حافة. ووجدنا الروح الامين يجدد تلاوة الوحي المنزل على ابن عم النبي الرسول، ويقول هذا اكرم الخلفاء وأفضل، وصلاة اللّه وسلامه يخصان الاكرم الأفضل:

ولو جـمع الأئمـة في مكان

وانت به لكنت لهم امـامـا

فاللّه يؤيد هذه الدولة الشريفة بنصره، ويرد كيد عدوها في نحره)[٧٢] ومن خلال استقراء ديوان الشاعر. يلحظ أنه، مكث فترة في بلاد خوزستان واقام في (تستر) التي انفذ منها عدة قصائد[٧٣] إلى بغداد في مدح الخليفة المستنصرباللّه. ووزيره بن الناقد (ت ٦٤٣هـ)[٧٤] كما في قوله[٧٥]:

فاتتك أكبـار المدائح دائماً

عن أربلي قد تدير تبسترا

وقوله[٧٦]:

وهـوى بغـــدادكم يجـــذبني

وطريقي قـصرت طـول الطلاقي

وبخـوزسـتـان داري والهـوى

يبـحث العزم إلى أرض العراق

أثاره:

وصل الينا ديوان الشاعر[٧٧] ويتميز شعره بنقده للأوضاع الاجتماعية والسياسية بمدينة أربيل. فضلاً عن نظرته إلى مخاطر الغزو المغولي للبلاد الاسلامية[٧٨] قال عنه اليونيني أنه: (من الفضلاء والرؤساء والأعيان...)[٧٩]

وفاته:

اختلف المؤرخون في سنة وفاته. يروى اليونيني وابن الغوطي أنه توفي سنة ٦٥٧هـ[٨٠] الا ان بعضهم أرخ لونفاته بأواخر سنة ٦٥٦هـ بعد استيلاء المغول على بغداد وسلامة الشاعر من جرائمهم[٨١]

أبن الظهير الاربلي (ت ٦٧٦هـ):

اسمه ولقبه:

محمد بن احمد بن احمد بن ابي شاكر ابو عبدالله مجدالدين، وعرف بابن الظهير الاربلي[٨٢] ولم نجد من الباحثين من تطرق إلى سبب تسميته بها اللقب.

ولاته ونسبه:

ولد الشاعر باربيل[٨٣] سنة (٦٠٢ هـ). أما عن نسبه فأن الباحثين لم يشيروا إليه. ولكن أنفرد صاحب بغية الوعدة بتسميته (المراكشي المنتد الاربلي المولد)[٨٤]

نشأته:

يبدو انا أن الاخبار عن نشأة الشاعر قليلة، لكن من المحتم انه تعلم بمدينة اربيل. واختلف إلى مجالس العلماء والادباء، وبخاصة مجلس شرف الدين ابن المستوفي واستناداً إلى آراء الباحثين أن الشاعر التزم لدين والتقوى. حيث وصفه بعضهم أنه (وافر الديانة، كريم الأخلاق، واسع الصدر، ورأيت من مكارمه وحسن عشرته وجميل أو صافه مالم يجمع في غيره)[٨٥] وكان له مكانة. عند أهل اربيل ورؤسالها. وقد كتب إلى بعض نواب اربيل يتوسط في اخراج شخص اسمه إسماعيل[٨٦] من السجن. يقوله[٨٧]:

ما أضاء الملك قلبي إلى
لقياكم مأمور أشواقه
مافيكم الا أمرو فاضل
يزهو على الروض بأخلاقه
مسعود نا الذمي في حبسكم
وصبره واه كميثاقه
أطلقتم الادمع: حبسه
فقيدوا الشكر باخلاقه

رحلاته وشيوخه:

اكتسب الشاعر ثروة لغوية وادبية في مجالس اربيل العلمية. وعلمائها ومع ذلك فانه رحل من اجل اكتساب المزيد من المعرفة. فقد شد الرحال متوجها إلى بغداد ويلتقي بكبار رجال الفكر فيها وأصبح بارعا في الفقه والاصول واللغة والنحو. ومن شيوخه في بغداد ابي بكر بن

الحازم والكاشعري[٨٨] ثم انتقل إلى دمشق. ومن شيوخه فيها السخاوي. وتاج الدين ابن حمويه، وتصدى للأقراء في المدرسة القيمازية[٨٩] بدمشق استاذاً ناجحا تؤمه الطلبة للافادة من علمه[٩٠] ويظهر من استقراء ديوانه أنه حج البيت الحرام سنة ٦٧٤هـ. حيث كتب إلى المولي شهاب الدين محمود كاتب الدرج[٩١] قائلا[٩٢]:

بلغنا العلى والشوق يحدور ركابنا

وذكـــركم زاد لنا وســـمـــيـــر

لعل النوى ينجـاب عنا ظلامــهـا

فـيـدنو ويبـدو للعـيـون سـتـيـر

وتروي أحـاديث الغرام صـمـيـمـة

وتروى بكم بعــد الغليل صـــدور

ومن ديوانه نستشف أيضا ان الشاعر كان يتأجر أحيانا، وقد اجتاز الشاعر بحماه، ومعه بضاعة فطلب منه المكس، فكتب إلى الصاحب شرف الدين عبدالعزيز، وزير حماه اذ ذاك، يقول[٩٣]:

يا أيها الصدر الذي أضحى بأذ

كـار العلى كلفـا بغـيـر تكلف

هل يعذر النواب في تكليـفـهم

حق الجوار لشاعر متصوف

آثاره:

للشاعر ديوان وصل الينا منه احدى وسبعون قصيدة ومقطوعة[٩٤] ومن آثاره أيضا (مختصر أمثال الشريف الرضى)[٩٥] و (تذكرة الاريب وتبصرة الاديب)[٩٦] وبالنظر لأخلاق الشاعر الحميدة. فقد تناولته اقلام الباحثين وأشادوا بشعره وشاعريته، فقال ابن خلكان: (وكان ماهرا في فنون الادب والنحو واللغة والعروض والقوافي وعلم البيان وأشعار العرب واخبارها وايامها ووقائعها وأمثالها)[٩٧] ويشيد بفضله أيضاً ابن بلدته المنشيء الاربلي علي ابن عيسى حيث يقول في أحد كتبه: (شاعر من بلدته الغراء، ومجيد من أعيان الشعراء، شعره أجرى من الماء تحدر من صبب، وأفعل في النفوس من ابن عمد روح العنب)[٩٨] ويقول أيضا: (الفقيه المنحوى المجيد المبرز. ضرب في قالب الاحسان فبز الاقران، وجرى في حلبة البيان فأحرز قصب الرهان)[٩٩] وهو عند اليونيني (امام في الأدب ونقد الشعر)[١٠٠] ويراه ابن قاضي شعبة (أديبا لحسن النظم رقيق الشعر)[١٠١] وعند الصفدى (من اعيان شيوخ

الادب وفحول المتأخرين في الشعر)[١٠٢]

وفاته:

توفي ابن الظهير الاربلي بدمشق بالمدرسة القيمازية التي تولى التدريس فيها سنة (٦٧٧ هـ). ودفن بمقابر الصوفية[١٠٣] ورثاه تلميذه الشاعر شهاب الدين محمود بقصيدة طويلة مطلعها[١٠٤]:

تمكن ليلي واطمـانت كـواكـبـه

وسدت على صبح الغداة مذاهبه

الهوامش:

(١) دائرة المعارف الأسلامية، مادة اربل، العراق قديما وحديثا/ ٢٣٦.

(٢) ينظر: كتاب اربيل في العهد الاتابكي، والحياة العلمية في اربل.

(٣) هو: زين الدين علي المعروف بكوجك، اصله من التركمان. ملك اربيل وبلادا كثيرة، وعمر طويلاً، توفي باربل سنة (٥٦٣ هـ). وكان موصوفا بالقوة المفرطة والشهامة (وفيات الأعيان ٤/ ١١٤).

(٤) هو: مظفرالدين بن زين الدين علي كجك، المعروف بالكوكبري. وهوَ اسم اعجمي معناه الذئب الازرق، ولد بقلعه الموصل سنة (٥٤٩هـ) وتوفي باربل سنة (٦٣٠هـ) (وفيات الاعيان ٤/ ١٢٠).

(٥) ينظر: مظفرالدين كوكبري امير اربل ٣٠ وما بعدها.

(٦) وفيات الاعيان ٤/١١٩.

(٧) تاريخ اربل ١/ ١٨٨. ٤٥٩.

(٨) حققه السيد سامي الصقار، وقد وصل الينا الجزء الثاني منه باسم تاريخ اربل.

(٩) وفيات الاعيان ٤/ ١١٧.

(١٠) نفسه ٤/١١٩.

(١١) هو: ابو البركات المبارك بن ابي الفتح احمد المعروف بابن المستوفي الاربلي. كان رئيسا جليل القدر ماهرا في فنون الادب واشعار العرب واخبارها، جمع لاربل تاريخا بأربع مجلدات، وله ديوان شعر أجاد فيه، تولى الوزارة باربل توفي بالموصل سنة (٦٣٧ هـ) (وفيات الاعيان ٤/ ١٤٧).

(١٢) هو: شمس الدين احمد بن محمد بن ابراهيم المشهور بابن خلكان. قاضي القضاء. علامة في الادب والشعر وايام الناس توفي بدمشق سنة ٦٨١هـ (وفيات الاعيان ٧/ ٢٠٨- ٣١٦).

(١٣) ينظر: الشعر العربي في اربل في العهد الاتابكي ارساله ماجستير).

(١٤) مرأة الزمان ٨/ ٥٣٧.

(١٥) المجمع العلمي العربية (مجلة) ٣٤٠.

(١٦) ينظر:،فيات الاعيان ٣/٥٠١.

(١٧) المسجد المسبوك/ ٤٦.
(١٨) قلائد الجمان ٥/ ٢٤٠ب.
(١٩) وفيات الاعيان ٣/ ٥٠١.
(٢٠) الديوان ٤١٦.
(٢١) وفيات الاعيان ٣/ ٥٠٤ . ٥٠٥
(٢٢) وفيات الاعيان ٣/٥٠٥.
(٢٣) قلائد الجمان ٢٤٥ب.
(٢٤) الكرد وكردستان ١/١٦٨.
(٢٥) تأريخ الموصل ٢/ ١٠٦.
(٢٦) ديوانه ٢٧٥.
(٢٧) أداب المستنصرية (مجلة) ١٠/ ٢٥٤.
(٢٨) الديوان ٢٤٣.
(٢٩) وفيات الاعييان ٣/ ٥٠٣.
(٣٠) أداب المستنصرية (مجلة) ١٠/ ٢٥٥.
(٣١) ديوان ٣٦٦.
(٣٢) ينظر: الادب في ظل الدولة الرنكية/٢٣.
(٣٣) وفيات الاعيان ٣/ ٥٠٢.
(٣٤) الديوان ٤١٢.
(٣٥) الديوان ٤٢٦.
(٣٦) حققه صاحب ذنون ياسين الزبيدي، من كلية الاداب. من متطلبات درجة الماجستير سنة ١٩٨٨.
(٣٧) قلائد الجمان ٥/ ٢٤٠ب.
(٣٨) وفيات الاعيان ٣/ ٥٠١.
(٣٩) الفخرية (طبعة بيروت) ١٢٨.
(٤٠) البداية والنهاية ٣/ ١٤٤.
(٤١) التأريخ الباهر /٢٩٠.
(٤٢) التذكرة الفخرية / ١٠٩.
(٤٣) الأعلام ٥/٢١.
(٤٤) مشاهد الكرد و كردستان ١/ ١٦٨.
(٤٥) تأريخ الموصل ٢/ ١٠٤.
(٤٦) تأريخ الأدب العربي ٣/٥٠٦.
(٤٧) آداب المنستنصرية (مجلة) ١٠/ ٣٥٥.

(٤٨) الديوان / ٣٥٥.
(٤٩) تأريخ الدول والأمارات/ ٣٩٢.
(٥٠) دائرة المعارف الأسلامية ٦/ ٦٣٨.
(٥١) تنظر: ترجمة في الحوادث الجامعة ٨/ ١٨٣.
(٥٢) الديوان ٤٧٥.
(٥٣) اداب المستنصرية ١/ ٢٥٦.
(٥٤) قلائد الجمان ١/ ٢٦١أ، ذيل مرأة الزمان ١/ ١١١ عيون التواريخ ٢/ ١٢٩- ١٣٠.
(٥٥) تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب ٥ ق ٢/ ١٠٧.
(٥٦)معجم البلدان ١/ ١٣٧.
(٥٧) قلائد الجمان ١/ ٢٦١أ.
(٥٨) ذيل مرأة الزمان ١/١١١/ ١٢٢.
(٥٩) اللسان. مادة نشب.
(٦٠) قلائد الجمان ١/ ٢٦١أ.
(٦١) وفيات الاعيان ٣/ ٢٧٧.
(٦٢) نفسه ٣/ ٣٩٤.
(٦٣) قلائد الجمان ١/ ٢٦١أ.
(٦٤) قلعة حصينة من اعمال اربيل، تسمى اليوم كركوك (معجم البلدان ٤/ ٤٥٠).
(٦٥) بغية الطلب ٣/ ٢٧.
(٦٦) ذيل مرأة الزمان ١/ ١١٤- ١١٥.
(٦٧) نفسه ١/ ١١٣.
(٦٨) تلخيص مجمع الاداب ٥ ق. ٢/ ١٠٧.
(٦٩) تنظر ترجمة في: شفاء القلوب في مناقب بني ايوب /٣٥٢.
(٧٠) بغية الطلب في تاريخ حلب ٣/ ٢٧.
(٧١)الديوان /٢٣١.
(٧٢) ذيل مرأة الزمان ١/١١١، ١١٢.
(٧٣) ديوان / ١٥٥، ١٨٠، ١٩٤، ٢٧١، ٢٧٣.
(٧٤) تنظر: ترجمة في: البداية والنهاية ١٣/ ١٦٥. النجوه الزاهرة ٦/ ٢٥٠.
(٧٥) الديوان / ١٦١.
(٧٦)نفسه / ١٨١ - ١٨٢.
(٧٧) حققه عبدالله محمود طه في رسالة ماجستير تقدم بها إلى كلية الاداب. جامعة الموصل سنة ١٩٨٥.

(٧٨) الديوان / ٦٢ وما بعدها.

(٧٩) التكملة لوفيات النقلة. مجلد ٦ - ٥/٣٢٢.

(٨٠) ذيل مرآة الزمان ١/ ١١١، تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب مجلد ٥. قسم ٢/ ١٠٧.

(٨١) الوافي بالوفيات ٩/ ٣٥. فوات الوفيات ١/ ١٦٥، عيون التواريخ ٢٠/ ١٢٩.

(٨٢) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٨٦. الوفي بالوفيات ٢/ ١٢٣ البداية والنهاية ١٣/ ٢٨٢.

(٨٣) الوافي بالوفيات ٢/ ١٢٣. العبر في حبر من غبر ٥/ ٣١٦.

(٨٤) بغية الوعاة ١/ ٣٧.

(٨٥) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٨٦. وينظر ايضاً: الوافي بالوفيات ٢/ ١٢٣.

(٨٦) لم نعثر له على ترجمة في المصادر المتوافرة.

(٨٧) الديوان /٤٠.

(٨٨) الوافي التوفيات ٢/ ١٢٣.

(٨٩) من مدارس الحنفية بدمشق. داخل باب الفرج و النص (المدارس في تاريخ المدارس ١/ ٥٧٢)

(٩٠) بغية الوعاة ١/ ٣٥.

(٩١) هو: شهاب الدين محمود بن سليمان، الامام العلامة ——— وبد بدمشق سنة ٦٤٤هـ. وتوفي سنة ٧٢٥هـ (فوات الوفيات ٤/٢.

(٩٢) الديوان ٤٠.

(٩٣) نفسه ٥١.

(٩٤) جمعة وحققه الدكتور ناظم رشيد سنة ١٩٨٨. مطبعة جامعة الموصل.

(٩٥) حققه الدكتور نوري حمودي القيسي وهلال ناجي. طبع في بغداد. سنة ١٩٨٦.

(٩٦) نسخة منه في المكتبة الوطنية ببغداد تحت رقم ٢١٢٩.

(٩٧) وفيات الاعيان ٤/ ١٤٧.

(٩٨) رسالة الطيف / ١٣٠.

(٩٩) التذكرة الفخرية /٩٦.

(١٠٠) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٨٦.

(١٠١) طبقات النحاة واللغويين ٤٨.

(١٠٢) الوافي بالوفيات ٢/ ١٢٣.

(١٠٣) عيون التواريخ ٢١/ ١٨٥.

(١٠٤) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٤٠٣.

المصادر والمراجع

١- الادب في ظل الدولة الزنكية: عبدالوهاب محمد علي العدواني. جامعة بغداد. كلية الاداب ١٩٦٧ (رسالة ماجستير)

٢- اربيل في العهد الاتابكي: د. محسن محمد حسن.

٣- الاعلام: خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين. بيروت ١٩٨٠.

٤- البداية والنهاية: اسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٦٦.

٥- بغية الطلب في تاريخ حلب: كمال الدين ابو حفص عمر بن عبدالعزيز المعروف بابن النديم (ت ٦٦٦هـ). مصورة معهد احياء الخطوطات العربية. رقم ٩٠.

٦- بغية الوعاة في طبقات النحويين والنحاة: جلال الدين السيوطي. تحـ: محمد ابو الفضل ابراهيم. مطالبابي الحلبي. مصر ١٩٦٥.

٧- تأريخ الادب العربي: د. عمر فروخ. دار العلم للملايين. بيروت ١٩٧٨.

٨- تأريخ اربل: شرف الدين ابي البركات المبارك ابن المستوفي، تحـ: سامي العقار مطبعة المركز العربي للطباعة. بيروت ١٩٨٠.

٩- تاريخ الموصل: سليمان الصائغ، مط السلفية، مصر ١٩٢٣.

١٠- التذكر الفخرية: بهاءالدين عيسى المنتشيء الاربلي تحـ: د. نوري حمودي القيسي. د. حاتم صالح الضامن، مط المجمع العلمي العراقي. بغداد ١٩٨٤.

١١- التكملة لوفيات النقلة: زكي الدين ابو محمد المنذري. تحـ: بشار عواد معروف. دار احياء الكتب العربية. القاهرة ١٩٧٦.

١٢- تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب، تحـ: د. مصطفى جواد. مط الهاشمية. دمشق ١٩٦١- ١٩٦٧.

١٣- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة: عبد الرزاق ابن الفوطي البغدادي. تعليق: د. مصطفى جواد. مط الفرات. بغداد ١٩٣١.

١٤- الحياة العلمية في اربل في القرن السادس حتى منتصف القرن السابع الهجرة: أميد ابراهيم جامعة صلاح الدين. كلية الاداب ١٩٩٣ رسالة ماجستير.

١٥- دائرة المعارف الاسلامية. الطبعة الاولى، القاهرة ١٩٣٣.

١٦- الدارس في تأريخ المدارس: عبدالقادر محمد المشقي النعيمي (ت ٩٢٧هـ). تحـ: جعفر الحسني، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق. مطبعة الترقي ١٩٤٨.

١٧- ديوان ابن ظهير الاربلي: محمد بن احمد بن عمر. تحـ: د. ناظم رشيد. مط دار الكتب الموصل ١٩٨٨.

١٨- ديوان الحاجري: حسام الدين بن سنجر الحاجري. تحـ: صاحب شنون ياسين. كلية الاداب. امعة بغداد ١٩٨٨. رسالة ماجستير.

١٩- ديوان النشابي: مجدالدين اسعد بن ابراهيم الاربلي. تحـ: عبدالله محمود طه. كلية الاداب. جامعة الموصل ١٩٨٥ رسالة ماجستير.
٢٠- ذيل مرآة الزمان: ابو الفتح موسى اليونيني. مط دائرة المعارف العثمانية. حيدر آباد. الهند ١٩٥٤.
٢١- رسالة الطيف: بهاء الدين عيسى المنشيء الاربلي. تحـ: عبدالله الجبوري. دار الجمهورية. بغداد ١٩٦٨.
٢٢- الشعر العربي في اربل في العهد الاتابكي ٥٢٦ - ٦٣٠هـ: عثمان أمين صالح. جامعة صلاح الدين. كلية الاداب ١٩٨٣ (رسالة ماجستير).
٢٣- شفاء في مناقب بني ايوب: احمد بن ابراهيم الحنبلي (ت ٨٧٦هـ) تجـ: د. ناظم رشيد. دار الحرية للطباعة بغداد ١٩١٤.
٢٤- طبقات النحاة واللغويين: ابن قاضي شهبة: تحـ: محسن غياص. مطبعة النعمان. النجف ١٩٧٤.
٢٥- العبر في خبر من غبر الحافظ الذهبي: تحـ: د. صلاح الدين المنجد: كويت ١٩٦٠.
٢٦- العراق قديماً الحديثة: عبدالرزاق الحسني مط دارالكتب . بيروت ١٩٧١.
٢٧- المسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك: اسماعيل بن العباس الغساني. تحـ: د. شاكر عبدالمنعم دار البيان. بغداد ١٩٧٥.
٢٨- عصر الدولة والامارات: د. شوقي ضيف. دار المعارف القاهرة ١٩٨٠.
٢٩- عيون التواريخ: محمد بن شاكر الكتبي: تحـ: تبيلة عبدالمنعم داود. د. فيصل السامر. دار الحرية بغداد ١٩٤٨.
٣٠ - فوات الوفيات: محمد بن شاكر الكتبي: تحـ: محمد محي الدين عبدالحميد. مط السعادة. مصر ١٩٥١.
٣١- قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان: كمال الدين ابي البركات بن الشعار الموصلي. مصورة اللجنة المشرفة على تحقيقها في كلية التربية بجامعة الموصل من مخطوطة اسعد أفندي في استانبول تحت رقم (٢٣٢٦)
٣٢- لسان العرب: محمد بن مكرم الافريقي المصري. ابن منظور. دار صادر. بيروت ١٩٥٥.
٣٣- مرآة الزمان في تاريخ الاعيان: سبط ابن الاجوزي (ت ٦٥٤هـ). مط مجلس دائرة المعارف العثمانية. الهند ١٩٥١.
٣٤- مشاهير الكرد وكردستان في الدور الاسلامي: محمد امين زكي. مطبعة التفيض الاهلية. بغداد ١٩٤٥.
٣٥- مظفر الدين كوكبري امير اربل: د. عبدالقادر طليمات. مط دائرة المعارف. القاهرة ١٩٦٣.
٣٦- معجم البلدان: ياقوت بن عبدالله الحموي. دار صادر. بيروت ١٩٥٥.
٣٧- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين يوسف بن تغري بردي الاتابكي. دار

الكتب المصرية. القاهرة ١٩٣٥.

٣٨- الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي. تحـ: احسان عباس. مط دار صادر. بيروت ١٩٦٩.

٣٩- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان: شمس الدين احمد بن محمد بن خلكان تحـ: د. احسان عباس. دار الثقافة. بيروت ١٩٦٨.

٤٠- هدية العارفين في اسماء المؤلفين وآثار المعنقي: اسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٩٩ هـ). مط المعارف. استانبول ١٩٥١.

الدوريات والمجلات:

- مجلة آداب المستنصرية. بغداد. العدد / ١٠ سنة ١٩٨٤. د. ناظم رشيد. مقال بعنوان (حسام الدين الحاجري الاربلي. حياته وشعره).

- مجلة المجمع العلمي العربي. دمشق. مجلد ٢١. سنة ١٩٤٦ عباس العزاوي. بحث بعنوان (آل بكتكين إمارة اربل في عهدهم).

١

الفصل الثالث

شاعران من سريان اربيل

غدت اربيل[١] بقلعتها الحصينة مركزا للعلم ولأدب، فضلا عن كونها من اقدم المدن التي ظلت أهلة بالسكان إلى يومنا هذا[٢] وقد شهدت اربيل ازدهاراً ثقافيا رائعاً في حقبة هذا البحث بفضل اسرة زين الدين علي بن بكتكين[٣] وفي عهد ابنه الملك المعظم مظفر الدين كوكبري[٤] الذي جعلها مدينة كبيرة ومصراً من الأمصار يقصدها العلماء والادباء[٥] وفي عهد هذا الامير تمتعت اربيل باستقرار سياسي واجتماعي واقتصادي وثقافي ساعد على بروز نشاط علمي وادبي في جميع حقول المعرفة.

أما دخول اربيل في المسيحية، فيعود إلى نهاية القرن الاول الميلادي[٦] وان حملة البشارة كانوا من تلاميذ السيد المسيح[٧] ثم تحولت إلى مركز لحركة تنصير الاقاليم المجاورة، وفي بداية القرن الخامس للميلاد صارت اربيل بطريركية ترجع إليها آشور باكملها، ولم تنفصل عنها اسقفية نينوى أو آشور[٨] الا في عهد متأخر لتصير بدورها اسقفية مستقلة[٩] وظل النصاري يمارسون شعائرهم الدينية والعلمية بحرية تامة[١٠] ويلحظ في العصر الاسلامي أن النصاري في اربيل، رحبوا بالمسلمين الفاتحين، لاستيائهم من الحكم الفارسي وتدخل بعض حكامهم في شؤونهم الدينية[١١] وتسامح الاسلام الحنيف ازاء الاديان الاخري، كما في قوله تعالى: «لااكراه في الدين»[١٢] فضلاً عن أن القرآن الكريم يوصي الذين يؤمنون بالله الواحد الاحد، قال تعالى: «ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن، الا الذين ظلموا منهم، وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون»[١٣] كما ان فيه توصية متميزة بالنصاري، يقول تعالى: «لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون»[١٤] وعلى هذا النهج السليم سار المسلمون في تقديرهم للنصارى، وخير مثال على ذلك العهد الذي قطعه الخليفة عمر بن الخطاب على نفسه لأهل القدس[١٥] وقد كانت اربيل في حقبة هذا البحث كثيرة البيع والأديرة، وكان النصارى ينتشرون في القرن التي تحيط بالمدينة نفسها. وكانوا يشكلون بجانب الكرد اكثر سكان اربيل متآخين متعاونين[١٦] وكانوا يهتمون بأماكن العبادة، وهذا ما يؤكده النص الشعري في قصيدة للشاعر حسام الدين الحاجري الاربلي[١٧] (ت ٦٣٢هـ)، التي ارسلها إلى والي الخليفة يشير فيها إلى مسجد مهجور، وإلى كنائس للنصارى في اربيل تضيئها الشموع،

ويؤمها المصلون، ولما قرأها الوالي أتى المسجد وأمر باكسائه، وحقق رغبة الشاعر الذي يقول على لسان حال المسجد[18]:

أنا مسْجدَ اللّهِ بيتُ عبادة
عاري الملابس ليس في حصيرُ
هجَرَ المؤذن والجماعة جانبي
وجفاني التهليلُ والتكبيرُ
واخجلتي والذلَ حين يمرُ بي
فيقالُ هذا مسْجدَ مهجورُ
لو كنتُ في ايدي النصارى بيعةً
لبكى عليّ القس والساعورُ

ويشير إلى الكنائس التي تنورها الشموع ليلا، بقوله:

الشمعُ في خلل الكنائس نيّرَ
وفناءُ ربْعي مظلمٌ ديجورُ
بالامسِ للقرآنِ في تلاوة
واليوم للشيطانِ في عبورُ

الشاعر جيورجيس ورد الاربلي

ولد في اربيل، وترعرع فيها، والراجح ان ولادته كانت في نهاية القرن السادس للهجرة، كما يتضح من بعض اشعاره التي ذكر فيها حملات المغول وحصارهم لمدينة اربيل (٦٢١-٦٢٢هـ)، ووصفه للجرائم التي اقترفوها خلال سنتي (٦٢٤- ٦٢٥هـ)[19] أما تاريخ وفاته فقد حدده احد الدارسين في حدود سنة (٧١٠هـ)[20] وقد لقب بالوردة لاناقته ولطافته[21] ومن البديهي انه غشي الكنائس والاديرة، وحضر مجالسها العلمية والادبية، وتعلم على ايدي قساوستها اللغة السريانية والادب الآرامي، وبرع فيه.

أنشد الشعر البليغ، في مختلف الموضوعات، وقد غلب الوصف على بقية اغراضه الشعرية الاخرى، ومنه وصف مدينة اربيل، وقد اجاد في المديح ايضاً، وله مدائح رائعة في السيدة العذراء[22] اشتهرت بعذوبة العبارة، والسلاسة والمتانة، كما جعلته يلقب بـ(شاعر العذراء)[23] ومن شعره في السيدة العذراء قوله[24]:

هي عفيفهُ العفيفات

كن لهــا جــاريات

وبتــولة البــتــولات

صـرنَ لهـا عَـبـيـدات

***

يـا أذنـاً نـقـــيّـــة

لم تســمعُ صـوتَ الرَجل

سـمـعتُ من رئيس الملائكة

سـلامـاً لمْ تسـمـعْـهُ إمـراة

ومن رباعياته في مدح السيد العذراء نقتطف هذه النصوص[٢٥]:

سـلـطـانـةُ الارضـين

وملكةُ الســمــاوين

جعلها من المحظوظين

وسـيـدة كلّ القِـديسين

***

جـبـرائيلُ لا يُدركـهـا

مـيـخـائيلُ لايفـهـمـهـا

ذاك الذي خلقـــهـــا

هـو وحـدةُ يـعـرفـهـا

ويمضي الشاعر في مدحها، ويرى فمها مملوء نقاء، ولسانها ينطق بالمجد والشكر، ويدها مقدسة، وهي امرأة نبيلة طاهرة، وطفولتها بريئة، وشبابها نقي، وهي قلعة للمخلوقات، وقد اعطت الناس السلام[٢٦].

وله نصوص اخرى في فضائل السيدة العذراء بقوله[٢٧]

أعظمُ من مـلائِكة السَـمـاء

وفـوقَ طـغـمـاتِ الرؤسـاء

هـكذا ارادت الســمـــاء

ان تكون ملكةَ البـــهـــاء

***

خلقهـا كـسـمـاء جـديدة

نقـيّـــة قـــديســـة ودودة

زينهـا بالفـضـائلِ المورّدة

لــتــكــنْ لإبــنــه والـــدة

واشـتـهر ايضاً بقصائده السريانية التي بلغت مائة وعشرين قصيدة يدور معظمها حول اسرار الديانة النصرانية، وتستعمل الكنيسة الشرقية في صلواتها القانونية، ولاسيما في اعياد العذراء والقديسين بعضا منها، ومنها قوله(٢٨):

قـوسُ قـزح في السـمـاء

عـلامـة الوفـاقِ والسـلام

لن يكون ايضـاً طوفـان

كـــالذي ابادَ الانســـان

***

اشـعـة الشـمـس الضـوئيـة

جازت في نفسِها الشهية

زينتـهــا بالالوان الوردية

صارت في الكنيسة بهيّة

***

حـفظهـا من خطيـئـة ادم

ووضـعَ فــيــهــا كلْ النـهم

وجــعلهــا فــوقَ القِـمـم

لتـــخلص بهـــا كلْ الأمم

وله ابيات اخرى يتطرق فيها ايضاً إلى اسرار الديانة المسيحية، بقوله(٢٩):

بـــأســم الأبْ والابــنْ والــروح

إله مـــســـجـــود وممجّـــد

ثلاثة اقــانيم ومــجـــدٌ واحــد

نشكر لاسم مَنْ افــتـــقـــدنا

وانـاء النـورَ في ظُـلمـــــاتنـا

نجمةُ الصّبح الجميلة فرحتُنا

تـلـك هــي مـــــــريم أمّـنـا

ومن الجدير بالذكر ان المؤرخين ركزوا على نشاط الشاعر الديني، ويعود السبب إلى ان الشاعر نظم اناشيد دينية كثيرة ادرجت في الطقس الشرقي، وتتطرق إلى حياة السيد المسيح حسب الاناجيل المنحولة، واخرى إلى التوبة والى النبي، والى الانسان باعتباره عالما صغيرا، ويقول في الانسان[٣٠]:

في داخل الإنسان عالَم صغير
ارتبطتَ به كلّ المخلوقـــات
ويعد ضئيلاً منْ قبل الجاهلين
وهو ســيّـــد كلّ مـــخلوق

ومن موضوعاته الاخرى، التصوف والغزل، والرثاء، والخمريات، والأخوانيات[٣١]. للشاعر ديوان كبير، ومنه نسخ خطية محفوظة في بعض المكتبات الغربية، وقد عني المستشرق الالماني (هزيغ) بطبع ديوانه مع ترجمته الالمانية في مدينة (لايبسك) سنة ١٩٠٤[٣٢] ومن آثاره ايضاً كتاب ضخم سماه «جنة النعيم» شرح فيه قراءات الكتاب المقدس[٣٣] وللشاعر قصائد متفرقة، منها ابيات ترتل عند تلبيس الاحبار الحلة الكنيسة[٣٤] ونشر القس يعقوب منا الكلداني ثلاث قصائد للشاعر، وقامت المطبعة الآثورية في الموصل بنشر مقالة كملحق لكتاب (مركانيتا) أي اللؤلؤة، وهذا الكتاب مطبوع في الموصل سنة ١٩٢٤[٣٥] نظم الشاعر الشعر البليغ[٣٦] مستخدما الالفاظ اليونانية بكثرة، وهذا دليل على ثقافته الواسعة، ويلاحظ ان هذه الظاهرة كانت شائعة عند ادباء القرن السادس والسابع للهجرة، واغلب الظن ان للثقافة اليونانية ومفرداتها اللغوية قدسية كبيرة عند شعراء النصاري، فتأثروا بها.

وقد قال عنه احد الدارسين أنه «وافر الذكاء خفيف الروح طيب المعشر ولوعا به. فعد من اثمة شعراء عصره» كما نعته عشاق شعره برقة الشمائل، وحدة الذهن، وطلاقة اللسان[٣٧]

الشاعر خاميس القرداحي الاربلي

ولد في اربيل، ولم نستطع الوقوف على تاريخ ولادته، ولكن أغلب الظن أنه توفي بعد سنة (٧٠٠هـ)[٣٨] تلمذ على يدى جيورجيس وردا الاربلي، واصبح كاهنا في مدينة اربيل او ضواحيها، وسمي بالشيخ خاميس أو بـ(خاميس برقرداحي)، و (بر) كلمة سريانية تعني (ابن)، وقرداحي تعني (الحداد) وبذلك فأنه ينتسب إلى عائلة تمتهن الحدادة، وهو متزوج وله اولاد وبنات[٣٩] ومع ذلك فأن الشاعر اتجه إلى الاغتراف من الأدب السرياني حتى نبغ فيه، وعد من اشهر شعرائه.

ويبدو أن اهل اربيل لم يكونوا يشعرون بفضل وادب هذا الشاعر، لذلك نراه يعاتبهم، بقوله(٤٠):

إنّ أهل اربيل لايعرفونني

إلاّ إنني عَظيم

والمدن كلّها تشهدُ على ذلك

ولكنهم يكفرون بي

أنا لا يُكرمني الأقاريء الكتب

لأن قراء الكتُب لايحبون الاّ عشاقها

وهذا دليل على منزلتي العالية

نظم الشاعر القرداحي في موضوعات مختلفة، وغلبت على شعره السمة الدينية ويعود ذلك إلى تأثره بالبيئة الدينية السائدة في اربيل في هذه الحقبة وجاء معظم هذا الشعر على صيغة اناشيد، جمعت في كتاب باسمه والذي تضمن ايضاً بعض أشعار جيورجيس وردا الاربلي، وعدد من الشعراء الاربيليين، وله في مجال الاغنيات انشودة في التوبة، وفي صلاة الطلب(٤١) والف قصيدة مطولة بعنوان (في الامور الالهية، وكمال آداب الذين يبحثون عن الحكمة ويطلبونها بتعب)، ووضع اكثر من ثلاثين قصيدة تتطرق إلى سر التجسد، ومدح مريم العذراء والقديسين. والف نحو سبعين ترتيلا لايام الاحاد والاعياد، وأغنيات في الخمر والمحبة(٤٢):

ومن موضوعات شعره البارزة ايضاً الغزل، ومنه قوله(٤٣):

عنِدي حبيب

وحبه قاتلي

جمالُه يعذبني

بيد أنه يُجافيني

خدهُ كالورد النضر

وكلماتهُ حلوة كالعسل

ومن خمرياته، قوله(٤٤):

لاتسقني الاّ بكاس كبيرة

لأن بقدر كبرها تزدادُ الالفةُ والمحبةُ

وقلبي مشتاقٌ لها

ويذكرها دائماً لشدتها

وللشاعر قصائد في المديح، حيث اولاها عناية خاصة، ومن اشهرها مديح في اصدقائه، بقوله[٤٥]:

أنتَ كالقمَر

ابن الرابعة عشرَ

نوركَ الوضاح يشعُ على الآخرين

في هذا العالم كلّه

ليس لكَ شبيه

خلقكَ اللّه العلي

كاملّ انتَ بصفاتِك

ويتضمن ايضا شعره الرثاء والحكم والشكوى والعتاب، ومنظومات في الشعر التعليمي، وقصائد في الوصف، منها وصف الوردة والكأس والشمع[٤٦]

ومن رثائه مرثية رائعة لابن له توفي في حياته بقوله[٤٧]:

أطلبُك بين احــشـــائي

لاتـهـــــدأ لـي افكاري

لأنك ثمــرةُ كــبــدي

ونفـسي ملتـاعـة لرؤيتك

ودمـوعي تسـقي الارض

مــتلهــفــة لُلقــيــاك

وعندمــــا تـهبّ الرياحِ

تُشـــــعل قلبـي نـاراً

ومن سمات شعره البارزة ايضاً، كثرة المحاورات، ومن محاوراته، محاورة بين (الذهب والحنطة) نقتطف منها ابيات[٤٨]:

اجابَ الذهب قائلاً

منظري جميل لدى الناس كافة

ايتها الحنطة اسجدي لي

لأن الرؤساء يرتفعون بي

والعرسان يتجملون بي

والملوك يضعونني تاجا على رؤوسهم

وتجيبه الحنطة، وتتفاخر بأن الناس يزرعونها في شهر تشرين الاول والثاني كالميت في لحده، وفي شهر شباط تدب فيها الحياة، وتشعر كأنها الحبلى بحملها، وفي شهر اذار يغني لها الناس الحانهم ويسرون بها... وتقول:

في شهر ايار البسُ لباسي

الغلافُ والساقُ والسنبلةُ

والسنابل تعلو لتفرح الفلاحين

والرعود تلتقي مع بعضها

وينهمرُ المطرُ ورذاذه

لأرتوى بكلّ فرحٍ وسرور

للشاعر ديوان معظمه رباعيات، والمخطوطة الأكمل له هي مخطوطة الفاتيكان السريانية ذات الرقم ١٨٦ التي تضم ٦٥ نشيدا منها ١٦ نشيدا في الشهداء، و ٤٥٥ قصيدة في مواضيع شتى و ٣٢ ميمرا في موضوعات دينية، وقد دخل كثير منها في الطقس الشرقي، وقد نشر القس يعقوب منا الكلداني اربعة من ميامره في المروج النزهية، ونشر قسماً آخر من شعره في المطبعة الآثورية في الموصل[٤٩] فضلاً عن ذلك فأن للشاعر ثلاثين قصيدة تدور حول سر التجسد، وفي مدح مريم العذراء والقديسين، والف نحو (٧٠) ترتيلا لايام الاحاد والأعياد[٥٠] وله مقالة في الحروف الابجدية، وتراجم كثيرة كما له مباحث بعنوان (قصيدة في الامور الالهية، وكمال آداب النفس للذين يبحثون عن الحكمة ويطلبونها بتعب)[٥١] ويبدو ان الشاعر استخدم الالفاظ اليونانية في شعره، أما سماته فهي الميل نحو العذوبة والسهولة والجزالة احيانا[٥٢] أما اراء النقاد في شعره، فقد وصف احد الدارسين شعره بقوله: «للّه درخميس، فأنه لولم يكن له الا قصيدة واحدة لكفته»[٥٣].

وكان الشاعر حجة ادباء زمانه وعالما باللغة، واماما في الشعر، وكان يتدفق على لسانه كأنه السيل لذا سمي بـ«شيخ الشعراء»[٥٤].

الخلاصة

الآراميون قوم من الجنس السماي ينتسبون إلى آرام بن سام بن نوح. كما جاء في سفر التكوين، شكلوا دويلات صغيرة في اعالي سوريا، وبلاد مابين النهرين(٥٥).

ومع انتشار الآراميين انتشرت لغتهم، واصبحت لغة الدولة في جميع انحاء الهلال الخصيب، وصارت لغة السيد المسيح واتباعه(٥٦) وبالنظر لكون السيد المسيح قد ظهر في سوريا، فقد سميت لهجتهم الآرامية بالسريانية، واطلق على منتسبي الديانة المسيحية وعلى لغتهم السريان والسريانية نسبة إلى سوريا، ومنذ ذلك الحين اطلقت السريانية على اللغة الآرامية(٥٧) فالأدب السرياني ادب مرموق بين آداب العالم، تناول اكثر ما تناول علوم الدين، وآداب المسيحية والروحانيات والتصوف واغراض اخرى، وهذا ما بدا لنا من خلال هذه الدراسة، فضلاً عن ذلك فقد استخدمت هذه اللغة في تأليف العديد من الكتب العلمية اليونانية كعلوم الطلب والرياضيات والفلك والكيمياء والفلسفة والمنطق(٥٨) وفي ختام هذا البحث نوصي ان يقوم احد الباحثين بالحصول على ديواني الشاعرين الكبيرين جيورجيس وردا الاربلي، وخاميس القرداحي الاربلي، ويضع على عاتقه عبء ترجمتهما إلى اللغة العربية أو الكردية لانهما ثروة تاريخية ثمينة لتراث أربيل الحضاري، وفيهما صفحات مجهولة عن حياة الاربليين واسلوب حياتهم في القرن السابع الهجري، واحياء هذا التراث من واجب الاربليين قبل غيرهم.

الهوامش:

(١) ينظر: اربيل في مختلف العصور ١٠٠، اربيل في العهد الاتابكي /٣٠ وما بعدها.

(٢) العراق قديماً وحديثاً / ٢٣٧. المرشد إلى موطن الآثار/ ٣.

(٣) المجمع العلمي العربي (مجلة) ٢١/ ٢٨٧.

(٤) تنظر ترجمته في: وفيات الاعيان ١٤/٤.

(٥) معجم البلدان ١/ ١٣٨.

(٦) تنظر: ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان ٢/ ١٦٨.

(٧) بين النهرين (مجلة) /٢٧٤.

(٨) كلدو واثور ١٤/٢.

(٩) دائرة المعارف الاسلامية، مادة اربل.

(١٠) لمحات من تاريخ نصارى العراق / ٦٣.

(١١) تنظر: حضارة العرب / ١٦٩.

(١٢) سورة البقرة /٢٥٦.

(١٣) سورة العنكبوت /٤٦.

(١٤) سورة المائدة /٨٢.

(١٥) تاريخ الامم والملوك ١/٥, ٢٤.

(١٦) تنظر: صورة الارض/ ١٩٦.

(١٧) تنظر:ترجمة في: وفيات الاعيان ٣/٥٠١.

(١٨) الديوان/ ٢٠٤.

(١٩) تاريخ الموصل (الصائغ) ٢/ ١١١، وينظر النجم الموصلية (مجلة) ٩/ ٣٢١.

(٢٠) تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الاقطار العراقية إلى ايامنا/ ٩٤.

(٢١) المروج النزهية في أداب اللغة الآرامية / ٢٩٥.

(٢٢) اللؤلؤ المنشور في تاريخ العلوم والآداب السريانية / ٣٧.

(٢٣) الكنز الثمين ٥١/ ٥٣.

(٢٤) الصلوات الطقسية الفرضية لمدار السنة للكلدان والنساطرة ١/ ٣٦٣.

(٢٥) نفسه ٣١٣/١.

(٢٦) نفسه ١/ ٣١٢.

(٢٧) نفسه ١/ ٣١١.

(٢٨) نفسه ٣/ ٣١٣.

(٢٩) نفسه ٣١١/٣.

(٣٠) ادب اللغة الآرامية / ٣٠٧.

(٣١) ينظر: اللؤلؤ المنشور في تاريخ العلوم والآداب السريانية / ٣٨ -٣٩.

(٣٢) تاريخ الموصل (الصائغ) ٢/ ١١١.

(٣٣) ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان ٢/٢٣.

(٣٤) الكنز الثمين ٥١ - ٥٣.

(٣٥) قالا سوريايا (مجلة) ٢/ ١١١.

(٣٧) تاريخ نصاري العراق منذ انتشار النصرانية في الاقطار العراقية إلى ايامنا /٩٤، قالا سوريايا (مجلة) /٣٦.

(٣٨) ذخيرة الاذهان ٢/ ٢٣.

(٣٩) ادب اللغة الآرامية / ٩٣٨.

(٤٠) المروج النزهية ٢/ ١٠٩.

(٤١) المخطوطة الفاتيكانية البورجية/ ٣٦٥ - ٣٨٦.

(٤٢) زاكروس الثقافية (مجلة) / ٤٣ وما بعدها.

(٤٣) المروج النزهية / ٢٣٦.

(٤٤) نفسه /٢٣٧.

(٤٥) نفسه/ ٢٣٧.

(٤٦) الكنز الثمين /٥٩.

(٤٧) المروج النزهية/ ٢٣٣.

(٤٨) المقتطف /٨١.

(٤٩) المروج النزهية ٢/٢٢٤ -٢٣٠.

(٥٠) الصلوات الطقسية الفرضية ٣/ ١٠٧ - ١٠٨.

(٥١) قالا سوريايا (مجلة) / ٣٦.

(٥٢) ينظر: لمحة عن تأريخ عنكاوة / ١٤.

(٥٣) ذخيرة الاذهان/ ٢٤.

(٥٤) المقتطف /٩٣.

(٥٥) ينظر: تاريخ الادب الاسرياني /٥، بين النهرين (مجلة) / ٣٧٤.

(٥٦) تاريخ اللغات السامية/ ١١٥، وينظر النجم الموصلية (مجلة) ٩/ ٣٢١.

(٥٧) المعلم الجديد (مجلد) ٦/ ٥٧.

(٥٨) ينظر: الرؤساء/ ١١٠.

الفصل الرابع

ظواهر اجتماعية عند شعراء أربيل

توطئة

تقسمت الدولة العباسية في عصورها المتأخرة إلى إمارات صغيرة لها ملوكها وجيوشها، وكانت اربيل- اربل[١] إحدى تلك الإمارات التي نشطت فيها حركة فكرية وأدبية[٢] جديرة بالدراسة بفضل أسرة طيبة تنتمي إلى الأمير زين الدين علي بن بكتكين (ت ٥٦٦٣هـ) التي حكمت اربيل من سنة ٥٢٦هـ ولغاية سنة ٦٣٠هـ[٣] ومن أحفاده الملك المعظم مظفر الدين كوكبري[٤] الذي كان قائداً للجيوش الشرقية في معركة (حطين) الخالدة سنة ٥٨٣هـ[٥] وقد أضحت اربيل في عهده المسمى بالعهد الأتابكي ذات شأن، فأصبحت مدينة زاخرة بالعلم والعلماء الذين كانوا موضع رعاية وعناية حتى غدا النشاط الادبي أيام آل بكتكين غزيراً ومبدعاً، وقد كان مظفر الدين على خلق كريم ينفق على الفقهاء والمحدثين، ويكرم الشعراء «فما كان يضيع قصدهم، ولا يخيب أمل من يطلب بره»[٦] ويبدو ان الشعراء أدركوا فضل هذه الأسرة، لذلك اثنوا على أعماله الجليلة[٧] فقد الف في هؤلاء الأدباء الوزير المبارك بن أحمد المشهور بابن المستوفي (ت ٦٣٧هـ) كتاباً في أربعة مجلدات سماه « البلد الخامل ومن ورد عليه من الأماثل»[٨] ومن الجدير بالذكر أن مظفر الدين كوكبري انفرد من بين ملوك زمانه بإقامة احتفالات دينية تبركاً بولادة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وقد وصف ابن خلكان هذه الاحتفالات، وأشار إلى الوفود التي كانت تصل اربيل مع بداية الاحتفال إذ كان بينهم الفقهاء والمحدثون، والأدباء والشعراء[٩] وكان من الطبيعي أن تعقد مجالس علمية وأدبية في الجوامع والمساجد يبحث الوافدون في موضوعات ثقافية وعلمية ودينية وأجتماعية عديدة، وكانوا يحظون برعاية أمير أربل، حيث أنه دفع لأبي الخطاب إبن دحية البلنسي الف دينار نظير قيامه بتأليف كتاب له[١٠] وهناك من ساهم مع أمير اربل في إغناء ثقافة ابنائها وفي تشجيع الحركة العلمية والأدبية، ومنهم الوزير ابن المستوفي (ت ٦٣٧هـ)

وكان ازدهار الأدب في هذا العهد ثمار هذه النهضة، ولا سيما الشعر فانساق الشعراء في مسايرتها، وقيل شعر كثير في المجالات جميعها التي منها المجال الاجتماعي ومعلوم أن دراسة الشعر في أربيل لها أهمية خاصة لسببين أولهما:

ان معظم الذين شاركوا في نظمه كانوا من الكورد الذين تعلموا اللغة العربية واتقنوا فنونها وعرفوا أسرارها، والثاني بيان لمساهمة الكورد في بناء صرح الحضارة العربية

الاسلامية، فضلاً عن هناك شعر كثير- في العصر الوسيط - لم يتناوله الباحثون بالدراسة ظناً منهم بأن هذا الشعر ماهو إلاّ محاكاة للشعر القديم في عصوره الزاهية، ولقي إهمالاً، فالشعر في أربيل بعض مما لم ينل اهتماما.

والجدير بالذكر أن الشعر في حقبة هذا البحث كان صورة للحياة الاجتماعية السائدة وأصبح للشاعر موقف معين من الحياة والناس، وكان الشاعر ينتقد بعض القيم الاجتماعية السائدة باللفظ المؤثر، والتهكم اللاذع. وله نصيب في الاصلاح الاجتماعي، وهناك من الشعراء من شغلته هذه الناحية ومنهم شعراء اربيل.

واقتضت طبيعة البحث الربط بين المنهج الاجتماعي وقراءة النصوص الشعرية المتوافرة وعرضها، ويتضح ذلك جلياً في تقسيم البحث إلى مباحث تشتمل على المديح الاجتماعي، والهجاء الاجتماعي، والشكوى من الزمان والفقر وسوء الحال و السجن. والمراسلات الشعرية، وموضوعات أخرى، مع قائمة بالمصادر والمراجع، وخلاصة للبحث، وانا راج أن يكون البحث قد استوفي الموضوع، فإن كان الأمر كذلك، فهو ما كنت أصبو إليه ومن الباري عز وجلّ التوفيق والسداد.

المديح الاجتماعي:

(رافق الشعر) في هذه الحقبة - الحياة الاجتماعية، وقد جاء المديح الاجتماعي للأعجاب بالفضيلة ومكارم الأخلاق وغايته الاصلاح الاجتماعي[١٢] ومعظمه جاء في ذكر محاسن رؤساء اربيل وذوي الشأن فيها، وقد خضع الناس في القرنين السادس والسابع الهجريين لشعر كثير نظم في بيان العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، ونحن هناك لن نتحدث عن المديح غرضاً، لأنه سبق ان درس في رسالة جامعية [١٣] بل نحاول أن نبحث في المديح الذي يميل إلى تصوير بعض الظواهر الاجتماعية.

إن شعر المديح الاجتماعي يعكس دون شك، بذ: زيفاً فكرياً واجتماعياً لدى بعض الشعراء المتملقين المتكسبين[١٤] وهو دليل حاجة الشاعر إلى عطايا مادحه وسوف نجد أن تكريس هذا الشعر لأهداف مادية بحتة سمة من سمات هذا المبحث، وقد أصبح وسيلة من وسائل الرزق[١٥] وكانت موضوعات التملق هي الغالبة التي منها قضاء الحاجات لدى المسؤولين وطلب المال، والاستجداء واستعارة الكتب، وما شابه ذلك.

وقد كان قضاء الحاجات بالشعر سائداً في العصر العباسي[١٦] وهذا ابن الظهير الاربلي[١٧] الذي كان يعمل تاجرا، يمر بمدينة حماه ومعه بضاعة، فطلب منه أن يدفع الضريبة، فأمتنع وكتب إلى الصاحب شرف الدين عبد العزيز وزير حماه انذاك[١٨] يمدحه

بعلو الشان، و يذكر له تطوافه بين البلدان في طلب الرزق، ويراه خليقا بحسن ظن الشاعر في اعفائه من الرسوم:[١٩]. (من الكامل)

ياايها الصدر الذي أضحى باذ

كار العلى كلفا بغير تكلف

هل يعذر النوابُ في تكليفهم

حق الجوار لشاعر متصوّف

متسربل حلل الظلام مسمر

في جمعه الرزق الشتيت مطوّف

انا واثق وجميل ظني فيك مهـ

دي فكنّ بجميل شكري مكتف

ومتى توقف عنه امرك ساعة

بذل الذي طلبوا بغير توقف

وقد نعت الشاعر نفسه بالمتصوف للتأثير في شخصية الوزير حيث كانت للمتصوفة مكانة خاصة عند هؤلاء الامراء في ذلك العصر.

والشاعر نفسه يكتب إلى بعض من نواب اربيل يمدحهم ويبذل جهدا في اخراج شخص اسمه (اسماعيل) من السجن[٢٠] ونراه يتودد إليهم، ويبث شوقه إلى لقائهم ويذكرهم بنفاذ صبر المسجون ومعاناته الشديدة، موجها شكره لو تكرموا بإطلاقه[٢١]: (من السريع)

يا أمناء الملك قلبي إلى

لقياكم مأسور اشواقه

مافيكم الا امرو فاضل

يزهو على الروض بأخلاقه

مسعودنا الذمي في حبسكم

وصبره واه كميثاقه

أطلقتم الادمع في حبسه

فقيدوا الشكر باطلاقه

ومن الشعراء من يطلب كسوة، وقد تزلفوا لينالوا الجوائز الثمينة. كل ينال على حسب مقدرته الشعرية، مدح الشاعر أبو عبدالله الصعلوك الوزير ابن المستوفي وقد لقبه أهل أربيل

حمارويه، وكان فقيرا زري الهيئة، كثير الهذيان وقد طلب منه ان ينعم عليه بكسوة، فاستجاب له الوزير[٢٢]، وهنا يذكر الشاعر فضل الوزير عليه، ويشير إلى ثوبه الممزق وبؤسه وفقرة[٢٣]: (من الطويل)

أمـولاى كمْ أو ليـتني منّ صنيـعـة
بأطواقـــهـا جـيــدي البين مطوّق
ومن بـعـضــهـا هذا الذي انا لابس
أينكر ضوء الصبح والصبح مشرق
الا انه ثوب، لســـــان وجــــوده
عليّ بما شـــرفــتني منك ينطلق
ولـم يرنـي الاك مـــذ كنت عـــاريا
وثوبـي علـى مـــــر الدهـور ممزق

ويرسل النشابي الاربلي[٢٤] نداءَ إلى الأمير ركن الدين إبن قرطايا[٢٥] أحد أمراء أربيل، يطلب منه أن يتفضل عليه بكسوة قبل أن يكشف عن عراه[٢٦]: (من الطويل)

فـــــديتك ادلالي عليك تقـــــرب
إليك وهذا الفــضل انت به احـــرى
جـعلتك دونَ الناس ذخـرى وعـدّتي
فلم ابق للحظ احـتـجـاجـا ولاعـذرا
وأن سـرت عنّا قـبل انفـاذ كـسـوتي
فلا شك - يا نجل الاكارم-ان أعرى

ويذهب الحاجري الاربلي[٢٧] المذهب نفسه في بيان حاجاته للأمير ركن الدين ابن قرطايا، وبعد ان يثني على كرمه وجوده، وطبعه السمح الطيب، ويرجو منه أن يسعف طلبه[٢٨]:(من الكامل)

ياإيهـا المولى الذي عن كـفـه
يروى حـديث الجـود بالاسناد
أشكوك حـالا لا رمـيت بمثلهـا
لاتبــتلي بشـمــاتة الحــســاد
حاشا سجيتك الكريمة أن تحد
عن منهج الاسـعـاف والاسـعـاد

وقال فيه أيضا[٢٩]: (من الكامل)

ومن العجائب ان اضيق باربل

ذرعا وركن الدين رحب النادي

ملقى عصاي وملتجاي ومشتكا

ي وعدتي في شدتي وعمادي

ويظهر إقبال الناس على شراء الكتب وتداولها دليل على وجود نشاط ثقافي متميز في مدينة اربيل وهذا صدقة الكتبي يأتي من الأنبار[٣٠] إلى اربيل، يبيع فيها الكتب، ويبدو أنه كان يلتقي بالوزير ابن المستوفي حيث وجدناه يطلب منه زاداً ومؤونة لكي يصل بها إلى مدينة الموصل[٣١](من السريع)

عبدك قدْ جاءك مسترفدا

زاداً إلى الموصل يكفيه

وكنت أنعمتَ بإنجازه

والوعد احرى بك توفيه

خادمك الأصغر مستعجل

فلا تعقه بتماديه

إما موضوعات التماس الكتب التي تمت المديح الاجتماعي فأن الشاعر يتناول فيه فضائل الممدوح ونواله و أخلاقه الحميدة مشفعا بطلب الكتاب، فقد التمس ابن الظهير الاربلي من بعض أصدقائه كتاب البديع الذي صنفه ابو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الجزري[٣٢] وقال[٣٣]: (من السريع)

مولاي عزالدين يامنْ له

مال مذال وجناب منيع

ومن اياديه و اخلاقه

يخجل منها جعفر والربيع

عبدك مولاي له حاجة

دعت إلى نسخ كتاب البديع

فجد به عارية واغتنم

ثناء عبد شاكر للصنيع

فاستعارة الكتب بين العلماء والأدباء كانت عادة جارية إلى يومنا، فقد التمس ابو الفضل الاربلي[٣٤] كتاب (تفسير الثعلبي) من احد اصدقائه الملقب بـ(مهذب الدين) ابانَ عيد النصاري، فانقضى العيد ولم يستلم الكتاب المذكور فكتب إليه يطلبه: (من البسيط)

مهذب الدين ياذا الفضل والنسب

والعلم والشرف السامي مع النشب

عيد النصاري انقضى والدين حلّ به

لاصبر لي على سيد الكتب

فانعم به كاياديك التي سبقت

فالمنّ بالكتب فوق المنّ بالذهب

ويبيت الشاعر شمس الدين احمد بن غزي[٣٥] (ت ٦٥١هـ) بأربيل، وكان قد طلب مجلداً من شعر ابن الحجاج فلما ترك اربيل متوجهاً إلى الموصل كتب إلى بهاء الدين المنشئ الاربلي (ت ٦٩٢هـ) يمدح وزير أربيل ويطلب الكتاب المذكور: (من الخفيف)

يا وزيراً إذا مدحناه راح الـ

جود يجري منْ عطفه المهزوز

ما ارى ابن الحجاج يقدم وهل

أخرج في رحله صواع العزيز

جدْ بارساله لانظر فيه

كل نصبي هذا على التمييز

ومن باب المديح الاجتماعي أيضاً مسألة التكسب بالشعر، فالشعراء الاربيليون مدحوا من أجل الطمع في العطاء، ولقد صرح بعض من شعراء هذا العصر بأنه لا يمدح الإ من اجل العطاء[٣٦] حاول شعراء اربيل التقرب من أصحاب المال والجاه، وترددوا على قصورهم لسيكسبوا بعضاً من المال ليسدوا به حاجاتهم الحياتية، وكثر المتكسبون بالشعر وانقطعت جماعة من الشعراء للكسب من وراء نظمه[٣٧] وفي أربيل ارتفعت نغمة الاستجداء عاليا في شعر النشابي من خلال مبالغاته في مدح الخليفة المستنصرية باللّه العباسي، وراح يرسم له من معانيه الخيالية صورة بعيدة عن الواقع، فجعله مرة في مقام النبي (صلى اللّه عليه وسلم)[٣٨] (من الكامل)

وعليكم نزل الكتاب وفصّلت

أياته بحقوقكم وحقيقها

وقوله ايضاً[٣٩]: (من الخفيف)

ياغياث الورى، واكرم من ير

جى اذا اجحف الزمان الغرور

أن احييتني بجودك حتى

خلت ان النوال منك نشور

وكان الشاعر يظن إنه كلما أطنب وافرط في المديح نال به جائزة الممدوح وعطاياه، وهذا تملق واضح لكسب المال، والحصول عليه وفي مدح الوزير أحمد بن الناقد[٤٠] يقول بأنه لولا وجود الوزير وعطاياه لما أصبح شاعراً[٤١]: (من المتقارب)

فأن نوالك ماء الحياة

ومن دونه نهر الكوثر

وان اك قصرت فيما اتيت

فان نوالك لم يقصر

وجودك صيرني شاعرا

ولو لا معانيك لم اشعر

والمسألة هنا مسألة عيش، فهؤلا الشعراء لا يكسبون قوتهم إلا عن طريق الشعر وقد يتنازلون عن عزة نفوسهم احياناً، ولعل سبب ذلك يعود إلى الظروف السياسية والاجتماعية التي سادت في هذه الحقبة فالمجتمع هو الذي وضعهم في هذا الموضع المحرج[٤٢] ومن طريف شعر المديح الاجتماعي، قصيدة مديح للشاعر الضرير نوشروان البغدادي الذي زار اربيل سنتي[٤٣] (٦١٣ - ٦١٧هـ) في مدح اعيانها، وأغلب الظن أنه يقصد الوزير أبن المستوفي ردا على قصيدة سابقة له ذم اهل اربيل التي سوف ناتي على ذكرها في مبحث الهجاء الاجتماعي، ومن خلال قصيدته، يعلن توبته واستغفاره عمّا بدر منه من هجاء، وقد نقل ياقوت الحموي تسعه عشر بيتا منها، ويبدو ان الشاعر الضرير كان خائفا جدا من انتقام اهل اربيل واميرها له الذي سجن عددا من الشعراء وعاقبهم بسبب الهجاء، وفي ابيات من القصيدة يقول[٤٤]: (من السريع)

قدْ تاب شيطاني وقد قال لي

لاعدت اهجو بعدها اربلا

كيف؟ وقد عاينت في صدرها

صدرا رئيسا سيدا مقبلا

مولاي مجد الدين يا ماجدا

شرفه الله وقد خولا

عبدك نوشروان في شعره

مازال لطيبته مستعملا

ولكي يعلن الشاعر عن ندمه من هذا الهجاء لاهل اربيل، يتودد اليهم ويستعطفهم بأبيات من الشعر لعلهم يعفون عنه، وينسون خطأه، ويتقي شرهم، وفي بداية هذه الابيات يهجو الشاعر نفسه واهله باقذع الالفاظ واشنعها، ويقول:

يا اربليين اسمعوا كلمة

قد قال شيطاني واسترسلا

فالان عنكم قد هجا نفسه

بكل قول يخرس المقولا

وقل ابي القرد وخالي وانا

كلب وان الكلب قد خولا

وعمتي قادت على خالتي

وامي الق... راس البلا

واختي القلفاء شبارة

ملاحها قد ركب الكوثلا

فربعنا ملان من فسقنا

وقط من نا... تنا ماخلا

وكل من واجهنا وجهه

سخم فيه بالسخام الطلا

الهجاء الاجتماعي

يقاس الادب - أحياناً- بمقدار ما يؤدي من اغراض اجتماعية أو اخلاقية(٤٥) وبهذا يأتي هذا اللون من الهجاء ليصف الأخلاق العامة، ويرسم انحلالها(٤٦) وهو من الهجاء الايجابي الذي يوضح لنا حقيقة تجارب الشعراء في هذا العصر(٤٧)، وانه يكشف معايب المجتمع والسخط على النظم الاجتماعية القائمة، والغاية منه هي الاصلاح الاجتماعي، وهو «تقويم لكل

اعوجاج في المجتمع سواء اتصل بالفرد أو اتصل بالجماعة وهو لذلك في حاجة إلى أن يدرس كوثيقة اجتماعية وسياسية»[٤٨] نحن ندرس الهجاء موضوعاً يعالج بعض الملامح الاجتماعية في أربيل[٤٩].

وأما الهجاء غرضاً فقد تمت دراسته في رسالة جامعية.

يعد الشاعر مجد الدين النشابي الاربلي رائد الشعر الاجتماعي في اربيل، وبخاصة في بداياته الشعرية حيث تحول إلى ناقد سياسي واجتماعي بارز، تعرض لأرباب السياسة، وأصحاب النفوذ، والرؤساء، قال عنه إبن الشعار « كان شاعراً بذئ اللسان، مقدماً على الهجو والسب، ذا أهاج سخيفة وذم فاحش كثير التعرض بارباب الدولة، وأصحاب المناصب، قُل أن سلم أحد من رؤساء اربل و أمثالها من لسانه»[٥٠] ونحن لانوافق على ما ذهب إليه ابن الشعار كونه بذيء اللسان. وذا هجو سخيف، وأغلب الظن أنه بالغ في هذا الحكم لأن ديوانه المحقق خالٍ من هذا اللون من الشعر الذي اشار إليه ابن الشعار، ولكنه كان ذا نقد جارح، وجرئ في مواقفه يبتغي الإصلاح الإداري والقضاء على الفساد الاجتماعي الذي سوف ناتي على توضيحه.

وجه النشابي سهام نقده إلى يعقوب بن اسماعيل البابوري[٥١] مشرف ديوان مظفر الدين الكوكبري، ورأى أن وجوده في هذا المنصب خسارة للدولة، وإنه لادارية له في الإدارة، وقد أساء اليها، وهو غير قادر على تحمل أعبائها[٥٢]: (من السريع)

قد خسرت دولةُ من يرتجي

عندك يا يعقوب إصلاحها

وكم جنت أربل من ضــــرةٍ

وغير تدبيرك ما أجتاحها

وحينما يياس الشاعر من تقويم هذا المشرف واصلاحه بالرغم من إسداء النصح له، يوجه أبياتاً من الشعر إلى مظفر الدين يقدم له المشورة في عزله ومحاسبته، وتخليص الناس من سوء تصرفه بنهب أموال الدولة من وجه غير شرعي، بل ويطلب منه إلقاء القبض عليه[٥٣]: (من الكامل)

يا أيهــــا الملك المعظم إنهــــا

لمشـــورة ونصـــيـــحـــةُ لاتهــملُ

يعقوب قد نهب البلاد وضعضع ال

أجناد وأســـتـــغنى غناء يذهلِ

فـأعـجل عليـه بقـبـضـةٍ، فلربما

هولا خـلاف بقـبض مـالك أعـجل

ويبدو أن مظفر الدين قد القى القبض على المشرف المذكور، وحاسبه حساباً عسيراً بعد أن ثبت عليه النصب والاحتيال، ويتولى في مكانه المختص أبو الحسن ابن القابض - عارض الجيش - مشرفاً جديداً في الديوان، ومن خلال استقراء نصوص من شعر النشابي يلحظ ان المشرف الجديد الذي تولى الادارة لا يختلف عن المشرف السابق في نقص الكفاية الادارية، لذلك فإنه لا يغض الطرف عن هذا الخلل ويعود إلى نقده بالاشارة إلى مواطن ضعفه، مسخراً ومستهزءاً بقوله(٥٤): (من الطويل)

فرِحنا بيـعـقـوب اللعين وحبسـه

وقلنا اتانا مـــا يطيب به القلبُ

فلمـا ولي المخـتص، فـالكل واحـد

إذا مـا مـضى كلب أتى بعـده كلب

ومن حملاته الاخرى على موظفي اربيل والسخرية منهم، أنه بعد إقصاء أحد وزاء اربيل من منصبه نتيجة لسوء إدارته، وتولي الوزارة من بعده شرف الدين إبراهيم بن علي الموصلي(٥٥) نجد النشابي يسخر من هذا الوزير الجديد، مشيراً إلى ان ولايته لم تغير من الحال شيئاً، ولم يقدم خدمة جليلة إلى الرعية، بيد أنه اتخذ لنفسه منادياً يشعر الناس بقدومه إلى الديوان(٥٦): (من المتقارب)

فـرحنا وقلنا: تولى الوزير

وأفلحَ ديـوانـنـا بـالـوزارة

فـمـا زادنا غيـر جـاويشـه

وفي كتبنا كتبت بالاشارة

فـبعـد أن يفـضح الشـاعـر رئيس الديوان والوزير وينعـتهـمـا بسـوء الإدارة ويقـصيـان من منصبيهما، يتوجه نحو موظفي الديوان انفسهم متهماً إياهم باستغلال مناصبهم الإدارية في التحكم برقاب الناس، فالحقوق ضائعة، والرشوة منتشرة، والظلم سائد(٥٧): (من الخفيف)

قد قـسمنا الديوان خـمسة اقسا

م عليـــهـــا لكلِ قـــول دليل

رُبَ حق ولا يطـا ع، مـنـســـــو

ب إلى الظلم قـوله مـقـبـول

ثم شخص كأنه الحرف في النحو

وفــــلا فـــاعل ولا مــــفـــعـــول

ومـــصـــر على التـــجنف والظلـ

م بعـيـد عن الصـواب جـهـول

وأخـــو حـــاجـــة يمشي أحـــوا

لا لديه إن جـــاءه البـــرطيل

اتراهـم لم يعلمـــوا أن كـــلاً

منهم عن فـــعـــاله مـــســـؤول

ظل النشابي يدعو إلى الإصلاح الإداري، ويكشف عن معايب البيئة ومساوئها الاجتماعية، متمثلاً ذلك بأصحاب الديوان، ويحرّض الوزير على إزالة ظلمهم وجورهم الذي هو عبء ثقيل على كاهل مواطني اربيل، ويحرضَه على قتلهم لينال ثواباً على ذلك بقوله(٥٨): (من المتقارب)

جـمـاعـة ديواننا أصـبـحـوا

وهم في العذاب لسوء الحساب

فإن كان يرجو الوزير الثواب

فـقـتلهم من جـزيل الثـواب

ويظهر أن الوزير قد انتقم من هذه الفئة الباغية، وزج المسيئين منهم في السجن، كما جاء على لسان النشابي(٥٩): (من مجزوء الرجز)

جـمـاعـة الديوان في

ليلة ســـخط مظلمـــه

وقـد غـدت ايدي الوز

ير منهم منتـــقـــمـــة

لا رحـم الـلّـه الـذي

يرحم قـــومـــا ظلمـــه

ويبلغ النشابي قمة النقد الاجتماعي في قصيدة نظمها قبل سقوط بغداد بيد التتر بمدة وجيزة، فهو يكشف فيها عن اوضاع العراق المضطربة، والسلوك المنحرف للمسؤولين، وينذر من مغبة تصرفاتهم، وقد عدها احد الدارسين(٦٠) مثالا شعريا رائعا للنقد الاجتماعي في أواخر العصر العباسي، وهي صورة حية ناطقة تعبر عن معاناة وهموم الرعية في ظل هؤلاء الحكام، ولما وصلت إليه الحياة السياسية والاجتماعية من اهمال وفساد. كشف النشابي عن

عيوب ونقائض الوزير وحاجب الباب، ومشرف الديوان، وشيخ الاسلام صدر الدين بقصد تنبيههم واشعارهم بسوء تصرفهم وسلبياتهم، فقال[٦١]: (من البسيط)

امـا الوزير فـمـشـغـول بعنبـره
والعـارضـان فنسـاج ومـداد
وحـاجب البـاب طورا شـارب ثمل
وتـارة هـو جـنـكـي وعـــواد
ومشرف الدست مغرى باللواط له
في كل نـاحـيـة علق وقـواد
وشـيخ الاسـلام صـدرالدين هـمتـه
مـقـصـورة لحطام المال يصطاد

وهكذا فان شعر النشابي عبارة عن صورة حقيقية ووثيقة دامغة يشير إلى حقيقة الحياة الاجتماعية في اربيل بصورة خاصة، والدولة العباسية بصورة عامة، وتظهر محاولات الشاعر المستمرة في الاعتراض على هذا الواقع المؤلم، وعدم التستر عليه بل رفع صوته مناديا بالاصلاح الاداري والقضاء على الفساد، وقد كان صوتا مؤثرا في بعض الاحيان، في تغيير صورة الواقع الاجتماعي المتهريء.

ويلفت النشابي نظرنا إلى فئة اخرى في المجتمع الاربلي الا وهم الاطباء، ويشخص لنا طبيبا يراه فاشلا في ممارسة مهنة الطب، وقد قتل المراجعين الابرياء بالعلاج الخاطئ ومثالنا على ذلك سخريته من الطبيب سعد الدين ابن عبد العزيز الديمشقي[٦٢] حينما يشرع بالذهاب إلى الحجاز للحج، والنشابي هنا يذكر رياءه ونفاقه حينما يتظاهر بالتوبة، وهو لايذهب إلى الحج وانما يتهرب من الاثم لكثرة ما قتل الناس بالعلاج الخاطيء[٦٣]: (من المخلع البسيط)

حج سـعيد الطبيب عامـا
وهو من الاثم غـيـر ناجي
مـا حج له الا يتـوب مما
قـد قـتل الناس بالعـلاج
لايقـبل اللّه منه حـجـا
لانهـا حـجـة المداجي[٦٤]

وقاد الحاجري حملة على نقد الحياة الاجتماعية والدينية في اربيل المتمثلة في شخص عزالدين بن شيخ اربيل[٦٥] ولعله ممن كان يتعاطى كتابة الادعية والشعوذة، والضحك على

الذقـون، وابتـزاز الناس بما لايجـدي، وهو في هذا يريد ان يعـدل به إلى الطريق القـويم وتصحيح هذا الاتجاه المنحرف في الدين، والدين الصحيح منه براء[٦٦]: (من الطويل)

فـتى الشـيـخ لا ينفك على ظهـر بغلة

لنقل حــديث مـــا ســـواه له راوي

يريك ابتــهــاجــا في اللقــاء تظنه

ودادا وفــعل الغــدر في قلبــه ثاوي

يلفق في النـاس المســـاويء بـخطه

رقـاعـا فـلا ينفك صـبـا بـهـا غـاوي

ويقـــــري ويؤي كـل غـــــاد ورائح

وداد في خـــوض لبـــاطله حـــاوي

علــى كـل بـاب فـي المـديـنـة خـطـه

فسبحان من احيا ابا الماجد الشاوي[٦٧]

ومعروف عن شعر هذه الحقبة تعرضه إلى انماط السلوك الاجتماعي المختلفة، وفي أربيل وجدنا ذكرا للؤم، والبخل، والظلم، قلة الوفاء، وما شابه ذلك، وتحول الشاعر الاربلي ناقدا لهذه الجوانب من الحياة الاجتماعية، وهذه الخصائص تهدد جوهر الحياة الحقيقي لانها تمثل الجانب السلبي منها[٦٨] فابن الظهير الاربلي يوازن بين الكريم واللئيم مبرزا الخلق السيء للئيم، بقوله[٦٩]: (من الحفيف)

ومـــعـــاداة كل حـــر كـــريم

ديدن الاخــرق اللـئـيم ودابه

واذا صـادف الوضـيع وضـيـعا

ليس يلفى الا إليــه انصــبـابه

ويضيف الحاجري في المعنى نفسه قائلا:[٧٠] (من الوافر)

وما ظفر الفتى في الدهر يوما

باطيب من مـــجـــاورة الكرام

ومــا أضن الزمـان على لبـيب

بأعظم من مـصـاحـبـة اللئـام

أما النشابي فينظر إلى الدنيا نظرة تسودها روح التشاوم حين يتصور بان الدنيا مليئة باللئام، ويتحسر على حياة خالية من رجل كريم:[٧١] (من الوافر)

وكم من قـــاتل: هـل من كـــريم

أراه فـحـســرتي القى كـريما؟

فـــقلت له: كـــريم مـــا تراه

ولكن كـيـف درت ترى لئـيـمــا

ونتيجة للتنافس بين الشعراء على الرزق والمكاسب، ترى الشعراء يتهمون بعضهم بعضا، فقد اتهم الحاجري النشابي بالبخل، وهو أسلوب رافق عروض الشعر التجارية وهو الاستهانة والتقليل من شأن الشاعر المنافس(٧٢): (من المتقارب)

قال الحاجري(٧٣): (من المتقارب)

وذو المجدْ ليس له لقمة

يقـــدم يومـــاً لزواره

ويلحظ في شعر الهجاء الاجتماعي تجاوزه العلاقات القبلية(٧٤) فمعظم هذا الشعر موجه إلى ذم خصائص اجتماعية مرذولة في الافراد، فقلة الوفاء صفة دنيئة لايمكن تجاهلها تجاه الذين لهم فضائل ومكارم، ومن الشعر الذي وصل الينا في هذا الباب، ما قاله خطيب اربيل وقاضيها جعفر بن هبة الله الاربلي(٧٥) الذي دخل يوما على احد موظفي الامارة وكان تلميذا له وقد درسه الادب والنحو، فلم يهتم به فجلس الخطيب متالما فانشد فيه ارتجالا مشيرا إليه: (مخلع البسيط)

هذا مـــقـــامـي لديك يامنّ

اقـــــام دهـراً وراء بـابـي

اقـصى امـانيـه قـرب اذن

في دولة الحسن والشبـاب

ان كنت انسيت ذاك فـانظر

في فـــرد باب من الكتـــابْ

لا تغـتــرر بالزمـان يومـا

وفكر اذا ســرت في الاباب

مـخـارق الجـاه ليس تبـقى

ومـوقف العـزل كـالحســاب

فـافـعل على قـدر مـا تلقى

وقل لابـد مـن جـــــــواب

فلما سمع السلطان مظفر الدين الخبر انزعج وعزل هذا الموظف، فقال له القاضي ارغب من احسان السلطان الا يطرده بان اكون سببا لعزل شخص وقطع رزقه، وانا ممن يشتفي بالقول لا بالفعل، الاشتغال بالافعال من شيم الملوك، فقال له السلطان: ابيت الا ادبا وظرفا وجاء ذلك العامل فصار من خدامه، والمعترفين بانعامه(٧٦).

ومن باب النقد الشخصي الذي اتسم بالحقد او الاستهزاء ما انشده ياقوت الحموي في مظفر الدين كوكبري(٧٧): (من الطويل)

كساعية الخير من كسب فرْجها

لك الويل لأتزني ولاتتصدقي

وهذا النقد يثير اكثر من سؤال فالحموي زار أربيل مرتين واطلع على اعمال هذا الامير الخيرية والاجتماعية ونزاهته وعدالته وتصوفه فكيف اجاز لنفسه ان يتمثل بهذا البيت الشنيع في وصف امير اربيل بتشبيهه بالمرأة التي تتعاطي البغاء وتصف ما تجنيه من ذلك الفعل على الامور الخيرية واغلب الظن ان الحموي اراد ان ينتقص من قيمة هذا الامير لسبب نجهله أو جاء بتدبير من أعداء مظفر الدين، وما الصق به من ظلم للرعية(٧٨) انساق الشعراء في هذا العصر بدوافع شخصية إلى هجاء المدن والاقاليم، من خلال طعنهم في اهلها وذم ساكينها، وهو اتجاه جديد ظهر في القرن الثاني الهجري(٧٩) وقد تعرضت اربيل إلى هذا الهجاه بعد وفاة مظفر الدين كوكبري، وبعد انتشار الانحلال الاجتماعي، وسؤ التصرف في شؤون الادارة، ومجيء رجال غير اكفاء يحكمون المملكة نيابة عن الخليفة في بغداد، ولذلك نرى الشاعر طه بن ابراهيم الاربلي(٨٠) يتاسف على بلدته اربيل التي خلت من رجل غيور، يسوس الناس بالعدل والانصاف ويدفع عنهم الشر والاذي: (من الوافر)

أ اربل لاسقاك الله غيثا

فقد اقفرت من رجل لبيب

ارى الغراء قد ملئت لئاما

وقد ضاقت على الشيخ الوهوب

فما في مالكيها من معين

على صرف الزمان ولا الخطوب

ولا في من قطنيها اريحي

ولا في ساكنيها من طروب

وقد يفقد الشاعر الشعور بالامن والاستقرار بسبب المعاملة السيئة التي يلاقيها من ساكنيها ويضيق بها ويرتبط – في الغالب – بنفوره من الحياة الاجتماعية من حوله، وهذا

نوشروان البغدادي الذي زار اربيل وشاهد معالمها وتعرف على مواطنيها ويراها كئيبة وحزينة لا تشرح قلب المسافر[٨١]: (من السريع)

تبا لشيطاني وما سولا
لانه انزلني اربلا
نزلتها في يوم نحس فما
شككت اني نازل كربلا
وقلت ما اخطا الذي مثلا
باربل اذا قال بيت الخلا
هذا وفي البازار قوم اذا
عاينتهم عانيت اهل البلا
من كل كردي (...)، ومن
كل عراقي نفاه الغلا

فالشاعر يعبر عن ندمه، لان حظه العاثر ساقه إلى مدينة خلت من كل خير، وشبهها ببيت الخلاء، ويذم اهلها، ويصفهم بانهم اهل الشر والبلاء ويكشف عن النسيج الاجتماعي ومكوناته في اربيل، ويرى انه مزيج من الكرد وعراقيين هجروا مواطنهم وسكنوا هنا بسبب الغلاء والفقر، ويمضى الشاعر في ذم هذا المجتمع مستخدما بعض المصطلحات الكوردية، وهي عبارة عن ذكر اسماء كوردية كتبت باللغة العربية ويتحمل ان يكون بعض هذه الالفاظ من وضع الشاعر نفسه على سبيل التفكه والسخرية، او نقل ياقوت الحموي صور هذه الالفاظ بصورة محرفة بسبب عدم معرفتها اللغة الكوردية ولهذا النصوص قيمة تاريخية مهمة لانها من اقدم النصوص التي تتضمن الفاظا كوردية ويقول الشاعر: (من السريع)

والكرد لاتسمع الا جيا
او نجيا او نتوى زنكلا
كلا وبوبو علكو خشترى
خليو وميلو... موسكا منكلا
ممو مقوممكي ثم ان
قالوا: بويركي تجى؟ قلت لا
وفتية تزعق والله تنفر
وشو ترايم هم سخام الطلا

وقد حلل أحد الباحثين هذه المفردات الكوردية التي وردت في القصيدة واعادها إلى اصولها[٨٢] وتشير هذه الالفاظ إلى بعض الظواهر الاجتماعية في اربيل التي منها تصغير بعض الاسماء الكوردية للتحب، واسئلة السائح لمعروفة اماكن معينة في المدينة وتنقل كلاما عن بعض الباعة في صياحهم لترويج بضاعتهم، وصراخ الصبية في ملاعبهم ويبدو ان الشاعر قد ذم اربيل واهلها بتوجيه من احد اعيان الموصل بسبب المنافسة السياسية بين المدينتين في عهد مظفر الدين لاننا وجدنا مدحا لهذا الشخص في القصيدة نفسها بقوله:

اذ لم يكن قصدي إلى سيدي

جماله قد جمل الموصلا

وهكذا شخص شعراء اربيل بعض الجوانب الاجتماعية في المدينة التي منها الواقع المتدهور للموظفين الغارقين في مسراتهم، وتوضيح لحالة ادارة الدولة وعدم كفاية الموظف للوظيفة الادارية، ولقد ابدع النشابي في توظيف شعره لهذا الجانب وهذا الشعر لا يخلو من بعض المبالغات او اراء شخصية لانه انفراد من بين شعراء اربيل بهذا التوجه، ولم يؤازره الاخرون في نقده للموظفين، كما وجه الشعراء نقدهم إلى الرذائل النفسية والسلوك الاجتماعي الذميم للافراد في المجتمع، ولكن المؤسف ان الشعر الذي وصل الينا في هذه الجوانب قليل بسبب عدم تدوينه او عدم روايته لاسباب سياسية او اجتماعية.

الشكوى من الزمان والفقر وسوء الحال والسجن

ظهرت الشكوى في الشعر العربي القديم[٨٣] وصاحبت الشعراء على مر العصور ازاء ما واجهوه من اختلال سياسي واجتماعي فضلا عن الامور الشخصية[٨٤] وهي تعبير عن الحرمان والاحساس بالظلم الاجتماعي[٨٥] وفي العصر الوسيط أصبحت الشكوى على كل لسان[٨٦] وقد كانت للمتغيرات الاجتماعية المختلفة التي شهدها العصر الوسيط اثرها الكبير في شعر الشكوى من الفقر وسؤ الحال، والشكوى من السجن.

وجه شعراء اربيل شكواهم إلى الزمان. فالشاعر بهاء الدين علي ابو الحسن الاربلي[٨٧] عانى من ظلم الدهر وخيانته حيث كان سببا في ابتعاد احبابه وخلانه عنه، ويتمنى ان تعود ايام الصفاء قائلا: (من الكامل)

يا دهركم لك مثلها من غدرة

ولانت اجدر ان تخون وتغدرا

جار الاحبة في قضايا حبهم

فغدوت اظلم في القضاء واجورا

أحـــبــابنا النائين هل من عـــودة

يصـفـو بهـا مـن عـيشنا مـا كـدرا

ومن الشعراء من تضيق به الدنيا فيسخط ويشتكي، ويوجه اللوم إلى الاقدار[٨٨] ويتذمر من الناس، ويشبه الزمان في شكواه بالرجل اللئيم ومن هؤلاء ابن الظهير الاربلي حين يقول[٨٩]: (من الخفيف)

قــد دفــعنا إلى زمــان لئــيم

لم ننل منه غـيــر غل الصــدور

وبـلـيـنــامـن الـورى بـانــاس

تركتـهم اعجازهم في الصدور

ولاشك ان الشكوى موضوع ينبع من الوجدان، فهي نفثات صدر يريد الخلاص مما يحس به ويعانيه الشاعر من قسوة الدهر، والظروف الاجتماعية الصعبة التي عانى منها الناس في هذه الحقبة وقد وجه الشعراء اللوم إلى الزمان، ولابد ان يكون ذلك ظاهرة اجتماعية تستحق الاهتمام والتسجيل[٩٠] فالشاعر عرش الدين الاربلي[٩١] يتطرق قسوة الدهر الذي يسير الناس كما يشاء بقوله: (من كامل)

والدهر يرفع الفـتى ويحطه

والعمر فيه صحة وسقام

والبدر يكمل بعد نقصان به

ويحل فيه النقص وهو تمام

ويبدو ان الشعراء لم يستطيعوا ان يكونوا صرحاء في مواجهة الظالمين والطغاة خوفا من البطش والتنكيل، لذلك تجاهلوا مصدر الفساد الحقيقي وكنوا عنه بالزمان او الدهر[٩٢] ويظهر الحاجري الاربلي سخطه ويتحرق مرارة من الذين لا مواقف ثابتة لهم في الحياة ويتحكم الزمان برقابهم[٩٣]: (من البسيط)

ذنبي إلى الدهر اقوام صـحبتـهم

انى يميل زمــان بالفــتى مــالوا

ثم يعود ويفسر موقفه الفلسفي من الدهر ويذكر محاسنه، وليست هناك حالة ثابتة في الحياة، وكل شيء يتغير ولكل شيء اجل محتوم:

من شيمة الدهر اعراض واقبال

فــمــا يدوم على حــالاته الحــال

وكل شيء وان اعـــيـــاله اجل

يقـضى عليـه كمـا للناس اجـال

واذا التفتنا إلى الشعر الذي قيل في الفقر، فنجده نادرا في امارة اربيل، وقد يعود السبب إلى سياسة مظفر الدين في ادارة الامور اذ اشاد محمد كرد علي باعماله وبمشاريع البر التي اقامها، وقال: "ان مظفر الدين صاحب اربل كان من اولئك المحسنين من ملوك المسلمين واهل الخير وانه تفنن في اعمال البر والاحسان، واقام من المصانع ما يشبه من اكثر وجوهه مصانع الغربيين اليوم[٩٤]" وهذا القول فيه صدق كثير حيث نهضت مدينة اربيل على يدي هذا الامير، ونافست الموصل وبغداد علميا وثقافيا، ونحن هنا لسنا بصدد بحث منجزاته لكن نضيف إلى اعماله الخيرية قيامه بتوزيع الاكسية الشتوية والصيفية على الفقراء وكانوا يجتمعون حول داره لاستقباله، وكان يعطي لكل واحد منهم مع الكسوة مبلغا من المال[٩٥]

واغلب الظن انه سار على خطى صلاح الدين الأيوبي في الانفاق على الفقراء والمساكين وابناء السبيل[٩٦].

فالشاعر ابو الربيع سليمان بن بنيمان الاربلي[٩٧] يشتكي من اولئك الذين لا يعضدونه في محنته التي هي الفقر وهو يسحب ذيل الذل والهوان في ارضهم وهذا انكار للقيم الخلقيةالفاضلة في مساعدة الغريب واكرام الجار واطعامه، فيقرع سن الندم، لان هزة الكرم اضحت عندهم كالعدم بقوله: (من الطويل)

خليلي كم اشكو إلى غيــر راحم

واجـعل عـرضي عـرضـة للوائم

واســحب ذيل الذل بين بيـــوتكم

واقـــرع في ناديكم سن الندم

هبوني ما استوجبت حقا عليكم

امـــا تعـــتـــريكم هزة للمكارم

كـــان المعـــالي مـــا حلل لديكم

وقد اصبحت معدودة في المحارم

والحاجري ينظر إلى مسالة الفقر نظرة خاصة حيث يتساوي عنده الغني والفقير فهو لم يشتك من الفقر ولم يستجد بالشعر، بل كان صاحب جاه وسلطان وقد كان هناك حي في اربيل سمي باسم جده (جبريل)، وهو من الاسر الميسوره[٩٨] ففي مجالس الخمرة حينما يناجي ندمانه لا يريد نيل الاماني ولا يطمع في قليل منها او كثير، ويتساوي عنده الغني والفقير[٩٩]. (من المجتث)

لاطامـــعــا في قليل

منه ولا في كـــثـــيــر

ان صح لي خـــبـــز بر

او لافـخـبـز شـعـيـر

ســـــيــــان بين غني

عندي وبين فـــقـــيــر

ومن الشعراء من يعلن افلاسه، ويشتكي من سؤ حاله في مقطوعات يظهر فيها الحرمان الشخصي والمعاناة الذاتية ويصور حالة البؤس، ويبدو ان رعاية اولى الامر وذوي الجاه لم تشمله(١٠٠) لذا يرجو كسب النوال ساعيا إليه على يديه وراسه وهذا ما أعلنه الشاعر ابن الظهير الاربلي واغلب الظن انه كان يعلن عن افلاسه وطلب نوال الاخرين حين يسود الكساد تجارته او تقل ارباحه حيث يقول(١٠١): (من الخفيف)

قلة الحظ مانعي قصد ارض

انت فيـهـا وكثـرة الافـلاس

ولو انـي ملكت امـري لوافـيـ

تك سـعيا على يدي وراسي

اتصل الشعر بصميم الحياة الاجتماعية في اربيل، فاصبح وثيقة من الوثائق التاريخية المهمة في تصوير البيئة(١٠٢) فالشاعر حسام الدين الحاجري الاربلي يشخص تقصير المسؤلين في مجال تقديم الخدمات العامة، والدينية منها بصورة خاصة، فتقع عينه على مسجد مهجور وبجانبه كنيسة للنصاري تضيئها الشموع، ويؤمها المصلون، ومن الجدير بالذكر أن اربيل في حقبة هذا البحث كانت كثيرة البيع والاديرة، وكان النصاري يشكلون بجانب الكورد اكثر سكان اربيل متاخيين متعاونين(١٠٣) وكانت لهم الحرية الدينة المطلقة، اذ لا اكراه في الدين(١٠٤) ولهم اهتمام باماكن العبادة، وهذا ما يؤكده النص الشعري في قصيدة ارسلها الشاعر إلى والي الخليفة، اشار فيها إلى هذا المسجد المهجور، والى كنائس للنصاري تضيئها الشموع، ولما قراها الوالي آتي المسجد وامر باكسائه، وحقق رغبة الشاعر الذي يقول على لسان المسجد(١٠٥). (من الكامل)

انا مـــســـجــد الله بيت عــبــادة

عـاري الملابس ليس في حـصـيـر

هجـر المؤذن والجـمـاعـة جـانبي

وجــفــانـي التــهليل والتكبــيــر

واخـــــجلتي والذل حـين يمر بي

فـيـقـال هذا مـسـجـد مـهـجـور

لو كنت في ايدي النصارى بيـعـة

لبكى علي القس والســـاعـــور

من مـبلغ عني العـمـاد شكاية

منهـــا يقلقل يذبل وثبـــيــــر

ياقـدوة الاسـلام كـيف تركـتني

بيـد الصـلاح وشـانه الـتـقـصـيـر[١٠٦]

صل صـــولة الحنق عليـــه لي

واغــضب فــانت بذلك الماجــور

ويشير إلى كنائس اربيل التي تنورها الشموع ليلا ليثير بذلك حفيظة الوالي:

الشـمـع في خلل الكنائس نيـر

وفناء ربـعي مظلـم ديجـــــور

بالامـس للقــــران فـي تلاوة

واليــوم للشـيطان في عـبـور

ومما يلفت النظر ان مظفـر الدين كـان يدرك الفسـاد الاداري عند مـوظفي امـارته، وهذا الخلل الاداري كان منتشرا في جميع الامارات الاسلامية في هذا الحقبة حتى في بغداد مركز الخلافة وقد اوضح لنا النشابي في قصيدته التي نظمها في رئيس الديوان والوزير وحاجب الباب ومشرف الديوان وشيخ الاسلام بقصد اشعارهم بسلبياتهم قبل سقوطها بيد التتر وقد سبقت الاشارة اليها في موضوع الهجاء الاجتماعي، وقد كان مظفر الدين يتابع هذا الخلل ويعاقب وموظفي الامارة باستمرار ولم يسلم من عقابه الا القليل ومنهم الشعراء ايضا وان معظمهم عذبوا واعتقلوا فمنهم من مات في سجنه ومنهم من اثر الرحيل عن مدينة اربيل حينما اطلق سراحه[١٠٧] ومن هؤلاء الوزير ابن المستوفي، والشاعر مجد الدين النشابي كاتب الانشاء بالديوان[١٠٨] والشاعر ابو يوسف التركي الاربلي[١٠٩] والشاعر صلاح الدين الاربلي الذي كـان حـاجبـا في البـلاط[١١٠] والشـاعـر حسـام الدين الحـاجـري الاربلي، وغيـرهـم كثيرون[١١١] فالسجن يحفز ملكة الشاعر الشعرية ويوقظها في تصوير ما يقاسيه من ألام بشعور صادق فياض، فالشكوى من السجن في الاغلب تعبير عن انعكاس نفسي وحرمان اجتماعي لحالة الشاعر السجين، ويتسم بالصدق والوضوح (والحق ان اقدر الناس تعبيرا عن

الشقاء من كان الشقاء في نفسه)[١١٢] وان هذا اللون من الشعر قد ساد البلاد الاسلامية كلها في هذه الحقبة، وقد عبر فيه الاربليون عن المعاني الاجتماعية ابلغ تعبير وبذلك كشفوا النقاب عن جانب من جوانب الحياة الاجتماعية في مدينتهم، وقد قيل الشكوى تخفف الهم وتزيل الالم[١١٣] يبين النشابي في شكواه من السجن موقفه من الحياة والموت من خلال محنة السجن الاليمة بقلعة كرخيني (كركوك)، بعد ان ساءت علاقته بمظفر الدين، فتحدث عن تقلبات الدهر، والموت والفناء ويخاطب ذاته كي يخفف عنه الا لام ويدعوه إلى التجمل بالصبر[١١٤]: (من البسيط)

ياقلب خـفض عليك حـزنا

واصبر فللصبر طيب مجنى

ويؤكد دناءة هذه الحياة فالمصير الحتمي للأنسان هو الفناء وان كانت هذه الحياة سفر طويل ولكن لابد لها من نهاية، والدهر عنده يومان لاتدوم فيه السعادة ولا الشقاء:

هبك ملكت البلاد جمعا

الست تبلي الست تفنى؟

دنيا غدت كلها دنايا

فكل يوم تكون ادنى

ونحن ركب الانام فيها

نرحل عنها كما نزلنا

والدهر يومان ذا يهنى

بما أتاه وذا يعنى

ويمضي الشاعر بتسلية نفسه، واذابة همومه مستذكرا العبرة في قصص الانبياء، وحياة هؤلاء الانبياء المليئة بالمحن والا لام والشدائد وصبر الصحابة الكرام في الجهاد، والتضحية بالنفس، وذكر امم غابرة افنوا جميعاً، ويستلهم العظة والعبرة منهم، فلا مفر من جور الزمان الا التجمل بالصبرعند الشدائد والمصائب، وحسن الظن بالله:

فاصبر على الحلم في الرزايا

واحسن برب السماء ظنا

وتب إليه تجد كريما

يجزي على السيئات حسنا

أما الشاعر حسام الدين الحاجري فقد ذاق مرارة السجن والامه ايضاً، وقد تبين لنا في

دراسة سيرة حياته انه تمادي في المجون والخلاعة وشرب الخمرة والجهره كما في قوله[١١٥]:(من الخفيف)

لدواعي الهوى وفرط الخلاعة

الف سمع لا للوقار وطاعة

ياندبمي عرجابي جميعا

نشرب الراح كالصلاة جماعة

فشكاه الناس إلى مظفر الدين، فرمى به في السجن[١١٦] وكانت ايامه قاسية وهو يبعث بشعره الحزين إلى اصدقائه يترجون مظفر الدين في اطلاق سراحه، فاستجاب لهم واطلق سراحه ولكن بعد ان لبس ثوب المتصوفة واستدعى إلى مجلسه[١١٧] ومن اشعاره في السجن التي تنضح مرارة وشكوى نقتطف هذه الابيات[١١٨]: (من الكامل)

قيد اكابده وسجن ضيق

يارب شاب في الهموم المفرق

ان لم يكن فرج فموت عاجل

إن الحمام من الرزايا ارفق

يابرق ان جزت الديار باربل

وعلا عليك من التداني رونق

قل ياجعلت ملء الفدا اسيركم

من كل مشتاق اليكم اشوق

اما شكواه من خلال حادثة مقتله، فنترك الحديث لابن الشعار الموصلي، وهو يقول (وكتب الحاجري إلى الامير شمس الدين أبي الفضائل باتكين المستنصري، وكان يومئذ متولياً لمدينة اربيل قبل قتله، وكان قد احس بذلك قائلا[١١٩]: (من الكامل)

اشكوك ياملك البسيطة حالة

لم تبقي رعبا في عضوا ساكنا

ان تستبح ابلي لقيطة معشر

ممن أأمل غير جاشك مازنا

ياللعجائب كيف يصبح خائفا

من بات في حرم الخلافة قاطنا؟

ومع ذلك فلم يستطع الامير باكتكين ان يفعل له شيئا، واعداؤه يتربصون به، حتى قتل وهو

خارج ذات يوم من داره قبل الظهر، وثب عليه رجل فطعنه بسكين طعنة مميتة لم تمهله طويلا(١٢٠) ويبدو ان الوزير ابن المستوفي قد تعرض مثل صديقه الحاجري إلى اعتداء بالسكين ايضاً، فقد خرج من المسجد ليلا حيث وثب عليه مجهول وضربه بسكين قاصدا فواده، فالتقت الضربة بعضده فجرحته، وكتب بهذه المناسبة إلى مظفر الدين شكواه(١٢١): (من الطويل)

يا أيها الملك الذي سطواته

في فعلها يتعجب المريخ

أيات جودك محكم تنزيلها

لا ناسخ فيها ولا منسوخ

أشكو اليك وما بليت بمثلها

شنعاء ذكر حديثها تاريخ

وهكذا تبين ان شعر الشكوى قليل في اربيل، ومع ذلك فقد تجاوز حياة الافراد إلى اظهار جوانب مختلفة من الحياة الاجتماعية، فليس لدى الشاعر وسيلة سوى ان يطلق لسانه لبيان معاناته التي هي معاناة الاخرين ايضاً.

المراسلات الشعرية:

وهي مظهر من مظاهر التعبير عن العلاقات الاجتماعية التي تربط الناس ببعضهم(١٢٢) وكثيرا ماتقوم مقام الرسائل النثرية التي تكتب في المناسبات المتعددة(١٢٣) ويبدو ان هذه الرسائل الشعرية في هذه الحقبة غدت مظهرا معروفا بين الادباء(١٢٤) وقد تعددت موضوعاتها بسبب الحياة الحضرية في العصر العباسي، وما أحدثته هذه الحياة من علاقات اجتماعية وتقاليد جديدة، أما موضوعات الرسائل الشعرية في اربيل فهي كثيرة، ومنها: التهنئة، وتقديم الشكر، والاعتذار، والتعاب، ومخالفة المواعيد، والشوق والحنين، وتبادل الالغاز ماشابه ذلك.

فقد ظلت المناسبات الدينية فرصة ملائمة انتهزها الادباء لتبادل التهاني مع المسؤولين وغيرهم، وقد هنا النشابي الاربلي الوزير احمد بن الناقد بقدوم شهر رمضان المبارك، متمنيا له السعادة، ودائم الاقامة في ظل الخليفة المستنصربالله العباسي، بقوله(١٢٥) (من الكامل)

فتهني ذا الشهر الشريف فانه

شهر يعيد لك الهناء مجددا

لازلت في ظل الخليفة حاكما

في الارض ممتدا الظلال مؤيدا

ويهنئه بعيد الفطر المبارك بعد انقضاء الشهر الجليل[١٢٦]: (من الوافر)

تهن بعـيـدك الاتي بشـيـرا

لعـمـرك ان تطول مـدى الدهور

كـــان الناس حـــولك كل يوم

من التكبـيـر في عـيـد كـبـيـر

ويكتب ابو احمد الفزاري الاربلي[١٢٧] إلى الوزير ابي البركات ابن المستوفي وزير اربيل رسالة تهنئة بمناسبة عيد الاضحى المبارك، ويذكر فيها تفاؤل الناس جميعا بذكر اسمه في المحافل الذي هو خير وبركة بقوله: (من الطويل)

ابا البركات العيد وافاك مقبلا

بسـعد فكن ياسـعد للبر قـابلا

اتاك اناس للتهاني فـصـادفـوا

من اسـمك فـألا للخلق شـامـلا

اما تقديم الشكر فكثيرا ما يترافق مع طلب شيء يستوجب تقديم الشكر والعرفان لصاحبه فالنشابي بعدما يغمره الخليفة المستنصر بالله بعطاياه السخية التي جعلت من حياته جنة وارفة الظلال، يوجه له رسالة شكر بقوله[١٢٨]: (من الرجز)

وهـا أنـا فـي ظـلـه فـي جـنـة

وفـي عطايا كـــفـــه في كـــوثر

شـكرتـه ومـــا فـي شـكري له

لان بـعض شـكره لم يـحـــصـــر

وهذه رسالة شكر أخرى من ابي العباس بن شجاع الاربلي[١٢٩] ال ابي الحسن علي بن شماس كاتب ديوان الانشاء باربيل، بعد أن توسط لدى مظفر الدين باخراجه من السجن وهناك قصيدة كاملة في هذا الموضوع نقتطف هذين البيتين: (من الطويل)

فـــشـكري لما اوليـــتـني صنيـــعـــة

مـــتـــمـــمـــة بالشكر اثقل كـــاهلي

وقد كنت اشكو الحبس والجوع هاجع

فـمـا زادني الاظلاف غـيـر البـلابل

فالشاعر الاربلي هو ابن مجتمعه، من حقه ان يصادق الناس، وان يعتذر منهم أذا بادرهم بسوء أو كلمة نابية، ويصبح حينئذ الاعتذار وسيلة حضرية تساعد على إعادة الود والصفاء

بين الاصحاب وكثرة هذا الشعر دليل على متانة العلاقات الاجتماعية بين الادباء وغيرهم، وقد وجدنا شعرا متميزا في هذا المجال نختار رسالتين شعريتين فقط للاستشهاد الاولى اعتذار عبدالرحمن بن منصور القنطري الاربلي(١٣٠) للوزير ابن المستوفي في شيء بلغه عنه، وفيها يتذلل له ويرجو منه المغفرة والعفو بعد شعوره بالخزي والندم على فعلته هذه: (من البسيط)

مولاي ياشرف الدين الذي شرفت
به الاماجد من عرب ومن عجم
يامعدن الجود قد وافاك عبد وفا
مقود فيك بالاحسان والكرم
معفرا فوق ترب الارض وجنته
خزيان يقرع اسنان من الندم
اقبل معاذير عبد جاء معتذرا
يثني عليك بما اوليت من نعم

والرسالة الثانية من النشابي الاربلي إلى الوزير نصير الدين وزير الخليفة المستنصربالله العباس كتبها حينما جلد جزءا من شعره في مدائح هذا الخليفة، وكان في يده جزءا من الربعة الشريفة(١٣١) فاراد ان يحمل المديح اليه فحمل جزء الربعة. وبعد ان علم ذلك عرف بانه اخطا، وفي هذا يقول(١٣٢): (من الطويل)

عجبت وقد اودعت جزء مدائح الـ
امام اهنيه بعيد به اتصل
فحاولت حمل الجزء يوم هنائه
فسابقني القران عن مدحه بدل
ولم يكن سهوا اذ تبدل مدحه
بجزء من القران كي يحدث الخجل
وقد كان بالقران اولى مدائحا
لان اللّه في حقه نزل

ويندرج العتاب ضمن الاعتذار في مضمونه الاجتماعي، وقد وقفنا على رسالتين شعريتين في عتاب متبادل بين الشاعر هاشم عبدالسلام الاربلي(١٣٣) والنشابي الاربلي، يفهم من رسالة النشابي انه خدع زميله، واطال عليه لسانه حين يقول(١٣٤): (من الطويل)

وكيف احتيالي فيك اذ لم يكن

إلى ودادك الا بالخـــدع طريق

ولست بخداع وما ان جرى على

لساني قول كان فيه خلوق

فاجابه صاحبه هاشم عبدالسلام على الروي والرزن نفسهما: (من الطويل)

لعمري ماساد الكرام اولو النهى

يهجو ولاسب الرجال يليق

ولا انا ممن يجهل الناس حالتي

ولا انا ممن لايقال صديق

وعرف ابن الظهير الاربلي بالظرافة والملاحة مع اصحابه، وكانت له معهم مطارحات شعرية ومن باب مخالفة المواعيد، ما جاء في رسالة شعرية ارسلها الشاعر إلى الشيخ شهاب الدين محمود[١٣٥] وفخرالدين ابن الجنان[١٣٦] حينما وعدا الشاعر بشيء ما لم ينفذا وعدهما ويشبه هذا الموعد بالسراب، ويتأسف على حسن ظنه بهما، والخداع والمماطلة ليس من شيمة الأصحاب[١٣٧]: (من مخلع البسيط)

مواعيد الفخر والشهاب

اكذب من لامع السراب

أحسنت بالسيدين ظنا

فكان نقيا على ضراب

كم اخلفاني فخلفاني

اذ كنت غرا الـتـراب

راغا وزاغا وليس هذا ال

خداع من شيمة الاصحاب

واذا ما تحدثنا عن شعر الانطباعات الوجدانية فعلينا ان نبحث في الشعر الذي يظهر الشوق والود والحنين الذي ينطوي على دلالات اجتماعية كبيرة،[١٣٨] فالحاجري الذي ظل زمنا مقيما بالموصل يتمتع بمناظرها الجميلة، يقضي اجمل الساعات بين أصدقائه الا ان شوقه وحنينه إلى مدينتع اربيل حيث حريع صباه بات هاجسا يقلقه، فكتب وهو بالموصل سنة (٦١٩هـ) رسالة إلى صديقة ضياء الدين عيسى، وهو اخو ابن خلكان صاحب وفيات الاعيان[١٣٩]، ضمنها هذين البيتين اللذين يعبران عن حالة الياس والقنوط التي كان يعيشها

بعيدا عن مدينته:[١٤٠] (من البسط)

اللّه يعلـم ابقى ســـوى رمق

منـي فـــراقك يـامن قـــربه امـل

فـابعث كتـابك واستودعه تعزية

فـربما مت شـوقا قـبل مـايصل

ويذرف ابن خلكان الدموع على ديار الاحباب باربيل بعد فراقه عنها، ويبث شوقه وحنينه، بقوله[١٤١]: (من الخفيف)

ياديار الاحـبـاب لازالت الاد

مع في ترب سـاحـتيك مذاله

وتمشـي النسـيم وهـو عليك

في مـغـانيك سـاحـبـا أذياله

وحينما يودع الوزير ابن المستوفي اربيل متألما متحسرا بعد خرابها بيد التتر حاملا كتبه ومتاعه متوجها إلى الموصل، لايقدر على اخفاء مشاعره في لحظة الفراق، فتثير عند الاشجان والحنين إلى مدينته واهلها الذين عاشرهم سنينا طويلة، لذلك نسمعه يردد مع نفسه ابياتا يقول فيها[١٤٢]: (من البسيط)

فـارقتكم مكرها لاكـارها ويدي

اعضـها ندمـا اذا لم امت كمـدا

والـلّه لـو ان أيامـي تطـاوعنـي

على اختيـاري مـا فارقتكم ابدا

ومن الشعراء من اقام في اربيل مدة واشتاق إلى موطنه، فالاديب ابو المعالي اسعد بن على الحظيري[١٤٣] يحن إلى الحظيرة حيث منزله واهله: (من المتقارب)

الا من لصب قليل العـزاء

غـــريب يحن إلى المنزل

ينادي باربل احــــبــــابه

وانـى الحظيـــرة من اربل

ولم تخل هذه الرسائل الشعرية من بعض الغلو والمبالغة في اظهار الشوق والحنين، كما جاء في قول جعفر بن محمد الاربلي[١٤٤] الذي يشبه رسالته بحديقة تثمر ازهارها عطرا وهي اسحر من ظبي غرير وانها بلسم شاف لمن تضمنت جوانحه هموما: (من البسيط)

ولو اني كـتـبت بقـدر شـوقي

اليك لضـاق عن كـتـبي ارج

فكان احـسن من سـحـر تقليـة

اجفان ظبي مراض حشوها غنج

فـبت اشـقى به داء تضـمنه

جـوانح بات فـيـها الهم يعـتلج

وتعد الالغاز من الرسائل الشعرية، وهي من اخفى الاشارات لانها تحتاج إلى كد الذهن واتعاب الفكر[١٤٥] ومثال ذلك قول ابن خلكان في النارنج[١٤٦]: (من الكامل)

مـا اسم اذا صـحـفتـه الفيتـه

من بعـد ذاك ولفظه تـأريخ

في ضـمنه نار اذا خـفـفـتـهـا

لاحـجـرها وار ولا منفـوخ

ياريح بلـغ من احب تحـيـتي

ان المجـيب لما يقـول مـصـيخ

ويظهر ان الشعر العربي في اربيل كان يردد على الالسنة جميعها " وفي حلقات الوعظ ايضـاً، وهذا ابو المعالي ابن سبنبوا الذي ورد اربيل[١٤٧]، وعقد مـجلسا للوعظ والارشـاد بالمصلى التي كانت قديما يصلي فيها على الموتي[١٤٨] فانشد من خلال وعظه شعرا قائلا

قـومـوا بنا إلى اللّه

لانبـتـغي سـوى اللّه

ان القـــرآن حق

بـه تـكـلـم الـلّـه

بأحـرف واصـوات

مـسـمـوعـة من اللّه

من قـال غـيـر هذا

عليـه رحـمـه اللّه

فقامت جماعة في المجلس، وقالوا: (عليك لعنة اللّه)، وانصرفوا، فانتفض المجلس واذا تأملنا هذا الشعر نجده يرسم لنا بعض الصور العاطفية النبيلة للحياة الاجتماعية في اربيل، كما يحكي نزعات الشعراء وميولهم الفردية.

البكاء من المشيب:

يعد الشيب من المشكلات الذاتية، يخرج عن خصوصيتها إلى نطاق انساني واسع تواجه البشر جميعا، والتفت الشعراء إليها بعد ان اشتعلت رؤوسهم شيبا، وكان لشعر الشيب صدى في اربيل.

اختلفت مواقف الشعراء من الشيب، ومن الذين بكى عليه وتحسر على زمن الصبا والشباب الذي مر كالطيف خاطفا سريعا النشابي الاربلي قائلا[١٤٩]: (من الكامل)

زمن صبا ماكنت الا زائرا

كانت زيارته كلمحة بارق

غمضت جفني والتصابي سايحة

وفتحت فرايت شيب مفارقي

فكان شيبي لم يزال وانما

كان الشباب خيال طيف طارق

لو كان ينفعني البكاء على الصبا

لبكيت من شوق له بشقائق

اما الحاجري الاربلي فينظر إلى الشيب من زاوية اخرى، فكل شيء عنده هين غير فراق الشباب وحيوته، لذا يرغب بأغتنام الفرص وارتشاف اللذات لان العمر طال فهو لمعة من السراب[١٥٠]: (من الخفيف)

ولعمري قد يهون عليه

كل شيء الا فراق الشباب

فاذا امكنتك فرصة لهو

فاقدح زنادها بشهاب

وتغنم صفو الزمان فان الـ

عمر ان طال لمعة من سراب

ومن الشعراء من يشتاق ويحن إلى ايام الشباب بعد ان بلغ من العمر عتيا، ويتمنى يانسا ان تعود ايام الشباب، ولكن هيهات، وهذا صفي الدين منصور الاربلي[١٥١]. يقول:(من الكامل)

اشتاق ايام الشباب وحسن ما

فعلت وحق لمثلها يشتاق

ردوا علي من الشباب بقدر ما

كسد المشيب فللشباب نفاق

وقد تشترك رؤية شاعرين من المشيب، ويتخذان منه موقفاً واحداً، وهو موقف المتفائل بالحياة وينكران ان يكون المشيب نذير الموت، يقول ابو الربيع الاربلي(١٥٢): (من البسيط)

قالوا المشيب نذير الموت قلت لهم

كم من صغير قضى نحبا وما شابا

وكم رأينا فتى السن قد علقت

به شعوب وشيخا عاش احقابا

وكذلك ابن الظهير فانه لا يتفاجع ولا يتشاءم، فاشتعال الرأس بالشيب امر لابد منه، لكن المؤلم عنده رؤية فقدان الاصحاب حينما يطيل العمر بالانسان(١٥٣): (من الخفيف)

ان طول الحياة داء وما نفـ

ـع حياة لمن قضت اترابه

واذا المرء طال عمرا أذاقتـ

ـه المنايا بفقدها اصحابه

وانتهى نقصه وعشش بازال

شيب في رأسه وطار غرابه

واذا كان اخر الامر هذا

فلماذا على الحياة اكتئابه

وهناك من الشعراء من يرى المشيب انذارا بالرجوع إلى عبادة الله، وغسل الاثام والذنوب، فقد دنت ساعة الاجل، يقول ابن الجارودي الماراني(١٥٤): (من المتقارب)

مشيب اتى وشباب رحل

احل العناء به حيث حل

وعمري تغضى بلا طاعة

فويحك يا نفس ماذا الزلل

وذنبك اثم الا فأرجعي

وعودي فقد حان وقت الاجل

وقد جاء هذا اللون من البكاء في اربيل نتيجة عودة الشاعر إلى ذاته بعد سيرة عمر طويل ويأتي احيانا عند ظهور بوادر الشيب المبكر او في نهاية الشيخوخة، وفيه احساس بالهرم، وذهاب النضارة، ودنو الاجل.

الصبر والقناعة:

الصبر والقناعة خصلتان رفيعتان في اخلاق الانسان، فنوائب الدهر وشدائد الزمان تهون على الصابرين[١٥٥] فالشعر الذي قيل في الصبر والقناعة قليل في أربيل بأستثناء ابن الظهير الاربلي الذي نظم قصيدة طويلة في فلسفة الحياة، وهي ثمرة الخبرة، وكانت كثيرة الانتشار بين اوساط المثقفين، ولا سيما حين يعضهم الدهر بنابه، والقصيدة فاقت في طولها القصائد المشابهة لها في الغرض، قال ابن كثير " وهي طويلة جداً قريبة في مائة وخمسين بيتاً[١٥٦] اما في ديوانه المطبوع فتقع في مائة وواحد وعشرين بيتاً مطلعها[١٥٧]: (ومن الخفيف)

كلّ حيّ إلى الممات مآبه

ومدى عمره سريع ذهابه

فالشاعر في هذه القصيدة يرشدنا إلى نواح متعددة في حياتنا، ويتطرق ايضاً إلى مسألة التمسك بالصبر، لأن معرفة عاقبة الصبر تخفف المصائب وسوف يحصل الصابر على مراده عاجلاً ام آجلاً:

واذا ما علمت عاقبة الصبر

عليه هانت عليك صعابه

ولكم قرب البعيد لك الصبر

وكم بعد القريب ارتقابه

وتطرق الشاعر ابن الظهير الاربلي إلى مسألة القناعة ايضاً، وهي عنده الرضا بما تسير للانسان في حياته من عيش اما الانسياق في الطمع فسيحول الانسان إلى عبد ذليل، والفقير عنده غني مادام يطلب رزقه من اللّه طامعاً في بابه لا في باب غيره:

كن قنوعاً بما تسير فالطا

مع عبد ما تنقضي أرابه

وغنيا، وانت في غاية الفقر

برب طاعاته ابوابه

والحاجري يستلهم الصبر داعياً إليه عند هجران الاصحاب وفقدانهم، ويبذل الغالي والرخيص لتوثيق حبل المودة والوفاء بقوله[١٥٨]: (من الكامل)

صبراً غريم الشوق منه مفلس

دمعي المقر به فلم لا يحبس؟

افدي الذين لهم وثائق صحبة

عند الوفاء لها تباع الانفس

وقد يقع الباحث على شعر طريف في هذا المجال وقد وجدنا قصيدة طريفة لأبي البر الاربلي مطلعها[١٥٩]: (مجزوء الرمل)

لأذيقنك فـــقـــدي

راغـبـاً عنك بجـهـدي

ويبدو من قراءة نصوصها ان الشاعر طرد من عمله من قبل سيده المدعو ضياء الدين بسبب سؤ الظن به، او خيانته لصاحب العمل لذا فانه يدافع عن نفسه، وينفي عن نفسه تهمة الخيانة، ويؤكد وفاءه واخلاصه لسيده، ويبين له صبره وقناعته باكله خبز الشعير:

كعت من خبز شعير

اكله حــرق كــبـــدي

طال مكثي ومـقـامي

بين فـــلاح وكـــردي

ويعلن ان صبره وتحمله في عمله المناط به، واحتماله الضيم والشقاء يعود إلى انه الوحيد الذي لا معيل له، وهو الفقير الذي يحتاج إلى رغيف خبز يسد جوعه وقميص يستر جلده:

فلمـا احـتـمل الضـيـ

م لأهـلـي أم لـولـدي

عـــيلتي بطني واني

جـملة التكميل وحـدي

برغـــيف وقـــمـــيص

مـــتـــعش مـــتـــردي

فـــبـــذا اشـــبع بطني

وبدا اســـتـــر جلدي

وفي ختام القصيدة يعاتب الظروف القاسية التي جعلته في هذه الحال فهو يعاني الحر صيفاً والبرد شتاء، وهو موت في الحالتين، لذا فهو لا يحتاج إلى من يحفر له اللحد:

هكذا طول زمـــــاني

حـــالتي حـــر وبرد

واذا مت فـــمـــا يعـ

وز من يحـفـر لحـدي

وهنا يجسد الشاعر مشكلته ومشكلة مئات العمال مع ارباب العمل في مدينة اربيل ويبدو

من النظر في هذه النصوص القليلة ان شعراء اربيل، تمسكوا بالصبر والقناعة.
حينما كانت تداهمهم نوازل الزمان، ومصائب الدهر للتخفيف من اثرها المؤلم في نفوسهم.

الهوامش:

(١) دائرة المعارف الاسلامية، مادة اربيل، العراق قديماً، حديثاً / ٢٣٦.

(٢) ينظر: كتاب اربيل في العهد الاتابكي، والحياة العلمية في أربيل (رسالة ماجستير).

(٣) هو زين الدين علي المعروف بكجك، ملك اربيل وبلاداً كثيرة وعمر طويلاً، توفي باربيل سنة ٥٦٢هـ، وكان موصوفاً بالقوة المفرطة والشهامة (وفيات الأعيان) /٤: ١١٤.

(٤) هو مظفر الدين بن زين الدين علي كجك، المعروف بالكوكبري، وهو اسم اعجمي معناه (الذئب الازرق)، ولد بقلعة الموصل سنة ٥٤٩هـ وتوفي باربيل سنة ٦٣٠هـ (وفيات الاعيان) ٤/ ١٢٠.

(٥) ينظر: مظفر الدين أمير اربل /٣٠.

(٦) وفيات الاعيان ٤/١١٩.

(٧) تاريخ اربل /١٨٨، ٤٥٩.

(٨) حققة السيد سامي الصقار، وقد وصل إلينا الجزء الثاني منه بأسم تأريخ اربل.

(٩) وفيات الاعيان ٤/ ١١٩.

(١٠) وفيات الاعيان ٤/ ١١٩.

(١١) وهو ابو بركات المبارك بن أبي احمد المعروف بابن المستوفي الاربلي، كان رئيساً جليل القدر ماهراً في فنون الادب توفي سنة ٦٣٧هـ (وفيات الاعيان ٤/ ١٤٧).

(١٢) فن الديح /١٩٩.

(١٣) الشعر العربي في اربيل في العهد الاتابكب (رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة صلاح الدين ١٩٩٢).

(١٤) ينظر المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع الهجري/ ٨.

(١٥) الأدب في عصر صلاح الدين للايوبي /٤٤- ٤٥.

(١٦) ينظر الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري / ١٦٤.

(١٧) تنظر ترجمة في (ذيل مرآة الزمان ٣/٣٨٦، الوافي بالوفيات ٢/ ٣٨٦).

(١٨) فوات الوفيات ٢/ ٣٥٤.

(١٩) ديوان ابن الظهير الاربلي /٥١.

(٢٠) التذكرة الفخرية / ٩٩.

(٢١) ديوان ابن الظهير الاربلي/ ٥٨.

(٢٢)

(٢٣) المصدر نفسه ١٠٩/٧أ.

(٢٤) تنظر ترجمته في (وفيات الاعيان ٣/ ٣٩٤، والوافي بالوفيات ٩/ ٣٥).
(٢٥) تنظر ترجمته (في الوافي بالوفيات ٧/ ٢٩٦، وقلائد الجمان ١/ ٢٦٧ب).
(٢٦) ديوان النشابي / ٢١١.
(٢٧) تنظر ترجمته في (وفيات الاعيان ٣/ ٥٠١، ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٥٠).
(٢٨) ديوان الحاجري/ ١٨٨.
(٢٩) المصدر نفسه/ ١٨٧.
(٣٠) تنظر ترجمته في ذيل الروضتين / ١٢.
(٣١) تاريخ اربل/ ٣٧٨.
(٣٢) تنظر ترجمته في (وفيات الاعيان ٤/ ١٤١).
(٣٣) قلائد الجمان ٧/ ١٤٠ لم نجد هذه الابيات في ديوانه المطبوع.
(٣٤) قلائد الجمان ٥/ ٣٠٧.
(٣٥) ينظر التذكرة الفخرية / ١٦١ - ١٦٢.
(٣٦) ظاهرة التكسب في الشعر العربي /٩٨.
(٣٧) ينظر الادب في عصر صلاح الدين الايوبي/ ٢٦٧.
(٣٨) ديوان النشابي/ ١٣٥.
(٣٩) ديوان النشابي/ ١٩٣.
(٤٠) تنظر ترجمته في (البداية والنهاية ١٣/ ١٦٥، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٥٠).
(٤١) ديوان النشابي/ ٢٧٣.
(٤٢) ينظر الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي / ٣٦٧.
(٤٣) تنظر ترجمة في (نكت الهميات في نكت العميان / ١٢٢).
(٤٤) معجم البلدان ١/ ١٣٩.
(٤٥) ضياء الدين ابن الاثير وجهوده في النقد / ٢٤٨.
(٤٦) الهجاء /١٠.
(٤٧)
(٤٨) فصول في الشعر ونقده / ٢٠.
(٤٩) الشعر وطوابعة الشعبية على مر العصور/ ١٣٩.
(٥٠) قلائد الجمان ١/ ٢٦٠ب.
(٥١) لم نعثر على ترجمة له في المصادر المتوافرة.
(٥٢) ديوان النشابي/ ٣٠٦.
(٥٣) ديوان النشابي / ٣٢٨.
(٥٤) المصدر نفسه / ٣٠٢.

(٥٥) تنظر ترجمته في مرآة الزمان ١/ ١١٢.

(٥٦): (من المتقارب)

(٥٧) ديوان النشابي / ٣٢٩.

(٥٨) المصدر نفسه / ٣٢٩.

(٥٩) ديوان النشابي /٣٤٤.

(٦٠) ينظر الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد / ١٢٦.

(٦١) ديوان النشابي / ٣٠٨.

(٦٢) تنظر ترجمته في (عيون الأنباء في طبقات الطباء/ ٦٧١).

(٦٣) ديوان النشابي / ٣,٦.

(٦٤) المداجي: المدارب الذي يساتر العداوة.

(٦٥) لم نعثر على ترجمة له في المصادر المتوافرة.

(٦٦) ديوان الحاجري / ٤٢٧.

(٦٧) ابو ماجد الشاوي: لم يعثر محقق الديوان على ترجمة له وذكر بانه يظن رجل كان يتعاطى كتابة الادعية والشعوذة في لربيل، واشتهر بها وبعد وفاته، اصبح علماً ينعت بهِ كل من يمتهن هذه المهنة التي هي كتابة الادعية والشعوذة (ديوان الحاجري / ٢٤٧).

(٦٨) موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي /١٣.

(٦٩) ديوان ابن الظهير / ٢٢.

(٧٠) ديوان الحاجري / ٣٣٣.

(٧١) ديوان انشابي /٣٤٠

(٧٢) المجتمع العراقي في القرن الرابع الهجري / ٦٩.

(٧٣) ديوان الحاجري / ٤٢١.

(٧٤) مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني / ١٣٧.

(٧٥) الغصون اليانعة/ ٧٩.

(٧٦) الغصون اليانعة / ٧٩.

(٧٧) معجم الادباء ١/ ٣٣٨.

(٧٨) آل بكتيكن – مظفر الدين كوكبري (مجلة) . ٢٢٩.

(٧٩) إتجاهات الاهجاء في القرن الثالث الهجري/ ٨٥.

(٨٠) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٠٥.

(٨١) معجم البلدان ١/ ١٣٩.

(٨٢) روشنبيري نوى (مجلة) / ٣٤ وبعدها.

(٨٣) الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي / ١٢٤.

(٨٤) الشكوى في الشعر القرن الرابع الهجري (رسالة ماجستير) / ٧.
(٨٥) الشعر في البصرة خلال القرن الرابع الهجري/ ٢٥.
(٨٦) العصر العباسي الثاني/ ٢٤١.
(٨٧) رسالة الطيف / ٨٧.
(٨٨) تلبيس ابليس / ١٤٠.
(٨٩) ديوان ابن الظهير / ٤٨.
(٩٠) المجتمع العراقي في القرن الرابع الهجري / ٢٥٣.
(٩١) ذيل مراة الزمان ٤/ ٨١.
(٩٢) ينظر الادب في ظل بني بويه / ٣٤٣.
(٩٣)ديوان الحاجري/ ٣٦٨.
(٩٤) الاسلام والحضارة العربية ١/ ٣٢٧.
(٩٥) وفيات الاعيان ٣/٢٧٢.
(٩٦) الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية/ ١٧.
(٩٧) فوات الوفيات ٢/ ٥٩.
(٩٨) قلائد الجمان ٥/ ٢٤٠ب.
(٩٩) ديوان الحاجري/ ٢٣٠.
(١٠٠) الاندية الأدبية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري /١٤- ١٥.
(١٠١) ديوان ابن الظهير/ ٤٩.
(١٠٢) دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين / ٢٢٤.
(١٠٣) صورة الأرض / ١٩٦.
(١٠٤) سوة البقرة / ٢٥٦.
(١٠٥) ديوان الحاجري/ ٢٠٤.
(١٠٦) الصلاح: خادم المسجد
(١٠٧) وفيات الاعيان ٧/١٥.
(١٠٨) الوافي بالوفيات ٩/ ٣٧.
(١٠٩) قلائد الجمان ١٠- ٧٠ب.
(١١٠) مرآة الزمان ٦٩٢.
(١١١) وفيات الاعيان ٧/ ١٣، وينظر ايضاً قلائد الجمان ٣/ ١١٠ب.
(١١٢) لنقد الأدبي الحديث / ٣٣٦.
(١١٣) محاضرات الأدباء ٢/ ٣٣٦.
(١١٤) ديوان النشابي/ ٣٣٧.

(١١٥) ديوان الحاجري / ٢٥٣.
(١١٦) وفيات الاعيان ٣/ ٥٠٣.
(١١٧) اداب المستنصرية (مجلة) ١٠/ ٢٥٤.
(١١٨) ديوان الحاجري / ٢٥٣.
(١١٩) ديوان الحاجري / ٤٧٥.
(١٢٠) قلائد الجمان / ٥/ ٢٤٠ب، وفيات الاعيان ٣/ ٥٠٤.
(١٢١) ينظر وفيات الاعيان ٤/ ١٤٩.
(١٢٢) مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني/ ٢٨٨.
(١٢٣) الادب في العصر الوسيط/ ٩١.
(١٢٤) أدب الدول المتتابعة / ٥٧٣.
(١٢٥) ديوان النشابي / ٢٧٦.
(١٢٦) المصدر نفسه/ ٢٧٨.
(١٢٧) قلائد الجمان ٣/ ٣٧٠.
(١٢٨) ديوان النشابي /٢٨٨.
(١٢٩) تاريخ اربل /٢٣٢ وينظر ايضاً الشعر العربي في لربل /١١٤.
(١٣٠) قلائد الجمان ٣/ ٣٠٦، وينظر ايضاً الشعر العربي في اربل /١١٢.
(١٣١) الربعة: صندوق فيه اجزاء المصحف الشريف (تاج العروس ٥/ ٢٤٣ مادة (ربع).
(١٣٢) ديوان النشابي ٣٢٧.
(١٣٣) تنظر ترجمته في وفيات الاعيان ٥/ ١٠٢.
(١٣٤) قلائد المان ٩/ ١١٩٤.
(١٣٥) تنظر ترجمته في فوات الوفيات ٤/ ٨٢.
(١٣٦) تنظر ترجمته في الوافي بالوفيات ١/ ١٧٥.
(١٣٧) التذكر الفخرية / ٢٥٩.
(١٣٨)الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني / ٢٩٧.
(١٣٩) وفيات الاعيان ٣/ ٥٠٢.
(١٤٠) ديوان الحاجري/ ٤١٢.
(١٤١) وفيات الاعيان: ١/١١.
(١٤٢) التذكرة الفخرية/ ١٠٥، وينظر ايضاً الشعر العربي في اربيل /١٢٢.
(١٤٣) وفيات الاعيان ١/ ٦٠٨.
(١٤٤) الحوادث الجامعة/ ١٣٥.
(١٤٥) العمدة ١/ ٣٠١.

(١٤٦) ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٥٩، وينظر ايضاً الشعر العربي في اربيل/ ١٢١.

(١٤٧) تاريخ اربل/ ١٧٣.

(١٤٨) ونحن لم نتعرف على هذا المكان لكثرة المساجد في امارة اربيل.

(١٤٩) ديوان النشابي / ٣٢٦.

(١٥٠) ديونان الحاجري/ ١٥٣.

(١٥١) التذكر الفخرية/ ٥٩.

(١٥٢) قلائد الجمان ٣/٦٤.

(١٥٣) ديوان ابن الظهير/ ٢٣.

(١٥٤) قلائد الجمان ٧/ ٣٣ب.

(١٥٥) التيار الاسلامي في شعر العصر العباسي الاول / ٤٤٧.

(١٥٦) البداية والنهاية ١٣/ ٢٨٣.

(١٥٧) ديوان ابن الظهير ٢٠- ٢٨.

(١٥٨) ديوان الحاجري / ٢٣٩.

(١٥٩) قلائد الجمان ٣/ ١٠٤.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري، قحطان رشيد التميمي -دار المسيرة -بيروت (د. ت).

٢- ادب الدول المتتابعة، د. عمر موسى باشا، دار الفكر الحديث- القاهرة ١٩٦٣.

٣- الادب العربي في ظل بني بويه، محمود غناوي الزهيري- مط الامانة مصر ١٩٤٩.

٤- الادب في عصر صلاح الدين الايوبي. د. محمود زغلول سلام، مط المعارف مصر ١٩٤٨.

٥- الادب في العصر الوسيط، د. ناظم رشيد مط التعليم العالي – الموصل ١٩٨٩.

٦- اربيل في العهد الاتابكي. د. محسن محمد حسن، مط اسعد بغداد ١٩٧٦.

٧- الاسلام والحضارة العربية. محمد كرد علي، دار الكتب المصرية – القاهرة ١٩٣٤.

٨- الاعلام خير الدين الزركلي – بيروت ١٩٦٨.

٩- الاندية الادبية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري علي محمد هاشم، دار الافاق الجديدة بيروت ١٩٧٨.

١٠- البداية والنهاية، ابن كثير مط السعدة، القاهرة ١٩٣٢.

١١- تاج العروس في جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، المط الخيرية مصر ١٣٠٦هـ.

١٢- تاريخ الادب العربي (العصر العباسي الثاني)، د. شوقي ضيف، مط دار المعارف القاهرة ١٩٧٥.

١٣- تاريخ اربل شرف الدين ابي البركات ابن المستوفي تحقيق: سامي الصقار وزارة الثقافة، بغداد ١٩٨٥.

١٤- التذكرة الفخرية، بهاءالدين المنشيء الاربلي، تحـ: د. نوري حمودي القيسي. د. حاتم صالح الضامن، مط المجمع العلمي العراقي بغداد ١٩٨٤.

١٥- التكملة لوفيات النقلة – زكي الدين ابو محمد المنذري، تحقيق: بشار عواد معروف دار احياء الكتاب العربي – القاهرة ١٩٧٦.

١٦- تلبيس ابليس، ابو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) تمر: خيرالله علي، دار اوعي العربي، بيروت (د. ت).

١٧- التيار الاسلامي في شعر العصر العباسي الاول، د. مجاهد مصطفى بهجت، مؤسسة المطبوعات العربية- بيروت ١٩٨٢.

١٨- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة، المنسوب إلى عبد الرزاق بن الفوطي (ت ٧٢٣هـ) تحـ: د. مصطفى جواد، مط فرات: بغداد ١٣٥١هـ.

١٩- الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية، د. احمد بدوي، مط نهضة مصر القاهرة ١٩٥٤.

٢٠- الحياة العلمية في اربل في القرن السادس من منتصف القرن السابع للهجرة. اوميد ابراهيم – كلية الاداب- جامعة صلاح الدين ١٩٩٢ (رسالة ماجستير).

٢١- دائرة المعارف الاسلامية مط الاولى القاهرة ١٩٣٣.

٢٢- دراسات في الفاظ العامية الموصلية ومقارنتها. حازم بكري مطبعة اسعد بغداد ١٩٧٢.

٢٣- ديوان ابن الظهير الاربلي، محمد بن احمد بن عمر، تحـ: د. ناظم رشيد، مط دار الكتب الموصل ١٩٨٨.

٢٤- ديوان النشابي، مجدالدين اسعد بن ابراهيم الاربلي تحـ: عبداللّه محمود طه كلية الاداب - جامعة الموصل ١٩٨٥ (رسالة ماجستير).

٢٥- ذيل الروضتين عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي، نشر عزة اسماعيل ١٩٤٧.

٢٦- ذيل مرآت ازمان في تاريخ الاعيان سبط ابن الجوزي مط دائرة المعارف العثمانية امعتمد ١٩٥١.

٢٧- رسالة الطيف، بهاالدين الاربلي، تحـ: عبداللّه الجبوري دار الجمهورية بغداد ١٩٦٨.

٢٨- الشعر العربي في اربل في العهد الاتابكي. عثمان امين صالح - كلية الاداب جامعة صلاح الدين ١٩٩٣ ،رسالة ماجستير).

٢٩- الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد. عبدالكريم توفيق عبود، دار الحرية بغداد ١٩٧٦.

٣٠- الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي. د.علي جواد الطاهر مط المعارف بغداد ١٩٥٨.

٣١- الشعر في البصرة خلال القرن الرابع الهجري نهلة محمد حسن - دار الحكمة، البصرة ١٩٩١.

٣٢- الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري د. احمد عبدالستار الجواري دار المجشوف بيروت ١٩٥٦.

٣٣- الشعر وطوابعه الشعبية، د. شوقي ضيف. مط دار المعارف - القاهرة ١٩٧٧.

٣٤- الشكوى في شعر القرن الرابع الهجري. جواد رشيد مجيد. الجامعة المستنصرية كلية الاداب بغداد ١٩٨٨. (رسالة ماجستير).

٣٥- ضياء الدين ابن الاثير وجهوده في النقد، د. محمد زغلول سلام مط الرسالة القاهرة (د.ت).

٣٦- طبقات النجاة واللغويين. ابن قاضي شهبة تحـ: د. محسن غياض مط النعمان النجف ١٩٥٤.

٣٧- ظاهرة التكسب واثرها في الشعر العربي ونقده، د. درويش الجندي، دار نهضة مصر - القاهرة ١٩٧٠.

٣٨- العراق قديماً وحديثاً. عبدالرزاق الحسني. مط دار الكتب، بيروت ١٩٧١.

٣٩- العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده. ابو علي بن رشيق القيرواني. تحـ: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الجيل بيروت ١٩٧٢.

٤٠- عيون التواريخ. ابن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ). د. فيصل السامر. نبيلة عبدالمنعم داود. دار الرشيد بغداد ١٩٨٠.

٤١- الغصون اليانعة في محاسن شعراء المئة السابعة. ابن سعيد الاندلسي (ت ٦٨٥هـ) تحـ: ابراهيم الابياري- مط دار المعارف- القاهرة ١٩٦٧.

٤٢- فصول في الشعر ونقده. د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر القاهرة ١٩٧١.

٤٣- فن المديح وتطوره عند العرب. احمد ابو حاقة. منشورات الشرق الجديد بيروت ١٩٦٢.

٤٤- فن الهجاء وتطوره عند العرب، ايليا حاوي. مط دار الثقافة بيروت (د.ت).

٤٥- فوات الوفيات محمد شاكر الكتي. تحـ محمد محي الدين عبدالحميد. مط السعادة مصر ١٩٥١.

٤٦- قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان. كمال الدين ابي البركات المبارك بن الشعار الموصلي. مصورة كلية التربية- جامعة الموصل من مخطوطة اسعد افندي استانبول تحت رقم (٢٣٢٦).
٤٧- المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع الهجري، عبداللطيف عبدالرحمن الراوي مكتبة النهضة بغداد ١٩٧١.
٤٨- محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء. ابو القاسم حسين الراغب الاصهاني مكتبة الحياة بيروت (د. ت).
٤٩- مرآة الزمان في تاريخ الاعيان. سبط ابن الجوزي. مجلس دائرة المعار العثمانية المعند ١٩٥١.
٥٠- مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني. بكري شيخ امين - دار الافاق الجديدة. بيروت ١٩٨٠.
٥١- مظفر الدين امير اربل. عبدالقادر احمد طليمات. مط مصر القاهرة ١٩٦٣.
٥٢- معجم الادباء ياقوت الحموي. دار المستشؤق بيروت ١٩٥٥.
٥٣- معجم البلدان. ياقوت الحموي. مط دار صادر بيروت ١٩٥٥.
٥٤- موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي. د.محمد زكي العشماوي. دار النهضة العربية بيروت ١٩٨١.
٥٥- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. جمال الدين يوسف بن تفري بردي الانابكي دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٣٥.
٥٦- النقد الادبي الحديث. د. محمد غنيمي هلال دار نهضة مصر للطبع. مط نهضة مصر (د. ت).
٥٧- نكت الهميان في نكت العميان. خليل بن ايبك الصفدي. مط الجمالية. القاهرة ١٩١١.
٥٨- الهجاء والهجاؤون في صدر الاسلام. د. محمد حسين. مكتبة الاداب. الاسكندرية ١٩٤٨.
٦٠- هدية العارفين في اسماء المؤلفين واثار المصنفين اسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩هـ) مط المعارف - استانبول ١٩٥١.
٦١- الوافي بالوفيات صلاح الدين بن ايبك الصفدي. تحـ: س. ديدرفيع. مط الهاشمية. دمشق ١٩٥٥، الجزء الرابع، د. احسان مط دار صادر بيروت ١٩٦٩. الجزء السابع.
٦٢- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان شمس الدين احمد بن محمد ابي بكر بن خلكان. تحـ: د. احسان عباي، دار الثقافة بيروت ١٩٦٨.

المجلات والدوريات

١- ال بكتكين امارة اربل في عهدهم. عباس العزاوي، من مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق ٢١ - ٢٢، سنة ١٩٤٦، ١٩٤٧.
٢- حسام الدين الحاجري الاربلي- حياته وشعره- د. ناظم رشيد، مجلة اداب المستنصرية، مجلد ١٠ سنة ١٩٨٤.
٣ -الشعر في اربل في ظل الاسرة البكتكينية ٥٢٦ - ٦٣٠هـ، د. ناظم رشيد، مجلة اداب الرافدين، مجلد ٩ سنة ١٩٧٨.
٤- هەولێر لە دوو قەسیدەی نوشیروانی بەغدادیدا د. عبدالله الحداد، مجلة روشنبيري نوى عدد ١٠، مؤسسة الثقافة والنشر الكردية، بغداد ١٩٩٣.



الفصل الخامس

إربل في شعر الشعراء

المقدمة:

أصبحت إربل (أربيل) مركزاً للإمارة الهذبانية والأتابكية في القرن السادس رالنصف الأول من القرن السابع الهجريين، وقد شهدت طيلة هذه الحقبة الزمنية استقراراً ورخاءً، أديا إلى بروز طائفة من الأدباء، فيها وانتقلت إليها أعداد آخرى من الوافدين. إذ تمتع الجميع بالرعاية الكريمة من لدن أمراء اربل وأهلها، فانصرف الشعراء إلى أنفسهم يستمدّون الوحي من هذه المدينة للتعبير عن مشاهرهم الذاتية الخاصة، فكان شعرهم في إربل دليل على نمو هذه البلدة ورقيها، فقد بهرتهم سهولها ورياضها، فوصفوها بعيداً عن الأوصاف التقليدية في وصف الصحراء ورمالها كما أن الشعراء تناولوا المدينة بالمدح الذي هو من الموضوعات المتجددة بمعانيها وألفاظها، وفي الوقت نفسه برزوا في هجائها وذمّها لأسباب مختلفة، ومن جانب آخر سخروا أقلامهم في التعبير عن حنينهم وشوقهم إليها حين يرحلون عنها، ويرثونها أيام نكبتها بيد المغول. ولعل الباعث على اختيار هذه الدراسة، وهو الوقوف على النشاط الأدبي في هذه المدينة، وإبراز دور شعرائها في الاهتمام بمدينتهم وإعجابهم بها ومما تكمن فيه أهمية هذه الدراسة هو أن معظم الشعر الذي قيل في إربل كان من نظم شعراء كرُد إذ وظفوا أقلامهم في خدمة اللغة العربية حباً بها. بغية الكشف عن أغوارها والإطلاع على أسرارها.

والجدير بالذكر أن ابن سلام الجمحي (ت ٢٣٢هـ) هو أول من أشار في طبقاته إلي صلة الشعراء بالمدن، حينما صنّف الشعراء على أساس الأقاليم والبيئات، حيث وجد تمايزاً بين شعراء البادية وشعراء المدن من حيث أساليبهم الفنية وتوجهاتهم الشعرية[١] وجاء (بلاشير) من بعده ليفصل القول في هذا الموضوع حيث أشار إلى تأثير المدن في الشعر العربي، وصلة الشاعر الروحية بمدينته وبيئته[٢] ومن وحي هذه الأفكار والمقولات قامت هذه الدراسة.

أما المصادر التي انتقينا منها النصوص الشعرية، فقد كانت معظمها لأدباء أنجبتهم مدينة إربل من أمثال ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان وابن المستوفي صاحب تأريخ إربل فضلاً عن دواوين الشعراء ذات الصلة بالبحث، وكذلك اعتمدنا على مخطوطة (قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان) لابن الشعار الموصلي الذي عاش ردحاً من الزمن في إربل، وكلي أمل بأنني قد أديتُ لمدينتي أربيل جزءاً من الدّين التي تحملني إياه كوني أحد أبناء هذه المدينة العريقة.

والله الموفق والمعين

التمهيد:

دبّ الهزال في كيان الدولة العباسية، وانسلخت عنها أرضٍ، أسست عليها إمارات ومن هذه الإمارات أمارة إربل (أربيل) التي غدت بقلعتها الحصينة درعاً صيناً ومركزاً للعلم والأدب في حقبة حكم الهذبانيين والأتابكة الذي امتد من القرن السادس إلى منتصف القرن السابع الهجريين.

برزت إربل حين أصبحت مركزاً للإمارة الهذبانية الكردية التي استمر حكمها إلى ما بعد سنة (٥٢٠هـ)، وقد اهتم الهذبانيون بالناحية العمرانية، وكان جلّ اهتمامهم انصب على الجانب الحربي بسبب الظروف السياسية، وبسبب موقع الإمارة الجغرافي بين القوى المتصارعة[٣] ومع ذلك فقد كانت هنالك نشاطات علمية وأدبية نتيجة لوجود مؤسسات تخدم هذه الجوانب التي منها المساجد والمدارس[٤] وقد تمثلت هذه النشاطات في الأمير حسام الدين علي الهذباني الذي كان يعقد للأدب ولاسيما الشعر مجالس خاصة يفد إليها الشعراء ليُمجدوا الأمراء ويخلدوا ذكراهم وماثرهم[٥] واستمرّ هذا الرقي العلمي والأدبي في العهد الأتابكي أيضاً، حتى عُدّ عصرهم بالعصر الذهبي في إحياء الثقافة العربية الإسلامية إذ كان لدور أمرائه أبلغ الأثر في ازدهار حركة أدبية وعلمية فقد بذلوا جهوداً كبيرة لتحقيق آمال العلماء، حيث أقاموا لهم مؤسسات ثقافية، ورفدوهم بالأموال الأزمة، حتى غدت إربل مدينة علم وأدب[٦] وقد بلغت ذروة مجدها في عهد بعض أمراء أسرة الأتابكة، وبخاصة في عهد الأمير مجاهد الدين قايماز الرومي (ت٥٥٩هـ) الذي كانت الكتب تهدى إليه من قبل العلماء والأدباء[٧].

وفي عهد أميرها مظفر الدين كوكبري (ت ٦٣٠هـ) ازداد سكان إربل وتوسعت المدينة، وكثرت ثرواتها وخيراتها، وشهدت استقراراً وأمناً أديا إلى نشوّ حضارة رافقتها نشاطات ثقافية وعملية متعددة قال ابن خلدون: " إن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة"[٨]

كان الأمير كوكبري حاكماً نبيلاً، وضع لنفسه دستوراً في إعمار إمارته وسار على هداه، إذ قال: "لما أخذت إربل آليتُ على نفسي أن أقسم مغلها ثلاثة أقسام: قسم أنفقه في أبواب البرّ، وقسم للجند، وما يخصني، وقسم أدخره لعدو يقصدني"[٩] وكان صادقاً وأميناً في قوله: إذ أصبحت إربل مدينة منيعة وزاهية يتردد ذكراها على الألسن.

وقف الشعراء على أعمال هذا الأمير الجلية، وتلمسوا أعطياته ومكرماته، وهذا أبو المكارم محمد بن عابد الكرماني[١٠] (ت ٦١٦هـ) يخصه بقصيدة طويلة. يظهر فيها إحسانه على المعتفين ووقوفه إلى جانب المستضعفين[١١]: (من الكامل)

باب الملك مظفـــر الدين الذي

سـبق الملوك بجـوده الهطالِ

المحسن المطعـام والمقدام من

أضـحى بسـؤدده عـديم مـثـالِ

يجتازُ شأو المكرمات و وصفه

قـدفـات كلّ مـجـوّد قـوالِ

ويقولُ فيها أيضاً:

أعـجـزت أرباب المكارم والعلى

بفـضـائل جلّت عن الأمـثـالِ

وجمعت شمل الدين بعد تشتتِ

ونفـيت عنه شـغب كل ضـلالِ

وصرفت عن حوماته قصد العدى

بكتـائب الأجناد والأبطالِ

ورفـعت أمر الشرع أرفع منزلِ

ودفـعت أهل الطبع بالإبطالِ

ولعل من أعظم المجالس ارتياداً واستضافة للوافدين مجلس أبي البركات شرف الدين بن المستوفي الذي كان وزيرا لإمارة إربل، وقد شهد له الكثيرون بمنزلته العالية، وحسن استقباله للزائرين، قال ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) الذي زار إربل: "ودخلتها فلم أر فيها من ينسب إلى فضلٍ غير أبي البركان بن أحمد بن المستوفي، فإنه متحقق بالأدب، محب لأهله، مفضلٍ عليهم"[١٢] وكذلك نوه ابن الشعار الموصلي بمنزلته العلمية. فقال: "شمس إربل وبدرها، وعالمها البارع، وصدرها وفخر أمثالها، وجمال فضائلها... ربعه مقصد الوافدين، وخبأوه كعبة القاصدين فهو من إسداء المعروف وسعة الإنفاق، ما سارت به الأمثال في أقطار الآفاق"[١٣] وقال فيه ابن خلكان: "لم يصل إلى إربل أحد من الفضلاء إلاّ وبادر إلى زيارته"[١٤] بقيت إربل مأهولة بالسكان، لوقوعها في منطقة سهلية خصبة، وقد اشتهرت بالزراعة، وامتلكت ثروة حيوانية، وكانت محطة تجارية مهمة تلتقي فيها طرق القوافل، فقد ذُكر اسمها على ألسنة التجار والرحالين[١٥] ولا شك أن الغالبية العظمي من سكان إربل كانوا من الكرد فضلاً عن الأقليات الأخرى من النصارى الذين كانوا يعيشون في ظل العدل

الذي وفه لهم المجتمع الإسلامي[١٦] وبسبب موقع إربل الجغرافي فقد أصبحت في طليعة المدن التي قصدها المغول " وعملوا الأعمال الشنيعة التي لم يسمع بمثلها من غيرهم"[١٧] ومع ذلك فقد صمدت بوجه الغزو المغولي لسنوات طويلة بفضل متانة قلعتها وصمود أهل اربل من الكرد حتى دفع هذا الموقف البطولي بعض المؤرخين ليصفوا الكرد بالشجعان[١٨].

وصف إربل:

يُعد الوصف من أهم أساليب التعبير، ومن أكثر الفنون الشعرية تأثراً بمعالم البيئة، وأقدرها تمثلاً لها، وقد اتجه الوصف في هذا العصر إلى الاهتمام بالجوانب المادية من طبيعية وحضارية[١٩] وفي أربل وجدت دواعي الشعر الوصفي عند الشعراء سواء في ذلك الذي قيل والحياة فيها أنيسة، أو وصفها أيام المحن والكوارث.

زار الشاعر أبو الحسين الشروبي النساج الموصلي[٢٠] مدينةإربل ومكث فيها مدّة، مستأنساً بحياة ناعمة ووادعة، أدخلت السرور والحبور إلى قلبه، وقبل مغادرته لإربل أراد أن يجسد مشاعره تجاهها فأنشد يصف ربيع إربيل ورياضها ونسيمها، بقوله[٢١]: (من الكامل)

ربع ٌ كسته يد الغمام ربيعاً
ودعا فلباه النسيم مطيعاً
وسرت إليه من الجنوب جنائب
نشرن رايات الرياض جميعا
وتنفست سحراً رباه فعلّمت
نشر الربيع وغيره التصويعا
وهمت عليه من البحار سحائب
من كل جوهرة تسحُ دموعا
ورأى البنفسج ضوء برقٍ خاله
عضباً بأذيال السحابِ لموعا

ويرسم لنا الشاعر لوحة جذابة مؤطرة عن سهول إربل أيام الربيع، وقد نسجت أيادي المطر ألواناً زاهية معطرة بنسيم عليل يهب طائعاً لقدوم الربيع، وتنفث رباها أريجاً فواحاً على تلك الرياض ويأتي السحاب ليفرغ مياهه وكأن قطرتها دموع تغمر تلك الربي المكسوة بوردة البنفسج. ونجد الصورة نفسها في وصف ربيع إربل وجوها الممتع البديع عند ابن الظهير الإربلي[٢٢] في لوحة جميلة منتزعة من الطبيعة، يزهو الربيع بمباهجه وألوانه الرائعة المثيرة،

وهي صورة رسمتها يد شاعر ماهر بألفاظ سهلة واضحة وذات دلالات موحية في إيقاع موسيقي خفيف راقص قائلاً[٢٣]: (من مجزوء الكامل)

هذا الربيع وإنسه
عمر الفتى و زمانهُ
زمن يروقك حسنه
ويشوق نفسك شانهُ
قد زخرفت جناته
وتصندلت غدرانهُ
وألم بالدوح النسيـ
ـم أريجة أردانهُ
فتجاوبت أطياره
وتحركت أفنانهُ
والعود أصبح مزهراً
ورقُ الحمام قيانهُ
وشدا الحمام بدوحه
فتمايلت أغصانهُ

أثارت طبيعة إربل السهلية الخصبة أحاسيس الشعراء، وبخاصة في موسم الربيع، وهم يتمتعون بمناظرها، وينعمون بخيراتها، لذلك سخروا أقلامهم في وصفها بقصائد ومقطوعات رائعة، فالشاعر حسام الدين الإربلي[٢٤] في وصفه لربيع إربل، يذهب إلى تعداد أزهاره البديعة من نرجس وشقيق وياسمين وسوسن وبنفيج وآس، ويشبهها بأشياء محسوسة لطيفة تثير الإعجاب، مشيراً في شعره إلى الطير الصادح، والشجر المتناوح، والنسيم الهاب العليل، بقوله[٢٥]: (من المجتث)

من نرجس وأقاح
كأعين وثغورِ
ومن شقيق كحسناء
قد أقبلت في حريرِ
وياسمين كلون الـ
ـمتيّم المهجورِ

وســـــوسن كنجـــومٍ
أشـــرقن في ديجـــورِ
وطيب نشر النسيم الـ
بـنفــــــسج المطـورِ
والآس شـــبــــه عـــذارٍ
بخـــدّ ظبي غـــريرِ
والطـيــــــر بين هـديلٍ
مــــــــــرجّـعٍ وهـديـرِ
والغـصن مّيـالِ عطفٍ
كـشــارب مـــخـــمـــورِ
والورد أقــبل في جـيـ
ش حـــسنه المنصـــورِ
والمـاء أزرقٌ صـــــافٍ
مـــرقـــرقٍ بخـــريرِ

وقد امتلك الشاعر مقدرة فائقة على نقل الأشكال الموجودة كما تقع في الحس والشعور والخيال حين شبهّ صورة النرجس بوجه حسناء باسمة وصورة لون الياسمين بلون العاشق الولهان، وزهرة السوسن بنجوم تتلألأ في الليلة الظلماء، وهذه ملكة عالية تستمد قدرتها من سعة الشعور حيناً ومن لطافته حيناً أخر. دوّن ابن المستوفي في كتابه شعراً كثيراً في وصف إربل، فقد نقل من خط يد الشاعر أبو حفص بن شماس الخزرجي (ت ٦٠٠هـ)[٢٦] من جزازة يصف الشاعر النيلوفر[٢٧] بالبركة التي كانت في إحدى قنوات المياه الأثرية في إربل، وكانت من أروع بساتين إربل وأجملها، فراح الشاعر يصور ما رأته هينه،، مستوحيا عناصر الوصف من واقع بيئة المدينة، بقوله[٢٨]: (من الطويل)

ونيلوفـر مــثل النجـوم ببــركـةٍ
كلون السماء وهي من خصر عذبِ
يميل مع الشـمس المنيـرة مـثلمـا
تميل عيـون العـاشـقين مـع الحبِّ
فإن هي غابت نكس الرأس وحشة
لهـا وانكسـاراً فـعلة الدنف لصبِّ

وأحسبه خاف المشاهد فاتقى أذاه

بـأتـراس مـن الـورق الـرطـبِ

فالشاعر في هذا الوصف يتوقف عند صورة البركة ونشر الزهور في جنباتها وعذوبة مياهها، مشبهاً إياها بالسماء ونجومها المتلألئة، وتعلق زهورها وعشقها الأبدي بضياء الشمس، وميلها نحوها كما تميل أنظار العاشقين، وتهتز قلوبهم عند رؤية محبوباتهم، وحينما تحجب الشمس، تتراجع إلى نفسها منكسرة يائسة، لتحجب وجومها عن الأنظار وراء ظلال الأوراق الندية.

أما الأسترابادي[٢٩] الذي كان يتردد إلى إربل فإنه يصف أحد معالم المدينة الذي هو رباط الجنينة الذي كان ينزل فيه الشاعر، وقد بني في عهد مظفر الدين، وهنا في أحيائها تثير انتباهه فتيات كرديات حسان. يتمتعن بجمال خارق، يسرن الناظرين ويسحرن الألباب، فأنشد في وصف أحدهن قائلاً[٣٠]: (من الكامل)

بربـاط إربل عـــانت عـــيناي

ظبـــيـــاً بـه زاد طولُ بـلائي

مستعجم متصرف قد أضرمت

عيناه نار الشوق في أحشـائي

لولا الحـيـاءُ يصـدّني عن وصله

لهتكت عمداً فيه ستر حيائي

أهدى إلى جسدي نحولاً خصرهُ

حـتى خـفـيت به عن الرقـبـاءِ

ويبدو للباحث أن إربل قد توسعت في هذه الحقبة، وأنشئت فيها أماكن للتنزه والترفيه، تظللها الأشجار، وتغرد فيها الأطيار، يقصدها الإربليون لقضاء أجمل الأوقات، فتأثر بها الشعراء، وشرعوا في وصف معالمها، ومن هؤلاء حسام الدين الحاجري الإربلي الذي أولع بمكان بالشرقي من إربل، يقضي أوقات نهاره هناك، وقد أعجب به الشاعر وظل يردده مراراً في شعره وبخاصةٍ وصفه للخمرة وسقاتها، وفي مقطوعة له يذكر أحد منازل هذا الحيّ، ويصف الساقي الذي يجب أن يكون كريم المحيا، عذب الشمائل، ذا خدّ أسيل، وخصر نحيل، تخاله حين يميس الخيزرانة في اهتزازها وترنمها[٣١]: (من الطويل)

لأطيب من ذكـرى حـبـيب ومنزلٍ

بسـقط اللوى دار بشـرقي إربلِ

وصهباء كالمصباح في يد شادنٍ

رقيق حواشي الخدّ عذب المقبل

يطوف بها كالخيزرانة ساحر الـ

جفون متى يلحظ بعينيه يقتلِ

وقوله أيضا[٣٢]: (من السريع)

إذكرُ عهوداً كُنتَ عاهدتني

ونحن بالشـــرقيّ من إربلِ

والكأس يحكيها نسيم الصبا

تخجل نشر المسك والمندلِ

وما دمنا بصدد وصف إربل، فعلينا ذكر بعض دياراتها التي كان الشعراء يكثرون من ارتيادها، والمكوث فيها " حيث يجدون كل ما تهفوا إليه نفوسهم من خمورها الجيدة المعتقة، ويعقدون مجالس لهوهم ومجونهم في حرية تامة"[٣٣] هذا حسام الدين الإربلي قد أكثر من ذكره باقوقا[٣٤] حيث تغنى بلياليه، ووصف خمرته، وأجوائه اللاهية بقوله[٣٥]: (من المنسرح)

يا دير باقـــوقـــا بالرهابين

بفضل ما جاء في الشعانين

حـــيث كـــؤوس المدام دائرة

والبدر في الأفق شبه عرجون

والراح في كأسها مشعشعةً

كالشمس في بهجةٍ وتلوين

يديرها أهيف شـــمـــائله

بلا ارتيـــاب، أرقّ من ديني

مدح إربل:

وما أن حل العصر العباسي حتى اتسعت مدارك العقل الإنساني فراح الناس يجدون في انتقاء معاني المديح وأساليبه وصوره مما استجد في العصر من موضوعات جديدة ومن أبرزها مدح المدن، وبخاصةٍ بعد نشوء المدن الحضارية مثل بغداد والبصرة والكوفة إذ تعلق الشعراء بها، وشرعوا بنظم قصائد في مدحها قال هدارة: "ومن الاتجاهات الجديدة التي ذهب إليها شعر المديح في القرن الثاني مدح المدن والتعصب لها والإفاضة في تعداد

محاسنها ونواحي جمالها"[٣٦] وهذا ما ذهب إليه الدكتور عزالدين إسماعيل أيضاً حين قال: "هناك إطار أخر تحرك فيه المدح بعيداً عن الشخوص الآدميين، ونعني به ما كان من مدح المدن"[٣٧].

إن نمو المدينة وتوسعها في وقت واحد تداخلت فيها عوامل جذب إليها وعوامل تنفير منها، وهذه صفة طبيعية لكل مدينة، فالذي تجذبه يمدحها، والذي ينفر منها يهجوها ويذمها.

ومن هنا قدر لمدينة إربل أن يزورها الشاعر أبو عبد الله الواعظ الموصلي المعروف بأبن حداد[٣٨] (ت ٦٢٦هـ)، فبعد رؤية معالم المدينة، ومشاهدة حياة ابنائها، وسلوكهم الطيب يحييها، ويراها دار البركة ووطناً جمع بين طيب أرض وهواء، مادحاً روابيها ومن تربي عليها، داعياً لها بصفو العيش، والرخاء الدائم، قائلاً[٣٩]: (من البسيط)

حـــيـــيت إربل من دار ومن وطنِ

ولا تعـداك صـــوب العـــارض الهتنِ

وطاب منك نسيم الريح في السحو الـ

أعلى لأنك مـــأوي الإلف والسكنِ

وكيف لا أخلص الود الصحيح لمغـ

ناكِ الأنيس رعـــاكِ اللّه من وطنِ

أحب الشاعر الإربلي مدينته التي هي بمثابة وطنه الذي يرتزق من خيراته، ويتمتع بنعيمه، وهو مرتع شبابه، ومحل حبهّ الأول، يألفه الفتى ويذكره أبد الدهر، وهذا ابن منعة ن مالك الإربلي[٤٠] (ت ٥٨٩هـ)، يمدح مدينة إربل ويثني على جمال بيئتها، ويشير إلى زهو رباها البهية على الأقطار بأريج نسيمها الطيب الفواح، وقد شبه ابن المستوفي شعره في ألفاظه وغرابته بشعر الشاعر حيص بيص[٤١] يقول ابن منعة[٤٢]: (من الكامل)

يـا ربـع إربـل أنـت نـعـم الـدار

دم عـامـراً تنمي بك الأعـمـارُ

فلقـــد أنار بك الربيع فـــوفتْ

منـك الـربـوع بـزهـرهـا الأمـطـارُ

وكسا القطار رباك وشي ملابس

ضـاعت بأرجِ نسـيـمـهـا الأقطارُ

ومن الشعراء من مزج بين الحنين إلى إربل، وتوجيه المدح إليها، ولوم ساكنيها، وهذا ما يلحظ في رسالة شعرية، وجهها الشاعر أبو محمد الإربلي الهذباني[٤٣] بعد رحيله عن إربل

إلى الوزير ابن المستوفي وقد بلغه خبر اعتقاله وسجنه، ففي مطلع الرسالة يفصح الشاعر عن حبه واشتياقه لوطنه إربل، ويؤكد بأن مجرد ذكر اسمه يثير في نفسه أرجاً وشعوراً عميقاً بالعودة إليها(٤٤):(من الكامل)

أمــذكــري الأوطان إن لذكــرها

أرجـاً يشـوقُ إلى الديارِ نفـوُسـا

ثم يتوجه بالخطاب إلى إربل ليمدحها ويجدد لها عهد الوفاء إذ أنه لم ينقلب عنها، ولن يتحول عنها أبد الدهر، وقد تربي على روابيها، وتمتع بنعيمها:

أإربل الغــــراءُ تطلب أوبتي

هيهات فارقت الجسوم رؤوسا

كيف الرجوع إلى مفارق بلدةٍ

فارقت ماجدها بها محبوسا

ثم يوجه اللوم العنيف إلى ابناء إربل، ظناً منه بأنهم السبب في سجن الوزير، حيث إتّهمهم بالمروق عن الدين، وإنهم مجوس يعبدون النار، ويختم رسالته بتوجيه المديح إلى ابن المستوفي: (من الكامل)

كـبـرت عـزائم أهلها من بره

فـوشـوا بـه للظالمين رئيسـا

باعـوا بدنيـاً دينهم وتخـيروا

جهلاً على صدر الهدى قسيسا

لا تقرعني موحشات ربوعهم

واقر التحية ربعهُ المأنوسا

مـا قيل بيت النار دهيلز لها

إلا لكون الساكنين مجوسا

عندي أبا البركان كلُ عظيمةٍ

من حبسكم ما كلُ جرحٍ يوسي

فـتـودّ نفسي لو تكون مكانكم

و أظنها نفساً تروم نفيسا

وكثيراً ما يرافق مدح إربل وأهلها بمدح رؤسائها، وبالذات مدح الوزير ابن المستوفي، وهذا أبو منصور ابن أبي بكر النيسابوري(٤٥) (ت ٦٢٢هـ) يوجه ركبه نحو إربل قاصداً ابن

المستوفي الذي جعل من منزله منتدىً أدبياً ليس لشعراء إربل وحدهم، وإنما للوافدين إليها أيضاً، لذا خصه الشعراء بقصائد رائعة.

قال الشاعر النيسابوري[٤٦]: (من الطويل)

سلامٌ على المولى السديد المؤيد
سلام برياه الركائب تهتدي
إذا ضلّ ركب نحو إربل قاصدٌ
فمن طيب ما أهدى مع الركب يهتدي
يردهم قصد الطريق نسائمٌ
تضوع بريا الماجدِ القيلِ أحمدِ
كريم يجول البشرُ في قسماته
فأنواره كالبرق للشائم الصدي
ترى ربعه بالبرّ والخلقِ آهلاً
فمورده بالبرّ أعذب موردِ

وكذلك فعل الشاعر نوشروان البغدادي[٤٧] حين رمت به الأقدار إلى أرض إربل، ففي قصيدة له، سوف نأتي إلى ذكر تفاصيلها في مباحث آتية، يمدح ابن المستوفي الوزير، وربى إربل وسهولها[٤٨]: (من السريع)

مولاي مجد الدين، يا ماجداً
شرفه اللّه وقد خوّلا
عبدك نوشروان في شعره
مازال للطيبة مستعملا
لولاك ما زارتُ ربى إربل
أشعاره قط ولا عوّلا

ولا ضير في أن نأتي بمثال آخر في مدح إربل مرتبطاً بمدح وزيرها ابن المستوفي، وقد صدق ابن الشعار حينما شبه الوزير ابن المستوفي بشمس إربل وبدرها[٤٩] فبسبب حب بعض من الشعراء لهذا الوزير وتقديرهم له، أحبوا إربل، ووجهوا لها المدائح، وقد سلك الشاعر أبو محمد بن أبي الغريب التميمي الموصلي[٥٠] (ت ٦٣٢هـ) نهجاً تقليدياً في مدح ربوع إربل، فقد خلع على المدينة أوصافاً تقليدية، وأن هذا النهج القديم لم ينقطع فقد سار عليه شعراء العصر العباسي، ولم يقدروا على تجاوزه، يقول الشاعر[٥١]: (من الكامل)

وسقى معالمك الحيا وغدتْ بعرْ

صتكِ الرياحُ عليلة النفحاتِ

في ليلة جمع النعيم بها وما

أذنت كواكب أفقها بشتاتِ

فكأنها الجوزاء فيها قينة

باتت تساعدنا على اللذاتِ

والبدر في كبد السماء كأنه

في حُسنِ طلعتهِ أبو البركاتِ

ومن طريف شعر المديح في اربل، تبرك الشاعر عماد بن يونس بن منعة الإربلي[٥٢] (ت ٦٠٨هـ) بتراب مدينته إربل، وتفاؤله بها وقد ولد في بيت صغير في القلعة، وحين عودته إليها بعد غياب طويل زار ذلك البيت فأنشد قائلاً[٥٣]: (من الطويل)

بلادٌ بها نيطتْ علي تمائمي

وأول أرضٍ مسَّ جلدي ترابها

هجاء إربل:

تعرضت المدن في هذا العصر للهجاء من قبل الشعراء بدوافع مختلفة وقد عُدّ هجاء المدن من الأطر الجديدة التي تحرك فيها فن الهجاء في العصر العباسي، لأسباب تتعلق بالنقلة الحضارية[٥٤] وقد قال الشعراء في هجاء المدن والأقاليم قولاً كثيراً، حتى أصبح لهم باب معروف في هجاء المدن وسكانها[٥٥] وما من شك في أن الإنسان يضيق بالمكان حين يلقى من أهله الإهمال وسؤ العشرة، هذا وقد ذكرنا طائفة من الشعراء مدحوا إربل، وهنا يجد الباحث طائفة أخرى وقفوا موقفاً مناقضاً حينما هجوا إربل وأهلها وكان لكل واحد منهم دواعيه التي سنأتي على توضيحها.

ومن المدن التي هجيت بغداد[٥٦] وأصفهان وسنجار وواسط ودمشق، وتعد إربل من المدن التي لم تنج من الهجاء أيضاً وبخاصة بعد وفاة أميرها مظفر الدين إذ دب التفكك والانحلال في الإمارة، وأساء أصحاب إربل التصرف في شؤون الأدارة، وجاء رجال غرباء غير أكفاء، يحكمون المملكة نيابة عن الخليفة، ويدرك ذلك الشاعر طه بن إبراهيم الإربلي الهذباني[٥٧] (ت ٦٧٧هـ)، ليتأسف على بلدته التي خلت من رجل لبيب، يوسوس الناس بالعدل، ويدفع عنهم الشر والأذى، ويهجو بلدة إربل ويسميها بـ(بُليد سؤ)، تحقيراً لشأنها بعد ما كانت تزهو على الدنيا بحصانتها واستقرارها ورخائها، بقوله[٥٨]: (من الوافر)

لحـــاك اللّه من بلدٍ خـــبــيث

فلست تطيب إلاً للغـــــريبِ

أإربلُ لا سـقــاك اللّه غـيــثــاً

فـقــد أقـفـرتِ من رجلٍ لبـيبِ

أرى الغـــراء قــد ملئت لئــامــاً

وقـد ضـاقت على النصح الوهوبِ

فـمـا في مـالكيـهـا من مـعينٍ

على صــرف الزمــان ولا الخطوبِ

ولا في قـــاطنيـــهـــا أريحي

ولا في ســـاكنيــهـــا من طروبِ

ألا أخـــزى الإله بُليـــد ســـوءٍ

تحكمُ فــيـــه عُـبــادُ الصليبِ

وقد ينساق بعض من الشعراء إلى هجاء المدن، بدوافع شخصية، ومنهم الشاعر أبو أحمد الفزاري الإربلي[٥٩] (ت ٦٢٦هـ) الذي ضاق ذرعاً بإربل وجوها، متضجراً من إقامته فيها، وأغلب الظن أن الشاعر لم يجد ضالته التي قصدها في مدحه للمدينة، وقد لقي من سكانها الإهمال بدل الاهتمام والرعاية، وتزويده بالعطايا، لذا هجا إربل وأنذرهم بالرحيل[٦٠]: (من الطويل)

ومـا إربل لي دار سُكنى أقيـمـهـا

وإن عُـقـدتْ فـيـهـا علي التـمـائمُ

حللت بـها في مـعشرٍ هـان عندهم

مـديحي وعـزت دون ذاك الدراهمُ

فـيا ليت شـعري كيف أصنع منهم

وحَظي منهم حــالك اللون عــايمُ

ســـأرحل عنهم لا قلىً بل تعــرياً

ففي الهند ما للمندل الرطب سالمُ

وأقــصـــدُ ابواب الملوك فـــإنني

كـفـيل لنفـسي بالذي أنا عــازمُ

تعرضت الحياة العباسية السياسية والاجتماعية إلى تشويه كثير من قبل عدد من الشعراء، يهدفون من ورائه إلى إرضاء النزعة الشعوبية في أنفسهم، أو نتيجة للصراع المذهبي أو الإقليمي، أو العبث بالحقائق التأريخية(٦١) ومعروف عن بلدة إربل أنها كانت في عصمة رجل مشهور بنزاهته وتصوفه، وتشجيعه للأخلاق الحميدة، وكانت خصاله الخلقية مثلاً للإقتداء والحذو المتمثل بشخصية مظفر الدين كوكبري الرمز الاجتماعي للبلدة الذي لم ينج هو الآخر من التشويه، وهذا ياقوت الحموي الذي زار إربل مرتين، وقد اطلع على الأعمال الخيرية لهذا الأمير، فأجاز لنفسه أن يشبهه بتلك المرأة التي تتعاطى البغاء، وتصرف ما تجنيه من ذلك الفعل الشنيع على الأمور الخيرية، وهو تشبيه غير لائق بهذه الشخصية، إذ يجد الباحث في طياته طعن موجه إلي شخصية هذا الأمير، وتشويه متعمد للحقائق التأريخية، بقوله(٦٢): (من الطويل)

كساعيةٍ للخير من كسبِ فرجها

لك الويل لا تزني ولا تتصدقي

ومن هنا لم يعد هجاء المدن استجابة وجدانية آنية وفورة عاطفية فحسب، بل هو سعي حثيث إلى بلوغ المرام وتشويه مقصود لحياة مدينة هانئة في حماية رجل فارس غيور.

ومن الشعراء الذين اشتهروا بتشويه الحقائق التأريخية للمدن أبو محمد الكناني(٦٣) (ت ٦٢٤هـ) الذي كان شاعراً بذيء اللسان، هجاء مقبل على الهجاء، وقد هجا مدناً عدة التي منها العقر والموصل(٦٤) وإربل. أما بالنسبة إلى مدينة إربل، فقد أساء الشاعر الظن بها وهجاها مراراً، ودافعه في هذا الهجاء مجرد تشويه وتعصب، وإلاّ كيف يصفها ببيت النار الذي هو معبد للمجوس والكفرة، ويصفها أيضاً بدار الفسق والظلم، وهي تلك المدينة الفاضلة التي احتضنت عشرات المئات من العلماء والفقهاء والأدباء، بقوله(٦٥): (من السريع)

إربل دار الفسق حقاً فلا

يعتمد العاقل تعزيزها

لو لم تكن دار فسوق لما

أصبح بيت النار دهليزها

وقوله أيضاً: (من السريع)

إربل دار الظلم لا أخصبت

ولا أشاد اللّه بنيانها

لو لم تكن بلدة سوءٍ لما

أصبحَ بيت النار عنوانها

وكان بإمكان الشعراء عن طريق الإيحاء الخارجي المؤثر أن يوحوا بالكثير من الأخلاق الفاضلة، وأن يزرعوها بين أبناء المجتمع، لذا ينبغي على الدارس أن يبحث عن المؤثرات التي دفعت ببعضٍ من الشعراء والأدباء إلى هذا الاتجاه، سواء بتأثير خارجي، أو بدافع شخصي، وهذا ابن يحيى السراج الإربلي(٦٦) (ت ٦٣٠هـ) الذي كان محباً لأهل الأدب والفضل، وقد قضى ردحا من حياته بين أدباء إربل وعلمائها، يساهم مع الشعراء الآخرين في هجو إربل، وأغلب الظن أن الشاعر أحس بالغبن أو تعرض للظلم من قبل رؤساء إربل، بقوله(٦٧): (من السريع)

لا بارك الرحمن في بلدةٍ
يدُحضُ فيها الحق بالباطلِ
ولا أقام الله راياتها
ولا سقاها من حيا هاطلِ

وقد يفقد الشاعر الشعور بالأمان بسبب المعاملة السيئة من أهالي المدينة، لذا يضيق بها ذرعاً ويرتبط – أحياناً – بنفوره من الحياة الاجتماعية فيها، وفي هذه الحقبة زار نوشروان البغدادي مدينة إربل سنتي (٦١٣ هـ– ٦١٧هـ) وقد كانت المدينة آنذاك تعيش أيام عزّها في ظل صاحبها كوكبري، ففي قصيدة له مؤلفةٍ من (٢٠) بيت، يهجو فيها الشاعر الضرير بلدة إربل، بألفاظ لاذعة وتشبيهات غير لائقة بالمدينة وأهلها، وفي بداية القصيدة يلوم الشاعر حظه العاثر لأنه ساقه نحو إربل، تلك المدينة التي لم تشرح قلبه، بقوله(٦٨): (من السريع)

تباً لشيطاني وما سوّلا
لأنه أنزلني إربلا
نزلتها في يوم نحسٍ فما
شككت أني نازل كربلا
وقلت ما أخطا الذي مثلا
بإربلٍ إذ قال بيت الخلا
هذا وفي البازار قوم إذا
عاينتهم عاينت أهل البلا

ومن الشعر الطريف في هذا الباب، قول أحد المقيمين في إربل حين لم تعد المدينة قد اتسعت له عيشاً، فرحل عنها ثمّ هجاها فالشاعر أبو عبد الله الأنصاري(٦٩) (ت ٦٢١ هـ) مكث قليلاً في إربل، ثم أعلن عن مغادرته لها بعد أن تعرض إلى معاملة فظة من أحد

الإربليين المدعو (عيسى) وقد يكون هذا الإربلي سببا في رحيل الشاعر عن المدينة بقوله[٧٠]: (من الوافر)

عسا عيسى علي ومال عني

ومـاطلني بتـرك وهو يسني

ومالي بعد هذا اليوم مُكثٌ

بإربل، والسـلام عليك مني

ومن الشعراء من أراد هجو إربل، ولكنه تراجع في نهاية المطاف استحياء من الوزير ابن المستوفي، وتقديراً لمكانته الأدبية، وفضله على الشعراء، ومن هؤلاء أبو عبدالله الموصلي الذي يقول[٧١]: (من الخفيف)

قـال لي قـائل وقـد رمتُ أهجـو

إربلا، لا زلت هجـاءً سـخـيـفـا

كيف تهجو مصراً حوى شَرف الد

ين الوزير البـرّ التـقي العـفـيـفـا

قلت: أهجو غير الصديق عباداً

قال: ما أرتضيك تهجو الكنيفا

ليس هجاء المدن على أسلوب واحد، فمن الشعراء من اتخذ سبلاً أخرى في هجائها التي منها توجيه الذم والعتاب إلى ساكنيها، وقد وصل إلينا شعر كثير حمل ذماً وهجاء وعتاباً أكثر من الشعر الذي حمل هموم المجتمع وهذب الأخلاق، وأن دل هذا على شيء فأنما يدل على غلبة النزعة الفردية على أحاسيس الشعراء في هذه الحقبة.

عبرّ شعراء إربل عن هذه النزعة عن طريق توجيه الذم لساكنيها، ولعل السبب يعود إلى الاضطراب الحاصل في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمدينة بسبب غارات المغول المتعاقبة عليها، وآثارها العميقة في نفوس الإربليين، وقلقهم الدائم على حياتهم وممتلكاتهم، فالشاعر أبو عمرو الرصاصي الإربلي[٧٢] (ت ٦٣٢هـ) يفاجئنا بقصيدة طويلة في ذم رجال الدولة في إربل من أصحاب الديوان والتابعين لهم، وقد شاعت عنه، وانتشر ذكرها في الأوساط الأدبية، وبسببها هرب الشاعر خائفاً ومختفياً عن الأنظار، نقطف منها الأبيات الآتية[٧٣]: (من السريع)

يا رؤسـاء الناس من إربل

مـا أغـرب الحـرّ بناديكمُ

حـــر أم من جـــاءكم ســـائلاً

وا خـيـبـة المسـعى لراجيكمُ

ولو جُمعت حساب كل الورى

أعـيـــاهُمُ عــدّ مـــســاريكمُ

لا نيلكم يرجى ولا جـــاركم

يُحمى، ولا يخشى مـعـاديكمُ

منكم أنا لكن طبـــاعي أبتْ

أني على اللؤم أداجــــيكمُ

فـمـهـدوا عذري فـإنني أمـرؤٌ

مـا قلت إلاّ بعض مـا فـيكمُ

وبعد غـيـاب طويل عن المدينة، يشدّ الشـاعـر رحـاله بـالعودة إليـهـا، ويظل يعـمل في دار الضرب، ينقش الدنانير للأمير مظفر الدين، ولكن يبدو أن المسؤولين عن إربل لم ينسوا ما فعل بهم الشاعر حين انتقص من شأنهم ورماهـم بأقذع الألفـاظ إذ لم يعودوا قـادرين على احتمال وجوده بينهم، وهنا لم يطمئن الشاعر على حياته وأحسّ بأنّ إربل ليست الملاذ الآمن له، فخاف من مكائدهم، لذا أدرك بأن ليس للعاقل مقامٌ في هذه المدينة، والعيش مع هذا القوم مستحيل، فآثر الرحيل النهائي، بعد أن يسارع إلى قذفهم بألفاظ تحمل معاني الذم والتعاب الشديدين، بقوله[٧٤]: (من الوافر).

وبـاين ربع إربل وأنأ عنهـــا

فليس لعـاقلٍ فـيــهـا مـقـامُ

وكيف ترى الثواء بأرض قوم

بـهـــا الإبريز يملك والرغـــامُ

هلا فـأرحل قلوصك عن أناس

هـم عن كل مكرمـــــة ينامُ

إذا مـا قيل ضيفٌ جاء يلغى

كـأنّ غشـاء أوجـهـهم قتـامُ

إذا ذكر الفـخـار فـلا فـخـار

وإن عُــدّ الكرام فــلا كــرامُ

إن اختلال الموازين، واضطراب الحياة الاجتماعية بين فئة كبيرة في المجتمع في أخريات

الدولة العباسية، وسؤ أمور الناس والظلم الذي أصابهم من موظفي الجهاز الإداري، والثراء الفاحش على حساب الآخرين. كل ذلك أثار حفيظة الشعراء، فالشاعر أبو الربيع سليمان بن بنيمان الإربلي[٧٥] يعاتب أهل إربل من الذين لا يعاضدونه في محنته، ولا يؤازرونه في فقره وشحته، فأصبح في أرضهم يسحب ذيل الدل والهوان، فقرع سنّ الندم، لأن هزةَ الكرم أضحت عندهم كالعدم بقوله[٧٦]: (من الطويل)

خليلي كم أشكو إلى غير راحمِ
وأجعل عرضي عرضةً للموائم
وأحسب ذيل الذل بين بيوتكمْ
وأقرع في ناديكُم سِنْ نادمِ
هبونيَ ما استوجبت حقاً عليكم
أما تعتريكم هزة للمكارمِ
كأنّ المعالي ما حللنَ لديكم
وقد أصبحت معدودة في المحارم

ومن جميل العتاب ما قاله خطيب إربل وقاضيها جعفر بن هبة اللّه بن أحمد الإربلي[٧٧] (ت ٦٠٤ هـ)، وهو عتاب من عالم وفقيه إلى الإربليين كافةً، إذ ضمن عتابه جهل الإربليين بمكانته العلمية والأدبية، ويؤكد بأن الفخر بالآداب يفوق الفخر بأي شيء أخر، بقوله[٧٨]: (من البسيط).

يا إربليين لو أنصفتمُ أدبي
أحللتمونيَ حيثُ الأنجم الزهرُ
فبي فخارٌ لمن يبغي الفخار إذا
جاءت بنو الفضل بالآداب تفتخرُ

وهناك ذم سلك مسلك العتب والتأنيب للخطيب نفسه إذ أنه دخل يوما على أحد موظفي الإمارة، وكان قد درسه الأدب والنحو، فلم يهتم به ولم يسأله عن حاجته، فجلس الخطيب متألماً، وأنشد فيه ارتجالاً مشيراً إليه قائلاً[٧٩]: (من مخلع البسيط)

هذا مقامي لديك يا من
أقام دهراً وراء بابي
أقصى أمانيهِ قربُ إذنٍ
في دولة الحسن والشبابِ

إن كنتَ أنسيتَ ذاكَ فانظرْ

في فرد باب من الكتابِ

لا تغتـرر بالزمان يوماً

وفكر إذا سرت في الإيابِ

مخارق الجاه ليس تبقى

وموقف العزل كالحسابِ

فافعل على قدر ما تلقى

وقل لا بدّ من جـــــوابِ

ومن باب الذم والتأنيب أيضاً ما قاله بعض شعراء النصارى، ففي حقبة هذا البحث كانت إربل كثيرة البيع والأديرة، وكان النصارى ينتشرون بالقرى المحيطة بالمدينة، وكانوا يشكلون بجانب الكرد أكثر سكان إربل متآخيين متعاونين[٨٠] وقد نشأت في وسطهم حركة علمية وأدبية مسايرة للإزدهار الثقافي العام في المدينة، إذ أدَت هذه الحركة إلى بروز عدد من الأدباء من أمثال جيورجيس وردا الإربلي وخاميس القرداخي الإربلي اللذين إتجها إلى الإغتراف من الأدب السرياني حتى نبغا فيه، وعداّ من أشهر بذ.. شعرائه، ويبدو أن الإربليين تجاهلوا فضل هذين الأديبين ومنزلتهم العلمية، لذا نجد الشاعر خاميس القرداحي الإربلي يوجه عتاباً إلى الإربليين، بقوله[٨١]:

إن أهل إربل لا يدركون منزلتي العلمية

ألا إنني عظيم

وتشهد المدن كلها على ذلك

إذ انهم يجحدون بي

أنا لا يكرمني إلا قراء الكتب

لأنهم لايحبون إلاّ عشاقها

وهذا دليل على مكانتي العالية...

وقد امتاز شعر هذا الشاعر بالعذوبة والسهولة والحلاوة والجزالة، وشعره في الدين والنفس والتوبة، وفيه التقويات على شكل الشعر الصوفي، والهجاء في مواطنيه إربل، والأخوانيات، والخمريات، والغزليات، والرثاء[٨٢].

وهنا نعود إلى قصيدة نوشروان البغدادي، ففيها يخصص الشاعر أبياتاً لذم أهل إربل من

الكرد، ولا يستبعد أن ياقوت الحموي الذي نشر القصيدة كان مدفوعاً بدافع معين، وإلاّ فإنه كان يدرك أن مثل هذه الأشعار الهابطة لا تسترعي الإهتمام، حتى أن ابن خلكان وابن المستوفي المعاصرين للشاعر، وهما من أبناء المدينة النابهين، لم يذكرا شيئاً عن نوشروان البغدادي، بالرغم من أنهما كان يحرصان على إيراد التفاصيل المتعلقة بأعلام المدينة التي أنجبتهم، فضلاً عن الواردين والوافدين إليها من الأماثل[٨٣] قال الشاعر في ذم أهل إربل[٨٤]: (من السريع)

والكرد لا تسمع إلاّ جيا
أو نجيا أو نتوى زنكلا
كلا، وبوبو علكو خشتري
خيلو ميلو موسكا منكلا
ممو ومقو ممكي ثم إن
قالوا: بوير كي تجي؟ قلت لا
وفتية تزعق في سوقهم
سرداً جليداً، صوتهم قد علا
وعصبة تزعق، والله تنفر
وشوترايم، هم سخام الطلا
ربع خلا من كل خير بكى
من كل عيب، وسقوط المللا
فلعنة الله على شاعر
يقصد ربعاً، ليس فيه كلا

فالشاعر الضرير تحدث عن أسواق المدينة التي لا تراها عيونه، تلك العيون التي هي على درجة عالية من الوعي واليقظة بل ذهب إلى ترديد الألفاظ والكلمات التي سمعها بأذنه وهي ليست على درجة واحدة من الوضوح والقرب، مشيراً إلى الألفاظ والكلمات التي سمعها، ومن ضمنها ألفاظاً من اللغة الكردية أدخلها في شعره على سبيل السخرية، وتعود كتابة هذا الشعر إلى أكثر من ثمانمائة سنة، وهنا تكمن أهميته لذلك قام أحد باحثي أربيل المعاصرين بتحليل هذه المفردات التي وردت فيه إلى أصولها، وهي من أقدم الألفاظ التي تعبر عن بعض جوانب الحياة الاجتماعية في المدينة[٨٥] يقول الدكتور عبد الله حدّاد: " يعد هذا النص من أقدم النصوص العربية التي تضمنت مفردات وألفاظ كردية، والشاعر لعله لم يدرك أنه مهما كانت نواياه قدم لنا خدمة كبيرة"[٨٦] وأغلب الظن أن الشاعر لم يذع صيته في إربل، وبسببه

لم يلق ترحيباً من الإربليين، وحينما نزل إلى أسواق المدينة لقي بعض المداعبة من الصبية باللغة الكردية التي لا يفهمها وهو ضرير، فتصورها استهزاء به، وإقلالاً من شأنه كنتيجة لظاهرة النقص الموجود فيه التي تجعله أن يحيط نفسه بالشك والريبة من الآخرين وفقدان الثقة بهم فضلاً عن وجود من كان وراء هجائه لإربل وذم أهلها، وكذلك لا يمكن أن نتغافل عن وجود عدد من الشعراء في هذه الحقبة، توجهوا في أشعارهم إلى الجوانب اللاهية والمسلية في الحياة، فعليه فإنَ الشاعر لم يقصد الإساءة إلى الكرد، ودليلنا على ذلك اعتذاره الشديد لأهل إربل ليزيل عنهم ما! ستكن في نفوسهم من بغضاء، وقد كان الشاعر موفقاً في شعره حين جمع بين مدحه لإربل، واعتذاره لأهلها، وهجائه لنفسه وأقاربه، فقليلٌ من الشعراء يعتذرون للعامة، لأن الاعتذار- في الغالب- يوجه إلى الملوك والوزراء، فاعتذاره وتأسفه على ما بدر منه، أديا إلى تبرئة نفسه، وفي الوقت ذاته قد أحطّ من سمعته، وسمعة أقاربه، بأسلوب تجاوز حدود الإبتذال، كعقاب وقصاص لنفسه، لأجل أن ينال رضا الإربليين، ويحصل على عفوهم(٨٧): (من السريع)

قد تاب شيطاني وقد قال لي
لا عدتُ أهجو بعدها إربلا
وأقصد إلى إربل واربعٍ به
ولا تقل ربعاً قليل الكلا
وقل أنا أخطأتُ في ذمها
وحُطّ في رأسك خُلعُ الدلا
وقل أبي القرد، وخالي وانا
كلب، إن الكلب قد خولا
وعمتي قادت على خالتي
وأمي (.......) رأس البلا
فربعنا ملآن من فسقنا
وقط من (   ) ما خلا
وكل من واجهنا وجهه
سخم منه بالسخام الطلا
فالآن عنكم قد هجا نفسه
بكل قول يخرس المقولا

هيج ذاك الهجو عن ربعكم

كُل أخـيـرٍ ينقض الأولا

ومن الشعر الطريف ما أنشده ارتجالاً الشاعر أبو بكر بن أبي الفتح الدمشقي(٨٨) في وصفه لبخل أمراء إربل، ونفي صفة الكرم عنهم، وقد رسم لنا صورة طريفة وتشبيه لطيف عن مدى ما وصل إليه البخل عندهم، بقوله(٨٩): (من الكامل)

أمـــراء إربل كلهم نسقٌ

مـا فـيـهم من عنده كـرُم

قصرت به عمّا يطول إلى

كسب الثناء بمثله الهممُ

وتكاد لو قطعت أناملهم

من شحها أن لا يسحَ دمُ

الحنين والغربة إلى إربل:

يأتي الحنين استجابة لإحساس داخلي مبعثه الشعور بالغربة بعدما طوحت صروف الدهر بالشعراء إلى الابتعاد عن الوطن، والغربة تعني النزوح عن الوطن أو النفي عن البلد(٩٠) ونحن هنا بصدد حنين وغربة الشاعر حينما يكون بعيداً عن وطنه وأرضه، أما شعوره بالاغتراب وهو في وطنه فهذا يستدعي بحثاً آخر، وقد صبغت الغربة الأدب العربي بلون ظلّ متميزاً بها، لأنها تثير في النفس شعوراً عميقاً بالحنين إلى الوطن، ويظل الغريب يعاني من تمزفٍ وذلّ لا تزالُ إلا بانتهائها لذلك قال أحد الشعراء(٩١): (من الطويل)

ألا ليت شعري والحوادث جمة

متى تجمع الأيام يوماً لنا الشملا

وكل غـريب سـوف يمسي بذلةٍ

إذا بان عن أوطانه وجـفـا الأهلا

وفي العصر العباسي استبدل الشعراء المقدمات الطللية بالحنين إلى المدن(٩٢) كما هو عند ابن الرومي حين مدح الخليفة المتوكل فقد استهل قصيدته بالحنين إلى بغداد(٩٣) وفي إربل كان لشعر الغربة والحنين إلى المدن نصيب، وكان للشعراء مساهمات فيه، فحين ودّع الوزير ابن المستوفي مدينة أربل متألماً متحسراً بعد خرابها بيد المغول، حاملاً كتبه ومتاعه صوب مدينة الموصل، ظلّ يردد مع نفسه قائلاً(٩٤): (من البسيط)

فارقتكم مكرهاً لا كارهاً ويدي

أعضّها ندماً إذ لم أمت كمدا

والله لو أن أيامي تطاوعني

على أختياري ما فارقتكم أبدا

إنه حنين صادق، ومشاعر حزينة تذوب إلى إربل، وهو هنا يمزج بين حنينه إلى إربل، وبين حنينه إلى أهله ومجالسه وليالي أنسه مع الشعراء والأدباء، فالشاعر أحس بألم شديد في أحرج لحظات عمره، وهي لحظات حاسمة يودع فيها الحياة التي نلمح فيها الحب الصادق للوطن، ويستقبل في الوقت نفسه ألم الغربة الرهيب.

ولعل من أصعب الأوقات وأقساها على الغريب، حين يقابل وجوهاً خارج وطنه، فلا يرى وجهاً واحداً يعرفه ليطمئن إليه ويسكن روعه، فالحاجري الإربلي حينما ارتحل إلى الموصل، متسائنساً بأجوائها، ومتنقلاً بين متنزهاتها، حنَّ إلى إربل وإلى أحبابه وخلانه، فكتب إلى رفيق صباه ضياء الدين عيسى، وهو أخو ابن خلكان، رسالة ضمنها هذين البيتين[٩٥]: (من البسيط)

الله يعلم ما أبقى سوى رمقٍ

منّي فراقك يا من قربه الأملُ

فابعث كتابك واستودعه تعزية

فربما متُ شوقاً قبل ما يصلُ

فنائي الدار والوطن تستثير في نفسه مشاعر الشوق والحنين التي تحدث في النفس شجواً عميقاً، ومشاعر حنين متأججة إلى الأهل والأصحاب، فكانت أبيات ابن خلكان تفيض بالعاطفة الآسرة، وهو يناجي أحبابه في إربل، قائلاً[٩٦]: (من الطويل)

تمثلتمُ لي والبلاد بعيدة

فخيل لي أن الفؤاد لكم مغنى

وناجاكمُ قلبي على البعد والنوى

فأوحشتمُ لفظاً وآنستمُ معنى

وتظل إربل بمغانيها وساحاتها ونسيمها، تلهب لواعج ابن خلكان، وتعمق في نفسه الإحساس الشديد بالغربة والحنين، وقد دفعت ظروف الحياة وتقلبات الدهر إلى نزوح المؤرخ الأديب ابن خلكان عن إربل بحثاً عن المجد والشهرة، أو بحثاً عن ظروف أفضل للعيش بعد

خراب المدينة بيد المغول ورغم البعد وطول المسافات يظل يذكر ديار الأحباب، ويناديها قائلاً[٩٧]: (من الخفيف)

يا ديار الأحباب لا زالت الأد
مع في ترب ساحتيك مُذالهْ
وتمشى النسيم وهو عليلٌ
في مغانيك ساحباً أذيالهْ
أين عيشٌ مضى لنا فيك ما غ أسـ
رع عنّا، ذهابه وزوالهْ

أما مجد الدين النشابي الإربلي[٩٨] فإنه يستخدم طريقة الشعراء القدامى في التعبير عن حنينه إلى إربل والصبا والمرابع ذاكراً أيام شبابه وعهد لهوه أصحابه بحرارة وصدق، أيام كانت المرابع أمينة محمية بالسيوف الباترة، وهي دار الأنس والإسعاد، فلا يملك إلا أن يدعو لها بالسقيا، وبالأمطار الغزيرة لتروي أربع إربل التي يكسوها الرياض[٩٩]: (من الرجز)

ملاعبٌ للهو روى تُربها
كل ملثٍ واكفٌ مزمجرِ
عهدت بها وهي مراح فتية
غر، وميدان جياد ضمرِ
سقى رُبي إربل كلّ عارضٍ
مجلجل واهي العُرى متضجرِ
يحوك من وشي الرياض للثرى
فجاجة كل رداء أخضرِ

وحينما يغادر ابن الظهير الإربلي مدينته إربل للتجارة، مبتعداً عن أحبابه وأصدقائه، وإذا هو يتحرق شوقاً وحنيناً إلى رؤيتهم، فينشد شعراً يمتاز بعاطفة صادقة وبخاصة أثناء تأمله لمنظر غروب الشمس الذي أثار أشجانه، وزاد في غربته، وأحس بأن ألم الفراق، يعصر قلبه المشتاق، بقوله[١٠٠]: (من الطويل)

إذا حان من شمس النهار غروب
تذكرَ مشتاق وحن غريبُ
أأحبابنا، والدار منكم قريبة
هل الوصل يوماً إن دعوت مجيبُ

وهل عندكم حـفظ لعـهـد مـتـيمّ
حليـفـاه منكم، لوعـة ونحـيبُ
يحن إليكم، والخطوبُ تنوشـه
ويشـتـاقكم، والنائبـات تنوبُ

وبالنظر لكثرة الوافدين إلى إربل من الأدباء والعلماء فقد يلحظ الباحث وجود هذا اللون من الشعـر عندهم، ولكن ليس في الحنين إلى إربل بل الشعـور بالحنين إلى بلدانهم، وقـد كتب الشاعر أسامة بن منقذ بطل الحروب الصليبية (ت ٥٨٤هـ) في إربل إلى أخيه الساكن بمدينة شيرز بالشام في صدر كتاب[١٠١]: (من الطويل)

وإن امـرءاً أضـحى بإربل داره
وفي شيـرز أحـبابُه وشـجونهُ
لغـيـرُ ملوم في الحنين إليـهمُ
ومـعـذورة أن تستـهلَّ دمـوعـه

وكذلك اشتاق الشاعر أبو المعالي بن علي الحظيري إلى بلدته حظيرة ورؤية أحبابه فيما، وقد كان مقيماً في إربل يعمل موظفاً لنائب إربل، فكتب إلى أهله في الحظيرة يناجيهم[١٠٢]: (من المتقارب)

ألا مَنْ لصبٍ قليل العـزاء
غـريبٍ يحنُ إلى المنزل
يُنادي بإربل أحـبـابهُ
وأنـى الحظيـرة من إربل

فتح إربل:

وهناك مناسبات أخرى، نظم فيها الشعراء قصائد سجلوا فيها أحداثاً مهمة التي منها الاستبشار، وتقديم التهاني بفتح المدن ومن هذه المناسبات مناسبة فتح مدينة إربل سنة ٦٣٠ هـ من قبل رجال الخليفة في بغداد، وقد أدى هذا الفتح إلى دخول إربل في حالة ركود سياسي وثقافي وإجتماعي بعد أن عاشت في حقبة حكم الإمارتين الكرديتين ازدهار اورقياً وبخاصة في عهد مظفر الدين كوكبري.

جاء عن فتح إربل بعد وفاة الأمير مظفر الدين كوكبري ما نصه: "كان أيوب بن كامل في آمد، وإسماعيل بن العادل في سنجار، فسار كلٌ منهما إلى إربل ليأخذها لنفسه، وجرى ما لا

يليق بين الاثنين، وكان سبقهما عسكر الخليفة، فتسلمها ورجعا وكان عصى بقلعتها خادمان ففتحت عنوة، وجرى بها ما لا يجوز من النهب والقتل والذل و الهوان(١٠٣) وكتب شرف الدين أبو الفضائل إقبال الشرابي قائد العسكر على جناح طائر إلى الخليفة بصورة الحال، فحصل الاستبشار في بغداد بذلك، وضربت الطبول وأفرج عن المعتقلين في السجون، وحضر الشعراء في الديوان، وأوردوا قصائد تتضمن الهناء بهذا الفتح والنصر، فممن أورد القاضي أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد المدائني قصيدة أولها(١٠٤): (من البسيط)

ما يثبت الملك بين الخوف والخطرِ
حتى يُقام و يسقى مِنْ دَمِ البشرِ
لكل شيء طريقٌ يستفاد بهِ
وليس للعربِ غير الصارم الذكرِ

ومنها:

ما فتح إربل عن بخت لذي دعة
ولا اتفاقاً كبعض النصر والظفرِ
لكنه كان قصد القادرين وأفـ
ـعال المطيعين عن قصدٍ وعن فكرِ
فليسمح الأشعريُّ اليوم لي فأنا
في فتح إربل لا ألوي على القدرِ

وأنشد أخوه عزالدين عبد الحميد الكاتب(١٠٥) قصيدة بهذه المناسبة، اتفق له فيها أن وزير الخليفة كان ترتيبه يوم سابع عشر شوّال سنة تسع وعشرين، وفتح إربل يوم سابع شوّال سنة ثلاثين فقال(١٠٦): (من الكامل)

يا يوم سابع شوّال الذي
رزق السعادة أولاً وأخيراً
هنئتَ فيه بفتح إربل مثلما
هنئت فيه وقد جلَستَ وزيراً

ومن الشعراء الآخرين الذين ساهموا بتقديم التهاني إلى الخليفة الشاعر عبد الله بن جميل الذي كان متقدم شعراء الديوان بقصيدة هذه بعض أبياتها(١٠٧): (من مجزو الكامل)

خطبت سيوفُك إربلا
فتمرّدت أغمادها

وغـــدا ينازعُ في القـــلا
ع لقـلـعــــــــةٍ دزدارهـا
فـفـتـحـتـهـا بسـوابقٍ
بيـد الفـضـاء مـثـارهـا
وبغلمـــةٍ مـثل الصـقـو
رِ من القنا أظفـــــارها
فـــأتتك تجلى كـالعـرو
س من الرؤوس نثـــارُها

رثاء إربل:

وهو يمثل تعلق الإنسان بالوطن وحبه له، وتعد المدينة من ركائز المواطن ومكوناته، وقد ظهر رثاء المدن مع ظهور المدن وتعرضها إلى الكوارث، وقد مرَ الرثاء عبر العصور الأدبية بمراحل تجديد سواءً بموضوعاته أو ألفاظه، وكان أحد الأطر الجديدة التي تحرك فيها فن الرثاء في العصر العباسي، وقد اختلف الباحثون في تحديد زمان هذا التجديد(١٠٨).

تعرضت إربل إلى نكبة كبيرة حينما ضرب المغول المدينة سنة ٦٣٤ هـ بعد فتحها من قبل رجال الخلافة في بغداد، وبعد أن بلغت كمالها وجمالها في عهد الامارتين الكورديتين الهذبانية والاتابكية.

فإذا هي فجاة تتحول إلى ركام ممزق، فأثار ذلك مشاعر الشعراء وحرك كوامنهم فراحو يبكونها. وهذا مجد الدين النشابي الإربلي الذي أثارت نكبة إربل في نفسه مشاعر وأحاسيس شتى، فخاطب دمن إربل، وبكي عصرا طوى أمنيات شبابه المتنعم، وإن تلك الأربع لم تبق على حالها، فقد أقفرت، وعدت عليها عوادي الدهر، ودمرها الغزو، وأمست خالية من أصحابها(١٠٩): (من الطويل)

ديارٌ لهـا بالجـزع فـالمتـثلم
أخـــاطب منهـا دمنة لم تكلم
عنيت بهـا دهراً أجـرر دونهـا
ذيول شــبـــاب الناعم المتنعم
مـواطن كـانت قـبل وقـعـة إربل
تنافر فيها الغيدُ في كل مجثم

فأمست خلاءً أن أناخت بربعها

ركابٌ ففي مستويل متوخم

وقد ظهرت نكبة إربل في الشعر، حين توجه الشاعر النشابي الإربلي إلى الخليفة المستنصر بالله العاسي، يناشده أن يمثل هذه المدينة الكسيرة بعطفه ورحمته وكان يومئذٍ من أملاك الخلافة العباسية، فقد حصرها المغول ودخلوها فنهبوا وأحرقوا وأسروا وقتلوا من أهلها خلق لا يحصى، ثم رحلوا عنها بعد أن تركوها خرائب وحرائق وجثث لا تجد من يواريها التراب، فلا بد للشاعر إذن من الدعاء لها بالخصب(١١٠): (من الطويل)

سقى إربل الغراء صوب غمامةٍ

لعل ثراها بعدما جف يرتمي

وجادت عليها رحمة من خليفةٍ

مكارمهُ مأمولة للترحم

أبي جعفر بن محمد أل

إمام الفتى المعصوم من كل إثم

فيا أيها المولى الوزير تعطفاً

بإربل واكشف ضرها اليوم وارحم

فرأيك رأب الثلم في كل حادثٍ

وعزمك لم الشعب في كل مصدم

ثم يحث الخليفة على الجهاد، ويطالبه بأن يشحذ عزيمته ويتمم ما بدأه من التأهب والاستعداد لقتال المغول، بقوله في القصيدة نفسها:

وهذا جهاد أنت كافل نصره

فقم فيه بالعزم المصمم واحكُم

لأنك ابتدأت التأهب للعدى

ولم يبقَ عذر للجهاد فتمم

نظرة في الخصائص الفنية

الصورة الفنية:

لايخلو شعر إربل من الصور الفنية، ولا سيما فيما لها العلاقة ببيئة إربل، وسهولها وأزهارها، وهناك تصوير دقيق لطبيعة إربل، وبخاصة أثناء فصل الربيع، دون الجوء إلى الصنعة التي أصبحت أحد ملامح الورة في القصيدة العباسية، فشعرُ أبي حفص بن شماس الخزرجي (ت ٦٠٠هـ) سجل دقيق لوصف الطبيعة في إربل بقوله(١١١): (من الطويل)

ونيلوفـرٍ مـثل النجـوم ببـركـةٍ
كلون السماء وهي من خصر عذبِ
يميل مع الشمس المنيرة مثلما
تميل عيون العاشقين مع الحبُ

إن تطور الحياة الاجتماعية في إربل، كان ذات تأثير كبير في حياة الشعراء والقوة المبدعة فيهم، وقد انعكس ذلك على الصورة النفسية، إذ مال شعراء إربل إلى استخدام التجسيم والتشخيص في صورهم التعبيرية(١١٢) فالوصف لم يعد مجرد تصوير عند الشاعر بل حاول بث الحياة في الأشياء التي يتناولها، ويعقد الصلة الوجدانية بين نفسه وبين الكائنات الموصوفة، وأن يسقط ما بداخله من أمل ويسعى حثيث لتذوق الحياة بمشاركة الطبيعة مع فيها من ألوان وظلال، وكان الشاعر موفقاً حين شبه وردة النرجس بالعين التي تحس وتلاحظ، وورد الياسمين بلون العاشق المهجور، وهكذا فقد استنطق هذه الكائنات الجميلة وكأن لها أرواحاً وأجساماً تشعر بالفرح والحزن، ويصيبها المرض النفسي، وقد عبرّ حسام الدين الحاجري الإربلي بهذه الصور عند وصفه وتعداده للزهور التي تكسو ربى إربل(١١٣): (من المجتث)

من نرجس و أقاح
كأعينٍ وثغورِ
ومن شقيقٍ كحسناءٍ
قد أقبلت في حريرِ
وياسمين كلون الـ
متيم المهجور

والغُصنُ ميال عِطفٍ

كشارب مخمورِ

ومن الصور التعبيرية الأخرى في هذا المجال وصف ابن ظهير الإربلي للرياض، حيث خرير المياه المنسابة بين الورود، ورياض تكسوها الزهور بألوانها المتعددة المختلفة، وقد انبعث من مياهها وجداولها نور الشمس على صفحة المياه الجارية وفي حركة موجها إشراقة لشمس جديدة وسط ظلال الأشجار الباسقة وأوراقها المتدلية وهي تزهو بحسنها ودلالها، ثم يردفها الشاعر بصورة جميلة أخرى ألا وهي صورة وردة النرجس وكأنها فتاة تذرف الدموع السخينة على مغادرة صويحباتها الرياض وتبقى وحيدة تخاف الوحدة والوحشة والغربة، بقوله[١١٤]: (من الطويل)

رياضٌ كوَشي البُردِ تزهو بحسنها

جداولها والنور بالماء يشرقُ

فمن نرجسٍ يخشى فراق فريقه

ترى الدمع في أجفاه يترقرقُ

زين شعراء إربل صورهم الفنية معتمدين على صور بلاغية وغيرها، ومن ضروب التصوير إبداع مجد الدين النشابي الأربلي في وصفه لطبيعة إربل، بإيراده تشبيهات متنوعة من مباهج الطبيعة الخلابة، فهو يشبه البرق الساطع بين السحاب السائر، بالفؤاد الخافق، حين قال[١١٥]: (من الكامل)

والبرق يخفقُ مِنْ خلالِ سحَابةٍ

خفق الفؤادِ لموعدِ منْ زائرِ

وتشبيه وميض البرق بالسلاسل الذهبية والسيوف البراقة القاطعة بقوله[١١٦]: (من الطويل)

كأن ائتلاف البرقِ في جنباتها

سلاسلُ تبر أو سيوفُ قواضبِ

ومن الصور الفنية الأخرى صورة رسمها جعفر بن محمد بن محمود الإربلي في أهل إربل يدعوهم إلى المروءة والبسالة فهو يريد فيمن ينال الشهرة أن يقطع الفيافي والقفار ويتحمل من أجلها الصعاب، فالسيف لا جدوى فيه إذا بقي كامناً في غمده لا يرى النور أبداً[١١٧]: (من الكامل)

وَجبِ الفيافي واشهر تنل المنى

لا يقطعُ الهندي حتى يشهراً

وللشاعر نفسه صورة أخرى إذ يرى الشاعر أن المرء الصالح إذابرز في الحياة وارتقى كرسي الرفعة لا تضيره نظرات الحساد وطعنات الذين في قلوبهم لؤم وزيغ وفساد(١١٨): (من الكامل)

فالشمس إن شرفتْ وأشرق نورها

مـا ضـرها ألا يراها الأرمـدُ

أما الصورة التي أبدع فيها الشاعر موفق الدين محمد بن يوسف الإربلي في وصف أمير إربل حيث يلائم فيها الشاعر بين صورة الهلال الجميل ووجه أمير إربل، فالأول للظلام مزيل، والثاني للمظالم حائل، بقوله(١١٩): (من الطويل)

تقابلتُما فاستجمعَ الُسن كلُه

فمن نظرٍ يرنو ومن نظرٍ يُغضي

هلالانِ، هذا للظلامِ يُزيله

سناهُ وهذا للمظالمِ في الأرضِ

اللغة والأسلوب:

اللغة هي الأداة التي يُعبر بها الشاعر عمّا يجيش في صدره من انفعالات وعواطف، والأسلوب هو طريقة الشاعر في التعبير عن فنه الشعري.

اتجه بعض الشعراء إلى استخدام لغة فصيحة، بانتقاء اللفظة الجزلة منتهجين أسلوباً تقليدياً في الشعر(١٢٠): (من الوافر)

كما جاء على لسان الشاعر أبي عمرو الرصاصي الإربلي (ت ٦٣٢هـ)(١٢١): (من الوافر)

وكيفَ ترى الشواء بأرضِ قومٍ

بها الإبريزُ يملك والرغامُ

هلا فارحل قلوصَك عن أناسٍ

هم عن كلّ مكرمةٍ نيامُ

إذا نار القرى وقدت لقوم

لنار الكي عندهمُ ضرامُ

وكذلك مجد الدين النشابي الإربلي حيث سار على الاتجاه التقليدي في معظم أشعاره، وعلى خطى القدامي لغة وأسلوباً مسايرة لنهج اللغويين الذين يرفضون خروج الشاعر عن مألوف اللغة، بقوله(١٢٢): (من الطويل)

ولم أبكِ إلا الدار أقفر ربعـها

وألقت عليها رحلها أم قشعمِ

مـواطن كـانت قـبل وقـعة إربل

تنافر فيها الغيد من كلّ مجثمِ

فأمست خلاءً أن أناخت بربعها

ركـاب فـفي مسـتوبل مـتوخمِ

وظف الشاعر اللغة البدوية في رثاء إربل منها: (ربع، رحل، أم قشعم، تنافر، مجثم، أناخت، متوخم).

ويلحظ الباحث وجود إتجاه آخر، مال بلغة الشعر إلى لغة أهل المدن، فأصبحت أساليب الشعراء سهلة وواضحة، إذ أن لغة الشعر في كل عصر دلالة على حياته العقلية والاجتماعية[١٢٣] فكانت السهولة والبساطة إحدى سمات لغة الشعر في العصر الوسيط. يُعد حسام الدين الحاجري الإربلي من الشعراء الذين يمتلكون مقدرة فذة في التعبير عن مشاعره بأسلوب رشيق، ولغة سليمة بعيدة عن التكلف، وقد تحدث ابن حجة الحموي في خزانته عن هذه الطريقة[١٢٤] فأشار إلى أسلوب هذا الشاعر، وجعله من رواد مدرسة الرقة والسهولة، ومن شعره[١٢٥]: (من الكامل)

فـلأبعـثنّ مع النسـيم إليـهمُ

شكوى تميل لها غصون البانِ

يا برق إن جـزت الديار بإربل

وعـلا عليك من التـداني رونق

بلغ تحـيـة نازح حسـراته

أبداً بأذيال الصـبـا تتـعلقُ

ثمة أمر آخر يلحظ وجوده ألا وهو ميل عدد من الشعراء نحو الأسلوب الشعبي[١٢٦] ويتضح هذا الأسلوب في سهولة تراكيب الأبيات الشعرية، مما يجعله قريبة من اللغة اليومية المتداولة، كما جاء في شعر أبي عبد اللّه الأنصاري (ت ٦٢١هـ)[١٢٧]: (من الوافر)

عسى عيسى علي ومـال عني

ومـاطلني بتـركِ وهو يسني

ومـا لي بعـد هذا اليـوم مكث

بإربل والسـلام عليك مني

وكذلك لم يخل شعر الإربليين في هذا المجال من غلو ومبالغة، وهذا جعفر بن محمد الإربلي يسطر شوقه في كتب تملأ الفضاء الفسيح حينما يبث شوقه إلى أحد الإربليين بقول[١٢٨]: (من الوافر)

ولو أني كـتـبتُ بقـدرِ شـوقي

إليك لضـاق عن كُتبي الفـضـاء

ولم يبق لحسام الدين الحاجري الإربلي سوى رمق أخير بسبب فراقه عن إربل ويطلب من صديق له في إربل أن يسرع بالكتابة إليه ويرفق معها رسالة تعزية، لأن شوقه قد أخذ منه مأخذا وربما بسببه يفارق الحياة قبل وصول رسالة صاحبه[١٢٩]: (من البسيط)

الله يعلم مـا أبقى سـوى رمقٍ

مني فـراقك يا من قـرية الأملُ

فابعثْ كتابك واستودعه تعزية

فربما متُ شوقاً قبل مـا يصلُ

الأوزان والقوافي:

إن التزام الوزن شرط لايمكن للشاعر أن ينحيه جانباً، وقد أدلى الشعراء بدلوهم في معظم الأوزان العربية المعروفة بدرجات متفاوتة لتثبيت إيقاع الموسيقى الخارجية في نفوس المتلقين، ولا بدّ للشعر أن يتألف من أقوال موزونة.

ففي النصوص الشعرية المختارة التي قيلت في مدينة إربل والتي هي عبارة عن أبيات أو مقطوعات منتزعة من قصائد الشعراء، يجد الباحث أن مسألة اختيار الأزوان متصلة بتوجهات الشعراء أنفسهم، ولكن يبدو من خلال الملاحظة السريعة للنصوص المختارة في هذه الدراسة أن شعراء إربل استخدموا البحر الطويل (١٧) مرة، ومن الأمثلة على ذلك قول حسام الدين الحاجري الإربلي[١٣٠]:

لأطيب من ذكرى حبيب ومنزلٍ

بسقط اللوى دار بشرقي إربل

فعولن مفاعلن فعولن مفاعلن

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

أما البحر الكامل فقد استخدم (١٤) مرة كما جاء في قول عز الدين عبد الحميد الكاتب[١٣١]:

هنئت فيه بفتح إربل مثلما

هنئت فيه وقد جلستَ وزيرا

متفاعلن متفاعلن متفاعلن

متفاعلن متفاعلن متفاعل

وجاء استخدام البحور الأخرى بدرجات متفاوتة، فقد استخدموا السريع (٧) مرات والبسيط (٧) مرات، والوافر (٦) مرات والمجتث والخفيف مرتين والمنسرح والرجز والمتقارب مرة واحدة، ولم ينظم الشعراء في البحور الأخرى التي منها (المديد، والهزج، والرمل، والمضارع، والمقتضب، والمتدارك)، ففي بحر المتقارب يقول أبو المعالي بن علي الحظيري[١٣٢]:

ينادي بإربلَ أحـــبــابهُ

وأنى الحظيـــرةُ مِن إربل

فعولن فعولن فعولن فعو

فعولن فعولن فعولن فعو

ويُلحظ أن الشعراء في ذكر إربل مالوا إلى البحر الطويل والكامل في استخداماتهم للبحور العروضية المعروفة، وقد يعود السبب إلى الأغراض التي تطرق إليها الشعراء في مدينة أربل، وقديماً استخدم الشعراء مثل هذين الوزنين لمعظم الأغراض الشعرية التقليدية، ولذلك كثر وجودهما في شعر القدامي والمحدثين.

أما بصدد اهتمام شعراء إربل بالموسيقى الداخلية فقد قلّ ميلهم نحوها باستثناء التكرار الذي يعد عنصراً من عناصر الأسلوب وقد جاء تكرار لفظة إربل في.كثير من مقطوعات الشاعر أبي محمد الكناني[١٣٣]:

إربلُ دارُ الفسقِ حقاً فلا

يعتمدُ العاقلُ تعزيزها

وقوله أيضاً:

إربلُ دارُ الظلم لا أخصبتْ

ولا أشـــادَ اللّه بنيـانهـا

ومن تكرار الحرف قول أبي عمرو الرصاصي الإربلي[١٣٤]:

إذا نار القرى وقدت لقوم

لنارِ الكيّ عندهم ضـــرامُ

إذا ما قيل ضيفٌ جاء يلغى

كأنّ غشاء أوجههم قتامُ

إذا ذكر الفخار فلا فخار

وإن عُدّ الكرام فلا كرامُ

ومن تكرار الحرف أيضاً قول حسام الدين الحاجري الإربلي حيث كرر حرف الواو في وصفه لربيع إربل[١٣٥]:

ومن شقيقٍ كحسناء

قد أقبلتْ في حريرِ

ويلسمينٍ كلون الـ

متيم المهجورِ

والغُصنُ ميالُ عطفٍ

كشاربٍ مخمورِ

أما بالنسبة للقوافي فإن شعراء إربل استخدموا قوافي متنوعة.

الهوامش:

(١) طبقات فحول الشعراء ١/ ٢١٥.

(٢) تأريخ الأدب العربي (بلاشير) / ٣٤- ٣٥.

(٣) التأريخ الباهر /١٧٧.

(٤) الهذبانيون في آذربيجان وإربل والجزيرة (ماجستير)/ ١٢٥.

(٥) ذيل مرآة الزمان ١/ ٣٨٥ - ٣٨٤ الكامل في التأريخ ١٠/ ٦٣٨

(٦) إمارة آل بكتكين (بحث) ٢٢/ ١٣٩- ١٤٠.

(٧) وفيات الأعيان ٣/ ٢٤٧.

(٨) المقدمة/ ٤٣٤.

(٩) مرآة الزمان ٨/٦٨.

(١٠) هو أبو المكارم محمد بن عابد بن محمد الكرماني الصوفي. ورد إربل غير مرة، وله النظم والنشر والترسل، توفي ٦١٦هـ (تأريخ إربل ١/ ١٨٨).

(١١) المصدر نفسه ١/ ١٨٨.

(١٢) معجم البلدان ١/ ١٣٧.

(١٣) قلائد الجمان ٦/ ١٨- ١٩.

(١٤) وفيات الاعيان ٤/ ١٤٧.

(١٥) بلدان الخلافة الشرقية/ ١٢٠.

(١٦) معجم البلدان ١/ ١٣٨. وينظر أيضاً: آثار البلاد وأخبار العباد/ ٢٩٠.

(١٧) الكامل في التأريخ ١٣/ ٥٠١.

(١٨) جامع التواريخ ١/ ٢٩٨.

(١٩) ينظر اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري / ٤٥٤.

(٢٠) هو محمد بن علي الملقب أبو الحسين الشروبي، له أشعار في الوصف رائعة ولم يذكر المترجم تأريخ وفاته، (قلائد الجمان ٧/ ١١٣ب).

(٢١) المصدر نفسه ٧/١١٥ب.

(٢٢) هو محمد بن أحمد بن عمر، عرف بابن الظهير الإربلي، له ديوان شعر مطبوع توفي ٦٧٦هـ (ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٨٦، الوافي بالوفيات ٢/١٢٣)

(٢٣) ديوان ابن الظهير الإربلي/ ٧١.

(٢٤) هو عيسى بن سنجر بن بهرام الإربلي له ديوان شعر مطبوع قتل سنة ٦٣٢هـ بإربل، (وفيات الأعيان ٣/ ٥٠١، قلائد الجمان ٥/ ٥٤٠ب).

(٢٥) ديوان حسام الدين الحاجري الإربلي /٢٢٨ وما بعدها، وينظر: الشعر العربي في إربل في العهد الاتابكي (رسالة ماجستير) /٧٦.

(٢٦) هو علي بن شماس بن هبة الله، كتب في ديوان الإنشاء بإربل ثم استوزر، مات محبوساً سنة ٦٠٠هـ (تأريخ إربل ١/ ٦٣).

(٢٧) النيلوفر: ضرب من الرياض في الماء الراكد (معجم أسماء البنات. ٢٥٤)

(٢٨) تأريخ إربل ١/ ٦٣.

(٢٩) المصدر نفسه ١/ ٢٦٩

(٣٠) المصدر نفسه ١/ ٢٧٠.

(٣١) ديوان حسام الدين الحاجري / ٣١٣.

(٣٣) الحسين بن الضحاك (حياته وشعره)/ ٢٣٧.

(٣٢) المصدر نفسه / ٣١٧.

(٣٤) دير باقوقا: يقع بالقرب من الزاب الأعلى على مسيرة سبع ساعات من غرب إربل (ينظر ديوان الحاجري ص ٢١ هامش ٣).

(٣٥) ديوان حسام الدين الحاجري الإربلي /٢٤٩.

(٣٦) اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري/ ٣٧٥.

(٣٧) في الأدب العباسي (الرؤية والفن) ٦٦.

(٣٨) هو أبو غالب بن أبي عبد الله، أبو الخير النحوي، اشتغل بفن النحو والعربية مقتدراً على نظم الشعر، توفي ٦٧٠هـ (تأريخ إربل ١/ ٤٥٩، وقلائد الجمان ١/ ١٢٤ب).

(٣٩) تاريخ اربل ١/ ٤٥٩.

(٤٠) هو أبو القاسم جبريل بن محمد بن منعة بن مالك الإربلي له طبع سليم في الشعر، توفي ٥٨٩هـ بإربل (قلائد الجمان ٣/ ٦٠).

(٤١) المصدر نفسه ١/ ٧٤- ٧٧.

(٤٢) المصدر نفسه ١/ ٧٨.

(٤٣) هو أبو محمد الإربلي الكردي الهذباني، من رواد مجلس ابن المستوفي الوزير، لم يذكر المترجم تأريخ وفاته، (قلائد الجمان ٣/١٤١).

(٤٤) قلائد الجمان ٣/ ١٤٢.

(٤٥) المصدر نفسه ٣/ ٢٨، وينظر أيظاً: عيون التواريخ ٢١/ ٦٠.

(٤٦) قلائد الجمان ٣/ ٣٠.

(٤٧) هو أنوشروان الضرير المعروف بشيطان العراق، ورد إربل والغالب في شعره الخلاعة والمجون والهزل والفحش، لم يذكر المترجم تاريخ وفاته، (نكت الهميان في نكت العميان /١٢٢).

(٤٨) معجم البلدان / ١٣٩.

(٤٩) قلائد الجمان ٦/ ١٨- ١٩.

(٥٠) المصدر نفسه ٣/ ٢٧٧.

(٥١) المصدر نفسه ٣/ ٢٧٩.

(٥٢) هو أبو حامد محمد بن يونس بن منعة الملقب عماد الدين، صاحب المصنفات، توفي ٦٠٨ بالموصل (وفيات الأعيان ٤/ ٢٥٤).

(٥٣) تأريخ إربل ١/٧٨.

(٥٤) في الأدب العباسي (الرؤية والفن) / ٣٦٥.

(٥٥) الهجاء (سلسلة الفنون العربية) / ٨٧.

(٥٦) المنتظم ١٠/ ٩٤.

(٥٧) هو جمال الدين طه بن إبراهيم الهذباني الإربلي، مدح الخلفاء والأمراء، توفي ٦٧٥هـ بالقاهرة (ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٠٥، عيون التواريخ ٢١/ ٢٠٤ -٢٠٥).

(٥٨) عيون التواريخ ٢١/ ٢٠٥.

(٥٩) هو عبد العزيز بن عثمان بن منصور، كان يسرق الأشعار ويمدح بها، ولد سنة ٥٩٣ (قلائد الجمان ٣/ ٢٧٠).

(٦٠) المصدر نفسه ٣/ ٢٧٠.

(٦١) في الأدب العباسي (علي الزبيدي) /٤١.

(٦٢) معجم البلدان ١/ ٢٣٨.

(٦٣) قلائد الجمان ٣/ ٢٠٠.

(٦٤) المصدر نفسه ٣/ ٣٠٢.

(٦٥) المصدر نفسه ٣/ ٣٠٣.

(٦٦) المصدر نفسه ٤/٣أ.

(٦٧) المصدر نفسه ٤/٤أ.

(٦٨) معجم البلدان ١/ ١٣٩.

(٦٩) هو محمد عبداللّه بن عبد الرحمن الأنصاري، ورد إربل، (تأريخ إربل ١/ ٣٦٥، قلائد الجمان ٧/ ١٩٧ أ).

(٧٠) يسني: البعير يسنى عليه أي يستقي بواسطة الماء (لسان العرب).

(٧١) هو أبو عبداللّه محمد بن أبي المنى المنصور الواعظ الموصلي المعروف، توفي ٦٢٦ هـ (قلائد الجمان ٧/ ١٤٧ب).

(٧٢) هو ابن علي بن أحمد بن سالم نسبته إلى عمل الرصاص، كان ينقش الدنانير في دار الضرب لمظفر الدين، توفي ٦٣٢هـ (قلائد الجمان ٤/ ٣٨ب).

(٧٣) المصدر نفسه ٤/ ٣٥ب.

(٧٤) قلائد الجمان ٤/ ٣٢أ.

(٧٥) هو أبو الربيع سليمان بن بنيمان الإربلي، كان أديباً لطيفاً، نظم في مختلف الأغراض الشعرية، (فوات الوفيات ٢/٥٩)

(٧٦) فوات الوفيات ٢/ ٦٠.

(٧٧) هو جعفر بن محمد بن محمود عالم متقن لعلوم الفقه والأدب والنحو، توفي ٦٠٤ هـ (الجامع المختصر/ ٢٤٤).

(٧٨) قلائد الجمان ١/ ٨٨أ.

(٧٩) الغصون اليانعة /٧٩.

(٨٠) صورة الأرض / ١٦٩.

(٨١) الصلوات الطقسية الفرضية لمدار السنة للكلدان والنساطرة ١/ ٣٦٣ وينظر بحثنا (شاعران من سريان أربيل في القرن السابع الهجري) (بحث)/ ٣٤. ترجم الأبيات الشعرية من اللغة السريانية إلى اللغة العربية السيد مطران عنكاوه مشكوراً.

(٨٢) تأريخ الموصل ٢/ ١١١.

(٨٣) أربيل في قصيدتين لنوشروان البغدادي (بحث) /٣٤.

(٨٤) معجم البلدان ١/ ٤٠.

(٨٥) ينظر بحثنا (ظواهر اجتماعية عند شعراء أربيل) / ٧٦.

(٨٦) أربيل في قصيدتين لنوشروان البغدادي (بحث) /٤٠.

(٨٧) معجم البلدان١/ ٤٠.

(٨٨) تنظر ترجمته في قلائد الجمان ٧/ ١٨ ب، وينظر أيضاً: كنز الدرر ٧/ ٣٥٧.
(٨٩) قلائد الجمان ٧/ ١٩ب.
(٩٠) لسان العرب (مادة: غرب ٩)
(٩١) ينظر الوطن في الأدب العربي/ ٦٣.
(٩٢) شعر الفتوح الإسلامية /٢٥٧.
(٩٣) ديوان ابن الرومي ٢/ ٧٨٩.
(٩٤) التذكرة الفخرية /١٠٥.
(٩٥) وفيات الأعيان ٣/ ٥٠٢.
(٩٦) المصدر نفسه ١/ ١٠.
(٩٧) المصدر نفسه ١١/١.
(٩٨) هو أسعد بن إبراهيم بن الحسن بن علي النشابي الإربلي، ولقبه يعود إلى عمل النشاب وهو السهام، له ديوان شعر مطبوع (قلائد الجمان ١/٢٦أ، عيون التواريخ ٢/ ١٢٩ - ١٣٠).
(٩٩) ديوان مجد الدين النشابي الإربلي/ ٢٨٦.
(١٠٠) ديوان ابن ظهير الإربلي /١٩.
(١٠١) ديوان أسامة بن منقذ/ ١٥١.
(١٠٢) وفيات الأعيان ١/ ٤٣٦، وينظر أيضاً: سعد بن علي الحظيري (بحث)/ ص ١٦٩.
(١٠٣) مرآة الزمان ٨/ ٢/ ٤٥.
(١٠٤) تنظر ترجمته في الحوادث الجامعة/ ٤٧.
(١٠٥) الحوادث الجامعة /٤٨.
(١٠٦) البداية والنهاية ١٣/ ١٩٩.
(١٠٧) فوات الوفيات / ٢٨٩.
(١٠٨) اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري/ ٤٤٤ دراسات في الأدب العربي / ٣٦٦.
(١٠٩) ديوان مجد الدين النشابي الإربلي / ٢٥٩.
(١١٠) الرمى: سحابتان عظيمتا القطر، شديدتا الوقع (لسان العرب ١٤/ ٣٣١).
(١١١) تأريخ إربل ١/ ٦٣.
(١١٢) النقد الأدبي وأثره في الشعر العباسي/ ٢٣.
(١١٣) ديوان حسام الدين الحاجري الإربلي /٢٢٨.
(١١٤) ديوان ابن ظهير الإربلي/ ٥٢
(١١٥) ديوان مجدالدين النشابي الإربلي/ ٣١٦.
(١١٦) المصدر نفسه / ٣٠٢.
(١١٧) الغصون اليانعة ٨٠.

(١١٨) المصدر نفسه ٨٠.

(١١٩) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف الإربلي أصلاً ومنشأ البحراني مولداً، إمام في علم العربية توفي سنة ٥٨٥ (وفيات الأعيان ٥/١٠).

(١٢٠) تأريخ الشعر العربي /٧٥.

(١٢١) قلائد الجمان ٤/ ٣٢أ

(١٢٢) ديوان مجد الدين النشابي الإربلي / ٢٥٩.

(١٢٣) تأريخ النقد الأدبي عند العرب / ٣٠١.

(١٢٤) خزانة الأدب/ ١٩٠ - ٢٠٠.

(١٢٥) ديوان حسام الدين الحاجري الإربلي /٣٦٧.

(١٢٦) ينظر الحياة الأدبية في البصرة /٣٦٥.

(١٢٧) تأريخ إربل ١/ ٣٦٥، قلائد الجمان ٧/ ١٩٧أ.

(١٢٨) الجامع المختصر ٢٤٥.

(١٢٩) ديوان حسام الدين الحاجري ٤١٢، وينظر الشعر العربي في إربل (ماجستير) ١١٧.

(١٣٠) المصدر نفسه ٣١٣.

(١٣١) البدية والنهاية ١٣/ ١٩٩.

(١٣٢) وفيات الأعيان ١/ ٤٣٦.

(١٣٣) قلائد الجمان ٣/ ٣٠٣.

(١٣٤) المصدر نفسه ٤/ ٣٢أ.

(١٣٥) ديوان حسام الدين الحاجري ٢٨٨.



الفصل السادس

الصورة الشعرية عند شعراء أربيل

٥٢٦ - ٦٣٠ هـ

يعنى هذا البحث بدراسة الأدب في مدينة أربيل ليلقي الضوء على اهتمام شعرائها ببناء الصورة الشعرية في قصائدهم، وتبين موقع الشعر في المدينة من جمالية الأدب، وتوضيح قيمه عن طريق الصورة، وفي الوقت نفسه يسعى البحث إلى توضيح بعض مفاهيم الصورة التي لا تزال غامضة عند النقاد والأدباء، عن طريق النماذج الشعرية المبدعة لشعراء أربيل.

ولا شك أن نهاية القرن السادس ومطلع القرن السابع الهجري من أزهى العصور الأدبية التي مرَّت بها أربيل، فقد ازدهر فيها الشعر العربي، وتعددت موضوعاته في وقت كانت غالبية سكانها من الكرد الذين أسهموا في بناء الحضارة العربية الإسلامية بلغة العصر التي هي العربية حيث لم تكن اللغة الكردية لغة العلم والثقافة.

أما الجدَّة في اختيار الموضوع فإنها ترجع إلى قلة اهتمام الباحثين بالفنون الشعرية في أربيل في عصر أميرها العادل مظفر الدين كوكبري (ت٦٣٠هـ) الذي وصل فيه الأدب إلى درجة عالية من النضج بين سنوات (٥٢٦ هـ لغاية ٦٣٠هـ) حيث حقبة حكم هذا الأمير(١).

وقد تضمن البحث دراسة الصورة وملاحظتها عند أبرز الشعراء وأشهرهم، الذين يعدّون من أهم رموز الشعر فيها من أصحاب دواوين مطبوعة ومدروسة ومحققة، ومنهم الحاجري الإربلي (ت ٦٣٢ هـ)(٢)، والنشابي الإربلي (ت ٦٥٦هـ)(٣)، وابن ظهير الإربلي(٤)(ت ٦٧٧هـ)، حيث اتبعنا فيه منهجاً جاداً، ورؤية موضوعية أشرنا إلى مواضع التعاشق بين الحياة والشعر وبينهما وبين القيم السائدة، وميول الشعراء المتباينة وتوجهاتهم الفنية والموضوعية في إطار من الإبداع، كما أن الشعر لا يكون شعراً إلا بالصورة التي من مهامها تجسيد تجربة الشعراء، وتعميق إحساسهم بالأشياء، وتساعد على تمثل موضوعه تمثلاً حسياً، كما تساعده على التواصل مع العالم الخارجي والاتحاد به(٥).

فالصورة تحمل إلينا رؤية الشاعر للعالم، وهي عنده واسطة للتعبير عن المعنى، وتخرج باللغة من مستوى إلى آخر، وتصب فيه مواقفه النفسية والفنية والاجتماعية(٦)، فهي الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة التي تتمثل في الايحاء بالأفكار عن طريق الصورة لا في التصريح بالأفكار المجردة بل بالاستناد على الايحاء الذي توحي به الكلمة خلال سياق أقوى أثراً في النفس من التصريح(٧).

فالصورة في القصيدة تشبه سلسلة من المرايا موضوعة في زوايا مختلفة بحيث تعكس الموضوع، وهو يتطور في أوجهٍ مختلفة، ولكنها صورٌ سحرية، وهي لا تعكس الموضوع فقط بل تعطيه الحياة والشكل، ففي مقدورها أن تجعل الروح مرئية للعيان(٨).

ويلحظ أن أوّل من استعمل لفظة الصورة هو الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، وكان يقصد بها الصياغة المؤثرة في المعنى، والقادرة على إثارة المتلقي، واستمالته إلى موقف معين، حينما يقول عن الشعراء إنهم " يصورون الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل"(٩)، فكلمة يصورون تعني هنا التشبيه والتمثيل أو تقريب المعنى إلى المخيلة بجهد ذهني يحمل المتلقي على التأثر به.

أما مفهوم الصورة في النقد الحديث فقد اختلف بتنوع المذاهب الأدبية وقد ذهب الدكتور زكي مبارك إلى: "إن الصورة الشعرية هي أثر الشاعر المفلّق الذي يصف المرئيات وصفاً يجعل قارىء شعره ما يدري أيقرأ قصيدة مسطورة أم يشاهد منظراً من مناظر الوجود، والذي يصف الوجدانيات وصفاً يخيل للقارىء أنه يناجي نفسه ويحاور ضميره"(١٠).

ولم يكن لدى الباحثين في موضوع الصورة حدود واضحة بين الصورة الفنية والصورة الأدبية والصورة الشعرية، فقد استخدموها جميعاً على أنها أسماء عدّة لمسمى واحد(١١)، ولعل عدم وضوح ذلك يعود إلى تداخل تلك المصطلحات، ولكن الصورة الشعرية اندرجت في الصورة الأدبية بوصفها جزءاً منها في أغلب الأحيان، وكذلك لا يمكن أن تكون القصيدة كلها صوراً شعرية، ولكن الصورة تصادفنا دائماً بين ثنايا القصائد.

وقد أشار البلاغيون إلى المنابع التي يسترفدها الشعراء في إبداع صورهم، وإنها عند النظرة الإجمالية ترجع إلى مصدرين أساسيين، هما: الكون، والنفس. فالشاعر يمد عينه وعقله ووجدانه إلى ما يحيط به من أشياء وأحداث ومواقف يلتفت إليها في وعي يقظ، وفهم مستبطن فيحتويها بدقائقها وأوصافها ودلالاتها(١٢).

وهناك أودية أخرى استمد منها شعراء أربيل صورهم، فتضمنت أشعارهم صوراً في الطبائع والأنفس من محمود الأخلاق ومذمومها، في رخائها وشدتها، ورضاها وغضبها، وفرحها وغمها، فشبهوا الشيء بمثله تشبيهاً صادقاً على ما ذهبوا إليه في معانيها التي أرادوها(١٣).

وفي هذه البيئة التي استمد منها شعراء أربيل صورهم ليست أشياؤها على درجة واحدة من الوضوح والقرب، وإنما تختلف في ذلك اختلافاً شديداً، فهناك شواهد خفية لا تراها إلا العيون التي على درجة عالية من الوعي وسلامة الشعور، وهناك من الأشياء ما هو على درجة واضحة وقريبة من أذهان الشعراء. فالصور المستمدة من الظواهر القريبة صور ساذجة يدوم

ترددها كثيراً، أما الصور المستمدة من شواهد تقل رؤيتها فهي صور نادرة بديعة(١٤).

تألّفت ثقافة شعراء أربيل من مشاهداتهم الشخصية ومعارفهم الفكرية الماضية وتجاربهم الحاضرة، وقد كانت الموروثات المادية من بناء وعمران، والموروثات المعنوية التي منها الدينية والقومية والفكرية منابع ثرة، استقى منها الشعراء صورهم، وقد كانت هذه الموروثات من جماد وأحياء تتمثل للشعراء وهم يتناولون موضوعاتهم ليمنحوا صورهم عناصرها المتعددة المتنوعة.

وقد استقى النشابي الإربلي صوره من الممدوح، فالأرض تخف أو تثقل بموت الممدوح أو حياته، وهو شديد الارتباط بواقعه الذي يحياه حيث عاش في بيئة حضرية، فلم نجد في مدائحه صوراً عن البادية وأنوائها، بينما الحاجري الإربلي أغرم بجمال المرأة الإربلية على أساس حسي والمظاهر الخارجية يكشف عنه دون جهد ومعاناة واضعاً بصماته بشيء من الذاتية، واستقى صوره من الغزل بأرقّ الألفاظ وأحسنها وهو شاعر الجمال بصدق، أما ابن ظهيرالإربلي فقد أعجبته الطبيعة وما فيها من النباتات والأشجار والشجيرات وأوراقها وأزهارها وألوانها، ووصف المدن الحضارية ومنظومات في الحكمة والفلسفة، وهو لا ينظر إلى ما يحيط به وإنما ينظر في بيئات تزدحم بالمظاهر الحضارية التي تعينه على تصوير الشواهد تصويراً جديداً.

أما الحديث عن بناء الصورة الشعرية فقد تناولتها دراسات عدّة وصلت إلى نتيجة مفادها أن الصور تقوم في كثير من الشعر العربي على الاستقلال، والتركيز على البيت الواحد في القصيدة(١٥)، وقد سار شعراء أربيل على هذا النهج في إبداعهم للصورة شكلاً ومضموناً، مع عدم الإهمال المتقصد لأنماط الصور الأخرى. فالمحدثون حملت صورهم تسميات بعيدة عن الفهم القديم للصورة، فظهرت عندهم مصطلحات التجربة والحوار والمفردة والموقف والفكرة والأبعاد النفسية والتوافر... وغير ذلك(١٦).

وهناك من يقسِّم الصورة الشعرية إلى هياكل مسطحة وذهنية، وأنماط الصور في البناء الذي هو الدائري والحلزوني والبناء المفتوح، وكذلك تقسيم الصورة إلى بسيطة ومركبة وكلية(١٧)، ونحن في بحثنا هذا أبعدنا هذه الأنماط لأنها قد لا تنسجم تماماً مع أدوات الشعر القديم في حقبة البحث، وفي ضوء الأفكار السابقة والتصورات المتولّدة تم تحديد خطوات البحث الذي يتضمن الصور الحسية التي هي سمة بارزة في الشعر الإربلي من خلال الحواس الخمسة، ثم تبعتها الموضوعات الشعرية من خلال صورة الممدوح والمرأة والخمرة والمكان والزمان واللّون، ثم أشار البحث إلى صور تجارب الشعراء الذاتية التي أفرزتها إحساساتهم تجاه المشيب والموت واللؤم والشكوى من السجن والهمّ الشخصي، وبالنظر

لبراعة شعراء أربيل في توليد الصور البلاغية لذا خصصنا جزءاً من هذا البحث للحديث عن صور التشبيه والاستعارة والكناية والتشخيص والتجسيم. فضلاً عن صور أخرى بالأساليب البلاغية المختلفة، وقد ثبت أن الشعراء أولوا رعاية بالإيقاع لذا أولى البحث عنايته بالصورة من خلال النغم الذي يتضمن البحر والقافية والتكرار وتداعي الحروف والكلمات والجمل، وبسبب شيوع الوضوح والبساطة في لغة شعراء أربيل، لم نكن بحاجة إلى التعمق في تحليل الشواهد وتوضيحها لأن معانيها جلية للقارئ إلا في مواضع قليلة استدعت بعض التحليل لإخراج الصورة بهيأتها الصحيحة.

أولا: الصورة الحسّية وأبرز أنماطها:

الحسية تعني لغةً العلم بالشيء والإحساس به(١٨)، وللحواس دور رئيس في استلهام الشاعر للصور الحسِّية ولها نصيب أوفى، فإيراد الصور الحسِّية يقدم تشابكاً عقلياً وشعورياً في لحظة من الزمن(١٩)، ومن الضروريات الأولية في قراءتنا للشعراء أن ندرك الألفاظ إدراكاً تصويرياً، لأن التصوير وسيلة بيد الشاعر للتعبير عن أفكاره الحسية والذهنية وغيرها(٢٠).

وتتوزع الصور الشعرية التي قوامها الحواس على حاسة البصر التي تستأثر بالصور الفنية أكثر من بقية الحواس الأخرى، وعلى حاسة السمع التي هي وسيلة لتصوير الأصوات التي تقوم عند الشاعر مقام الموسيقى التصويرية، وعلى حاسة اللمس التي تلمس الحرارة والبرودة، وعلى حاسة الذوق التي تدرك الحلو والمرّ، وعلى حاسة الشّم التي تتحسس الروائح المختلفة.

أما أنماط الصور فإنها تتولد من هذه الحواس بنسب مختلفة من حيث الكم، وقد تكون الصورة أحادية الشكل من حيث معطيات الحاسة فيها، وقد تتوافر الصورة الواحدة على حواس عدة في أن واحد، فتكون بصرية سمعية أو ذوقية شمية، أو أكثر من ذلك.

وفي العصر العباسي كانت هناك حضارة مادية في أغلب وجوهها، لذلك نزعت إلى الحس أكثر من نزعتها إلى الروح، ومع وجود هذه السمة فإنه يمكن التأكيد أن الصور الحسية في معظم الأحوال لا علاقة لها بالعصور الأدبية، وهي نفسها اليوم والأمس، غير أن ما يميزها اليوم هو عمقها الثقافي والبيئي ودرجة رقيّ الإنسان في عقله ووجدانه.

وقد يجد الباحث اختلافاً عند شعراء أربيل في صورهم الحسية، وقد يكون السبب ناشئاً عن اختلاف درجة وضوحهم، ودقة ذوقهم، وعمق تجربتهم، فأضاف كلّ واحد منهم ما أضاف، وجهد نفسه في استخراج معانٍ لصوره، وإذا ما تعمقنا في ديوان الشعر الإربلي سنجد الشعراء قد أكثروا من رسم الصور الحسيّة، وتأتي الصورة البصرية في مقدمة الصور الأخرى من حيث الكثرة والتنوع.

١- الصورة البصرية:

اعتمد شعراء أربيل في هذا النمط من الصور على حاسة الإدراك الأولى العين التي تمر بين عالمها الصغير الدقيق محسوسات الطبيعة وأحيائها حجماً ولوناً وحركةً وجمالاً، فكلّ عبث للريح يحرك منها معنىً، وكلُ لون، وكل مدّ للظل، وكل اشعاع للضوء تصوغه العين رائعة. فالصورة تشكيل لغوي يكونها خيال الشاعر من معطيات متعددة يقف العالم المحسوس في مقدمتها، والخيال يحفظ الصور المرشحة في الحواس عن طريق البصر، لذا جاء أكثر الصور في الأدب عن طريق البصر. فالطابع العام للصورة هو بصرية مرئية(٢١).

استأثرت حاسة البصر باهتمام الشعراء في تصوير مشاهد البيئة، لأن هذه الحاسة هي التي تلح على وجدان الشاعر في هذا الموقف، فتنثال في خاطره ألفاظ الرؤية ومعانيها التي منها (رأى، نظر، بصر، شاهد...إلخ).

فابن ظهير الإربلي يرسم صورة بصرية عن وصف نهر بردى في الشام.

رأيت به بحراً من الدّوح مزبداً

وغدرانه حيتانه منه ترقص(٢٢)

والحاجري الإربلي يصور لنا البروق اللامعة بالغضى.

لا ومنْ أحرمَ عيني أن ترى

بالغضي غيرَ بروقٍ لامعهْ(٢٣)

وقوله أيضاً:

كأن وميض البرق من هضباته

يعمِّد قلبي فاستطار بلبِّه(٢٤)

والنشابي الإربلي يرينا صرح ومجد ممدوحه.

وأرانا صرحاً كأنّ قوارير

لديه قد قدّرت تقديرا(٢٥)

ويجدر أن نشير الى أن حاسة البصر لها حظ كبير في تصوير جمال المرأة أكثر من غيرها من الحواس المشتركة معها، لأن العين أول ما تستقبل صور الجمال التي تملأ الخيال، وتأسر الوجدان. فصور حسناوات أربيل إسترعت انتباههم وجذبت أنظارهم.

يقول ابن ظهيرالإربلي:

ووردةٌ هاتيك أم وجنةٌ

وروضةٌ أم وجهك الباهر؟(٢٦)

وقوله أيضاً:

لو كنت شـاهد عـبـرتي
وخـفـوق قلبـي الخـاشع
لـرأيـت نـار صـبـابـةٍ
تُذكى بماء مـدامـعي[٢٧].

يقول الحاجري الإربلي:

وغزالٍ من آل شـيبـان قـد أحـ
رم عيني في اللّيل طيب الرقّاد[٢٨]

وقوله أيضاً:

وجـمـال الوجـه يبـدي جنة
ورضاب الثغر يهدي كوثرا[٢٩].

وقد أحسن شعراء أربيل عندما أقحموا عيونهم في الشعر الخمري وهم يمزجون بينه وبين صور المرأة الحسناء.

يقول ابن ظهيرالإربلي:

أدار عـقـيـقـاً في إناءٍ من الدرً
فعاينت شمس الراح في راحة البدر[٣٠]

وثمة أمر آخر ينبغي الإشارة إليه وهو أن شعراء أربيل خلقوا نوعاً من المنافسة في خلق الصور البصرية حتى وصل بهم الأمر إلى المبالغة في خلق صوربصرية الى جانب صور شمية وسمعية. ويبدو أن الحاجري الإربلي قد برع في هذا التوجه حيث جمع صوراً حاشدة تنثال برقة وعذوبة، أجادت بها قريحته عندما مزج بين هذه الصوروالتشبيهات المبدعة والتصوير البديع عن طريق تكرار حرف الواو في بداية كل بيت.

جمع الشاعر في هذه الابيات بين صور متعددة التي منها صور شمية وبصرية وسمعية وحركية ولونية وذوقية، وقد امتلك الشاعر مقدرة فائقة على نقل الأشكال الموجودة في الطبيعة كما تقع في الحس والشعور والخيال والأبصار حين مزج بين رائحة وردة البنفسج في مهب نسيم عليل، ومشبها وردة الاس بخدٍّ فتاته الشاردة، وشدو البلابل بألحانها العذبة، وتمايل الأغصان في حركاتها كإنسان مخمور فقد توازنه، وتفتح الورود أمام أبصارنا كانه جيش يخوض الوغى، وهو في حالة نصر وفرح ونشوة الى جانب سيلان الماء الأزرق في الجداول الذي ينعشنا بخريره. إن جمع هذه الصور المركبة يدل على ملكة الشاعر الفذّة وسعة شعوره حيناً، ومن لطافته ودقة تصويره حيناً آخر.

٢- الصورة السمعية:

وهي طريق آخر للتعبير عن مشاعر وخلجات نفس الشاعر، والصورة السمعية والبصرية تتماشى مع ما يردده النقاد من أنهما معاً يشكلان جوهر الشعر(٣٢).

فالصورة السمعية تعتمد على تصوير الأصوات وتاثيرها في النفس، فالأذن كالعين توفي القلب ما كان، فالإحساس البصري لا يحدث دون الصورة السمعية التي هي رنين الكلمات في الآذان وقد قيل:"إن الشعر فنّ سمعي وليس فناً بصرياً"(٣٣). والسماع يقوي ذكاء القلب ويذكي القريحة، ولم يخل ديوان الشعر الإربلي من الصور السمعية التي ابدعوها باعتماد المفردة ذات الدلالة السمعية أو الاجتماعيةاو معانيهما معا، وتنم _ أحياناً _ عن سجية موهوبة وطبع مصقول، والصور مستمدة من واقع كوردستان المليء بالغابات والأشجار والبساتين والأديرة في ذلك الوقت.

يقول الحاجري الإربلي:

ويطربني وُرقُ الحمام اذا شدا

ألا كلّ مشتاق الفؤادِ طروب(٣٤)

ويقول ابن ظهيرالإربلي:

وتعطف أعطاف الغصون حمامةٌ

إذا ما تغنت والغديرُ يصفِّق(٣٥)

وقوله أيضاً:

ورب دير طرقنا بابه سَحراً

وللنواقيس في أعلاه أصوات(٣٦).

وهنا يخلق الشاعر صورة مركبة من تشابك أغصان الشجر وهي تحتضن حمامة تشدو ليمتزج هذا الشجو، بترديد الغدير وطربه ورجع خرير مياهه، وهي صورة بصرية سمعية حركية جذابة تشجي السامع والبصير معاً، ومن صوت النواقيس صورة الأصوات وفعلها في النفس فضلاً عن الإيقاع. وقد قيل: إن الكلمة تحاكي في إيقاعها معناها كما يحاكي الهديل صوت الحمامة، والخرير صوت الماء(٣٧).

والصورة السمعية تعطي انطباعاً في النفس تشمل عناصر الطبيعة والكون والعالم الذي يحيط بالشاعر في معظم الأحيان.يقول الحاجري الإربلي:

لا سجعت ورقاءُ بعد الحمى

ولا سرت فيحاءُ ريحُ الصَّبا(٣٨)

وقوله أيضاً:

وأينع زهر الروض وهي خميلة

وناح حمامُ الأيك وهو طروب(٣٩)

وحين يريد الشاعر المبالغة في الصورة البصرية يصنع إلى جانبها صورة سمعية، فثمة زهور وعطور تطيب المكان وعزف الحمام يؤنس النفس.

٢- الصورة اللمسية:

استرعت الصور التي قوامها حاسة اللمس عند شعراء أربيل انتباه القارىء، فثمة البارد والحار والناعم والخشن، فضلاً عن صور تمس حاسة لمس القلب عن الشوق والحرقة، ويتراوح أسلوب التصوير بين الوصف المباشر للشيء بالصفات التي تدركها حاسة اللمس، أو بالألفاظ الموحية بما تملك في ذاتها من معنى، أو بالصور الملازمة لنوع الإحساس اللمسي. فالصورة التي غلبت عليها صبغة البرودة والحرارة هي التي اهتم بها شعراء أربيل.

يقول ابن ظهيرالإربلي:

وهل بارد من ماء باناس مبرد

لظى كبد حرى لها الشوق محرقِ(٤٠)

فأكثر مواد البنية الشعرية عند الشاعر منتقاة من الطبيعة، دون أن يحاول الشاعر إخفاءها، فجاءت صوره مبسطة بريئة، ولكن الشاعر لم يستوح رموزها من مشاهداته اليومية ومن المعاني في دواخل الطبيعة الواسعة، فهو اكتفى بخياله المستفيض.

والنشابي الإربلي في صوره اللمسية يجعل من أصابعه أن تجس مواضع النعومة والإغراء في محبوبته الحسناء في شعر غزلي حسي. فالصورة اللمسية وفيرة صافية أو غائمة - أحياناً - مما يشوبها مداخلات الحواس الأخرى.

لأقطعن رمان النهود فغت من

دموعي حباً أحمراً فوق حجره(٤١)

ظنوا عطاياه لاستعظامها حلماً

لو أن جفن المنى ما مسَّه الأرقُ(٤٢)

والحاجري الإربلي يستحضر في صوره اللمسية مغامراته مع النساء وما أكثرها، يضاف لها انسيابية غير محدودة في نقل الصور التي يبدو فيها الشاعر وكأنه يتحدث بالصورة وبكل المعاني المألوفة وغير المألوفة، فضلاً عن التوافق والائتلاف المتناسق في صوره.

وكلّما ناولتني قبلةً

أشرق وجه الزَّمن المقبلِ(٤٣)

وقوله أيضاً:

عانقت فمه ما شفيت به الجوى

فكأنني عـانقـتـه يقظانا(٤٤)

ومن الصور الملازمة بالصفات التي تدركها حاسة اللمس قول النشابي الإربلي:

بجـمــال جـعل الخـدّ لنا

كعـبـةً نلثم منها الحـجـرا(٤٥)

وقوله أيضاً:

قطفت مـقلتي شـقـيـقـة خـد

يه فامست محمرة بالقياس(٤٦)

٤- الصورة الذوقية:

وظّف شعراء أربيل حواسهم واستدعوها لتهيئة وخلق صور جمالية متكاملة، وكان لحاسة الذوق دورها في التعبير عن عواطفهم وأحاسيسهم، والحاسة هذه اسهمت في إبراز صور معينة إلى الوجود في موضوعات مختلفة، واتخذ الشعراء ألفاظاً موحية يتذوقون معانيها التي منها: "مرارة السم، الخمر الصرف، الشهد، ساغ، حميم، شرب، مذاق، قراح، عذوبة، حلو، مرّ" وهذه الألفاظ وغيرها هي مكونات حاسة الذوق عندهم.

يقول النشابي الإربلي:

فنداه العـذب يحلو طعـمـه

وسطاه للعـدى مـرّ المذاق(٤٧)

وقوله أيضاً:

وكذا يسقي الأعادي سيفه - إن سطا - كأن حميم وغساق(٤٨)

يقول الحاجري الإربلي:

كـأنّ بدمـعي من لماك عـذوبةً

فمنذ ذُقْته ما راق لي غير شربه(٤٩)

ولكثرة استخدام شعراء أربيل لهذه الألفاظ، فليس من المشقة العثور على فيض من الصور الذوقية المتعددة، وقد أتت بعض هذه الصور منفردة كما ذكرنا سابقا، ومنها قول النشابي الإربلي:

ويمسي في حـمى الإسـلام عـان

بجـفن لم يذق طعم المنام(٥٠)

وبعضها الآخر جاءت مشاركة لحواس اخرى التي منها الشم وبخاصة في بيان جمال المرأة التي هي دواء للسقم، وماء للظمأ، وزاد للجوع. ووصف الخمرة في الغالب.

يقول الشاعر نفسه:

حـيّـتك بارقــة الثـغــور بريقــهــا

وسقتك ذات الخال من إبريقها(٥١)

وقد يأتي بعض الصور الذوقية مشاركة مع الحاسة البصرية والسمعية في وصف محاسن المرأة نفسها ايضا، وفي الغالب يكون الحاجري الإربلي في مقدمة الشعراء الذين جمعوا عدّة صور مختلفة في بيت واحد وبالذات حينما يتعلق المعنى بالمرأة.

حلوتم إلى قلبـي مــذاقــاً ورُقْـتُمُ

إلى ناظري مرأى وسمعاً إلى أذني(٥٢)

ويقول أيضاً:

أأظمــأ وفي تلك الرضــاب مــواردٌ

ألذ من السلسال والخمر والشهد؟(٥٣)

٥- الصورة الشمية:

بث شعراء أربيل في صورهم الشعرية الروائح والعطور واستفاقت عندهم حاسة الشم لما يجري في عروق هذه الروائح والعطور من عبير، وخصوا في الغالب هذه الروائح بالمرأة، ليعطوا صورة المرأة الكريمة وهي تتطيب بالعطر حيث يشم الشاعر عطرها ويتمثلها في أشعاره التي منها ريح المسك والعنبر وعطر الورد.

يقول النشابي الاربلي:

ويكثـر الطيب عندي حين أمدحــها

كأنما المسك من تذكارها عبق(٥٤)

وقوله أيضاً:

وإن شـمــمــنــا عــــرفـــهـــا

قــلــنــا هـــو المــســك عــبــق(٥٥)

وتختلط الصور الشمية عند الحاجري الاربلي بالصورة البصرية:

ونشـرُ يضـوع المسك من نفـحـاته

يخبـر عن بان الكثيب وكثبـه(٥٦)

وقوله أيضاً:

في ليلة ســمح الزمــان بطيــبــهــا

ليلاً ونشر القرب منها يعبق(٥٧)

وقد تدور ألوان من الصور الشمية في فلك صور الجمال في الطبيعة، فعند فرز الصور

الشعرية لدى شاعر معين، نتعرف على مواصفات الشاعر الخافية على الناس، وقد استعان ابن ظهيرالاربلي بصور شعرية مستقاة من جمال الطبيعة أكثر من محاسن المرأة وجمالها:

كأن سراها فأر مسك مفتق

عليلة أنفاس النسيم رياضها(٥٨)

وقد يستعين احيانا بصور عن الخمرة، والشاعر يجعل من الطبيعة في أكثر الأحيان نبعاً لصنع صور حسية:

طاف بدر الدجى بشمس النهار

في رياض أنيقة الأزهار(٥٩)

وفي ديوانه نجد انه كثيرا ما يجمع بين صور متعددة منها بصرية وشمية ونفسية وسمعية في إطار من الصورة الحركية مجددا ومبدعا غالبا.

وألم بالدوح النسيـ

مُ أريجة أردانه

فتجاذبت اطياره

وتحركت أفنانه

والعود أصبح مزهرا

ورق الحمام قيانه(٦٠)

وقوله أيضاً:

أإن شمت برقاً كان بالشام لائحاً

غدوت لدمعي في ثرى السفح سافحا

أتى رافعاً ستر الظلام ومالئاً

بأنوراه هضب الفلاة الأباطحا(٦١)

ثانيا: الصورة الشعرية من خلال الموضوع:

قد يكون من العسيرعلى الباحث الحصول على صورة شعرية خالصة الموضوعية، لأن ما ينتجه المبدع من الصور تعتمد على رؤيته وموقفه تجاه الموضوعات التي يتناولها، وقد اتفق النقاد على أن الصورة الشعرية هي نقل للواقع يختلف عن النقل الآلي، لأنها وإن اعتمدت العناصر الحسية، لا تتوقف عندها، وإنما تنفذ إلى تلمس العلاقات التي تتصل بالمعنى من وراء هذه العناصر الحسية، لذلك نجد الصورة الشعرية في موضوعات متعددة(٦٢).

ومن أهم عناصر الموضوع عند شعراء أربيل صورة الممدوح الذي يمتلك القدرة على الحلول في أكثر عناصر الصورة بهاءً ومضاءً فهو عند النشابي الإربلي: وارث النبوة، والمنقذ من

المغول، والأسد الشجاع، وطوفان ندى، والقائد البارع، كفّاه بحر، بحر علم، صاحب العصر والزمان، سيف مصقول، وجهه بدر.

يقول الشاعر في مدح المستنصر بالله العباسي:

صاحب العصر والزمان إمام الـ

خلق طرّاً ووارث الأنبياء(٦٣)

ويقول أيضاً:

لا تقل كفاه بحر إذ غدت

أبحر الدنيا له بعض السواقي(٦٤)

وقوله:

بحر علم، بحر جود وبأس

يقذف الجاحدون عنها دحوراً(٦٥)

وقد نجد - أحياناً - يجمع في صورة مركبة مبدعة من كرم وعقل ونسك وهدى وحكم وصدق، وهي صور أخص الله بها أنبيائه والحكماء من الناس.

جلّ عن التشبيه في نواله

بحاتم وحكمه بأحنف

بل نسك عيسى وهدى محمد

وحكم لقمان وصدق يوسف(٦٦)

وفي بعض صوره تظهر موهبة الشاعر الأدبية وانسجامه التام مع الممدوح.

وما على مادح أطراه من تعب

فمدحه قبل نظم الشعر ينتظم(٦٧)

وقوله أيضاً:

حقاً لمن ورث النبوة والهدى

والدين والإيمان والإسلاما

والركن والبيت العتيق ومكة

والحج والإحلال والإحراما(٦٨)

وهذه المعاني التي ذكرها الشاعر هي خصال ثابتة في النفس الإنسانية، واستوجد ذلك حبّ الإنسان لطيب الذكر وحسن الصيت، وهذه صور مألوفة عند شعراء أربيل، ولكن يبدو أن بعض مضامين هذه الصور تكشف عن الفكر السياسي لدى النشابي الإربلي حيث كان العالم الإسلامي يتعرض إلى تهديد المغول بالزحف والصليبيين بالاحتلال، وإن هذا العالم بحاجة

إلى منقذ عادل وقوي يواجه هذا الخطر المحدق بعزيمة وصلابة وهنا يشارك الشاعر زميله ابن ظهيرالإربلي الذي يخصص جلّ مدائحه في صلاح الدين الأيوبي وذريته الذين انقذوا البلاد الإسلامية من الاحتلال الصليبي لذلك كان لهم حظ كبير في صوره الشعرية فهم: أصحاب همّة، ونجوم وكواكب، وربيع منعش، وغيث يستسقي الغمام به، وأبطال في الحروب، يبذلون العطاء، وهم هبة الله وعقول تفرّدوا بها.

وقـد نـصـــرت ديـنـه
بـعـزمـك الـمـظـفـر
لـمـا أعـنت المسلمـيـ
ن من جـلاء الـتـتـر(٦٩)

ويلحظ على الشاعر حشده المكثف لصور القوة والشجاعة، وصور السلاح والخيل، وصورة الجيش المزدان بالكثرة، والزحف الرهيب حينما يقدم على خوض المعارك، وأكثر هذه الصور عبارة عن لوحات ملوّنة تصور التفاؤل والايمان المطلق بالنصر الأكيد على أعداء الأمة الإسلامية.

وفي إحدى مدائحه، يشبه صور الرماح الثابتة المدافعة عن حياض الإسلام بدعائم وأركان الدين الإسلامي، ويصور عودة الحرية إلى بيت المقدس وإقامة الصلاة فيه بعد تحريره من الأحتلال بيد صلاح الدين الايوبي بإعادة النور إلى اروقته، والضياء الى جنباته ويصور الاحتلال بأنه ليل شرك أسود قاتم.

مـليكُ مـن الـقـوم رمـــــاحـهـم
دعـــائم هذا الدين في كلّ مـشـــهـد
وردّوا إلى البـــيت المقـــدس نوره
وقد كان في ليل من الشرك أسود(٧٠)

أما صور الممدوح عند الحاجري الإربلي فهي نادرة بل معدومة لأنه لم يقف يوماً بأبواب الملوك، ولم يمدحهم طمعاً في نوال أو كسب الجوائز، لأنه كان من أبناء الأشراف الأغنياء، لذلك فهو لديه قصيدة واحدة متكلفة مصنوعة في بعض أبياتها يصف ممدوحه بالجواد، وربّ مطارف وجياد.

لله كم صلة لوابل جـــوده الطائي
علـيّ ونـعـــــمـــــــة وأيادي(٧١)

أما مدائح ابن ظهيرالإربلي فهي تجسد صورة القوة والشجاعة من خلال جيش صلاح الدين وأحفاده _ في معظم الأحيان _ مركزاً على صورة جيش هذا القائد الذي يملأ الشاعر

منها عينه ونفسه، وهي صورة مبهجة متحركة صاخبة في نظره، وتبدو إشراقها عند اشتداد القتال ليكون لطعنهم إيجاعه المؤثر من خلال عدة صور حاشدة جميلة "فالصورة الجميلة بنية حية تشتبك أجزاؤها في علاقات فيما بينها، وهي في مجموعها تكون تلك الوحدة التي هي في الواقع نتيجة لتلك العلاقات، وإدراك هذه العلاقات في الصورة هو كشف في الواقع لعناصر جمالها"(٧٢).

يقول الشاعر:

ملـيك من القـوم الذين رمـاحـهم
دعـائم هـذا الدين في كـل مـشـهـد
وقـد ركـبت فـرسـانه بـحـر أيـلـةٍ
يخـوضـون في بحـر من الكيـد مـزبـد
وهم رجـعـوا حصـراً إلى دعوة الهدى
بعـزم ورأي في العظائم مـحـصـد
فسل عن ظباهم يوم حطين كم مضت
مـراد الله فـي كـل أجـيـد(٧٣)

وفي بعض الأحيان يصف السمات الشخصية لممدوحه بقوله:

الناصـر السلطان ذي الهـمم الذي
أعـيـا الملوك الأولين لحـاقـه
فـالشكر مـقـصـور عليـه لسـانه
والعـز ممدود عليـه رواقـه(٧٤)

وهنا ينبغي علينا الحديث عن صور الحب في الغزل، لأن الحب هو موضوع للشاعر والإنسان ما بقيت الخليقة، موضوع حي نابض، ومادته في الشعر هي المرأة، وقد انصب شعراء أربيل اهتمامهم بالأسس الجمالية المتوافرة في المرأة الإربلية وغيرها من البلاد الإسلامية، وقد فهموا هذه الأسس على أساس حسي بالاعتماد على المظاهر الخارجية للمرأة يكشفون عنها من دون معاناة مبتعدين فيها عن نظرة الابتذال. فالمرأة الاربلية عندهم مصدر من مصادر الجمال.

وصف الحاجري الإربلي المرأة في صور بدوية، فالحبيبة ظاعنة يكتوي الشاعر بنار فراقها ويحن إليها ويتمنى قربها.

نعم اسـتـقلوا ظاعنين وخلّفـوا
ناراً لهـا في القلب قـدْح زنادِ(٧٥)

فالصورة لا تخرج عن مواطن الجمال لدى المرأة في الصحراء من مرئيات كالظباء والمها والبان وغصن النقا وشجر الآراك، وقد يجمع الشاعر هذه الصور بلباقة في قوله:

بدا فأراني الظّبي والغصن والبدرا
فتبّاً لقلبٍ لا يبيتُ به مغرى(٧٦)

وتكتمل الصورة البدوية لهذا الشعر الوجداني العفيف بذكر الحادي والرحيل في السّرى ومشهد القافلة وهي تبتعد رويدا رويدا في غياهب الصحراء، حاملة معها ركب الحبيبة، فلا يبقى للشاعر الولهان غير تسقط الأخبار، ومساءلة ريح الصَّبا، ومتابعة لمعان البرق علّها يحملان ما يشفي غليل العاشق.

يا برق هل برق المحصبً سائلهُ
عمّاً يجنُّ من الهوى العشاقُ(٧٧)

وجدير بنا أن نشير إلى أن الشاعر بغية الوصول إلى منظوره البدوي الذي ألزم نفسه به، ضمّن شعره الكثير من الأدوات التعبيرية التي تؤصل هذا المنظور، وتعمِّقه، فنراه - أحيانا- يكثر من صور المجنون وحبيبته ليلى العامرية.

كلما اشتقت سليمى
فاض من عيني عيون
ما لقي مجنون ليلى
بعض ما ذقتُ جنون(٧٨)

وفي سياق آخر نجد صور العاذل واللائم والرقيب واللاحي والواشي تشكل هواجس الشاعر التي يتحسس منها، وفي هذا العصر كان هذا التوجه سائراً عند الشعراء، وهو اتخاذ أولئك وسيلة لبيان صورة المحبوب، وعرض محاسن جماله ومن ثم تبرير شدّة الهيام به.

يقول الحاجري الإربلي:

مِلّ الملال ولا تصغي إلى العذال
إيْ منيتي واطّرِح قول الوشيّ الأنذال(٧٩)

وقوله أيضاً:

أخافُ عليها من عيون وشاتها
وآخذ عنها حين تقبل جانبا(٨٠)

أما صورة المرأة عند النشابي الإربلي فهي تنحو منحىً آخر. فالشاعر يتناول من صوره محاسن المرأة ومفاتنها البارزة التي منها: مجدولة الخلق، وريقها حميا الراح، وحديثها معسول، وخدها أسيل، وقوامها كالغصن، وطرفها راشق بالسهام تارة، وفاترة تارة أخرى،

وخصرها نحيل، وجبينها كالصبح، وشعرها كالليل، وخالها أسود كبلال الحبشي، وقد أذن وكبّر عندما رأى الليل وقد انقلب ظهراً بسنى وجه المحبوب، وصدغهُ مرسل كالظلمات، وثغره ماء الحياة.

يقول النشابي الإربلي:

أماط لثاماً والدّجى مثل شعره

طويل فأبدى ثغره مثل فجره(٨١)

وقوله أيضاً:

وبلال الخال لما أن رأى

بسناك اللّيل ظهراً كبّرا(٨٢)

ولم يخرج ابن ظهيرالإربلي في صوره عن المرأة عن صور زملائه، ولكن يبدو أن صوره عن المرأة لم تنبعث عن نفس مختلجة وعاطفة قوية بل من إعجاب بالشكل وانبهار بالقوام.

غزالٌ أعار الظّبي لفتة جيده

غرير أعار الخيزرانة قدّه(٨٣)

فالجمال مطلوب في كل شيء، ولا سيما في خيال الشاعر، فابن ظهير الإربلي إذا لم يجده صنعه حيث يخلق منه نموذجاً يتصيد قلب الشاعر من خلال جمال المرأة الجسدي، ومن ذا يستطيع تمالك نفسه أمام منظر الجمال، فيتصور امرأة ذات شعر مجدول وحاجبين جائرين فهي شادن وظبية نافرة، وهنا يريد الشاعر أن يعطينا ما استنتج من الحب لا أن يصور لنا الحب نفسه، بقوله:

تخذت من شعرك احبولة

لا غرو إن صيد بها شاعر

حاجبك المفرط في ظلمه

أعانه ناظرك الجائر

يا رشأ آنسني بأسىً

لم أنت عني أبداً نافرُ(٨٤)

وفي المعنى نفسه يقول:

ظبي يؤنس بالغرامِ نفاره

ويجدُّ في نهب القلوب بمزحه

ذو وجنةٍ شرقت بماء نعيمها

كالورد أشرقه نداه برشحه(٨٥)

ونحن نمضي مع موضوعات الشعر فينبغي الإشارة إلى صورة الخمرة التي لم تبارح خيال شعراء المدينة. فالحاجري الإربلي عاش حياته لاهياً عابثاً يُنشد اللّذة، ويعانق الخمرة، ويرتاد منتدياتها، لذلك فقد وصف الخمرة بصور متعددة، وتغنى بمدحها، وترنّم بمعاقرتها، وصور مجالس شربها، ولهج بذكر أديرتها، ووصف سقاتها، وتغزل بهن.

ومن صوره المبدعة في مدح الخمرة تشبيه الخمرة بالعاتق التي هي الجارية إذا أدركت وبلغت فخدرت في بيت أهلها ولم تتزوج، ومراد الشاعر الخمرة غير الممزوجة بسواها فهي كالبكر العاتق من الفساد التي لم تتزوج أو تختلط بسواها.

عذراء ما مزجت براحة شارب

من حيث كانت فهي بكر عاتق(٨٦)

وفي تصويره و ذكره للحانات يرى الشاعر أن هذه الحانات هي مكانه المفضل الذي يقضي فيه جلّ وقته ما دام هذا الوقت يقضيه مسامرا ما بين كأس وعود إلى السحر.

من شاء له السؤال عن أخباري

فليسأل عنّي حانة الخمار

كأس بيد الساقي وكأس بيدي

والعود منادمي إلى الأسحار(٨٧)

وقد يمزج الشاعر بين صوره الخمرية وصوره الغزلية حتى يصعب الفصل بينهما.

سقاني بعينه المدام وكأسه

فلم أدر أيّ الكأس أعقبني سكرا(٨٨)

وفي إطار صورة الخمرة فقد طبع صور النشابي الإربلي بطابع تقليدي، وقلما نجد لديه صورة تلفت الانتباه. فالصور الخمرية عنده متكلفة يلجأ في تصويرها إلى استخدام العلوم، ومصطلحات أصول الفقه، والقراءات، والنحو، والصرف، والعروض، والأدب، والتاريخ، وعلم الجبر والرياضيات، وأغلب الظن أن الشاعر لم يكن موفقاً في الشعر الغزلي حيث استنفد المديح جلّ اهتماماته.

في صرفها كم صرفت من جمل

وعلّة الصّرف جمع وسواسي(٨٩)

ولكنه مع ذلك تغنَّى بالخمر ووصفها، ودعا إلى احتسائها، مبيِّناً أثرها في شاربها وواصفاً سقاتها ومجالسها بين الرياض والطبيعة الخلابة، ووقف عند لونها وشعاعها وصفائها ورائحتها.

فاصطحبها حمراء، تظهر في الكأ

سات ضوء المشكاة بالنبراس

بنت خدر، تسبي، فتحمرُّ حتَّى

تغتدي من حبابها في لباس(٩٠)

وقوله أيضاً:

يُشابه الورد راحاً في زجاجتها

فادرأ حدودك في اللذات بالشبه(٩١)

وطوراً يشخصها في صورة الورد الذي كان ذابلاً خجلاً في شهر الصيام إلا أنه تفتح وتبختر في مشيه عندما رأى الخمرة دائرة بعد الفطر.

فكم أتى الورد قبل الفطر مكتسياً

ذلّ الذبول ضئيلاً من تسحبه

فالآن حين رأى الصهباء دائرة

رأى الذي كان يسعى في تطلبه(٩٢)

ومن الطريف أن ابن ظهيرالإربلي المعروف بالورع والتقوى، يظل يدعو مراراً إلى شرب الخمرة في أحضان الطبيعة، وقد أكثر من هذه الصور بثوب برَّاق، فهو يزينها للسامع، ويدعو إلى الإقبال عليها في أجواء طبيعة أربيل الساحرة، وبخاصة في موسم الربيع.

يا مضيعاً زمانه بالأماني

قمْ بحقِّ الربيع حقَّ قيام(٩٣)

وقوله أيضاً في صورة بديعة يمزج فيها بين صورة الخمرة وصورة الطبيعة.

فما العيش إلا وصل كأسٍ بأختها

وجارية تسقي وساقية تجري(٩٤)

ولكون الناس أنماط وأشكال، وهناك بذرتان واحدة للخير وأخرى للشر تنموان سوية في هذه الدنيا، فلا بد أن تكون هنالك أمور من بخل وجبن وادعاء العلم والجهل يتطرق إليها الشعراء في صورهم وهو يسمى بالهجاء الذي وجدناه قليلاً عند شعراء أربيل بسبب بيئة أربيل المحافظة وسجن مظفر الدين للشعراء على سوء استخدام لسانهم، وقد غلب على شعر النشابي صوراً من النقد الاجتماعي والسياسي، فهو يرسم في بيتين من الشعر صورة لطيفة للنجيب الكندي (ت٦١٣هـ) وقد ذهب إلى بغداد ومدح الخليفة.

قالوا: النجيب الكندي صار له

شعر لمدح الإمام مولانا

فقلت: لا تعجبوا فسيدنا

يجري على السيئات إحسانا(٩٥)

المكان: لعب المكان دوراً واضحاً في إبداع الصور الشعرية، وقد كان المكان بخصائصه وآثاره له تأثير في روح الشعراء وعقولهم، ينتقل الشاعر عن طريقه إلى الإحساس بارتباطاته بواقعه وبيئته ووطنه، وقد كان شعراء أربيل مخلصين للعراق بلداً ووطناً ومحبين لمدينتهم أربيل، فردَّدوا أسماءهما في صورهم الشعرية.

يقول النشابي الإربلي:

حـــيِّـــهـــا داراً بزوراء العـــراق
لمجـر السّمـر أو مـجـرى العناق(٩٦)

وقوله أيضاً:

مـــواطن كـــان قـــبل وقـــعـــة إربل
تنافـر فـيـها الغيدُ في كلِّ مـجـثم(٩٧)

يقول الحاجري الإربلي:

يا نســـيم العـــراق هُبَّ فـــقـــدً ا
نس قلبـي من طيٍّ نشـرك عـرفـا(٩٨)

وقوله أيضاً:

يا عــزُّ مــا فـعل الزمـان بصـحـبـةٍ
كـــانـت قـــديـــمـــاً بيننا في إربل؟
فـلاعــتــبــتـك في الذي أبــديــتـــه
اعـدل فـداك خـلال أهل الموصل(٩٩)

وقد يمتد المكان في شعر الإربليين ليسع كلّ العصور الأدبية، ولعلهم حاولوا إضافة قيمة أخرى للمكان، فأضـفوا على البعد المكاني بعداً فنيا حينما يسألون عن اماكن ذكرت في الشعر القديمً.

يقول الحاجري الإربلي:

نشـدتك يا ريح الشـمـال هل الحـمى
خصيبٌ؟ وهل نجد كما كنت أعهد(١٠٠)

وقوله أيضا:

إن المقـــــيـــــمين بســـــفح اللوى
من لا أرى لي عنـهم مـــذهبـــا(١٠١)
يحــــــجـــــون من بـطحـــــاء مكة
تحط بهـــا الأوزار عنهم وتظرح(١٠٢)

وثمة معالم مكانية اخرى أدخلها شعراء أربيل في صورهم المتمثلة بـ"البحر، الأديرة، رباه، الشرق والغرب، محفل، مرصد، مصيف، مقام، مشهد، مشتى، الشام".

يقول ابن ظهيرالإربلي:

أحنُّ إلى نجــــــدٍ رعى الله أهلـه
واين المشــتــام بالشــام نجـده(١٠٣)

وقوله أيضا:

ورُبَّ دير طرقنا بابه ســـــحــــراً
وللنواقــيس في أعــلاه أصــواتُ(١٠٤)

ويقول الحاجري الإربلي:

أيا شِــعبَ نجــدٍ رقــادي حــرامْ
مـتى قـوِّضت عن رباك الخـيـام(١٠٥)

وقوله أيضا:

إذا نـادمــتنـي مــقلتــاه وكــأســه
ملكت مكاناً دونه الشـرق والغـرب(١٠٦)

ويبدو لنا أن شعراء أربيل يذكرون الأماكن الحجازية في صورهم الشعرية بكثرة، وبخاصة الحاجري الإربلي في قصائده المسماة بـ(نجديات الحاجري) وهو أمر وإن كان طابعاً مميزاً لدى شعراء العصر، فهو يعبر أيضاً عن البيئة الصوفية التي كانت تعيشها مدينة أربيل لكون أميرها الذي كان زاهداً من متع الحياة, وقد فرض على نفسه تقشفا في الملبس والمأكل، كما وأكثروا من ذكر أسماء المدن الحضارية القديمة، وأقاليم البلاد الإسلامية.

يقول الحاجري الإربلي:

كــــــذب القـــــائلون بـابـلُ أرضٌ
هي اسمٌ من بعض تلك العـيـون(١٠٧)

ويقول النشابي الإربلي:

وســارَ بـأرض خــوزســتــان منهــا
حـديث ندى إلى أقـصـى الشـام(١٠٨)

الزمان: اسم لقليل من الوقت وكثيره، فقد هرع إليه شعراء أربيل بعين الحقيقة مرة وبعين المجاز مرة أخرى، فالدهر والحياة من أكثر صور الزمان تردداً في خيالهم، فالدهر ذو ريب، وصاحب نوائب، ومتقلب، وطويل.

يقول النشابي الإربلي:

إنّ دهراً فيه الخليفة مولا

نا لدهر تطول فيه الدهور(١٠٩)

وقوله أيضا:

ولقد عرفت الدهر حتى لم أدع

سبباً يفوت العلم من أقسامه(١١٠)

ويقول الحاجري الإربلي:

لمع البرق اليماني

فشجاني ما شجاني

ذكر دهر وزمان

بالحمى أي زمان؟(١١١)

أما الحياة فهي حلوة لذلك يتشبث بها الشاعر، وقد تتراءى المعيشة في الحياة السعيدة المتعة، أو قد يتعرض الشاعر بأيام الحياة، أو يتمتع بها بالحب.

يقول الحاجرى الإربلي:

كيف التعرّض للسلُوِّ وحُبُّكم

حباً بأيام الحياة شربتهُ؟(١١٢)

وقوله أيضا:

لقد نفذت أيام عمري ولا أرى

صروف الردى عني تبين وتبعد(١١٣)

فالزمان له مساحة عريضة كالمكان وهناك أعداد كثيرة من الصور الشعرية التي تخرج من معطف الماضي والحاضر والمستقبل، فضلاً عن التوقيت مثل: "صباح، مساء، ظهر، عصر، مغرب، الساعة، الأيام، الشهور، السنين"، والفصول التي منها: (الربيع والخريف والشتاء والصيف)، وكذلك أوقات اليوم: الفجر والضحى والغد والظهيرة، والأصيل، والغروب، والشروق، والعشاء... إلخ.

يقول ابن ظهيرالإربلي:

وافتك أيام الربيع منيرة

ساعاتها بشموس زهر ناضر(١١٤)

يقول النشابي الإربلي:

حتى يوم القيامة لم نزل

نقرأ سطور النصر من أعلامه(١١٥)

اللون: يبرز اللّون عنصراً من عناصر الجمال التي تزخر بها الحياة من ألوان طبيعية متمثلة في الأزهار والنبات والحيوان والسماء والأرض والبحار، وفي الغالب يدخل اللون في الصورة الشعرية بقوة بما له من تشكيل بصري وذوقي جمالي يكشف الأحاسيس الإنسانية من بهجة وانشراح أو حزن ويأس(١١٦).

لم يركز شعراء أربيل على لون محدد في صورهم، وإنما الملاحظ في شعر الحاجري الإربلي أنه استخدم صفات الألوان أو ظواهرها أكثر من اللون نفسه، كاستعمال الدُّجى للون الأسود، والأشنب للأبيض، وحمرة الخد للأحمر، وقد أكثر من صفات اللون الأحمر التي تخص خدود المرأة التي ألهبت شاعريته، واللون الأحمر فيه ميل جنسي، ويبوح بجرأة عن رغبة بدائية، ويثير كل دلالات النشاط الجنسي وكل أنواع الشهوة عند الشاعر(١١٧)

ويلاه من صدغ بدا كالدجى

عقربه في الخد قد عقربا(١١٨)

وقوله أيضاً:

الله في كبدي التي أحرقتها

عبثاً بجمرة خدِّك الوقاد(١١٩)

ومع ذلك فإنه لم يهمل الألوان ذاتها التي منها الأسود والأصفر والأخضر كما في قوله:

الشعر أسود والجبين مشعشع

والقد أهيف والقوام مهفهف(١٢٠)

وفي اللون الأصفر الذي استخدمه مراراً في وصف خمرته، يقول:

بمدامة صفراء يحمل شمسها

بدرٌ يغار البدر عن سعوده(١٢١)

وفي اللون الأخضر يقول:

تأمل إلى ريحانه كيف قد بدا

يَمُدُّ سياجاً أخضراً حول ورده(١٢٢)

وأحياناً يجمعُ ألواناً عدة في بيت واحد:

وبِصُفْرَةَ المنثور منه وحُمْرَةِ الـ

ورد الجنيِّ وخضرةِ الرَّيْحَان(١٢٣)

أما النشابي الإربلي فقد أغرم بلون الأخضر فأكثر منه في قصائده، وهذا اللّون هو رمز للخصب والنماء والربيع الدائم.

يحـــوك من وشيٍّ الرياض للثـــرى
ثجّـــاجـــة كلّ رداء أخـــضـــر(١٢٤)

وقوله أيضاً:

الجـــدّ يرتـع في المقـــام الأفـــخـــر
والعـزّ يربع في الجناب الأخـضـــر

وقد يجمعُ ألواناً عدَّة بقوله:

كـأنـــمـــا عـــــذاره
في لونه كـالخـــضـــر
أو أســـود مـــشـــتـمـل
بثـوبِ خـزٍّ أحـمـر(١٢٥)

فالشعراء الأربيليون ركزوا في تحديدهم للألوان على حاسة البصر الذي يحدد خطوطها، وفي إبداء هياجها أو خفوتها، من خلال تأديتها المفهوم الذي يعني به الشاعر، وقد بدا لنا أن جميع الألوان استخدمت في أشعارهم، فاللون عندهم مرتبط بحالتهم الذهنية والنفسية. ولكن الملاحظ أنهم جـمـعـوا ألواناً عـدَّة في بيت واحـد أو بيـتين، ولم يخـرج من هذا التـوجـه ابن ظهيرالإربلي أيضاً، بقوله:

وأسـمـر سـمـر الخط والبـيض دونه
وحُـــمـــر المنايا رعف ورواشح(١٢٦)

وباللون تتـحـول الصـور الجـامـدة إلى صـور ناطقـة عـجـيـبـة الألوان سـاحـرة الظلال والخطوط(١٢٧).

ثالثا: الصورة الشعرية من خلال الذات:

الشعر هو انعكاس لحياة الشاعر، فبإمكان الحالة الاجتماعية والنفسية إلقاء ظلالها على الصور المنثالة في خياله، ويشمل ذلك الرغبة والقبول، وكذلك النفور والكراهية الذي يكمن أهم مرتكزاته في صور الشيب والموت واللؤم والشكوى من السجن والهمّ.

فالشيب يؤدي إلى الحرمان من ملذات الحياة، والحرمان من المتع المتمثلة بوصال الحسناء وشرب الخمرة، فالشعراء الأربليون عاشوا ردحاً من الزمن وهم يتمتعون بشبابهم، وحينما بدأ الشيب يدبّ في أوصالهم يداهمهم القلق والاضطراب. فالشيب يعد من المشكلات الذاتية للإنسان، لكنه يخرج عن خصوصيته إلى نطاق إنساني واسع يواجه البشر جميعاً لذلك التفت الشعراء إليه في رسم صوره بعد أن اشتعلت رؤوسهم شيباً.

اختلفت صور الشعراء ومواقفهم تجاه الشيب، ومن الذين بكوا وتحسروا على زمن الصبا

والشباب الذي مرّ كالطيف خاطفاً سريعاً، النشابي الإربلي:

لو كـان ينفـعني البكاء على الصِّبـا

لبكيت من شــوق له بشــقــائق(١٢٨)

أما الحاجري الإربلي ففي صوره عن الشيب ينظر من زاوية أخرى، فكل شيء عنده هيّن غير فراق الشباب وحيويته، والشباب عنده يعني اغتنام الفرص، وارتشاف اللّذات، لأن العمر مهما طال فهو لمعة من سراب.

ولعــمــــري قـد يــهــون عليـــه

كلّ شيء إلا فــراق الشــبــاب(١٢٩)

ويصور لنا ابن ظهيرالإربلي المنايا التي تقترب بمفارقة الشباب، تلك المنايا التي تذهب بالأصحاب والاصدقاء الى غير رجعة، وهي نذير رحيل الإنسان في هذا العالم في صور مركبة ملونة منها:(باز الشيب، عن اللون الأبيض و(طيران الغراب) عن اللون الأسود.

وإذا المرء طال عـــمـــراً أذاقـــتـ

ـه المـنـايا بفــقــدها أصـــحــابه

وانتـــهى نقــصـــه وعـــشش بازُ الـ

شـيب في رأسـه وطار غـرابه(١٣٠)

وأما الموت فلا شيء أفزع منه واخطر، فهو النهاية المجهولة لكل آمال الشعراء في حياة ممتعة وبهيجة، ولعل ذعرهم من الشيخوخة وبكاؤهم على الشباب، واندفاعهم لإطفائها بالخمرة والمرأة، صورة من صور فزعهم الأكبر. فالحاجري الإربلي يفضل الموت الذي لا بد منه على حياة ذميمة ذليلة، ويقصد بها حياة الشيخوخة، ويظلّ يبكي ويتأسى على شبابه بفيضٍ من الدموع.

بكيت أسىً وحقَّ على التّـصــابي

وأيام الشـــبـــاب بكاء عـــيني(١٣١)

ومعروف عن شعر هذه الحقبة تعرضه إلى أنماط السلوك الاجتماعي المختلفة، وفي أربيل وجدنا صوراً شعرية عن اللؤم، وهو خصيصة سيئة تهدد الجوهر الحقيقي للحياة الايجابية، حيث تمثل الجانب السلبي لها.

فابن ظهير الإربلي يوازن في رسم صوره عن هذا السلوك بين صورة الكريم وصورة اللئيم.

ومـــعـــاداة كـــلّ حـــرٍّ كـــريـــم

ديــدن الأخــرق اللــئــيــم ودابهُ

وإذا صـادف الوضـيع وضـيـعـاً

ليس يلغي إلاّ إليـه انصـبـابه(١٣٢)

أما النشـابي الإربلي فـهو ينظر إلى الدنيا نظرة تسودها روح التشـاؤم حين يتـصور بأن الدنيا مليئة باللئام، ويتحسر على حياة خالية من رجل كريم.

وكم مـن قـــائـل: هـل من كــريم

أراه فـحـسـرتـي ألـقى كـريماً

فـقـلـت لـه: كـريـم مـا تـراه

ولكن كـيف درت ترى لئـيـمـاً(١٣٣)

وقد ساد في هذه الحقبة فساد إداري انتشر في جميع الإمارات الإسلامية، وقد كان مظفر الدين يعاقب موظفي الإمارة باستمرار على سوء تصرفهم، وأن معظمهم سجنوا، ومن هؤلاء النشـابي الإربلي، والحـاجري الإربلي. فالسـجن يحفّز ملكة الشـاعـر الشـعـرية ويوقظها في تصوير ما يقاسيه من آلام بشعور صادق فيّاض، وهو تعبير عن حرمان نفسي واجتماعي لحالة الشـاعـر السـجين، "والحق أن أقـدر الناس تعـبـيراً عن الشـقـاء من كـان الشـقـاء في نفسه".(١٣٤) فالنشابي يرسم لنا صوراً عن الحياة والموت من خلال محنة السجن الأليمة، فهو يصور تقلبات الدهر والموت والفناء.

ونـحـن ركب الأنام فـيـهـا

نـرحـل عـنـهـا كـمـا نزلنـا

وهـكـذا الـدهـر في بنيـه

كم راد ظلمـاً بهم وأفنى(١٣٥)

وأما الحـاجري الإربلي فقد ذاق مرارة السجن وآلامه أيضاً، وكانت أيام السجن قاسية عليه، وهو يبعث بشعره الحزين إلى أصدقائه ليترجّوا مظفر الدين في إطلاق سراحه، وصوره في السجن كثيرة تنضح مرارة وشكوى وألماً.

يـا إخـوتـي الـيـوم حـقـاً

يـعـذب الـخـلـيـل خـليـلا

آهـاً فـلـو مـتّ وجـداً

كـان الـمـمـات قـليـلا(١٣٦)

وقوله أيضاً في وصف معاناة السجن:

أقـضـي الليـالي بطرفٍ

بـاكٍ وقـلـبٍ حـزيـن

وكـــلُّ هـــــــــمٍّ وغـــــــمٍّ

ولـــوعـــةٍ تـــعـــتـــريـــنـــي

يـــا ليـتـنـــي قـــبل هــذا

ســقـيـت كـأس الـمنـون(١٣٧)

ويبدو أن شعراء أربيل خصصوا صوراً شعرية عن الهمّ، وهي صور توزعت في ثنايا المعاني في الأغراض المتعددة التي تناولوها، فالحاجري الإربلي يصور أحزانه الذاتية بسبب رحلة أحبابه عنه، وقد ملأ الحزن فؤاده.

إنَّ الأولى رحلوا غـداة مـحَـجَّـرٍ

مـلأوا القلوب لواعج الأحـزان(١٣٨)

وجاء معظم هموم ابن ظهيرالإربلي من المرأة التي ألقت ظلالها على صور الحزن عنده، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على حالة نفسية قد يكون السبب حرمانه من المرأة، أو موقف اتخذه الشاعر لنفسه في بث همومه، بقوله:

إذا حان من شمس النهار غروب

تـذكـر مـشـتـاقٌ وحـنَّ غـريبُ

يـحـنُّ إليكم والخطوبُ تـنـوشـه

ويشـتـاقكم، والنائبـاتُ تنوبُ(١٣٩)

وقوله أيضاً:

ومن لي بإخفاء الهوى مذيعي صبا

لنائلكم بالحزن يقري ويفرحُ(١٤٠)

رابعا: الصورة الشعرية من خلال الأسلوب (صور بلاغية):

ابتدع الشعراء الإربليون صوراً رائعة تنبض بالحركة والحياة يشترك الحسيّ والمعنوي في بنائها على حد سواء، تعني بالجانب المادية عنايتها بالجوانب الشعورية والنفسية من خلال صور بلاغية التي هي طريقة بديعة ومشوقة للتصوير والتعبير(١٤١)، فالصور البلاغية تضرب بجذورها عميقاً في الشعر الإربلي، ويمكن الكشف عن هذه الصور من خلال الأساليب الآتية:

١- التشبيه:

التشبيه لونٌ من ألوان التعبير الرائع، تدفع إلى استعماله دواعٍ كثيرة كنقل الصورة من شكلٍ إلى آخر وتنويعها، ورسم الصور المبتكرة والايحاء بدلالتها الذهنية عند المتلقي، وكذلك إضفاء الظلال والألوان على الصورة.

حظي التشبيه باهتمام بالغ لأنه يحرك أحاسيس السامع ومشاعره، وفي الأغلب استثمر شعراء أربيل كاف التشبيه أو كأن كلسان عيار بين كفتي ميزان المشبه والمشبه به، فابن ظهيرالإربلي يحاول خلق صوره بنسق لطيف وديباجة حسنة، حينما تمكن من حشد تشبيهات متعددة من غير ما اضطراب في وصف رياض مدينة دمشق في صور مركبة مبدعة من خلال ثلاثة أبيات.

كـأن قـدود السَّـرو فـيـه مـوائسـاً
قـدود عـذارى مَـيلُهـا مـتـرفق
إذا مـا تداعتْ للتـعـانق صـدّها
عـيـون من النور المفـتح ترمق
وقـصـر بكلّ الطّرف عنه كـأنه
إلى النَسْرنسرٌ من السماء محلّقُ(١٤٢)

إنها صورةٌ غنية بالعلاقات الظلالية مشعة بالإيحاء توصل القارئ إلى القبول بعلاقاتٍ مبتكرة بين السرو وقدود العذارى والعناق والأزهار المتفتحة، وقصر عالٍ والنسر المحلق في الأعالي، فقد يصل التشبيه في بعض الأحيان إلى درجة من الخصب والامتلاء والعمق إلى جانب الأصالة والإبداع بحيث يكمل الصورة ويؤدي دورها(١٤٣).

ومن تشبيهاته الأخرى التي نلمح فيها صورة جميلة ومبدعة:

وهلال السَّـمـاء في الجـدولِ العـ
لوي يحكي سـفـينة من نـضـار
وكـأنَّ الـنـجـومَ نَـوْر ريـاضٍ
وكـأنَّ المريـخ شـعلـةُ نـارِ(١٤٤)

وقد يثير النشابي الإربلي انفعال متلقيه وسامعه باختيار مفردات حسنة حتى يصل به الأمر أحياناً إلى رسم صور شعرية نادرة حينما يشبه الرياض بالسماء العالية التي فيها تلك المجرة البيضاء العظمى التي قوامها نجوم كثيرة ليس بمقدور البصر تمييزها، وهي تشبه بقعا بيضاء منتثرة تتحرك وتحوم مثل النهر الذي يجري بين الرياض.

إذا الرّياض سـمـاء والمجـرّة كـالنـ
هرِ الذي زهره زهر بمسـربه(١٤٥)

وهنا يستوقفنا حبّ الشاعر للتشبيه الذي هو حاضر على لسانه دائماً، ليخلق لنا صورا تشبيهية التي تلفت الانتباه والتي منها: جعل محبوبه شبيه الغزال الذي يصيد فؤاد الشاعر والأحرى أن يصيد الشاعر الصيّاد غزاله.

صـــاد الــفــؤادَ غـــزالٌ

بـقـــدِّه واعـتـدالــه(١٤٦)

ومن تشبيهات الشاعر الأخرى وصفه للخال الذي فوق وجه محبوبه:

وتحـــسبُ الخـــالَ فـوق وجنتـيـه

نـقـطـة نــدٍّ فــوق قـرطاس(١٤٧)

أما الحاجري الإربلي فقد غلبت على صوره التشبيهية النزعة الحسية، ليصبح معظم تشبيهاته للمحبوب لا تنجو من التقليد. فالوجه بدر، والرضاب خمر، والقوام غصن، والشعر حندس ومن تشبيهاته اللطيفة تشبيه الثغر بصورة البَرَد الذي لا يذوب مهما أطال الشاعر من قبلاته الحارّة لهذا الثغر.

عـجـبت من ثـغـره أدنيـه من نفـسـي

فلا يذوب وقد أضحى من البَرَد(١٤٨)

وهذه صورة مبدعة تركز ثقلها على كفة المشبه به، وإن كان المشبه هو الغاية فيكون المشبه به والحالة هذه الإشعاع الذي يغمر المشبه، كما تغمر الشمس القمر فينير. ومن تشبيهاته الأخرى في موضوع الغزل نفسه:

إذا مـا مـاسَ تيـهـاً أو تلفّتَ مـعـجـبـاً

فما الغصن ممشوقٌ ولا الظبيُّ أغيدُ(١٤٩)

قـــلـــتُ لـمّـــا بـــدا يُرنـح عِـطْـفَـيْـــ

ـــه كَـــغُـصْـــنِ الأرَاكَـــةِ المـيّـــاد(١٥٠)

ركّزَ الحاجري الإربلي على قوة الإدراك لتقريب طرفي المشبه والمشبه به، والإفصاح عنهما بشكل يثير انفعال وخيال متلقيه، وقد أورد شعراء أربيل صوراً تشبيهية وافية، وهذا دليلُ حسنِ اختـيـارهم للمـعـاني والمفـردات، وقـد وصلوا إلى رسم صـور شـعـرية نـادرة عن طريقها(١٥١).

٢- الاستعارة:

الإنسان قبل أن يتكلم بنثر استطاع أن يقول الشعر، وأن يستعمل الاستعارة(١٥٢) فجمال الشعر في الغالب من جمال الاستعارة التي تعبر عنها بالصورة، ولا يخلو شعر أربيل من بعض الاستعارات.

فالشعر القديم حافلٌ بالصور الاستعارية، ولكن الاستعارة أصبحت ذات بعد خيالي أكثر مما كان عليه الشعر القديم. والاستعارة "ضربٌ من التشبيه ونمطٌ من التمثيل"(١٥٣)، فالتشبيه يمثل الأداة التي تساعد على خلق الصور الفنية.

فمن استعارات النشابي الإربلي في تعزيز صوره الشعرية: نجدة النصر(١٥٤)، وإفصاح العام(١٥٥)، ونظام المدح(١٥٦)، وصلاب الأصلب الذي يعني الظهر القوي.

أودعت أشرف الصلاب في الأصـ

لاب في درّ درّة الفـــقـــران(١٥٧)

ومن استعاراته في وصف الخمرة (شمس كأس):

فــهي بلا شك شــمس كــأسٍ ولا

تـكسـف إلا بـعـقـدة الـرأّس(١٥٨)

فالاستعارة أصعب من التشبيه لأن الشاعر يمعن النظر في الفكرة المراد إجراؤها في ظاهر اللفظة وباطن المعنى، وهي عنصر مهم من عناصر الصورة الشعرية(١٥٩) وبما أن اللغة هي المادة الأولى للشعر فإن أساليب بناء الصورة وعناصرها تظلُّ مرتبطة بالصياغة المباشرة للشاعر في تركيب البناء الفني "لأن جمال الشكل يرجع إلى جمال الصورة، كما أن جمال الصور يرجع إلى جمال التعبير"(١٦٠)، لذا اهتم بها الحاجري الإربلي ووظفها في تقوية صوره الغزلية في الغالب ومنها (برود الصبر أسمال):

مـرّت بنا في تـهـاديهـا فـقلت لهـا:

أسماء إن بُرودَ الصبر أسمالُ(١٦١)

و(جيش الغرام):

النجـــاة النجـــاة يا خـــيل سلواني

فـجيش الغرام قد جاء زحـفـا(١٦٢)

وللشاعر استعارات أخرى لطيفة في الوصف فهو يقول على لسان مسجد مهمل في أربيل هجره الإمام والمصلون ولا تقام فيه مراسيم العبادة والصلاة.

أنا مــســجــد لله بيتُ العــبـــادة

عـاري الملابس ليس فيّ حـصـيـر(١٦٣)

وفي شعر ابن ظهيرالإربلي نجد أكثر من مجاز تتمثل علاقته بالمشابهة، يخدمُ غاية الشاعر الفنية ويوفر للصورة الشعرية حيوية وحركة ما لن يتوافر للصورة المرسومة(١٦٤). فهو يستعين بالاستعارة في تزيين صوره الشعرية التي منها (شمس الراح)(١٦٥) و(يد النّوم).

جـــاء يســـعى إلينا وقـــد خـــا

طتْ يدُ النّوم أعين الســمـــار(١٦٦)

وقوله أيضاً:

أدارَ عـقـيـقـاً فـي إنــاءٍ مــن الــدرِّ
فـعـاينت شمس الراحِ في راحة البـدرِ(١٦٧)

٣- الكناية:

نجد في الكناية ضرباً من جمال الفكرة حين يتعمق الشاعر في صوره الشعرية، وأجمل ما في الكناية هو إرادة القريب والبعيد في المعنى في الوقت الواحد، وكذلك وضع المعنويات في صور المحسوسات، ولشعراء أربيل صور في الكناية طافحة بالجمال. حاولوا من خلالها إبراز معاني شعرهم بإحدى صور الكناية التي تنبه الملكات وتثير الأذواق خلال اللمحة والإشارة والمبالغة(١٦٨).

بلغ النشابي الإربلي شأواً جيداً في استخدام صور من الكناية في ديوانه باستخدام اللفظة في غير معناها، حيث يستخدم مراراً ما يشبه (طويل النجاد رفيع العماد).

طويل الـبـاع أروع الغــالبّـي
من القــوم الكرام على الكرام
عـزيز الجـار لو جـارت إليـه الـ
ليـالي كفّ عـادية الظـلام(١٦٩)

ويقول أيضاً:

نديّ طـويل الســـاعـــدين أبـلـج
أروع مـحـمـود السجايا شـمـرّي(١٧٠)

فالنشابي الإربلي استخدم بنية دلالية في توظيف صور الكناية، فقد امتلك قدرة فنية تجعله يقيم جسراً بينه وبين المتلقي، إذ بواسطة هذه القدرة استطاع أن يوصل تجاربه بمنتهي القوة إلى ذهن المتلقي(١٧١). فمن كناياته الأخرى (أكرم من مشى هوناً) كناية عن التواضع، و(قاتل الأموال) كناية عن الكرم، و(يقدم الرعب سيرها) كناية عن القوة المعنوية للجيش، و(زهر الدراري) كناية عن القصائد الشعرية.

أبي جـعـفـر المنصـور أكـرم من مـشى
على الأرض هوناً أو علا متن أجرد(١٧٢)
الــقــاتــلُ الأمـــوالَ كـــالـــ
أبــطــال فـــي لــيـل الــهـريــر(١٧٣)
يـقـدم الـرعب ســيــرهـا فلهـا قـبـ
ل لقـــاء الأعـــداء طعن اللبـــود(١٧٤)

فنظمت الزهر الدّراري لعليا

ه مديحاً، فأصبحت كالعقود(١٧٥)

والحاجري الإربلي في صوره الغزلية يستكثر من (بلال الخال) الذي يقصد به اللون الأسود في خدود حبيباته عن طريق الكناية.

أقام بلال الخال في صحن خده

يراقب من لألآء غرّته الفجر(١٧٦)

وقد يجعل الخال بلالا بصورة معكوسة جميلة:

أم الخال قد أضحى بلالاً مؤذنا

لطلعة شمس النهاروقت ظهره(١٧٧)

وكذلك استخدم كنايات أخرى في صوره مثل (مُشمِّر الأردان) كناية عن التهيؤ والاستعداد.

أخذت عليه يدُ الخلاعة موثقاً

ألا يزال مشمِّر الأردان(١٧٨)

وهكذا فإن معظم كنايات الحاجري تأتي حين يرسم ملامح صورة المرأة من خلال التشكيل اللغوي متأتٍ من تجاذب الحقيقة والمجاز، أو اشتمالها عليهما كليهما في آنٍ واحد(١٧٩). مما يضفي على المعنى نوعاً من الامتلاء فتثير في الذهن تداعياتٍ أكثر مصدرها الصورة الحسية وما وراءها من صورة شعرية.

ومن كنايات الشاعر التي تحملُ في ثناياها عواطفه وانفعالاته المتباينة (انهمار السحب) كناية عن المطر، و(لا تقطع الحبل) كناية عن الوصال، و(بعيد مجال القرط) كناية عن العنق الطويل.

إذا افترَّ جادت بالمدامع مقلتي

كذا عند لمع البرق تنهمرُ السحب(١٨٠)

لا تقطعوا الحبلَ ما بيني وبينكم

إن الكريمَ لقطع الحبلِ وصَّالُ(١٨١)

خلقتَ كحيل المقلتين لشقوتي

بعيد مجال القرط معتدل القد(١٨٢)

ويجمع ابن ظهيرالإربلي - أحياناً - عدّة كنايات في بيت واحد تثير في الذهن تداعيات أكثر من صورة شعرية التي منها: (دار حزن، ومريض عقل) ويقصد بهما هذه الدنيا والانسان الجاهل فيها.

دار حزن، مريض عقل فتىً عا
دته فـــيـــهـــا مـــرّة أطرابُهُ(١٨٣)

وقد يطوع الشاعر كناياته لرسم صور طباع الناس المتباينة المتضادَّة من حيث البخل والطمع والعدوان وصور الناس التي تبغي الكرم والجود ومد يد المساعدة إلى الآخرين في صور متوافقة _ غالباً _ متوازنة لا يشوبها الارتباك والخلل.

ومن الناس مـشـبَّـه الليث لا ير
ضـيـهِ إلا عـدوانه واغـتـصـابُهْ
ومن الناس عاقرُ الضيفِ كالكلـ
ب، ومنهم من لا تهـرُّ كـلابُهْ(١٨٤)

٤- التشخيص:

يقصد به خلع صفات إنسانية على المحسوسات والماديات، وخلع الحياة على الظواهر الطبيعية الصامتة، يرى بعض الدارسين أن الشاعر يلجأ إلى ذلك ليعبّر عن وهم كان يعتقد به الإنسان القديم(١٨٥). حيثُ يتمُّ خلع الحياة على صور الظواهر الطبيعية الصامتة والمتحرِّكة حتَّى أنها تخاطِبُ مخاطبة الذي يفعلُ ويفهم وتخلع عليها صفات المخلوقات النابضة بالحياة، يرى بعض الباحثين أن الصورة في أغلب معانيها " أداةٌ فنية بارعة لنقل صور الانفعال الإنساني عبر استخدام المشاركة الحسية العنيفة"(١٨٦). فلهذه الصور القابلية على الامتداد والانسياب حسب رغبة الشاعر، وتصوره لاتساع الأفق الشعري للقصيدة كلها.

ويكاد لا تخلو قصائد شعراء أربيل من صور تشخيص الماديات، ولو رحنا نتعقب وجودها لطال بنا الأمر، ولكننا سنورد بعض الأمثلة لهذا الضرب من التصوير عند الشعراء الثلاث. فالشعراء ابتدعوا صوراً شعرية فنية رائعة تنبض بالحياة، يشترك الحسي والمعنوي في بنائها على حد سواء وتعني بالجوانب المادية عنايتها بالجوانب الشعورية والنفسية، وتبادل المدركات والصفات وجمع المتناقضات. يبدو على ابن ظهيرالإربلي تجاوبه مع صور الطبيعة وتعاطفه معها بعلاقات إنسانية جيَّاشة العاطفة. إن أسلوب التشخيص الذي استخدمه يمنحنا متعة جميلة، حين يخلع الشاعر مشاعره الإنسانية على الكائنات الطبيعية ومظاهرها، وقد يكون السبب ارتماؤه في أحضان الطبيعة المتمثلة بسهول مدينة اربيل الفسيحة، ومن صوره التشخيصية: هبوب النسيم تدميه، طاف بدر الدجى، والروض مبتسم، وجه الربيع، تسافر الشمس، ضحك الروض، الغمام يبكي، الروض يبتسم، النجوم مسامر.

رقّ جـسـمـاً حـتى لقـد كـان يد
ميه هبوب النسيم بالأسحار(١٨٧)

وقوله أيضاً:

ضحك الروض من بكاء الغمام

فأجل بنت الكروم بين الكرام(١٨٨)

وقوله أيضاً:

تسافرعنه الشمس قبل غروبها

وترجف إجلالاً له حين تشرق(١٨٩)

وقد نجد عنده صوراً تشخيصية في الغزل أضفى فيها الشاعر صفات إنسانية على أحاسيسه ومشاعره في تصوير محاسن محبوبه التي منها (الهوى جاذبٌ)، و(كعبة الحسن)، و(قاضي الحسن):

إنْ عَدَتني عنكم عوادي الزمان

فالهوى جاذبُ إليكم عناني(١٩٠)

وقوله ايضا:

ويحمي جفوني حج كعبة حسنه

ولكنه لم يحم أجفانه الغزوا

وأثبت قاضي الحُسْنِ خط عذاره

لعهده رقٌ لستُ أرجو لها محوا(١٩١)

وقد سار الشاعر على مذهب عبدالله بن المعتز الذي يقومُ على تحسين الصورة الشعرية بتحويل المرئي إلى كائنات جميلة، تتناسب في جمالها ورقتها مع عالمه الجميل الذي ابتدعه لنفسه ورسمه في خياله(١٩٢). ومن الصور التشخيصية النادرة الأخرى للشاعر قوله في وصف رياض مدينة دمشق:

وكم بركة فيه تضاحك بركة

وكم قسطلٍ للماء فيه تدفق

وكم جدولٍ جارٍ يطاردُ جدولاً

وكم جَوْسَقٍ عالٍ يوازيه جوسقُ(١٩٣)

في حين نجد الحاجري الإربلي يتخذ من جمال المرأة نبعاً ثرّاً يولّد لديه معظم صوره فهو يفرغ انفعالاته وأحاسيسه الذاتية وعواطفه في هذا الكائن الجميل متخذاً من صفاته الخارجية لوحات رائعة، وهذا التوجه ليس غريباً على الشاعر لأن معظم ديوانه الشعري هو أناشيد في محراب الجمال.

ولعلأكثر الصورالتي تداولها تم فيها نقل المعاني الى المحسوسات جاءت عن طريق

التشخيص[١٩٤] الغرض منه هو جمال تنظيم خيال الشاعر لتقوية هذه الاحاسيس فنيا، وتسجيل هذه الابيات التي هي في صميمها نابعة من حياته الخاصة، الا وهي عزفه وغناءه المتوجهان الى المرأة في معظم الاحيان .

ومن الصور التشخيصية للشاعر "منزل الشوق، اللِّحاظ تسطو، البدر يسير، الحسن جنود، اللِّحاظ تجرح، نار الأسى تقدح، الأغصان تتحرش بالأغصان، يغار غصن البان، الحجر يذوب، المحاسن تقتل، النسيم يلوي، النسيم يؤلم، الحسن يلبس، ثمار الوصل".

جرحت لحاظك لبَّ قلبي فاغتدى

دمُهُ من الجفن المشهّد ينضح[١٩٥]

وقوله أيضاً:

كيف السلامة لي ممّن محاسنه

جاءت لقتلي بأنواع من العدَدِ![١٩٦]

وقوله أيضاً:

لم لا أهيم بشادن نار الأسى

من ماء وجنتيه بقلبي تقدح[١٩٧]

قد لطفته يد الهوى فكانه

كالماء يؤلمه النسيم بمرِّه[١٩٨]

سقى الله ربعا بالمحصب طالما

جنينا ثمار الوصل في عرصاته[١٩٩]

ونستطيع القول أن النشابي الإربلي يميل إلى التشخيص في معظم صوره من معاني المديح وبالذات في مدح الخلفاء والوزراء والأمراء، ومعروف أنه شغل نفسه بالسياسة والاجتماع وهو شاعر يتكسب بفنه الشعري، وإن مظاهر هذا التشخيص بادية في صوره التي تؤكد تكسبه وميله الى عطايا وهدايا الممدوح التي منها: "الأيادي تكسي، الحقُّ ينجلي، الزمان يخطب، الأفلاك تسجد، الأمور عظام، الأطماع تحوم، البرق يلثم، العام يرفع، التهاني تملأ، النّوم يطرد، الدهر ينظر، الآمال شوارد، اللوعة تنطق، الرياح عطايا، ظل الخليفة سور، القلوب تطير، الجو يكسي".

كستني أياديك الشريفة ملبساً

من الجود عند الله ويعظم أجره[٢٠٠]

وقوله أيضاً:

وبــأرجــائه ريـــــاح الأمـــانــــــي
بالعطايا قد سخرت تسخيرا(٢٠١)

٥- التجسيم:

يطفح ديوان الشعر الإربلي بالصور المجسمة، وهي كرديفتها الصور التشخيصية لا نستطيع الإحاطة بها، فلشعراء أربيل موهبة شعرية قادرة على التجسيم والتصوير يتفاعل مع عواطفهم ومشاعرهم لتبرز من خلاله أصالتهم الفنية، والتجسيم يكسب الصور المعنوية ملامح الإنسان أو صفاته أو أفعاله، وهو توضيح لما هية الشعر الحقيقية (ليس الشعر نظما للمعاني المجردة وايرادا للأفكار سردا وتقريرا ولكن الشعر تصوير للمعاني وتجسيم للأفكار)(٢٠٢)، وان تحقيق هذه الماهية لا يستطيع تحقيقها إلا من كان ذا موهبة شعرية قادرة على هذا التجسيم والتصوير, ومقترنة بما يصدر عنه من أفكار وآراء تفاعلت مع عواطفه ومشاعره لتكون دليل أصالته الفنية وصدقه, وقد تضمن شعر الشعراء مئات الصور المعنوية المجردة.

فالصورة التي تجسم المعاني المجردة تتضح من خلال مشاهد متعددة، فعند ابن ظهير الإربلي "الذكر زاد، والهوى جاذب، والأفراح ترقص، العفو يجلو، والصبر يخيم، والودّ يباع، والظنّ جميل، واللهو مطايا، والنائبات تتوب".

بلغنا العُلى والشوق يحدو ركابنا
وذكـــركم زاد لنا وســمـــيـــر(٢٠٣)

وقوله أيضاً:

إن عـــدتني عنكم عـــوادي الزّمـــان
فـــالهـــوى جـــاذبٌ إليكم عناني(٢٠٤)

وقوله ايضا:

ديار قضينا العيش فيها منعما
وايامنا تحنو علينا وتشــــــفق
مواطن فيها السهم سهمي فكلنا
نحث مطايا للهــــو ونعنق(٢٠٥)

فالتجسيم فضلاً عن كونه عنصراً من عناصر الصورة فإنه وسيلة مهمة لتوضيح المعنى وجلائه، وهذا ما ذهب إليه النشابي الإربلي في صوره المجسمة، ولعل أكثر الصور المتداولة وأكثرها شمولا عنده التي تم فيها نقل المعاني إلى المحسوسات سواء أكان ذو جسم جامد أم حي، وفي الغالب تكون الصورة مركزة للأثر الأدبي التي ربما استطاع الباحث أن ينفذ منها

إلى خصائص الشاعر، ومميزاته (يمكن دائما استكشاف عناصر شخصية في صورة شعرية إلى جانب العناصر النمطية)(٢٠٦). فالتجسيم عنده يتمثل في "الوسواس كبير، الصوم له أرج، الدهر له ذنب، الخواطر تظلم، الأماني مركب، الغرام يجذب".

ظل الذي جـعل الأمـاني مـركـبـاً
وأضـاع فـيـه حـزمـه لحـزامـه(٢٠٧)

وقوله أيضاً:

ظلمـوا الخـواطر بالظنون وراودوا
عون العيون على فتور المفتري(٢٠٨)

وإذا تابعنا صوره الشعرية نجد أنه يجسد المعنوي المجرد على هيئة ملامح الإنسان أو صفاته وأفعاله. فمن أمثلة التجسيم المعنوي (غفران ذنب الدهر)، (الصوم يروي الفضيلة)، (الشرك يحوم باطماعه)، (الدهر ينظر نظرة صغرى) .

وغفرت ذنب الدهر حين تعـــــلقت
كفّي بنحيي الخلق في ايـامه(٢٠٩)

مضى الصوم يروي عنك كلّ فضيلة
لـهـا ارج في جنة الخلد ينشق(٢١٠)

فالشرك قد حامت بكم اطــــماعه
والخطب صـعب، والامـور عظام(٢١١)

نظر الدهـر منه بالنــظرة الصـغ
رى والفي الدنيـا من الادناس(٢١٢)

والصورة المجسمة عند الحاجري الإربلي تعبير عن نفسيته، فصوره عبارة عن أحلام تتراءى بعيداً عن الواقع، وهي ملائمة غالباً لميوله وطبعه، وسبل الشاعر في تجسيم المعاني المجردة متعددة منها: "الوجد يبرح، الجو يهيج، المنايا ألذ، شرب المنكر، النوم مقوّض، الحزن معرّى، الشوق يلعب، الصبر جميل، أشرق وجه الزّمن، اللهو رحب، الهوى طلق العنان".

فـالنوم عن جـفني القـريح مـقـوّض
والحزن في قلبـي الجريح معرّس(٢١٣)

وقوله أيضاً:

أجـــرني من بعـــادك فـــالمنايا
إلى قلبـي ألذُّ من البـــعـــاد(٢١٤)

ويلحظ ان الشـاعـر يتـعمق في شـعـره الغـزلي إلى حـد الامـتـزاج والذوبان، وكـأن صـوره

انعكاس صادق لحياته على شعوره، فعبر فيها عن تجارب نفسية، عايشها بنفسه، وتضاعفت انفعالاتها في داخله فصورها في شعره تصويرا بارعا مقتدراً على رسمه، وكأن قدرته التصويرية موروثة عن عهود الإنسان الأول يعبر عما يريد عن طريق الرسم(٢١٥) ومن صوره المجسمة في الغزل (نهض الشوق إلى تكذيبه، (الهوى يريق الدم).

وطـــن كلمـا ســـــــــــلاه فـؤادي

نـهض الشـوق بـي الى تكذيبـه(٢١٦)

الا يا لقـومـي قـد اراق دمي الهـوى

فـهل لقتـيل الاعين النجل ثائر؟(٢١٧)

عرف الشعر العربي الصور البلاغية منذ نشوئه، ويكاد لا يخلو بيت من قصائد شعراء أربيل من نمط من أنماط البلاغة التي من خلالها تم توليد الصور ونقلها، فالصورة البلاغية تضرب بجذورها عميقا في الشعر العربي(٢١٨).

ومن منابع الصور البلاغية الأخرى التي وقف عندها شعراء أربيل في محاولة منهم لإبراز جمال الصورة الشعرية، خلقهم صوراً بديعة من مشاهدات جزئية وبأدوات جزئية التي منها أداة الاستفهام، التي لها قدرة طيبة على إدخال المتلقي في صميم الصورة، فقد استثمر الحاجري الإربلي أدوات الاستفهام حيث أكثر من (متى، الهمزة، كيف، هل ...إلخ).

يقول الشاعر:

مــتى تنقـضـي أيام ذُلّي وأجــتني

ثمـار زمـانٍ قـد حـرمت جناها؟(٢١٩)

وقوله أيضا:

ابيت من رشف المدامـــة عــاطلا؟

لا والصـــــبوح اليّـة الندمـان(٢٢٠)

كـيف التـخلص من هــواك لمغـرمٍ

داء الصبابة في حشاه مبرِّح؟(٢٢١)

هل عـائد والأمـاني غـيـر صـادقـة

اسحار وهل قضيناها واصال؟(٢٢٢)

وقد يمزج الحاجري بين ياء النداء وأداة الاستفهام مـا:

يا عـزَّ مـا فـعل الزّمـان بصـحـبـة

كـانت قـديماً بيننا فـي إربل؟(٢٢٣)

أما النشابي الإربلي فقد ذهب بعيداً في تكرار ياء النداء في تثبيت صوره الشعرية، بقوله:

يا ابن الخلائق يا خير الخلائق يا

حامي الحقائق يا من سخطه دهق(٢٢٤)

ومرة ثانية يرادفها مع الاستفهام بقوله:

يا نديمي بجـــرعـــاء الحـــمى

هل تبقى في فضول العيش باقي؟(٢٢٥)

وقد يجد الباحث في شعر النشابي حشودا من الصور البلاغية التي تنثال متلاحقة مستفيضة - غالبا - بوشائج المعنى يسعى الى تعميق ملامح الصورة في الذاكرة بمفاجأة المتلقي بهذه الحشود الصورية مستخدما مختلف ادوات الاستفهام، وفي بعض الأحيان تتوالى الصور باستخدام الأمثال التي منها (أثقل من أحد)(٢٢٦) كما في قوله:

لو وازنت ذرة من حلمه أحدا

لبان خفة نقص الوزن في أحد

والمثل (التقدم قبل التندم)(٢٢٧)

وان جنحـوا للسلم فـاجنح وان ابوا

فبالسيف تسعى النفس قبل التندم(٢٢٨)

وليس بمقدور الباحث الإحاطة بكلّ الأساليب التي استفاد منها شعراء أربيل في رسم الصور البلاغية لكثرتها أولاً ومحدودية مجال هذا البحث ثانياً، ومع ذلك نذكر بعضها الآخر التي منها اسلوب القسم والأمر والنهي.

يقول الحاجري الإربلي في القسم:

وأقـــسم لو أنّ المنايا بكفِّـــهـــا

كؤوسٌ فأسقاها لطابت مشاربا(٢٢٩)

أما ابن ظهير الإربلي فقد بالغ في توظيف أفعال الأمر في تشكيلات صوره الشعرية، وكان يسعى إلى قصر الصورة على حلم الشاعر او امنياته التي كانت تتمثل في اعطاء مواعظ وارشادات إلى الآخرين.

ويقول ابن ظهير الإربلي في الأمر:

وأفعل الخير ما استطعت فقد تعـ

جـز عـن فـعـلـه ويـغـلق بـابـه

واخشين كاتب الشمال فيا خسـ

ر امـرء في الشـمـال منه كـتـابـه

واغتنم لـذة الخمول اختيارا

فـهـنـيء طـعـامـه وشـرابـه

عش وحيدا ولو دعاك الى صحـ

بته مخلص الدعاء مجابه

وانظر الحجر، وهو يطفأ بالماء

فما خاب من اليه انتسابه(٢٣٠)

وقوله أيضاً في النهي:

لا تضع قدر ذي النباهة ان

قدر وذو الجدّ مؤثر انتهابه(٢٣١)

ومن الأساليب البلاغية الأخرى في تشكيل الصور بوعي ويقظة وسلامة شعور توظيف الشعراء لظاهرة (التضاد) ومبالغتهم فيها، لانهم كانوا يبغون تكوين صور جميلة حية، تشتبك أجزاؤها، في علاقات فيما بينها لتتكامل عناصرها حيث (أن الصورة قد أصبحت ينظر إليها باعتبارها وسيلة شعرية خاصة... ينبغي أن تتكامل مع باقي العناصر الأخرى في القصيدة).(٢٣٢)

وقد جاء على لسان النشابي الإربلي (الظلام والنور)، (الحلال والحرام)، (قرب وبعد)، (صدود ووصال)، (يمنى ويسرى) ...الخ:

ودعا الناس إلى ظلام إلى النو

ر ومنه بحر الندى مسجور(٢٣٣)

و(الوصال والهجر)، (إعراض وإقبال)، (جور وعدل)، (سلم وحرب)، (صحة وسقم) ...إلخ عند الحاجري الإربلي:

نصيبكم مني الوصال وليس لي

سوى الهجر منكم والصُّدود نصيب(٢٣٤)

وابن ظهيرالإربلي يجمع بين العدوّ والصديق والقرب والبعد بصورة متضادّة في اللفظ وفي المعنى في بيت واحد بصورة مبدعة.

وعدوٌّ يفيدك القربَ منه

وصديق من الصواب اجتنابه(٢٣٥)

وغالبا ما يكثر منها في ابيات متلاحقة في صور متضادة، تفرد شعراء اربيل بهذه السمة.

يوحش الجاهل الاقامة في الا

هل ولا يوحش اللباب اغترابه

فصيح لسان اعجم جيرة بكم

واعجم دمع بالصبابة مفصح

ومـعـربدا في صـحـوه ومـبـاعـدا

في قربه، ومحاربا في صلحه(٢٣٦)

٥- الصورة الشعرية من خلال النغم:

سمي بعض الشعراء في العصور الأدبية المختلفة بأنهم من مغنّي العرب(٢٣٧)، وقد تسابق المغنون لانشاد اشعارهم والتغني بها، فالفنون النغمية من مستلزمات الشعر، وقد انعكس حب الشعراء للنغم على الصورة الشعرية، وتكونت لديهم مسامع نغمية توقض الشعور والاحساس لتكون الصورة لوحة يسهم النغم تماما في جلائها وجمالها وهذه الفنون تساهم في جلاء الصور الشعرية وجمالها وتاثيرها في النفس، والشعراء الاربيليون أشاروا في معظم قصائدهم إلى النغم والموسيقى.

بنت كـرم حـفت بكأس زجـاج

ثم رفت بنغـمـة الاوتار(٢٣٨)

وفي المعنى نفسه، يقول النشابي الاربلي: وقد اخذت الارض زينتها بالنباتات والعندليب ينعشها بنغماته العذبة .

قد اتاك الهيام والارض في زخ

رفها، والهزار في تغريد(٢٣٩)

ومن أهم الأساليب النغمية في خلق الصورة الشعرية هي:

١- البحر:

لا شك أن شعراء أربيل كانوا حريصين على اختيار البحر الذي يحاكي ايقاعاته النغمية ايقاعاتهم النفسية، فابن الظهيرالاربلي استخدم البحر الكامل (٢٤) مرة، والطويل (١٨) مرة، والخفيف (١٢) مرة، والبسيط (٧) مرات، والسريع (٤) مرات، والهزج مرتين، والمجتث مرة واحدة، وأهمل البحور الأخرى.

أما الحاجري الإربلي فقد نظم قصائده على البحر الطويل (٥١) مرة، والكامل (٤٧) مرة، والسريع (٥١) مرة، والبسيط (١٢) مرة، والوافر (١١) مرة، والرمل ست مرات، والمتقارب والخفيف سبع مرات، والرجز خمس مرات، والهزج والمجتث مرة واحدة.

وأكثر البحور التي نظم فيه النشابي الإربلي ديوانه هو البحر الطويل الذي استخدمه (٢٢) مرة، والكامل (٢٠) مرة، والبسيط (١١) مرة، والخفيف (١٠) مرات، والوافر (٩) مرات، والبحور الأخرى بنسب مختلفة.

والملاحظ هنا أن شعراء أربيل استخدموا بحر الطويل والكامل في معظم قصائدهم

الشعرية، وهكذا فهذان البحران لهما منزلة عند الشعراء تفوق سائر البحور الأخرى لما يعتور فيهما من النغم الموسيقي، والنفس الطويل، وسعة المساحة، وقد توصل أحد الباحثين إلى أن النطق ببيت من الطويل يتم خلال تسع نبضات من نبضات قلب المرء(٢٤٠)، وهذا دليل ثابت بأن شعراء أربيل حاولوا إضفاء مزيد من الإيقاع الموسيقي السليم على صورهم الشعرية.

٢- القافية:

تستطيع القافية للاستحواذ على سياق الصورة، فالقافية توهن الصورة أو تغنيها وفقاً لامكانية الشاعر، ولا يمكن الفصل بين ايقاعات القافية عن الوحدة النغمية للقصيدة. فالشعراء الأربليون نجحوا في اختيار قوافٍ ملائمة لصورهم الشعرية.

استكثر ابن ظهيرالإربلي من قافية الألف والنون والدال، والنشابي الإربلي مال نحو قافية الراء والدال والتاء, والحاجري الاربلي أكثر من قافية الراء والدال والتاء.. ويظهر أن الشعراء الثلاثة كرَّروا قافية الراء والدال أكثر من غيرها التي لها دلالة شعورية ومعنوية، ولايخلو هاتين الحرفين من الإحساس بموسيقى أصواتهما التي أحبوها حيث لها وقع حسن في السمع والنفس.

٣- التكرار:

اهتم شعراء أربيل بالنظام النغمي القائم على التكرار في خلق الصور الشعرية، ولكن بنسب قليلة، ولغايات مختلفة، فالتكرارالذي نعنيه هو (تناوب الالفاظ واعادتها في سياق التعبير بحيث يشكل نغما موسيقيا يتقصده الناظم في شعره)(٢٤١)، والنظام النغمي للقصيدة قائم على التكرار الذي يفيد في تقوية الصورة ويشيع في القصيدة جوا عاطفيا, والتكرار في اغلبيته واقع في الألفاظ دون المعاني، ولقد اهتم شعراء أربيل بظاهرة التكرار, وابلوا فيها بلاء حسنا, وغايته عندهم التأكيد والتنبيه, وكذلك استثمروا التكرار في إيضاح الصورة وبيان جمالها أيضاً. فابن ظهير الإربلي كرر بعض العبارات الحسنة في إيضاح صوره المتعددة، والتأكيد على جرد السمات الحسنة وتمييزها عن السمات السيئة عند بعض الناس.

ومن الناس عاد بالشمّ والشمـ
خ حزماً نسر الملا وعقابه
ومن الناس من يرضى بأوشا
ل مياه في القطا أسرابه
ومن الناس شبه الليث لا ير
ضيه إلاّ عدوانه واغتصابه

ومن الناس عاقر الضيف كالكلـ

ب، ومنهم من لا تهر كلابه(٢٤٢)

أما النشابي الإربلي في صوره فهو يسعى إلى جلب انتباه ممدوحه بتكرار الفاظ في بداية أبيات بعض قصائده التي هي رجع صدى لكسب المزيد من نوال ممدوحه وجوائزه.

خـيـر من دانت له أيـ

يّـامـه والثـقـلان

خير من ضاعت بأنوا

ر هـداة القـمـران

خـيـر من سار بعـدل

سار فيه العمران(٢٤٣)

فالشاعر يعمد أحيانا إلى التكرار بشكل مكثف بهدف توظيفه فنيا في البناء، وجماليا في الإيقاع بغية استخدامه كمقوم تجديد. إن توظيف التكرار لصالح الشعر فنيا وجماليا فهو أمر في غاية الحساسية (فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها)(٢٤٤). وقد تناول ذلك النشابي ووظفه لاكثر من غر ض وغاية، وبالذات في بعض مدائحه، حتى وصل به الأمر إلى تكرار صور الكرم عند ممدوحه حتى خرج عن الحدود المسموح بها دينيا واجتماعيا في مدح الأشخاص متجاوزا عن اللفظ إلى المعنى، وقد تفرد بذلك من بين شعراء أربيل وغايته تنبيه ممدوحه .

رحـوم يود المحـسنون لو انهم

اسادوا لرد العفو من فضل الندى

شجاع يرد الجيش وهو عرمرم

كان له في الالف الـف مهند

وقور فان لاذت به اريـحـية

يرى ايهما يجدي بمـال مبدد

كريم اذا اعطى البلاد وملكها

فذلك ادنى جوده المـتعود

عليم بمكنون الغـيـوب كـانما

يرى علمـه مـاهو في غد(٢٤٥)

ويبدو على شعر ابن ظهيرالاربلي تكراره للحروف من أجل اضفاء موسيقية على صوره وخلق إيقاع مساير لتوحي الأصوات بدلالات نفسية تقريبية لطبيعة الصور والأفكار، ومن صوره في التكرار تكراره لحرف السين:

تميم من ارض الحـــــــجــاز منازلا

لهـا دون مـســرى فـسـيح ومـســرح

قـسي عليـهـا كـالسـهـام سـواهـم الـ

وجوه كما امسوا على النوق اصبحوا(٢٤٦)

وأحيانا اخرى يكرر الفاظ في بدايات نصوصه الشعرية في المدح بقصد التأكيد والتنبيه:

وكنت في سنة المخـتـار مـجـتـهـدا

وانت باليـمن والتـوفـيق مـشـتـمل

وكنت زينا لاهل العلم مــفــتــخـرا

على جـديد كـسـاهـم ثوبك السـمّل

وكنت اسـبـغـهم ظلا اذا اسـتـعـرت

هواجـر الجـهل والاظلال تنتـقل(٢٤٧)

٤- تداعي الحروف والكلمات والجمل:

هنالك إيقاع خاص لكلّ لفظة أو لكلّ وحدة لغوية عروضية في البيت، وهنالك جرس خاص لكلّ حرف هجائي، ثم توالي هذه الحروف في الكلمات لتشكيل صور رائعة عن طريق هذه الأصوات. فالشعر لا يحقق موسيقية بمحض الإيقاع العام الذي يحدده البحر والقافية بل يحققها بالإيقاع الخاص لكل كلمة أو لكل وحدة لغوية عروضية للبيت, والثاني بالجرس الخاص لكل حرف هجائي وتوالي هذه الحروف في الكلمات, ولكون بعض القصائد الشعرية لشعراء أربيل يعد من الشعر الغنائي, لذا فقد طوعوا شعرهم لهذه الغاية في تجميل الصورة, فتداعي الحروف والكلمات والجمل يشغل حالة نغمية تسهم في جلاء الصورة الفنية وتزيينها كتلك الموسيقى التصويرية التي تصاحب المشاهد المسرحية.

وفي شعر الإربيليين هناك ايقاعات تولد من تكرار الحروف المتشابهة أو المتقاربة بما يخلق نمطاً من جمال الصورة، تأنسه الأذن، وتألفه النفس، فالحروف لها قدرة على بث المعاني. فالوحدة الصوتية في بعض صور النشابي الإربلي تستقر عند استخدام حرف (أم) للفصل بين جملٍ ذات معانٍ متباينة، حيث يرصف الشاعر هذه الجمل ضمن بيتين من الشعر، وهو دلالة واضحة على قدرة الشاعر التصويرية وإحساسه بالأصوات وإيقاعاتها، وهو جمع لا يخلو من إحساس بموسيقى الألفاظ مع توظيف أداة الاستفهام في تقوية الصور المتعددة.

أذابــلٌ أم قــدّك الـنـّـاضــر

وبــاتـر أم جـفـنـك الـفـاتر؟

ووردة هــاتــيـك أم وجــنــةٌ

وروضـة أم وجهك الباهر؟(٢٤٨)

والحاجري الاربلي يستخدم حرف (أو) في بعض تداعياته .

أنا عـبـد حـبك ان غـدوت مـواصلي

او هاجري او ظالمي او منصفي(٢٤٩)

ومن تداعياته في تقوية صوره الشعرية تكراره لواو العطف.

نحـــولٌ واشـــتـــيـــاقٌ وغــــربةٌ

وحـزنٌ وأشـجـان وصـدٌ وأدمع(٢٥٠)

وابن ظهير الإربلي يشدد على بعض الحروف لخلق صور موسيقية في شعره، ومنها تكرار حرف (الخاء).

خيـر شـهـر في خيـر وقت إلى خيـ

ر إمــام أتى بخـيــر مــزيد(٢٥١)

والحاجري الإربلي يفضل تكرار حرف الراء في تداعياته.

وأجــرت الرِّيحَ في أرجــائه أرَجــاً

كالمسك نشراً على الآفاق تنشره(٢٥٢)

وهنالك تداعٍ للكلمات أيضاً في خلق الصور المبدعة وما أكثرها عند شعراء أربيل، ولكننا سنذكر نماذج منها للاستشهاد.

يقول النشابي الإربلي:

فــإذا حللن حللن ربعــاً مــقــفــراً

وإذا حملن حملن أشعث أغبرا(٢٥٣)

وقد يمزج الشاعر بين تداعي الحروف والكلمات معا .

أو ضـــــــاربا او طـاعـنـا او نـابـلا

او اروعا او محربا او قمقاما(٢٥٤)

يقول الحاجري الاربلي:

ودمـــوع عــيني مطلق ومــقــيــد

وعلى خدودي مرسل ومسلسل(٢٥٥)

ومن حالات لتداعي الجمل نذكر بعض الشواهد في ديوان النشابي الاربلي:

ومن تداعيات الجمل الفعلية:

مــــتـــــواضـع، والله يـرفـع قـــدره

ويـعـــزّه، ويـزيـد فـي إعـظـامـــه[٢٥٦]

ومن تداعياته في الجمل الاسمية:

طاعن الشـزر، ضـارب الهـبر، مـقدا

م، وللصـيـد في الوغى تأخـيـر[٢٥٧]

ومن تداعيات الشاعر المبدعة للجمل الاسمية أيضاً:

بحـــر الندى، دان المدى، نور الهـدى

مغني العدى، دام المدى، ليث الشرى

رحب الذرى، جم القـرى، عذب الثرى

كاس العرا، وثيق اسبـاب العرى[٢٥٨]

الخاتمــة

هذه أول دراسة متعمقة عن الصورة الشعرية عند شعراء أربيل لم تسبقها دراسة أخرى في هذا المجال، تبحث عن منابع الصورة وخصائصها وأنماطها معتمدةً على دواوين شعرية مدروسة ومحققة ومطبوعة، ومن هنا تكمن مصداقية هذه الدراسة وعلميتها في محاورها المتعددة، وقد تمخضت عن نتائج من أبرزها:

ثبت أن منابع الصورة في شعر الإربليين ترجع إلى جذور الثقافة العربية القديمة من دينية وتراثية وإقليمية ومحلية، وما علق بالذاكرة من صور شعراء العرب القدامى.

الإكثار من صور معينة عند هؤلاء الشعراء الثلاثة، ما هي إلا صور متفردة تخص الشاعر نفسه بسبب حياته الخاصة، وإن كانت البيئة الثقافية واحدة التي هي مدينة أربيل، وقد كانت لتجارب الشعراء الذاتية دوراً في هذا التنويع. فالنشابي الإربلي أجاد في صوره النابعة من أوصاف الممدوح بسبب اتجاهه الشعري في مدح الخلفاء والوزراء والأمراء، ويتعلق الحاجري الإربلي بالمرأة بسبب كونه ابن الأمراء الأغنياء يبحث عن الحياة الممتعة اللاهية، وتشبث ابن ظهيرالإربلي بصور الطبيعة والحكمة لكونه كان عالماً قبل أن يكون شاعراً.

اتصف شعر الإربليين بجمالية الصورة التي تنمّ عن التنويع الصوري مستخدمين وسائل متعددة في أدائهم الفني، وبالذات في الصور البلاغية البديعة.

قلّ اهتمام شعراء أربيل بالرمز أو الأسطورة، ولم يستخدموا رمزاً معيناً لتعميق الصورة، والتوصل به إلى معنىً أعمق وأشمل.

شخص شعراء أربيل مواطن الجمال في المرأة، وجاء معظم صورهم عن المرأة تكراراً للصور الشعرية السائدة وبخاصة عند الحاجري الإربلي مع بعض الإضافات الشكلية من عندهم بسبب البيئة والتربية والثقافة.

تمثل صور الشعراء اندماجية بالمجتمع، والمجتمع الإربلي لم يكن يختلف عن المجتمعات العربية الإسلامية الإخرى، فقد كانت الصور الشعرية متشابهة إلى حدٍ ما عند شعراء أربيل والشعراء الآخرين في البلاد الإسلامية.

أكثر الشعراء من الصور الذاتية من خلال بثّ همومهم الشخصية وتوجهاتهم الفردية حيال الموت والحياة والشيب والخمرة.

عبّر معظم صور الشعراء عن أحاسيسهم بشكل واضح. فالصورة كانت تمثل المعنى الذي

كان يجول في خواطرهم، لذلك جانبهم التوفيق، وقد جاءت صورهم متآلفة العناصر يتناسب بعضها بعضاً.

الصورة الشعرية عند الشعراء اتسمت بالبساطة والوضوح، ولم تكن غريبة وغامضة، تدعو إلى التأمل وتركيز الفكر، وقد جاءت من خلال ذوق سليم دون لبس أو غموض.

ثبت أن أهم سمة من سمات الصورة الشعرية في الشعر الإربلي هي السمة الحسيّة، وقد يغلب عليها الطابع البصري، وإن قدّموا إلينا صوراً أخرى يمكن تخيلها عن طريق الحواس الأخرى.

جاء معظم الصور الشعرية من خلال البيت الواحد في القصيدة، وقد تبيَّن أن توليد الصورة من خلال بيت واحد أسهل عليهم من الصور المركبة في وقت أبدعوا في بعض صورهم المركبة وبخاصة صور ابن ظهيرالإربلي والنشابي الإربلي.

وإننا لنرجو أن يكون هذا البحث مساهمة يسيرة يضيف إلى شعر الأقاليم حصيلة جديدة، كانت خافية على الدارسين لشعراء عاشوا في مدينة أربيل الكردية التي تثقف أهلها بالثقافة العربية الإسلامية، وتقتضي مثل هذه الدراسات أن يخوض في مظانها واحد من أبنائها، وكان شرفاً لي أن أمتح فيها دلوي وأخوض في غمارها.

المصادر والمراجع

١- ابن الرومي حياته في شعره، عباس محمود العقاد، منشورات المكتبة العصرية بيروت ,١٩٨٢

٢- أدب المهجر، عيسى الناعوري مكتبة الدراسات الادبية، دار المعارف ,١٩٦٧

٣- الأدب وفنونه، د.عزالدين اسماعيل، دار الفكر العربي ط٢ القاهرة ,١٩٧٨

٤- الاسس الجمالية في النقد العربي، د. عزالدين اسماعيل دار الشؤن الثقافية العامة بغداد ,١٩٨٦

٥- أسرار البلاغة، عبدالقادر الجرجاني، محمد رشيد رضا، دار المنار مصر (د.ت)

٦- الأسلوب، أحمد الشايب مطبعة السعادة، ط٧ مصر ,١٩٧٦

٧- تأريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ت: رمضان عبدالتواب، مط: المعارف القاهرة ,١٩٧٦

٨- التبيان في علم البيان: ابن الزملكاني، ت: د. أحمد مطلوب، د. خديجة الحديثي، بغداد ,١٩٦٤

٩- الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨ حتى ١٩٧٥، د. صالح أبو اميو، المؤسسة العربية للدراسات والنشر القاهرة ,١٩٧٩

١٠- ديوان ابن ظهير الاربلي ت: د.ناظم رشيد، مطابع جامعة الموصل ,١٩٨٨

١١- ديوان الحاجري الإربلي، ت: صاحب شنون ياسين الزبيدي، كلية الآداب جامعة بغداد ١٩٨٦ (رسالة ماجستير).

١٢- ديوان النشابي الإربلي ت: د. عبدالله محمود طه، كلية الآداب، جامعة الموصل ١٩٨٥ (رسالة ماجستير).

١٣- ذيل مرآة الزمان، سبط بن الجوزي، دائرة المعارف العثمانية ,١٩٥١

١٤- شعر أدم بن حجر ورواته الجاهليين، د. محمود عبدالله الجادر، مطبعة دار الرسالة بغداد ,١٩٧٩

١٥- الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، د. عزالدين إسماعيل دار العودة بيروت ,١٩٦٨

١٦- الصورة الشعرية (د. لويس) ت: أحمد نصيف الجنابي ومالك ميري، دار الرشيد بغداد ,١٩٨٢

١٧- الصورة في الشعر العراقي الحديث، ت: د. أحمد نعينع بغداد ,١٩٨٢

١٨- الصورة في الشعر العراقي الحديث، سيد علي سيد الدليمي القاهرة ١٩٥٨ (أطروحة الدكتوراة).

١٩- الصورة الشعرية في شعر أبي تمام، د. عبدالقهار الرباعي، وزارة الثقافة دمشق ,١٩٧٢

٢٠- الصورة في الشعر العربي، د. علي البطل، دار الأندلس بيروت ,١٩٨٠

٢١- العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف دار المعارف مصر ,١٩٦٠

٢٢- عيار الشعر: ابن طباطبا العلوي، تحقيق، د. طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، القاهرة ,١٩٥٦

٢٣- فن الشعر، د. إحسان عباس بيروت ,١٩٧٩

٢٤- فن الشعر، هوراس، ت: لويس عوض، المطبعة الثقافية القاهرة , ١٩٧٠
٢٥- فنون بلاغية، د. أحمد مطلوب بيروت , ١٩٧٣
٢٦- قراءة جديدة لشعرنا القديم، صلاح عبدالصبور دارالكتاب العربي القاهرة , ١٩٦٨
٢٧- قضايا الفن في قصيدة النثر العباسية، د. عبدالله عبدالفتاح التطاوي، دارالثقافة، القاهرة ١٩٦٧,
٢٨- القومية في الشعر الحديث، د. أحمد الحوفي دار المعارف مصر , ١٩٦٩
٢٩- اللغة واللون، د. أحمد مختار دار البحوث الكويت (د-ت).
٣٠- لسان العرب، ابن منظور (ت٧١١هـ) دار صادر بيروت , ١٩٦٨
٣١- مبادىء النقد العربي (اليغور أ. مسترنغ، تشاروز) ت: د. مصطفى بدوي، مطبعة مصر القاهرة ١٩٦٣,
٣٢- المستقصي في أمثال العرب، أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري (ت٥٣٨هـ) دار الكتب العلمية، بيروت , ١٩٧٧
٣٣- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تونس , ١٩٦٦
٣٤- الموازنة بين الشعراء، د. زكي مبارك، دار المعارف، القاهرة , ١٩٧٥
٣٥- النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، دار النهضة مصر القاهرة (د-ت).
٣٦- النقد الأدبي، د. داود سلوم، بغداد , ١٩٦٧
٣٧- وفيات الأعيان: ابن خلكان ت(٦٨١هـ) ت: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت , ١٩٧١

المصادر والمراجع

١- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري: د. محمد مصطفى هدارة، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٣.

٢- آثار البلاد وأخبار العباد: زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت ٦٨٢هـ)، دار صادر، بيروت ١٩٦٠.

٣- البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف بيروت ١٩٦٦.

٤- بلدان الخلافة الشرقية: ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٤.

٥- تأريخ الأدب العربي (بلاشير)، ترجمة: الدكتور إبراهيم الطيلاني منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٤.

٦- تأريخ إربل: شرف الدين أبي البركات المبارك ابن المستوفي، ترجمة: سامي الصقار، مطبعة المركز العربي للطباعة، بيروت وزارة الثقافة، بغداد ١٩٨٠.

٧- التأريخ الباهر في الدولة الأتابكية في الموصلك علي بن أبي كرم المعروف بابن الجزري، ترجمة د. عبدالقادر أحمد طليمات، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٦٣.

٨- تأريخ الشعر العربي حتى أخر القرن الثالث الهجريك نجيب محمد البهبيتي، مؤسسة الخانجي، القاهرة ١٩٦١.

٩- تأريخ الموصل: القس سليمان صائغ الموصلي، مطبعة السلفية، مصر ١٩٢٣.

١٠- تأريخ النقد الأدبي عند العرب: د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية ١٩٨٦.

١١- التذكرة الفخرية: بهاء الدين المنشئ الإربلي، ترجمة د. نوري محمودي القيسي و د. حاتم صالح الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٨٤.

١٢- جامع التواريخ، ترجمة محمد صادق نشأة وفواد عبد المعطي، دار إحياء الكتب العربية، دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٣

١٣- الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير: تاج الدين أبو طالب بن الساعي، ترجمة دكتور مصطفى جواد، مطبعة السريانية بغداد ١٩٤٣.

١٤- الحسين بن الضحاك (حياته وشعره): د. شوقي رياض أحمد، المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٢.

١٥- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة: عبد الرزاق ابن الفوطي البغدادي، تعليق: د. مصطفى جواد، مطبعة الفرات بغداد ١٩٣١

١٦- الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، أحمد كمال زكي دار الفكر دمشق ١٩٦١.

١٧- خزانة الأدب وغاية الأرب: تقي الدين أبو بكر المعروف بابن حجة الحموي، دار الحديث، بيروت (د.ت).

١٨- دراسات في الأدب العربي غرنباوم، ترجمة: إحسان عبّاس، أنيس فريحة، محمد يوسف نجم، كمال اليازجي طبع مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة، بيروت ١٩٥٩.
١٩- ديوان ابن الرومي: ترجمة: د. حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٤.
٢٠- ديوان أسامة بن منقذ: ترجمة: أحمد أحمد بدوي، حامد عبد المجيد، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٣.
٢١- ديوان ابن الظهير الإربلي محمد بن أحمد بن عمر، تحقيق: د. ناظم رشيد، مطبعة دار الكتب، الموصل ١٩٨٨م.
٢٢- ديوان الحاجري: حسام الدين بن سنجر الحاجري، تح: صاحب شنون ياسين، كلية الآداب جامعة بغداد، ١٩٨٨ (رسالة ماجستير).
٢٣- ديوان النشابي، مجد الدين أسعد بن إبراهيم الإربلي، تح: عبد الله محمود طه، كلية الآداب جامعة الموصل، ١٩٨٥ (رسالة ماجستير).
٢٤- ذيل مرآة الزمان، أبو الفتح موسى اليونيني، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ١٩٨٦.
٢٥- شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، عبد المتعال القاضي، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥.
٢٦- اصلوات الطقسية الفرضية لمدار السن للكلدان والنساطرة، المطبعة السلفية، مصر، ١٩٢٣.
٢٧- صورة الأرض، أبو القاسم بن حوقل (ت ٣٦٧هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩.
٢٨- طبقات الشعراء، ابن سلام محمد الجمحي (ت ٢٣٢هـ)، تح: جزيف هل ليدن، ١٩١٦.
٢٩- عيون التواريخ، محمد شاكر الكتبي، ترجمة: نبيلة عبد المنعم داود والدكتور فيصل الساحر، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٤٨.
٣٠- الغصون اليانعة في محاسن شعر المئة السابعة، ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي، تح: إبراهيم الأبياري، دار المعارف، القاهرة (د. ت).
٣١- فصول في الشعر ونقده، د. شوقي ضيف، دار المعارف مصر، القاهرة، ١٩٦٢.
٣٢- فوات الوفيات: محمد شاكر الكتي، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٩.
٣٣- في الأدب العباسي (الرؤية والفن)، عز الدين إسماعيل، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٥.
٣٤- قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان المشهور " عقود الجمان في شعراء هذا الزمان" كمال الدين أبي البركات المبارك بن الشعار الموصلي، مصورة اللجنة المشرفة على تحقيقها في كلية التربية بجامعة الموصل من مخطوطة أسعد أفندي في إستانبول تحت رقم (٢٣٢٦).
٣٥- الكامل في التأريخ عزالدين علي بن محمد بن الأثير، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.
٣٦- كنز الدرر وجامع الغرر، عبد الملك بن إيبك الداوداري، تح: سعيد عبد الفتاح عاشور، نشر: المعهد الألماني، القاهرة، ١٩٧٢.

٣٧- لسان العرب، محمد بن مكرم الأفريقي المصري أبن منظور، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥.
٣٨- مرآة الزمان في تأريخ الأعيان، سبط ابن الجوزي، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٩٥١.
٣٩- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي المسعودي، تح: محمد محي الدين، مطبعة السعاد الثانية، القاهرة، ١٩٤٨.
٤٠- معجم أسماء البنات، جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطي، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، ١٩٦٥.
٤١- معجم البلدان، ياقوت بن عبدالله الحموي، بيروت، ١٩٥٥.
٤٢- مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، تح: علي عبد الواحد وافي، مطبعة لجنة البيان العربي، مصر، ١٩٨٥.
٤٣- المنتظم في تأريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الشهير بابن الجوزي الطبعة الأولى، حيدر أباد، الدكن ١٣٥٨ هـ.
٤٤- النقد الأدبي وأثره في الشعر العباسي، د.ناصر ألحاني، مطبعة بغداد، ١٩٥٥.
٤٥- نكت الهميان في نكت العميان، خليل بن إبيك الصفدي، مطبعة الجمالية، القاهرة، ١٩١١.
٤٦- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن إبيك الصفدي، تح: س. ديدرنغ، مطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٥٥.
٤٧- الوطن في الأدب العربي، إبراهيم الأبياري، دار القلم، بيروت، ١٩٦٤.
٤٨- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر بن خلكان، تح: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨.
٤٩- الهجاء (سلسة فنون الادب العربي)، سامي الدهان، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩٥٧.

الرسائل الجامعية:

١- الشعر العربي في أربيل في العهد الأتابكي، عثمان أمين صالح، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين (رسالة ماجستير) سنة ١٩٩٣.
٢- الهذبانيون في أذربيجان وإربل والجزيرة، أحمد عبد العزير، كلية الآداب جامعة صلاح الدين (رسالة ماجستير) سنة ١٩٩٠.

المجلات والدوريات:

١- مجلة آداب المستنصرية: العدد العاشر سنة ١٩٨٤، د. ناظم رشيد، بحث بعنوان (حسام الدين الحاجري الأربيلي، حياته وشعره).
٢- مجلة روشنبيري نوى، العدد (١٣٠)، سنة ١٩٩٣، د. عبدالله محمد حداد، بحث بعنوان (أربيل في قصيدتين لنوشروان البغدادي).

٣- مجلة زانكو للعلوم الإنسانية، العدد (١٥) لسنة ٢٠٠٢، د. عثمان أمين صالح، بحث بعنوان (ظواهر اجتماعية عند شعراء أربيل في العهد الأتابكي).

٤- مجلة المجمع العلمي العربي: العدد (٢١) لسنة ١٩٤٦، العدد (٢٢) لسنة ١٩٤٧، عباس العزاوي، بحث بعنوان (آل بكتكين إمارة إربل في عهدهم).

٥- مجلة المثقف الكلداني، العدد (١) لسنة ١٩٩٩، د. عثمان أمين صالح، بحث بعنوان (شاعران من سريان أربيل في القرن السابع الهجري).

٦- مجلة المخطوطات العربية، المجلد ٣٣ الجزء الأول لسنة ١٩٨٩، د. ناظم رشيد، بحث بعنوان (سعد بن علي الحضيري الملقب بدلال الكتب).

يتألف هذا الكتاب من بحوث أكاديمية عدة نشرت في مجلات علمية رصينة، وهي موثقة بالمصادر والمراجع عن تراث اربيل القديم قبل أكثر من ثمانية قرون حينما كانت أربيل مدينة زاهية وعامرة في حقبة حكم الإمارتين الهذبانية والاتابكية، وقد إهتمت الامارة الاولى بالمجالات العسكرية بسبب وقوع أربيل وسط محاور الصراع الحربي في المنطقة، ولكن الامارة الاتابكية اهتمت بجوانب الحياة جميعها وقد نشطت حركة عمرانية واسعة تحدث عنها ابن حجة الحموي في كتابه معجم البلدان إلى جانب حركة ثقافية وعملية شاملة في ميادين المعرفة الإنسانية كلها، وهذا الكتاب قبس من ذلك النور، نور المعرفة والحضارة عند أهل اربيل القدماء.



المؤلف

مطبعة



أربيل - كردستان

Aras Press

Kurdistan - Erbil